المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة



فكر طه حسين
في
ضوء العقيدة الإسلامية

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة

إعداد الطالبة:

فاطمة بنت حميد بن جود الله الحسني

الرقم الجامعي (٤٢٤٨٠٢٧٠)

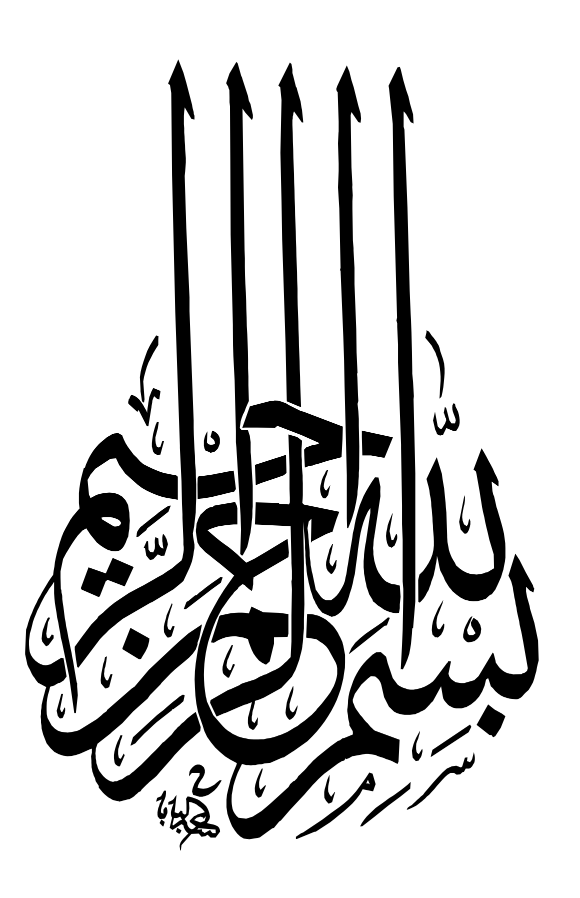
إشراف فضيلة الشيخ:

أ.د/ محمد عبدالحافظ

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

ماجستير فاطمة | س (كامل الرسالة ... تعديلات بعد | مناقشة) ٠٠٥ ١٤٣١/٠٧/٠٩ Ali Fattani

طباعة الفطاني



ملخص الرسالة

العنوان: فكر طه حسين في ضوء العقيدة الإسلامية.

تقديم الطالبة: فاطمة بنت حميد بن جود الله الحسني.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين أمابعد:

يتضمن هذا البحث دراسة عقدية نقدية لفكر الكاتب والروائي طه حسين، وذلك بالتركيز على أبرز الآراء والتوجهات الفكرية لدى الكاتب، دون النظر إلى النواحي الفنية والأدبية، حيث اختص هذا البحث بالمضامين التي حاول تثبيتها وترسيخها في عقول القراء عن طريق كتبه وقصصه ومحاضراته ومقالاته التي حاول من خلالها إبراز ما يعتقده من آراء وأفكار مخالفة للعقيدة الإسلامية.

وتتكون الرسالة من: مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة.

أما الباب الأول: فيُعنى بذكر السيرة الذاتية لطه حسين من مولد ونشأة وغيره، كما يذكر أبرز المؤثرات على فكره داخل مصر وخارجها، ويشمل كذلك أبرز الشخصيات التي كان لها دور كبير في صياغة فكره من مفكرين مصريين أو مستشرقين غربيين.

أما الباب الثاني: فيُعنى بالمصادر الفكرية التي استقى منها طه حسين سائر معلوماته وثقافاته، كما شمل هذا الباب أهم المخالفات العقدية والشرعية في فكره التي ظهرت من خلال نصوصه وخالفت ما دلت عليه بعض أركان الإيمان الستة وتجاوزتها، وما نتج عن ذلك من مخالفات سلوكية شرعية .

وأخيراً يأتي الباب الثالث: الذي يُعنى بالتركيز على أبرز الشخصيات الفكرية والأدبية التي تأثرت بفكر طه حسين إما عن طريق التلمذة له داخل مصر أو المتأثرين به خارج القطر المصري في العالم العربي والإسلامي.

وأخيراً فإن هذه الدراسة تهدف إلى إظهار نصوص طه حسين في قالب الموضوعية والتجرّد العلمي بعيداً عن الهوى والتعصّب، والتحذير من أخطر ما كان يردّده في مؤلفاته، أو ما كان يرمي إليه من تغريب المجتمع المسلم وتذويبه في الحضارات الغربية في صورة أدب جذاب - أحياناً- وخاصة ما يتعلّق بقصصه ورواياته المؤلفة والمترجمة.

كما تهدف هذه الرسالة إلى وضع طه حسين في المكان الذي يستحقه ويناسبه بعيداً عن هذه الهالة الإعلامية المصطنعة حوله وحول فكره وأدبه.

والحمد لله الذي بنعمه تتم الصالحات وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

Thesis Abstract

Thesis Title : Taha Hussein thinking in the perspective of the Islamic Faith.
Presented by student / FATEMAH HUMAID JUDALLAH ALHASNI

"Praise be to Allah and peace be upon his prphet Mohammed , his family and his fellowmen , Amen . "

This research includes a critical study to The thinking of the famous writer and novelist Taha Hussein from the perspective of the Islamic faith. This is done through stressing on the most prominent opinions and attitudes of the writer regardless of the literary or artistic aspects as this research is just concerned with the thoughts Taha Hussein intended to transfer to his readers through his books , stories , articles and lectures that appeared to be contradicting the Islamic faith.

The thesis is composed of an introduction , three parts and a conclusion .

The first part is intended to deal with a biography of Dr. Taha Hussein including his birth , growth etc, as well as the western orientalists or Egyptian thinkers who contributed to formulate his writings .

The second part is intended to deal with the intellectual sources from which he could get his information and culture . This part also deals with his main breaches to the Islamic legal teachings and faith that were clarified in his literary texts that contradicted the main six corners of the Islamic faith and the consequent behavioral effects . This part also includes the idsea that Taha ussein intended through his writings to deform Islamic history so Muslim young people lost trust in their great ancestors.

At last , the third part is concerned with stressing on the salient intellectual and litrary thinkers who were influenced by Taha Hussein thinking through receiving information from being either his students inside Egypt or his fans from the Muslim and Arab World .

Finally , this thesis aims at revealing the reality of the litrary texts written by Taha Hussein objectively without any bias or prejudice . Also , this studsy warns people against the main ideas that he promoted in his writings for the sake of globalizing the Islamic culture and making it integrate into the western civilization under the influence of his attractive books , stories and translations .

This thesis also aims at revealing the reality of such an Arab Famous Scholar with no regard to the media exaggeration that surrounded his thoughts and literature

"Praise to Allah who bestowed his blessings upon us and peace be upon

his prophet , his family and fellowmen , Amen. "



المقدمـــة

المقدمـــة

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، والصلاة والسلام على الهادي الأمين، من بعثه ربه رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين،، أما بعد: -

ففي خضَمّ الصراع المرير بين دعاة الحق ودعاة الباطل بشتى صوره وأشكاله يتوجّب على المسلم أن يدافع عن هذا الحق الذي يؤمن به بقلبه وقلمه ولسانه ويده، فأعداء الإسلام لا يدّخرون جهداً في كيدهم للإسلام ودعاته، مستغلّين كل شيء: الكلمة، والصورة، والعلم، والمادة.... يستخدمونها جميعاً وبطريقة ذكية ماكرة لخدمة أهدافهم البعيدة وتحقيق أغراضهم الخبيثة، وقهر الحق الذي يحاربونه.

ولم يقف بهم الأمر عند هذا الحد، بل تعداه إلى استغلال بعض السذّج من أغرار المسلمين، أو مرضى النفوس ليهدموا الإسلام من داخله، لينشأ ضعيف الصلة بدينه، قويّها بأعداء دينه، وعلى رأس هؤلاء من أُطلق عليهم مسمى « المستغربون »، الذين يسعون جاهدين للقضاء على هوية الأمة وصهرها في بوتقة الحضارة الأوروبية، مع ما يصاحب ذلك من الطعن في ثوابتها ومقدّساتها متلفّعين برداء البحث العلمي، والتجرّد الموضوعي...

ولهذا نشأ جيل من الأدباء لا ينتمون إلى أدباء الإسلام الذين التزموا بالإسلام عقيدةً وسلوكاً وكلمةً صادقةً نبيلة.

هم يظنون الأدب قصيدةً ينظمونها في قالب غنائي لا يلتزم بعقيدة أو خُلق... يظنونه رواية رخيصة تدور حول الجريمة والجنس، وتسعى إلى إشباع الرغبات وإفراغ الشهوات دون نزعة من خوف أو بقية من حياء...

يفعلون ذلك كله تحت مسمى الأدب! وما كان الأدب يوماً بهذه الصورة الشوهاء الممجوجة...

إن الأدب شعور صادق وخلجات نبيلة تتمثل في كلمات رطبة نديّة تجعل من الحلم رؤىً جميلة وواقعاً ملموساً يُعاش؛ بعد ما كان شعوراً كامناً في النفس.

وعلى الأديب أن يلتزم بالعقيدة أولاً، وبشرع الله عموماً ليكون أديباً بحق، كما أن عليه أن ينسجم مع نفسه وحقيقته؛ وكل أديب مطالب بالصدق مع ذاته، فكيف يسمى الأديب أديباً إن لّم يكن واقعه وحقيقته الشعورية والعملية نابعة من الإسلام؟

أما إن كنا نقبل من الأديب ألا يلتزم بالإسلام، وبما افترض الله عليه في سلوكه وعمله وتفكيره، فإننا حينها لا نعجب إن رأيناه يدعو إلى الآثام باسم الفن، ويروّج المنكر والفساد باسم الأدب، ويقبل على المحرمات ويقترف الآثام باسم الضرورات والعصر.

وهذا ما ظهر – وللأسف – في أدب طه حسين، فإن الناظر في أدبه يرى نفسه أمام نظريات بعيدة كل البعد عن الإسلام وعن جوهره النفيس، ويتمثل هذا في طعنه في القرآن الكريم، وسخريته بالنبي ﷺ. كما يتمثل أيضاً في الكم الهائل من القصص والروايات التي ألّفها أو ترجمها حيث اتخذت من الفكر الغربي قالباً لها، يصوغه طه حسين كيفما شاء.

والأدهى من ذلك والأمرّ ما كتبه من كتب وُسِمت بالإسلامية وهي بعيدة كل البعد عن الإسلام، التي تمثّلت في: (الوعد الحق)، (على هامش السيرة)، (الشيخان)، (الفتنة الكبرى) وغيرها...

إن المتمعّن في هذه الكتب يجد نفسه أمام صورة قاتمة السواد – للأسف – وُصم بها الإسلام وهو منها براء، فالسيرة ملئت بالكثير من الأساطير والخرافات حتى فقدت روحانيتها ونقاءها...والشيخان زال ما لهما من التكريم والإجلال؛ لما لُطّخا به من التهم الكاذبة، وهكذا...

لذا حاولت من خلال هذه الدراسة تجلية موقف طه حسين تجاه الدين، بحيث يظهر بوضوح ما كان يرمي إليه ويهدف إلى تحقيقه من التشكيك في الثوابت، والذوبان في حضارة الغرب، مع ما يصاحب ذلك من هدم الرموز الإسلامية، والإعلاء من شأن شرذمة من الغرب لا يعدون إلى جانب عظماء الإسلام شيئاً يذكر. وإن كنت في بداية الطريق أستصغر نفسي كثيراً أن أنقد عميد الأدب العربي!! – حتى إن كان من ناحية

العقيدة فقط – ولكن بعد أن بدأت أغوص في قراءة كتبه وكتب خصومه ظهر لي عظم الهالة الإعلامية التي أحيط بها طه حسين، فهو وإن كان جذاب الأسلوب رحب الخيال – خاصة في قصصه ورواياته – لكنه يصغر كثيراً عما وُصف به منذ زمن وإلى وقتنا الحاضر. وهذا ما ازدادت به قناعاتي أن طه حسين صنعة الاستشراق وربيب المستشرقين، وإلا فلدينا من أرباب القلم وأساطين الأدب من هم أعظم منه قدراً وأعمق أثراً.

وبالرغم من هذه المكانة التي وصل إليها طه حسين علمياً وسياسياً، وبالرغم من كثرة الملتفّين حوله حماية ورعاية له، إلا أن الكثيرين من الغيورين على الدين نافحوا وكافحوا بكل قوة آراءه ونظرياته التي تطعن في أعظم مقوّم من مقومات بقائه وعزته، كتاب ربها ﷻ، وانبرى الكثير منهم مدافعاً بقلمه ليظهر الحق ويزهق الباطل، وما زالوا بالاعتراضات والمطالبات حتى تحقق لهم بعض ما يسعون إلى تحقيقه فصودر كتاب طه حسين، وأُخرج طه حسين من الجامعة بعد ردهة من الزمن، لكنه ما لبث أن عاد!.

وإن هذه الدراسة لتهدف إلى إلقاء الضوء على أبرز المخالفات العقدية والشرعية التي وقع فيها طه حسين، وخالف بها عقيدة المسلمين، كما تظهر خطورة آرائه على المجتمع الإسلامي أبرز المتأثرين به وإن كانوا بلغوا منزلة من الضلال لم يبلغها طه حسين نفسه، والله الهادي إلى سواء السبيل.

۞ أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

- كون طه حسين الأديب الوحيد الذي وصل إلى هذه المنزلة من الأدب - عميد الأدب العربي - مما جعل الكثير يرفعه فوق منزلته ويحيطه بهالة من التعظيم يصغر دونها كثيراً، ولا شك أن الإعلام الهدّام، ومن ورائه الاستشراق، كان سبباً لذلك.

- جدة هذا الموضوع فبالرغم من كثرة الكتابات حول طه حسين، فنياً وعقدياً، إلا أنه لم يُكتب عنه حتى الآن دراسة أكاديمية نقدية عقدية، وحتى الكتابات التي اهتمت بالجانب العقدي لديه لم تهتم إلا بكتاباته في كتاب (في الشعر الجاهلي)، و(مستقبل الثقافة في مصر) مع الغض عن الكم الهائل لبقية كتبه باستثناء (الشيخان)، و(الفتنة الكبرى) فقد كتبت عنهما بعض الكتابات اليسيرة ضمن كتب شملت أكثر من كاتب.

- وفرة إنتاج طه حسين الأدبي والفكري حيث ربت مؤلفاته على الخمسين مؤلفاً ما بين كتاب، وقصة، ورواية مؤلفة أو مترجمة، ولما حواه هذا الإنتاج من انحرافات عقدية وسلوكية شملت بعض أركان الإيمان وتجاوزتها.

- الرغبة الملحة في الوقوف على هذه الشخصية، ومعرفة حقيقة ما تعتقده، حيث كنت قد بدأت أقرأ عن هذا الكاتب وأنا في المرحلة الثانوية، وكانت الأطروحات التي تطرح عنه قوية وعذبة جعلتني إحدى المعجبات بأدبيات طه حسين، ثم ما لبثت أن سمعت أقوال المخالفين والناقدين له بل والمهاجمين، وكانت نصوصه المخالفة في كتابه (في الشعر الجاهلي) أوضح ما يُستشهد به على جنوحه، فتملكني شعور بالبغض الشديد لما يكتب، وتحول كل إكبار له إلى نقيضه حتى انتهى بي إلى هذه الرسالة التي رجوت من خلالها أن أصل إلى شاطئ اليقين.

خطـة البحـث:

تتكون من مقدمة، وتمهيد، وثلاثة أبواب، وخاتمة، وفهارس البحث.

المقدمـة: تتضمن أهمية الموضوع وأسباب اختياري له، ومنهجي الذي سرت عليه في كتابة البحث.

التمهيد: ويتضمن عصر طه حسين ويحتوي على أربعة مباحث:

المبحث الأول: الأوضاع السياسية.

المبحث الثاني: الأوضاع الاجتماعية.

المبحث الثالث: لأوضاع الدينية.

المبحث الرابع: الأوضاع الأدبية (الفكروالأدب).

الباب الأول: حياة طه حسين ومصادر فكره ويحتوب على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: نشأته ومسيرته العلمية وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مولده ونشأته وسيرته العلمية .

المبحث الثاني: أبرز أعماله.

المبحث الثالث: أشهر مؤلفاته.

الفصل الثاني: المصادر الأجنبية لفكر طه حسين ويشمل:

المبحث الأول: الفكر الفرنسي .

المبحث الثاني: التراث الروماني واليوناني .

الباب الثاني: آراء طه حسين وفيه فصلين:

الفصل الأول: الآراء العقدية، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مخالفات في بعض أركان الإيمان الستة .

المبحث الثاني: المخالفات المتعلقة بعقيدة الولاء والبراء.

المبحث الثالث: المخالفات المتعلقة بالقضايا السياسية والاقتصادية .

الفصل الثاني: **الآراء الشرعية، وفيه أربعة مباحث:**

المبحث الأول: المخالفات المتعلقة بالمرأة .

المبحث الثاني: المخالفات المتعلقة بالموسيقا والغناء والرقص .

المبحث الثالث: المخالفات المتعلقة ببعض العادات الغربية .

المبحث الرابع: المخالفات المتعلقة بالفخش في القول والبذاءة في الوصف .

الباب الثالث: أثر فكر طه حسين على العالم الإسلامي وفيه فصلين:

الفصل الأول: **أثر فكره داخل مصر .**

الفصل الثاني: **أثر فكره خارج مصر .**

الخاتمــة: **وتحتوي على أهم النتائج التي توصلت إليها.**

الفهارس: وفيها:

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث والآثار.
- فهرس الأعلام.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

۞ منهجي في البحث:

وقد سرت في بحثي هذا على المنهج الوصفي التحليلي النقدي وكان على النحو التالي:

- عرضت عقيدة طه حسين، في أصول الإيمان وغيرها، من خلال أقواله وأعماله الفكرية والأدبية، واستشهدت بآراء بعض نقاده، ولم أعتمد في عرض عقيدته على أقوال معارضيه ونقاده بل على أقواله هو، سواء كانت صريحة أو محتملة، ولم اعتمد في ذلك على غير أقواله إلا من باب التعضيد والاستئناس باستثناء ما استشهدت به من نصوص للأستاذ أنور الجندي، وليس ذلك إلا لتزكية العلماء وتوثيقهم له؛ وذلك لجهوده في خدمة الإسلام والدفاع عنه، وأنه يُستبعد على مثله الكذب على أحد. ولولا أهمية النصوص التي ذكرها وتوثيق العلماء له لما ذكرتها، ولعل مما يدل على صدقه عدم اعتراض أي أحد من تلامذة طه حسين أو المعجبين به على أي نص أو قول نسبه إلى طه حسين، ناهيك عن وجود بعض هذه النصوص في مصادر أخرى معتبرة، وقد ذيَّلتُ هذه الدراسة بملحق خاص بأنور الجندي، عرَّفَتُ به، وذكرت بعض أقوال العلماء والمفكرين عنه، وحول جهوده المباركة في الدفاع عن الإسلام.

- خرّجت الآيات الموجودة في البحث في الحاشية وفهرستُ لها في نهاية البحث.

- وكذلك فعلت مع الأحاديث النبوية، واعتمدت على تخريجها من الصحيحين في حالة وجودها فيهما، أما في حالة عدم وجودها فيهما فخرّجتها من بقية كتب السنن.

- ترجمت لبعض الشخصيات الواردة في البحث، وأطلت في بعضها وخاصة (بعض المستشرقين والمفكرين الفرنسيين) حين وجدت الأثر الذي تركوه في فكر طه حسين كبيراً إلى حد ما.

- نقلت النصوص كما هي تماماً، وعند تغييري لكلمة أو أكثر أشير إلى ذلك في الحاشية بقول بتصرف أو بتصرف يسير.

- اعتمدت في نقل النصوص من مصادرها أو بعض المراجع الوسيطة، مع الإشارة إلى ذلك في الحاشية بكتابة نقلاً عن... وذلك عند تعذر الحصول على المرجع الأصل.

- اضطررت إلى تكرار بعض النصوص أكثر من مرة لارتباطها بالمبحث الذي ذكرت ضمنه.

- عند عرضي لنصوص طه حسين المخالفة استشهدت على مخالفتها بذكر نص أو نصين من القرآن الكريم والحديث النبوي إن وجد.

- تفاوتت فصول البحث ومباحثه ومطالبه في الطول من فصل إلى آخر؛ وذلك نظراً إلى غزارة المادة العلمية في موضع أكثر من موضع.

- ركزت عند ذكر المتأثرين بفكر طه حسين، على أبرز الشخصيات التي ظهر توافق بينها وبين طه حسين فكراً - بحسب ما رأيت - وذلك لعدم وقوفي على مراجع تحدثت عن هذا الأمر باستثناء الكاتب عبدالرحمن الشرقاوي، وأمينة السعيد، فقد وجدت بعض الكتابات التي أشارت إلى هذا التأثر دون التفصيل في جوانبه. كما اعتمدت على ذلك باعترافات مكتوبة لهؤلاء الأدباء تؤكد تأثرهم بفكر طه حسين.

- وألحقت بهذا التأثر المعجبين به، وذكرت طائفة منهم داخل مصر وخارجها.

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وحبه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه وبغضه، وأعنا على قول الحق في الرضا والغضب، كما أدعوه سبحانه أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ودفاعاً عن الإسلام ومبادئه، وأن يقيّض أقلامنا وأفكارنا لطاعته ومرضاته، إنه وليّ ذلك والقادر عليه.

ولا يفوتني في ختام هذه الرسالة أن أشكر بعد شكر المولى ﷻ كل من أعانني وأمدني بمشورة أو لفتة أو فائدة حتى اكتمل البناء وقام الزرع على سوقه وأهدي جميل شكري إلى:

١-والديَّ العزيزين: ففوق ما لهما من الفضل، هما اللذان غرسا في نفسي حب العلم وطلبه منذ الصغر، أمَّا والدي -وقد حرمت رفقته لي في هذه الدرب- فأرجو من العلي القدير ألَّا أحرم رفقته في الجنة، رحمه الله رحمة واسعة، وكذلك والدتي الغالية التي لم تألُ جهداً مذ عرفتها في دفعي للعلم، والنصح لي في سائر شؤون حياتي، وقد أقعدها المرض عن مشاركتي هذه الفرحة فرفع الله درجتها في الدنيا والآخرة.

٢-شيخي ومشرفي: الدكتور الفاضل محمد عبدالحافظ، فقد كان بحق يتعهدني بالنصيحة والفائدة كما يتعهَّد الزارع نبتته حتى تنمو وتستوي على ساقها، فبارك الله له في علمه وعمله وعمره وذريته وسائر نعمه.

٣-مرشدي السابق: الدكتور الفاضل عبدالله القرني الذي كان من أوائل من شجعني على اختيار موضوع الرسالة، ثم مرشدتي الفاضلة: الدكتورة عائشة روزي، التي لم تبخل عليَّ بعلمها في بداية الطريق.

٤-زوجي الفاضل: الشيخ عابد بن سليم الحسني، الذي كان لي نعم المعين والناصح منذ البداية وإلى نهاية الرسالة.

٥-أخي الغالي وأخواتي العزيزات وسائر أفراد أسرتي وصديقاتي، من قاسموني همِّي وأعانونني بما يستطيعون.

٦-كما أتقدَّم بالشكر الجزيل إلى جامعة أم القرى ممثلةً في كلية الدعوة وأصول الدين وعمادة الدراسات العليا التي أتاحت لي فرصة إكمال الدراسة كما أخصُّ بالشكر أيضاً الدكتورين الفاضلين كلاً من: الدكتور سعود بن عبدالعزيز العريفي، والدكتور يحيى بن محمد ربيع اللذين تفضلا مشكورين بقبول مناقشتي وتقديم توجيهاتهما الطيبة لهذه الرسالة فجزاهما الله عنِّي خير الجزاء ولهؤلاء جميعاً أقول:

ولو أنني أوتيت كل بلاغــــةٍ

وأفنيتُ بحر النطق في النظم والنثرِ

لما كنت بعد القول إلا مقصــراً

ومعترفاً بالعجز عن واجب الشكرِ

الدراسات السابقة:

١-دراسة سامح كريم بعنوان: (ماذا يبقى من طه حسين) ١٩٧٧م .

وهذه الدراسة لم تناقش القضايا المطروحة بل تحاول عرض أفكار طه حسين دون مناقشة .

٢-دراسة سامح كريم أيضاً بعنوان: (معارك طه حسين الأدبية والفكرية) ١٩٧٧م .

وتعتمد الرسالة على رد الآراء دون تحليل أو مناقشة .

٣-دراسة كمال الملاح بعنوان: (قاهر الظلام) وتميل إلى الأسلوب الصحفي .

٤-دراسة أنور الجندي بعنوان: (طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام) ١٩٧٥م .

٥-دراسة جابر رزق بعنوان: (طه حسين الحربية والإدانة) .

٦-دراسة عمد البهي في كتابه: (الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي) ١٩٨١م .

٧-دراسة محمد محمد حسين بعنوان: (الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر) ١٩٧٢م .

واكتفت هذه الدراسة بالإجمال في العرض والنقد .

٨-دراسة يوسف نور عوض بعنوان: (الرؤية الحضارية والنقدية في أدب طه حسين) ١٩٧٩م .

٩-دراسة عبد العزيز شرف بعنوان: (طه حسين مزوال المجتمع التقليدي) رسالة دكتوراه جامعة القاهرة ١٩٧٧م .

وهذه الدراسة لم تلتزم الحيدة العلمية، بل أنها في وضع تأييدي كامل لآراء طه حسين .

١٠-دراسة مصطفى عبد الغني بعنوان: (طه حسين ودوره في السياسة المصرية) رسالة ماجستير جامعة عين شمس عام ١٩٨٤م .

وتعتمد هذه الدراسة على أساس من البحث الوثائقي وقد أظهرت هذه الرسالة موقف طه حسين من القضايا السياسية والاقتصادية وخاصة الليبرالية .



التمهيـــــد

التمهيـــد

عصر طه حسين

ويشتمل على أربعة مباحث :

- ۞ **المبحث الأول : الأوضاع السياسية .**
- ۞ **المبحث الثاني : الأوضاع الاجتماعية .**
- ۞ **المبحث الثالث : لأوضاع الدينية .**
- ۞ **المبحث الرابع : الأوضاع الأدبية (الفكروالأدب) .**

التمهيـــــد

لمعرفة حال أي شخصية فكرية أو أدبية أو دينية، لابد من معرفة سائر المتغيرات المحيطة بهذه الشخصية، من بيئة ونشأة ومسيرة تعليمية ووضع اجتماعي وغير ذلك...

كما لا بد من معرفة معظم من أحاط بهذه الشخصية من أقارب وأساتذة وأصدقاء وغيرهم... ومدى تأثر هذه الشخصية – موضع الدراسة – بتفكيرهم ونظرتهم إلى الحياة والنفس والثوابت والمتغيرات وغيرهم...

كل هذا كفيل بتغير بعض جوانب الفكر والاتجاه العقدي والسلوكي لدى هذه الشخصية المستهدفة بالدراسة.

لذا قُمت – عند دراستي لشخصية طه حسين – بدراسة جميع هذه العناصر، حتى أخرج بنتيجة صحيحه لفكره وعقيدته التي صاغها في معظم ما كتبه من مؤلفات وقصص ومقالات ومحاضرات، استطاع أن يبرز من خلالها ما سعى إلى تحقيقه من أهداف، لعل أبرزها دوره الواضح في تغريب الأمة ومحاولة القضاء على هويتها الإسلامية، كما كان له دورٌ بارز في دسّ كثير من الأساطير والخرافات في ثنايا السيرة النبوية العطرة وسيرة الخلفاء الراشدين ومن تبعهم بإحسان؛ وذلك من خلال بعض مؤلفاته التي وسمت بالإسلامية! مثل على (هامش السيرة)، و(الوعد الحق)، و(الشيخان)، و(الفتنة الكبرى) وغير ذلك...

لكن، وقبل دراسة تلك العناصر التي أحاطت بطه حسين، أود التعريف بحالة العصر الذي سبق ظهوره إلى ما بعد ظهوره ونشأته ولمعان نجمه، وذيوع صيته في الحقبة الزمنية الممتدة من أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وما صاحب هذه الفترة من ظروف وتغيرات سياسية، واجتماعية، ودينية، وفكرية (ثقافية)...

المبحث الأول: الأوضاع السياسية

"عقب فشل الثورة العُرابية عام ١٨٨٢م قام الإنجليز باحتلال مصر طمعاً في التوسع الإمبراطوري وفي ثروات البلاد، وفتح أسواق في الشرق لصناعتها، وانفردت إنجلترا بحكم مصر بعد ما ابتعدت فرنسا"(١).

"وما أن استقر الإنجليز بمصر حتى نشطوا لتثبيت أقدامهم بها، فأرسلوا في سنة ١٨٨٣م عدداً غير قليل من غلاة المستعمرين وذوي الخبرة في إذلال الشعوب واستغلالها، وعلى رأسهم ذلك الداهية (إدفالين بارنج) الذي عُرف فيما بعد باسم (اللورد كرومر) والذي حكم مصر أربعة وعشرين عاماً إلى أن أخرج منها سنة ١٩٠٧م"(٢).

"وأعلنت الحماية البريطانية على حكم مصر عام ١٩١٤م عند قيام الحرب العالمية الأولى، وبدأت الحركات الوطنية تظهر على المسرح السياسي بعد الاحتلال الإنجليزي، وسعى الاستعمار لخلق بطانة من المصريين يكونون أداته في تنفيذ إرادته"(٣).

فكان مطلع القرن العشرين يشهد عدة أحزاب سياسية أهمها: الحزب الوطني الذي أنشأه مصطفى كامل(٤) بالتفاهم مع عباس الثاني للوقوف في وجه اللورد كرومر

---

(١) فخرية محمد إسماعيل خوج، ص٤٩، ط: بدون، مطابع الصفا، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، نقلاً عن: الثورة هذا أولاً العرابية والاحتلال الإنجليزي، عبدالرحمن الرافعي، جـ١، ص٤٨٤، ط: بدون - دار المعارف، ١٩٨٣م، نقلاً عن دراسة تحليلية لآراء طه حسين التربوية في كتاب مستقبل الثقافة في مصر من المنظور التربوي والإسلامي.

(٢) في الأدب الحديث، عمر الدسوقي، جـ ٢، ص١٧ - ١٦، ط: بدون، دار الفكر العربي، بدون.

(٣) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، محمد محمد حسين، ص١٣، دار النهضة العربية، ط: الثالثة، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

(٤) مصطفى كامل: (١٢٩١ - ١٣٢٦هـ = ١٨٧٤ - ١٩٠٨م)، نابغة مصر في عصره وأحد مؤسسي نهضتها الوطنية، ولد وتوفي بالقاهرة كان فصيحاً ساحر البيان، قاوم الاحتلال الإنجليزي بخطبه ومقالاته وكتبه، دعا إلى إنشاء الحزب الوطني وانتُخب له رئيساً طول حياته، من مؤلفاته: (حياة الأمم والرق عند =

والسلطة المحتلة، وكان يدعو إلى التعاون مع الخلافة العثمانية، والتف حول هذا الحزب غالبية الشعب المصري، أما الحزب الثاني: فهو حزب الأمة الذي شكله كبار الإقطاعيين بمصر بإشارة من اللورد كرومر عام ١٣٢٥هـ - ١٩٠٧م برئاسة محمود سليمان باشا، وكان يدعو هذا الحزب إلى التعاون مع السلطة المحتلة بحجة الاستفادة من تمدّنها ومن الحضارة الغربية، وقد عرف هذا الحزب بعد الحرب العالمية الأولى باسم (حزب الوفد) بزعامة سعد زغلول.

وكان هذان الحزبان يُشكلان الأغلبية من شعب مصر، أما الحزب الثالث فهو الحزب الوطني الحر، وكان يدعو صراحة إلى التعاون مع الإنجليز وقد باع نفسه للاستعمار وكان هذا الحزب يمتلك صحيفتي المقطّم والمقتطف وقد أسسه (عدلي يَكن) وعمل على نشره أحمد لطفي السيد من خلال جريدة (السياسة) منذ صدورها عام ١٣٤١هـ-١٩٢٢م، وهناك حزب رابع وهو حزب الاتحاد الذي أنشأه الملك فؤاد عام ١٣٤٤هـ-١٩٢٥م[1].

ومن هنا يتبين لنا ما شملته القوى السياسية في مصر على النحو الآتي:

أ- "الاحتلال العسكري البريطاني: الذي كان قادراً على جمع جميع الحركات الوطنية حتى تسير السياسة المصرية بحسب ما يتفق مع المصالح البريطانية.

ب- الأحزاب السياسية: التي تسببت في تفتيت الوحدة الوطنية، ومن ثم ضعفها.

جـ - القصر: الذي كان موالياً للاستعمار البريطاني حتى يضمن البقاء واحتكار العرش؛ لأن الأسرة الحاكمة لم تكن سوى أسرة دخيلة لا تنتمي إلى مصر.

د - المجالس النيابية: التي كانت تتمثل في مجالس المديريات والجمعية العمومية

= الرومان)، (فتح الأندلس)، (الشمس المشرقة) وغيرها. يراجع: الأعلام، جـ ٧، ص٢٣٩.

(١) راجع: تربية المرأة بين المودودي وطه حسين، منيرة عبدالله القاسم، ص٤٥- ٤٦، ١٤٠٨هـ بتصرف يسير. رسالة مقدمة إلى قسم التربية الإسلامية والمقارنة في كلية التربية بجامعة أم القرى كمتطلب تكميلي لنيل درجة الماجستير.

ومجالس شورى للقوانين والجمعية التشريعية، وكان غرض الاحتلال من إنشائها إخضاع الحكومة المصرية لسياسته وإضعاف الروح الوطنية وإيقاف حركة التطور"(١).

ثم قامت ثورة يوليو ١٩٥٢م التي أنهت حكم القصر بطرد الملك فاروق الأول في ٢٣/ يوليو/ ١٩٥٢م وإجلاء الاحتلال البريطاني عن أرض مصر وألغيت جميع الأحزاب السياسية(٢).

علاقة طه حسين بالسياسة:

بدأ طه حسين بالاشتغال بالسياسة منذ وقت مبكر، واستغلَّ عمله في الصحافة لإذكاء نار الصراع بين الأحزاب المعارضة لحزبه، وذلك بكتابة العديد من المقالات المؤيدة لحزبه والمعارضة لبقية الأحزاب(٣).

وكان طه حسين في بداية حياته السياسية منضمًّا إلى حزب الأمة. وقد كتب في صحيفة (الجريدة) التي كان يرأسها أحمد لطفي السيد، كما كتب في مجلة (الهداية) التي كان يشرف عليها عبدالعزيز جاويش، أحد أركان الحزب الوطني، ثم ما لبث أن مال إلى حزب الأحرار الدستوريين الذي نشأ من بقايا حزب الأمة، ثم حزب الاتحاد ثم مع حزب الوفد بعد ذلك(٤)، "وكل هذا بمثابة الإطار الخارجي لدعوته وعمله الذي كان يمارسه في الجامعة ووزارة المعارف المظلة الواقية لآرائه التي أذاعها في كتبه، وهي آراء تتصل بالدين والأمة والحضارة واللغة والأخلاق والقيم والتاريخ، وكلها تستهدف صهر آراء الاستشراق والتغريب في بوتقة الفكر الإسلامي والثقافة العربية؛ عن طريق

---

(١) دراسة تحليلية لأراء طه حسين التربوية، فخرية خوج، ص٥٠ - ٥١، نقلاً عن: الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزي، عبدالرحمن الرافعي، ١٩٨٧م، بتصرف.

(٢) راجع: نفسه، ص٥١، نقلاً عن: الخلفاء الراشدون، محمد عبدالرحمن حسين، ١٩٧٠م، بيروت، دار الكتاب اللبناني.

(٣) راجع: الفكر الإسلامي المعاصر، غازي التوبة، ص٨٤ وما بعدها، دار القلم، ط: الثالثة، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

(٤) راجع: تربية المرأة بين المودودي وطه حسين، منيرة القاسم، ص٤٦، رسالة ماجستير.

فرضها على الشباب في الجامعات والمعاهد والمدارس، ثم عن طريق الصحافة والتأليف. ومن هنا ندرك أن صلة طه حسين بالصحافة السياسية إنما كانت بمثابة الاحتماء بمؤسسة تدفع عنه الخطر"[1].

وقد شاركته زوجته في حياته السياسية، تقول في مذكراتها: "مع قدوم ١٩٢١ بدأت بالمشاركة في حياة مصر السياسية التي احتلت حيزاً كبيراً في حياة طه، وكان طه آنذاك يؤمن بحكمة سياسة الأحرار الدستوريين؛ فقد كان له في حزب الأحرار الدستوريين أصدقاء أعزاء من بينهم ثروت باشا، وآل عبدالرزاق، وكان ذلك يؤثر فيه ولا شك. وكان يكتب في صحيفة الحزب، وكان يعمل عن قناعة وبضراوة كانت تميزه في كل ما يكتب"[2].

وهكذا يتضح - مما سبق - أن طه حسين لم يكن مستقراً سياسياً، فقد تنقل بين أحزاب مختلفة متناقضة، وهذا يدل على عدم ثباته في الرأي، يقول أنور الجندي: "إن طه حسين كان يتخذ من الأحزاب أوعية ووسائل ومظلات واقية لإذاعة آرائه وأفكاره ومحمياً من ضربات القوى المتيقظة لسمومه"[3].

(١) طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام، أنور الجندي، ص١٠٧، ط: الثانية، دار الاعتصام، ١٩٧٧م.

(٢) معك، سوزان طه حسين، ص٣٢.

(٣) طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام، أنور الجندي، ص١٣٥.

المبحث الثاني: الأوضاع الاجتماعية

"لم تكن الأوضاع الاجتماعية أحسن حالاً من الأوضاع السياسية في هذه المدة. فكان من سمات ذلك الوقت انصراف الناس عن سيرتهم الأولى في الصنيع الحضاري والرقي الاجتماعي، فانتشر بين الناس الفقر والجهل والأمراض الاجتماعية والجسدية، كما انتشر التخلّف الفكري الذي يشكل عنصر تنوير ومقدمة مهمة لقيادة العمل وتوجيه الحياة إلى البناء السليم للدولة والشخصية والكيان... وعلى ذلك فإن الوثائق التاريخية تثبت هذا الرأي وتقذف بحركة المجتمع إلى شئ من الرتابة والتوقف عن كل شيء حيناً، أو إلى وصف العرب بالسُبات الكلّي والانصراف عن مسرح الحياة"[1].

"ولقد أشارت كتب الرحلات بإسهاب إلى ما كانت المجتمعات تعانيه منها في العقد الثامن من القرن الثامن عشر... وقد دوَّن (سوسيني) في كتابه (رحلات إلى مصر العُليا والسفلى)، ملاحظات كثيرة عن مصر التي لا يسودها إلا الاستبداد والبربرية. وقد تطَّرق إلى موضوعات المرأة ومواسم الزواج، والختان، وتجارة العبيد ومعاملتهم...كما تحدَّث عن الدراويش والرقاة والأمراض والأوبئة ومظاهر البيئة الطبيعية والحصان العربي. كما تحدَّث الكاتب (إدوارد لين) في كتابه (آداب المصريين والمحدثين وعاداتهم) عن جملة من الموضوعات الاجتماعية والسياسية... وتطَّرق بتفصيل إلى موضوع الخرافات وكيف كانت متأصلة بالشباب وتكاد تخالط سلوكه. وتعرَّض أيضاً في حديثه إلى التقاليد المنزلية، وتأثير البيئة في الأحوال الخلقية والاجتماعية والمنازل والملابس والتنشئة والطفولة والآداب العامة... كما نجد في الكتاب وصفاً للحرف والصناعة وأنواعها، والزراعة وأنواعها، والموسيقا والرقص، والقصص الشعبية، والأعياد والاحتفالات الدينية والزواج، والختان والموت والحداد وغير ذلك..." [2].

---

(١) الأدب العربي الحديث نماذج ونصوص، سالم المعوش، ص٣٧- ٣٨، دار المواسم للطباعة والنشر والتوزيع، ط: الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، بتصرف.

(٢) الأدب العربي الحديث، سالم المعوش، ص٤٦، نقلاً عن: الرحلة إلى الشرق والرحلة إلى الغرب، د/ ناجي نجيب، ص٧٣- ٧٤، نقلاً عن الأدب الغربي الحديث، سالم المعوش، ص٣٦، بتصرف يسير .

وكان المجتمع المصري يتركب من أربع فئات:

« كبار الملاَّك والرأسماليين: ويُشكلون طبقة الإقطاع الزراعي، ومن ثم الاستغلال الرأسمالي للأرض والفلاَّح.

– سواد الشعب: كان يتكون من الفلاحين والعمال الذين لا يملكون إلا أجرهم المتواضع الذي لا يكفي قوت يومهم، فانتشر بينهم الفقر والجهل والمرض على نطاق واسع.

– المثقفون: وهم الطلبة وأصحاب المهن الحرة وطبقة الموظفين والعسكريين، وقاموا بدور طليعي سواء في الحركة الوطنية أو في النهوض الاجتماعي والسياسي والاقتصادي.

– المتمصرون: هاجر إلى مصر خلال هذه الفترة العديد من الجنسيات المختلفة، وسيطروا على العديد من النشاطات الاقتصادية، وساعدهم في ذلك تمتعهم بامتيازات عديدة منها خروجهم عن دائرة سلطة الدولة »(1). « وفي الفترة من ١٩٥٢-١٩٧٣م حاولت الثورة أن يقوم المجتمع المصري على أساس الحرية الاجتماعية فقضت على الاحتكار والإقطاع الرأسمالي؛ إما عن طريق التأميم أو التحضير، وغيرت تركيب المجتمع المصري إذ أصبح يقوم على تحالف قوى الشعب العاملة التي تتمثل في الفئات التالية:

– طبقة العمال والفلاحين: وأصبحت تمثل ٥٠٪ من أي تشكيل نيابي أو سياسي.

– طبقة المثقفين.

– طبقة الرأسمالية الوطنية » (٢).



(١) دراسة تحليلية لآراء طه حسين، فخرية خوج، ص٥٢- ٥٣، نقلاً عن: تاريخ التربية والتعليم في مصر، سعيد إسماعيل علي، القاهرة، عالم الكتب ١٩٨٥م.

(٢) المرجع السابق، ص٤٣.

المبحث الثالث: الأوضاع الدينية

مرَّت الأمة الإسلامية بمراحل عديدة، وتقلّبات كثيرة، وتغيرات متنوعة، لكنها - بالنسبة لعقيدتها- كانت محافظة عليها، ملتزمة بشرع الله في شتى مجالات الحياة، لكن الدين، على سموه ورفعة شأنه ووثاقة دليله وصواب تعاليمه وصدق أخباره، لا يعمل في واقع الحياة من تلقاء نفسه بعيداً عن عمل البشر وتطبيقهم، فمتى حافظوا عليه حفظهم الله وأعزهم، كما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ: "إنا قوم أعزنا الله بالإسلام، فلن نلتمس العز بغيره"[(١)]

أما إذا تغير البشر وضعف تمسكهم بدينهم فستحلّ عليهم سنة الله تعالى التي لا تتبدّل ولا تتغير قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[(٢)].

وقال عزَّ من قائل: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[(٣)]، وقد تردَّى حال الأمة في هذه الحقبة تردِّياً لم يسبق له مثيل في كل تاريخها وماجت بها الانحرافات تتزايد والأمراض تتفاقم، وتعم آثارها كل بلاد الإسلام ومجتمعاته، ومصر من بلاد الإسلام أصابها ما أصاب غيرها من هذه الانحرافات والأمراض.

وبالرغم من رحيل الاستعمار بجيوشه وعساكره، فإنه خلَّف وراءه عوامل الخراب والدمار والانحراف، وصارت الوحدة شتاتاً، واستبدل الشرع بالقانون، وأخرجت المرأة من عفتها وكرامتها وحجابها، وأضحت الخمور والعهر من الأمور العادية، وتولى تلامذة الاستعمار التأثير والنفوذ في البلاد لترسيخ الضلال والانحرافات التي لم يستطع ذوو الفكر الأصلي من المحتلين القيام بها. فقاموا بتنفيذ الدور الذي رُسم

---

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم، (جـ١/ ص٢٠٤)، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية-بيروت، ط: الأولى، ١٤١١-١٩٩٠، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا.

(٢) سورة الرعد: ٢١١.

(٣) سورة الأنفال: ٥٣.

لهم بدقة فاقت التصور، بل زادوا على ذلك ألواناً من الضلال والفجور لم يكن المستعمر الأصلي بقادر على تنفيذها، فصودر الشرع الشريف، وحل مكانه القانون البشري، وأصبح تدريس الفلسفات المادية والمذاهب الوضعية بديلاً أساسياً لتدريس العقيدة الإسلامية، وأضحى الإعلام منبراً بثَّ أنواع الانحرافات والضلالات الفكرية والسلوكية »[1] .

وأصاب العقيدة ما أصابها في إنحرافات عديدة من صوفية وإرجاء وغير ذلك، وأصبحت كلمة التوحيد عند معظم الناس مجرَّد كلمة تتردَّد على الألسنة، دون أن يكون لها نصيب من الواقع وللأسف .

ومع ذلك فلم تخلو الأمة من مؤمنين صادقين مخلصين ساروا على المنهج الصحيح لكنَّ الغالب كان خلاف ذلك[2] .

وعند البحث عن الأسباب الحقيقية وراء الانحراف الديني والعقدي نجدها تكمن في الأسباب الآتية:

- تعلّق المسلمين، حكاماً ومحكومين، بالدنيا وشهواتها، وتفرّقهم إلى فرق وأحزاب ودول متصارعة متخالفة.

- تفشي الجهل بين معظم المسلمين في جميع أقطارهم وبلدانهم، وهو نتيجة طبيعية للسبب الأول، إذ جرَّهم تعلقهم بالدنيا وملذاتها إلى بعدهم عن الدين وتطبيقه، والاهتداء بهديه.

- تسرُّب شوائب وتشويهات إلى مفاهيم كثير من المسلمين، وقد اتخذ ذلك صوراً عديدة منها: وجود صورة مختلطة مهزوزة في مفاهيم بعض المسلمين لحقيقة التعاليم الإسلامية؛ وذلك عن طريق اختلاط الحقائق، وعدم إدراك الصحيح منها، كذلك

---

(١) الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها، د/ سعيد ناصر الغامدي، ص٥٨-٥٦، دار الأندلس الخضراء، ط: الثانية، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، بتصرف يسير .

(٢) راجع: المرجع السابق ص٦٠-٦٥ .

وجود صورة مزوَّرة ومشوّهة من قبل أعداء الإسلام، لإفساد عقول أبناء المسلمين وفتنتهم عن دينهم.

- وجود طوائف غير مسلمة قويت شوكتها داخل شعوب الأمة الإسلامية، وناصرتها الدول الاستعمارية الغربية والشرقية سراً وعلانية، وتمكينها من أخطر مراكز الإدارة، ومن القوة العسكرية في البلاد، ولاشك أن المرتدين عن الإسلام في طليعة هؤلاء.

- فتنة شعوب الأمة الإسلامية بالحضارة الأوروبية المادية، وتطلُّعهم إليها بشغف، وانبهارهم بمنجزاتها، نتيجة شعورهم بالنقص تجاهها. هذا الأمر كوَّن مناخاً ملائماً لزحف كل ما لدى الغربيين، من سلوك وأفكار وعادات وغير ذلك. (1)

(1) راجع: كواشف زيوف، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ص٩٢- ١٠٠، دار القلم، دمشق، ط: الثالثة، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

المبحث الرابع: الأوضاع الأدبية (الفكر والأدب)

كان حال الفكر والأدب في هذه الحقبة الزمنية كحال غيره من النواحي الأخرى تدهوراً وانحرافاً ونكوصاً للوراء؛ فقد ظهر في هذا الوقت الانتماء للغرب، ونجح المشروع التغريبي إلى حد كبير، وكان لاتصال المسلمين بالغرب عن طرق كثيرة من بعثات ترى رأي العين، وتتلقى العلم على مختصين، وتعود فتنقل صوراً جديدة من العادات والحياة، وأفكاراً وآراءً لم تكن موجودة من قبل، ومن ترجمات لآثار العلماء الغربيين ورجال الأدب والفكر، والفن والقانون، يطلع عليها جمهرة المتعلمين من الشعوب العربية، ويدرسونها. فيستقر ما بها من آراء في عقول الناس نتيجة التداول ومرور الزمن. (1)

هذا كله جعل بعض الكتّاب يدعو صراحة إلى الأخذ بأساليب الحضارة الغربية، التي هي في زعمهم أكثر ملاءمة للعصر، ومن هؤلاء:

عبدالقادر حمزة: الذي أصدر كتاباً بعنوان (خطرٌ علينا وعلى الدين) سنة ١٩٠٤، إذ كان متأثراً إلى حد كبير بتاريخ النهضة الأوروبية ودعا إلى اقتفاء أثرها، وزعم أن إقحامنا الدين في كل شؤون الحياة هو سبب تخلفنا وجهلنا وانحطاطنا، إذ يقول بعد أن ذكر كلاماً طويلاً عن تركيز الدعاة والمصلحين على مسألة أن إهمال الدين هو علة تأخرنا: (هذا كله، وكثير غيره لا يتسع المقام لإفاضة الشرع فيه، يدل على مبلغ تسلط الدين على عقولنا، وانخداع أفهامنا انخداعاً لا مثيل له لكل ما يأتي من جانب الدين، بل يدل على استسلامنا استسلاماً أعمى إلى ماضينا الذي يجب أن نبتعد عنه كل الابتعاد، إن كنا نريد ألا نبقى كما نحن وكما كنا جهلاء وضعفاء) (2).

وبطبيعة الحال كان طه حسين ممن دعا إلى الأخذ بأساليب الحضارة الأوروبية خيرها وشرها، حلوها ومرها، وما يُحمد منها وما يُعاب، وذلك من خلال كتابه

---

(١) راجع: في الأدب الحديث، عمر الدسوقي، جـ١، ص٥، دار الفكر العربي، مطبعة الرسالة، ط: السادسة.

(٢) الاتجاهات الوطنية، د/ محمد محمد حسين، جـ١، ص٢٧٨.

(مستقبل الثقافة في مصر) يقول الدكتور محمد محمد حسين متحدثاً عن طه حسين: (وهو من بين المفتونين بالحضارة الغربية الذين عاشوا في البلاد الأوروبية، أو نشؤوا في مدارسها المنبثة في أنحاء الشرق، واستمدوا مثلهم العليا في حياتهم من ثقافتهم التي لا تمت إلى الحضارة الإسلامية أو العربية بسبب قريب أو بعيد، فهم يعرفون عن تاريخ انجلترا وفرنسا أضعاف ما يعرفون عن تاريخ المسلمين أو العرب، وهم يعرفون عن تاريخ الكنيسة الأوروبية وما بين مذاهبها من خلاف أكثر مما يعرفون عن تاريخ الفقه الإسلامي، وهم يعرفون أعلام الفكر الأوروبي وشعراءه ولا يعرفون عن أعلام الحضارة الإسلامية والعربية إلا قليلاً. وهم بعد ذلك يعيشون في بيوتهم حياة تحاول أن تقلّد في مظهرها الحياة الغربية، وربما وكلوا إلى بعض المربيات الأجنبيات تنشئة أبنائهم والقيام على تربيتهم. وبذلك توثقت الصلات الثقافية والفنية والروحية بينهم وبين الغرب، بينما فترت الصلات الروحية والثقافية بينهم وبين الشرق والإسلام، وأصبح أسلوب الحياة الشرقية وتقاليدها لا يقترن في أوهامهم إلا بحاضر الشرق البغيض، وبتلك الأخلاط من حثالة الناس الذين يفترسهم الجهل والفوضى والانحلال.

وقد تشبعت عقولهم بما كان يذيعه رجال السياسة وكثير من كتَّاب الغرب الذين كانوا يردُّون تخلُّف الشرقيين إلى تمسكهم بالإسلام، ويقولون إنه دين ساذج، إن صلح لتنظيم حياة نفر من البدو البدائيين، فهو لا يصلح لتنظيم المجتمع الجديد في القرن العشرين)[(1)]. وكان من نتيجة هذا الاتصال القوي بأوروبا الدعوة إلى تحرير المرأة وإخراجها من بيتها الحصن الحصين إلى الشوارع والمقاهي والملاهي الليلية؛ بدعوى تحريرها من الظلم الواقع عليها، وما ذاك إلا ليشبعوا هوىً في نفوسهم التي أجهدتها نار الشهوة، قال عز من قائل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾[(2)]. وكان من أوائل من دعا إلى ذلك قاسم أمين في كتابه: «تحرير المرأة»، وكتابه «المرأة الجديدة»، حيث تحدث عن أربع مسائل رئيسة وهي:

---

(١) المرجع السابق، ص٢٥٩.

(٢) سورة النور: ١٩.

الحجاب، اشتغال المرأة بالشئون العامة، تعدد الزوجات، الطلاق. ويذهب في كل مسألة من هذه المسائل إلى ما يطابق مذهب الغربيين، زاعماً أن ذلك هو مذهب الإسلام.(١)

ومما ساعد على نجاح المشروع التغريبي ظهور كلٍ من:

- خليل مطران(٢): حيث كان يُمثل الرائد للتحولات الفكرية والأدبية في هذا الوقت، وأستاذاً للدعوة العصرية المنافية للقديم، وكبير دعاة التحرر من الأساليب القديمة، ومن كل ما يُذكر بها، ومن المروجين الأوائل لقضية التجديد في المضامين والتغيير الدائم، ويُعد من أوائل الداعين إلى الحداثة العربية.

- جماعة الديوان: التي ترأّسها عبدالرحمن شكري(٣) ومعه العقّاد وإبراهيم المازني، "وقد سعت هذه الجماعة - فيما سعت إليه - إلى تقليد المدرسة الإنجليزية والسير خلف مفاهيمها وحتى سلوكياتها، إلى حد أن رواد هذه الجماعة كانوا يقلِّدون - حتى في سلوكهم الشخصي - ما كان يفعله الإنجليز. وكانت تهدف إلى إقامة حد بين عهدين لم يبق ما يسوِّغ اتصالهما، ويذكر رواد هذا المذهب بأنه أهم نهضة أدبية ظهرت في لغة العرب منذ وجدت؛ خاصة وأنهم ينشئونه بحس تاريخي، وبهذا الحس يبدؤون بنقد الشعر الذي سبقهم، ثم يخلصون بعد ذلك إلى عرض مبادئهم"(٤).

---

(١) راجع: المرجع السابق، ص٢٩٣ وما بعدها.

(٢) خليل مطران: (١٨٧٢-١٩٤٩م)، شاعر القطرين، شاعر لبناني مصري، عُرف بغوصه في المعاني وجمعه بين الثقافة العربية والأجنبية، عمل بالتاريخ والترجمة، أطلق عليه لقب (شاعر القطرين) ويقصد بهما مصر ولبنان، دعا إلى التجديد في الأدب والشعر العربي وأدخل الشعر القصصي والتصويري للأدب العربي. يراجع: موقع الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

(٣) عبدالرحمن شكري: (١٨٨٦-١٩٥٨م)، شاعر مصري، رائد مدرسة الديوان، ينتمي إلى أسرة مغربية الأصل، أصدر ثمانية دواوين منها: ضوء الفجر، أناشيد الصبا، أزهار الخريف، وغيره، توفي في بورسعيد. يراجع: موقع الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

(٤) الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها، جـ١، ص٨٣، بتصرف.

- جماعة أبولو: التي أنشأها أبو شادي[1]، ويكفي للدلالة على مدى تبعية هذه الجماعة للغرب ما اتخذوه لجماعتهم من اسم معللين ذلك بقولهم: "... وكما كانت الميثولوجيا الإغريقية تتغنى بألوهية أبولو رب الشمس والشعر والموسيقا والنبوة، فنحن نغني في حمى هذه الذكريات التي أصبحت عالمية، بكل ما يسمو بجمال الشعر العربي وبنفوس شعرائه"[2].

- معروف الرصافي[3]: الذي يعدُّه الحداثيون في طليعتهم، كما يعتبرونه مجدداً لذلك العصر، يقول أدونيس[4] عنه: "هاجم اجتماعياً العادات والتقاليد الدينية وغيرها"[5].

هذا أبرز ما تميز به هذا العصر - والله تعالى أعلم -.

---

(١) أحمد زكي أبو شادي: تعلَّم وتأدب في انجلترا وتزوَّج منها وختم حياته بالعيش في أمريكا حيث مات ودفن بها، وتتلمذ منذ طفولته على شعر مطران، واستمر حتى كبره معجباً به إعجاباً أشبه بالتقديس والعبادة. راجع: مجلة أبولو العدد الأول، أيلول سبتمبر ١٩٣٢م-١٣٥٠هـ، ص٤ وما بعدها، نقلاً عن: الإنحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها، جـ١، ص٨٣ بتصرف .

(٢) نقلاً عن: الإنحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها، ص٧٥، مجلة أبولو العدد الأول، أيلول سبتمبر ١٩٣٢- ١٣٥٠هـ، ص٤ وما بعدها.

(٣) معروف الرصافي: (١٢٩٢هـ-١٨٧٥م)، معروف بن عبدالغني بن محمود الجباري، شاعر عراقي من أب كردي، امتاز أسلوبه بمتانة لغته ورصانة أسلوبه، له آثار كثيرة في النثر والشعر واللغة والآداب أشهرها ديوانه (ديوان الرصافي)، كان من دعاة تحرير المرأة ونزعها الحجاب، توفي في عام ١٣٦٤هـ-١٩٤٥م بالأعظمية بالعراق. يراجع: موقع الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

(٤) أدونيس: علي أحمد سعيد أسبر النصيري الباطنيِّ الملحد، ولد سنة ١٣٤٩هـ-١٩٣٠م بسوريا، تسمَّى بأدونيس نسبة إلى وثن الخصب اليوناني، سماه بذلك أنطون سعادة زعيم الحزب القومي السوري الذي كان أدونيس أحد أعضائه، أستاذ الحداثيين وكبيرهم، عقيدته خليط من أصله النصيريِّ، وحاله المادي الإلحادي، أشهر عتاة الإلحاد وأظهر عداة الدين والإيمان، انتحل مجموعة من الأعمال الغربية ونسبها لنفسه، راجع: الإنحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها، ص١٠٥ .

(٥) نفسه، الصفحة نفسها، نقلا عن: الثابت والمتحول، أدونيس، ص٦١.

الباب الأول

الباب الأول

حياة طه حسين ومصادر فكره

ويحتوي على ثلاثة فصول :

- **الفصل الأول : نشأته ومسيرته العلمية.**
- **الفصل الثاني : أهم المؤثرات في فكر طه حسين.**
- **الفصل الثالث : المصادر الأجنبية لفكر طه حسين.**

الفصل الأول

نشأته ومسيرته العلمية

وفيه ثلاثة مباحث : -

- المبحث الأول: مولده ونشأته ومسيرته العلمية.
- المبحث الثاني: أبرز أعماله.
- المبحث الثالث: من أشهر مؤلفاته.



المبحث الأول:
مولده ونشأته ومسيرته العلمية

۞ أولاً: مولده:

ولد طه حسين علي سلامة عام ١٨٠٩م في قرية الكيلو-إقليم المنيا- التي تبعد عن مدينة مغاغة بمقدار كيلو متر. وكان طه الابن السابع بين ثلاثة عشر ولدا لأبيه، والابن الخامس بين أحد عشر ولداً لأمه.

كان والده حسين يعمل في شركة السكر حتى سنة ١٩٣٢م. وتوفي في المنيا عام ١٩٤٢م، أما والدته فقد توفيت بعد والده بتسعة أعوام في سنة ١٩٥١م[١].

۞ ثانياً: نشأته ومسيرته العلمية:

أمضى طه حسين طفولته بين هؤلاء الإخوة في مسكن حكومي تابع لمباني الدائرة السنية، ووضع مادي ضعيف، وقد أصيب بالرمد وهو في الخامسة من عمره، ولم يُعالج علاجاً حاسماً، وهذا ما أدّى إلى فقدان بصره بالكلية.

وكان يجد الرعاية والعطف من قبل والدته وأخته الكبرى[٢].وكان لآفة فقد البصر أعظم الأثر -سلباً وإيجاباً- على حياته ومسيرته الفكرية. كما تقول فخرية خوج: (وكانت طفولته مزروعة من الخوف نابعة من الخيال، كان يحس من أمه رحمة ورأفة ومن أبيه ليناً ورفقاً، وكم شعر من إخوته بشيء من الاحتياط عند تحدثهم إليه أو معاملتهم له، الذي ما لبث أن تحّول إلى حزن صامت عميق، وانصرافه عن اللعب مع أترابه حبّب إليه الاستماع إلى القصص والأحاديث والأهازيج التي كانت متداولة في قريته فتعلم حسن

---

(١) راجع: طه حسين آثاره وأفكاره، د/ السيد تقي الدين، ص٥، مطابع نهضة مصر، بدون.

(٢) راجع: المرجع السابق، الصفحة نفسها.

الاستماع والتقاط المعلومة"[1].

ونظراً لفقده البصر فقد كان تركيزه على حاسة السمع شديداً، مما يسّر له حفظ الكثير وفي وقت وجيز. وقد تركت البيئة القروية أثراً في حياته، تقول فخرية خوج: (فكان مرهف الحس، عاش صباه في عزلة ووحدة ولاقى من شظف العيش ما لاقى، فزودته هذه الحياة الضيقة الهجاء والعناد، وتأثّر طوال حياته بآفة فقد البصر حتى تزوّج سوزان فأبصر بعينها – على حد قوله– وظلّت هذه الخلفيات في اللاوعي كامنة تبرز في الأزمات فتكشف عن أسلوبه في العناد المشوب بالخوف أحياناً، والمقرون بالاندفاع أحياناً أخرى، حتى إنه كان يندم على بعض المواقف"[2].

ومن أبرز ما يصور ذلك موقفه من والديه ومن شيخه في الكتّاب ومن كان يقوم بمراجعة القرآن الكريم معه –الذي أطلق عليه في سيرته الذاتية بـ(العرّيف)–؛ فهو منذ هذه السن المبكرة بدأت تظهر عليه علامات العناد والاندفاع، وذلك حين يقول: "وما هي إلا أيام حتى سئم لقب الشيخ، وكره أن يُدعى به، وأحسّ أن الحياة مملوءة بالظلم والكذب، وأن الإنسان يظلمه أقرب الناس إليه حتى لو كان أبوه، وأن الأبوة والأمومة لا تعصم الأب والأم من الكذب والعبث والخداع"[3]

ويقول في مقام آخر: "وهنا أطلق لسانه في سيدنا والعريف إطلاقا شنيعاً، وأخذ يظهر من عيوبهما وسيئاتهما ما كان يخفيه، وأخذ يلعنهما أمام الصبيان ويصفهما بالكذب والسرقة والطمع، ويتحدث عنهما بأشياء منكرة، كان يجد في التحدث بها شفاء لنفسه..." [4] و« الأيام » مليء بالشخصيات المظلومة على لسانه وبقلمه يقول الدكتور محمد رجب البيومي في مقال ينتقد فيه إقرار تدريس « الأيام » الجزء الثالث لطلبة

---

(١) دراسة تحليلية لآراء طه حسين التربوية، فخرية خوج، ص٤٢، مطابع الصفا، ط: بدون، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

(٢) نفسه، ص٤٧، نقلاً عن: إسلاميات طه حسين، سامح كريم، ص٨٨، ١٩٧٧م، ٤٧ بتصرف يسير.

(٣) الأيام، طه حسين، ص٣٩.

(٤) نفسه، ص٦٣ وما بعدها.

المدارس الثانوية دون حذف الفصول التي تُسيء إلى شخصيات رائدة من أمثال الشيخ طنطاوي جوهري[١]، والشيخ محمد المهدي[٢] وغيرهم...

يقول البيومي: "إن روح القسوة اللاذعة تشيع في كتاب « الأيام » بأجزائه الثلاثة، وقد كان للمؤلف مندوحة عن أن يصف أباه بالظلم والكذب والخداع، والأب إذا ظلم فلن يتجه بظلمه إلى فلذة كبده الضعيف عامداً!، كما كان له مندوحة من أن يصف جدّه بثقل الظل، وأن يستشعر بغضاً له دون أن يؤذيه في شيء"[٣].

ويتابع الدكتور البيومي قوله: "أما مبالغته في ذم فقيه القرية، فتظهر بجلاء فهو يندفع في سباب مغرق لا يلتمس العذر، ولا يقدّر ظروف الزمان والمكان[٤]، وقد أحسن

---

(١) طنطاوي جوهري: مصري، من مواليد قرية عوض الله حجازي من الشرقية بمصر عام ١٨٧٠ تعلّم بالأزهر والمدارس الحكومية، وعلّم بالابتدائي وبدار العلوم وبالجامعة المصرية، وله في الفلسفة (الحكمة والحكماء)، (بهجة العلوم في الفلسفة العربية وموازنتها بالعلوم العصرية)، و(أين الإنسان)، و(نظام الأمم)، و(النظام والإسلام) وتوفي بالقاهرة رحمه الله تعالى.

(٢) محمد المهدي بن عبدالله بن محمد بن زكير آغا، أديب، من مدرسي العربية بمصر. ولد في إحدى قرى (الشرقية) من أب ألباني وأم كردية. وتعلم بالأزهر ودار العلوم بالقاهرة. وتتلمذ على الشيخ محمد عبده. ودرّس العربية في عدة مدارس آخرها (الجامعة) وتوفي بالمطرية ودفن بالقاهرة عام ١٩٢٤م. كان كاتباً عالي الأسلوب، يؤثر الفصحى في حديثه. شارك في تأليف (مذكرات في الفقه الإسلامي) طبعت مع مختار العقد الفريد. يراجع: الأعلام، جـ ٧، ص١١٤.

(٣) يقول طه حسين: "كان جده هذا ثقيل الظل بغيضاً إليه، وكان يقضي في البيت فصل الشتاء من كل سنة، وكان قد صلح ونسك حين اضطرته الحياة إلى الصلاح والنُسك، فكان يُصلي الخمس لأوقاتها، ولم يكن لسانه يفتر عن ذكر الله. وكان يستيقظ آخر الليل ليقرأ (ورد السحّر) وكان ينام في ساعة متأخرة بعد أن يصلي العشاء ويقرأ ألواناً من الأوراد والأدعية شيئاً كثيراً". الأيام، ص٢٩.

(٤) يقول طه حسين: "وكان منظر سيدنا عجباً في طريقه إلى الكتّاب وإلى البيت صباحاً ومساء. كان ضخماً بادناً، كانت دفّتيه تزيد في ضخامته. وكان يبسط ذراعيه على كتفي رفيقه. وكانوا ثلاثتهم يمشون وإنهم ليضربون الأرض بأقدامهم ضرباً. وكان سيدنا يتخيّر من تلاميذه أنجبهم وأحسنهم صوتاً؛ ذلك أنه كان يحب الغناء، وكان يحب أن يعلّم تلاميذه الغناء، وكان يتخيّر الطريق لهذا الدرس. فكان يغنيّ ويأخذ رفيقيه بمصاحبته حيناً، والاستماع له حيناً أخر، أو يأخذ واحداً منهما بالغناء على أن يصاحبه هو والرفيق =

حين لم يذكر اسمه، وليته التزم ذلك في الحديث عن غيره، ولكنه جاوز الواقع في الجزء الثالث إذ هبط بنفر من أساتذته عن مكانهم المشهود، فأعطى الناشئة صورة غير حقيقية عن هؤلاء الأعلام، مثال ذلك ما قاله عن الشيخ طنطاوي جوهري الذي كان من أعلام الفكر الإسلامي في عصره، وقد رشحه الدكتور علي مصطفى مشرفة لجائزة نوبل تقديراً لمؤلفاته العلمية عن السلام العالمي، إذ أصدر كتابين رائعين في بابهما، ترجما إلى لغات العالم الحيّة، قام في أحدهما (أين الإنسان؟) برحلة خيالية حول الفضاء ليثبت استقامة المسار الكوني، وخضوعه لنظام دقيق يعتدل به ميزان المجموعة الشمسية، منتهياً إلى أن قيام هذا النظام المحكم في الكون يثبت أن للإنسانية نظاماً مماثلاً يجب أن نتبعه كيلا نتعرض لهزّات الدمار، أما الكتاب الثاني (أحلام السياسية) وقد كتبه باللغة الإنجليزية أولاً، وترجمه إلى العربية بعد ذيوعه في أوروبا فقد أكد الدعوة إلى السلام مستنداً إلى الناموس العام في الكون، مما كان موضع تقدير المنصفين من المفكرين في أوروبا،فرأينا أبحاثاً عميقة تدور حول هذين الكتابين، وتقرنهما بأكبر آثار الفلاسفة من دعاة السلام في تاريخ الفكر الإنساني بعامة، أما تفسيره العلمي للقرآن فقد شغل الأذهان تأييداً ومعارضة في الربع الأول من القرن الماضي حين انتحى منحى علمياً، وجد المؤيد والمفنّد، فأحدث دوياً في المحيط الفكري.

ومفكر كبير من هذا الطراز العالمي النادر، لم يجد الدكتور طه حسين ما يقوله عنه غير قوله: "كان يدرس الفلسفة الإسلامية بعد الأستاذ محمد سلطان والأستاذ سنتيلانا خاصة، وكان يتكلم كثيراً ولا يقول شيئاً، وكانت كلمات الجمال والجلال والبهاء والكمال والروعة أكثر الكلمات جرياً على لسانه منذ يبدأ الدرس إلى أن يتمّه، وكان لا ينطق

الآخر. وكان سيدنا لا يغني بصوته ولسانه وحدهما، وإنما يغني برأسه وبدنه أيضاً، فكان رأسه يهبط ويصعد، وكان رأسه يلتفت يميناً وشمالاً. وكان سيدنا يغني بيديه أيضاً... فكان يرى صوته جميلاً، وما يظن صاحبنا أن الله خلق صوتا أقبح من صوته. وما قرأ صاحبنا قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ [لقمان:١٩] إلا ذكر سيدنا وهو يوقع أبيات من (البردة) في طريقه إلى الجامع منطلقاً لصلاة الظهر أو في طريقه إلى البيت منصرفا من الكتّاب". الأيام، ص٣٣ وما بعدها.

بكلمة منها إلا مدّ ألفها وأسرف في المد وربما أخذه شئ من ذهول، وهو يمد هذه الألف، فيغرق الطلاب في ضحك يخافت به بعضهم ويجهر به بعضهم الآخر، ويفيق الأستاذ من ذهوله على هذا الضحك، فيلوم الطلاب لا على هذا الضحك بل على أنهم لا يشاركونه الإعجاب بجمال الطبيعة، وجلال الكون، وبهاء القمر، حين يرسل ضوءه المشرق على صفحة النيل، ويمد ياء النيل، فيسرف في مدها ويأخذه ذهول يرد الطلاب إلى ضحك متصل"[1].

ويتابع البيومي بقوله: "ويمضي الدكتور في مثل هذا الاستخفاف دون اقتصاد، وإذا كان من حقه وقد صوّر انطباعه الخاص نحو دروس الشيخ أن يقول ما يعتقد، فإن من الواجب العلمي عليه أن يقرن هذا التهكم المتصل ببعض ما يُشير إلى فضل الأستاذ في نتاجه العلمي المبتكر، وفي تأليفه الموسوعي الذي ترجم إلى عدة لغات! أما أن يكون هذا التهكم الخالص كل ما يخص الرجل من تلميذه، فذلك إجحاف صارخ إن أحس به الدارسون، فلن يشعر به من يقرءونه من الطلاب"[2].

ويستمر البيومي في مقاله ذاكراً بعض الشخصيات التي نال منها طه حسين في مذكراته «الأيام» ومن أولئك الشيخ محمد المهدي الذي يقول عنه البيومي: "وكان الشيخ محمد المهدي أستاذ الأدب في عصره، إذ عُهد إليه تدريس النقد والموازنة وتاريخ الأدب بدار العلوم والجامعة المصرية القديمة، ومدرسة القضاء الشرعي حقبة ممتدة، تبلغ عشرين عاماً جعلت أكثر نابغي البلاد من تلاميذه، وقد سافر إلى الآستانة وسوريا ممثلاً مصر في مهام علمية أداها على خير الوجوه، وكان يكتفي بإلقاء المحاضرات على الطلاب دون أن يطبعها، فلم يترك للجيل الخالف ما يحيي ذكره الأدبي، ولكن تلميذه الوفيّ الأستاذ الدكتور زكي مبارك[3] قد سجّل كثيراً من آرائه البارعة في كتاب « النثر

(١) الأيام، ص٤٦١.

(٢) مجلة الهلال، مقال بعنوان شخصيات مظلومة في كتاب الأيام لطه حسين، د/ محمد رجب البيومي، ص٥٠-٥٨ بتصرف، وراجع الأيام ص٤٥٨-٤٦١ .

(٣) زكي بن عبدالسلام بن مبارك (١٣٠٨- ١٣٧١هـ = ١٨٩١- ١٩٥٢م): أديب، من كبار الكتّاب =

الفنّي » وفي كتاب "الموازنة بين الشعراء"...

ويتابع البيومي بقوله: "وقد ضرب الدكتور زكي مبارك أمثلة لما قال كان قد سجلّها من دروس الأستاذ، وهي من الجودة وسلامة النظر، وعمق الاستشفاف بحيث تجعل صاحبها جديراً بقيادة الرأي الأدبي في أكبر مدارسه، هذا الشيخ الرائد السبّاق، لم يحظ من الدكتور طه حسين في الجزء الثالث من الأيام بغير قوله: "كان أبعد ما يكون من العمق وكان متكلفاً متفاصحاً لا يتكلم إلا العربية مغرباً فيها، يملأ بها فمه، وربما أضحك منها طلابه، وكان الفتى - يريد الدكتور طه نفسه- جريئاً عليه، يجادله في الدرس فيرهقه من أمره عسراً، وربما أضحك منه الطلاب لأنه كان لا يحقق ما يروي من الشعر، ولأن الفتى يردّه إلى الصواب. فيظهر عليه الاضطراب وقد حاول أن يصدّه عن هذا الجدال ويصرف أترابه عن هذه الجراءة، ولكنه لم يلبث أن تبين أنه لم يزد على أن أطمعهم في نفسه، وزادهم عليه اجتراء"[(١)].

ويمضي الدكتور البيومي قوله: "ومضى الدكتور طه حسين في شبه ذلك، ليعلن أن الأستاذ المهدي كان من الذين امتحنوه في الدكتوراه، وقد نقد رأياً له، فضاق بهذا النقد، وأبى في أثناء المداولة أن يمنح الفتى درجة الامتياز! هنا كشف الدكتور عن سرّ تحامله إذ اعتقد أن الشيخ المهدي أجحف به، وهو اعتقاد لا يجد صداه إلا في نفس الطالب وحده، وقد نوقش الدكتور بفرنسا في درجة مماثلة، وأخذ من تقديرها دون ما أخذ من الجامعة المصرية! فهل كان الشيخ المهدي هناك أيضاً؟!"

ثم يتحدث البيومي عن الشيخ محمد الخضري ورأي طه حسين به قائلاً: "الأستاذ

المعاصرين. امتاز بأسلوب خاص في كثير مما كتب، ولد في قرية سنتريس بمنوفيّة مصر، تعلّم في الأزهر، عُيّن مفتشاً بوزارة المعارف، بلغت مؤلفاته نحو ثلاثين كتاباً منها: (الحديث ذو شجون)، (ذكريات في فنون من الأدب والتاريخ الحديث)، (النثر الفني)، (مقالات في الأدب والإصلاح) وغيرها. يراجع: الأعلام، خير الدين الزركلي، جـ ٣، ص٤٧ وما بعدها.

(١) الأيام، ص٤٥٨.

الشيخ محمد الخضري[1] أحد أعلام النهضة الفكرية المعاصرة، وزميل الشيخ محمد المهدي في التدريس بالجامعة ومدرسة القضاء الشرعي، وصاحب المؤلفات الذائعة التي تعددت طبقاتها مثل: نور اليقين، تمام الوفاء، أصول الفقه، تاريخ التشريع الإسلامي، مهذب الأغاني بأجزائه التسعة، ومحاضرات التاريخ الإسلامي، ومن هذه المؤلفات ما بلغت عدة طبعاته الثلاثين مثل نور اليقين.

هذا العالم المؤرخ الأصولي الجاد، قال عنه صاحب الأيام: "وقد سحر (الخضري) الفتى (طه) بعذوبة صوته، وحسن إلقائه، وصفاء لهجته، وأحبّ دروسه في السيرة وفي تاريخ الخلفاء الراشدين، وفتوحاتهم، وفي تاريخ الفتن ودولة بني أمية، والصدر الأول من دولة العباسيين وكان يظن أن ليس فوق علم الأستاذ علم، ولكنه لم يكد يسمع دروس التاريخ في أوروبا، حتى عرف أن الأستاذ ~ كان ينقل دروسه من كتب القدماء في غير نقد ولا تعمق، وفي أيسر ما يمكن من فقه التاريخ"[2].

ثم يقول البيومي معلقاً: "وهذا القول أخف محملاً، وأهدأ لهجة، وأطيب اعتدالاً مما قاله المؤلف عن طنطاوي جوهري ومحمد المهدي، ولكنه لم ينصف الأستاذ الخضري، بل أجحف به حين ذكر أنه كان ينقل دروسه من كتب القدماء من غير نقد ولا تعمق، وفي أيسر ما يمكن من فقه التاريخ، وموضع الإجحاف في هذه المقارنة بين منهج الخضري وأساتذة الاستشراق؛ لأن الشيخ كان يقوم بالتدريس الجامعي للتاريخ الإسلامي لأول مرة في البلاد العربية، فكان عليه أولاً أن يقدم خلاصة متماسكة متصلة الحلقات ينسجها في كتب السابقين من أمثال الطبري، المسعودي، وابن الأثير في روايات

---

(١) محمد بن عفيفي الباجوري، المعروف بالشيخ الخضري، باحث، خطيب، من العلماء بالشريعة والأدب، وتاريخ الإسلام. مصري، كانت إقامته في (الزيتون) من ضواحي القاهرة، وتوفي ودفن بالقاهرة، تخرج بمدرسة دار العلوم، وعين قاضياً شرعياً في الخرطوم، ثم= مدرساً في مدرسة القضاء الشرعي بالقاهرة، واستاذاً للتاريخ الإسلامي في الجامعة المصرية، فوكيلاً لمدرسة القضاء الشرعي، فمفتشاً بوزارة المعارف. من كتبه أصول الفقه، تاريخ التشريع الإسلامي وغيره...، يراجع: الأعلام، جـ٦، ص٢٦٩.

(٢) الأيام، ص٤٥٧.

تنقطع وتتصل، وتتوافق وتتخالف وتعتدل وتشتط، كان عليه أن يقوم بسرد متصل متماسك ينفي الزغل، ويقوِّم الخالص المستساغ وهذه الغربلة الصامتة عمل مبدئي يتطلب جهداً لا سبيل إلى إنكاره، وهو خطوة لا محيد عنها لمن أراد أن يعتمد بالبحث التاريخي الوجه المنشود، فالأستاذ الخضري لم ينقل دروسه من كتب القدماء نقلا آلياً، ولكنه انتخب واختار، ووازن بين رواية ورواية، وقدّم قولاً وأخرّ سواه، حتى وفّق إلى بناء مطَّرد، وطيد اللبنات، وكان له نقده الموجز في بعض ما تناول، إذ هو يضع الأساس الأول حين يقدّم ما صحّ من الأخبار بعد موازنة صامته، ملتزماً بمنهج دراسي مفروض عليه، وما كان له أن يغفل بعض موضوعاته حتى يتسع في التحليل كما يشاء!

أجل لم يكتب الخضري التاريخ كما يشاء فيقف عند موضوعات يختارها ولا يتعداها ولكنه التزم بمنهج الجامعة، فقدم الصحف التاريخية من ركام متناثر فإذا أخذ عليه أنه لم يفسح مجال التعليل والربط وسد الفجوات، فلذلك المأخذ ما يشفع فيه، وكل رائد مثله قد وقف موقفه في الخطوات الأولى من البحث، فكيف نقول: إنه كان ينقل كلام القدماء نقلاً دون تعمق!

أفكان الدكتور طه حسين ينتظر من مؤرخ رائد كالخضري أن يتجاوز منطق الأشياء ليكون مستشرقاً يخضع لأدق المناهج!

لقد رأينا من هؤلاء الذين يتمدح بهم المؤلف من يكتفي بالخبر الضعيف ليذهب في التفسير مذهباً يرضي نوازعه الخاصة، ومن ينكر الخبر المتواتر مهما تظاهرت الدلائل على تأييده لأنه ينتج مالا يرضى من توهين وطعن، لا جرم أن الخضري قد أحسن البحث التاريخي استيعاباً وهضماً، ثم اختياراً وترجيحاً، ثم سرداً وتوجيهاً، وهو في موضعه الزمني بين الباحثين عملاق كبير، لأن آثاره التاريخية ما برحت مرجع المتخصصين، وما زالت مفضلة على كثير مما تلاها؛ هذا وحده دليل النجاح والتوفيق".

وأخيراً يقول الدكتور البيومي في مقاله: "كنا نود أن يكون الدكتور طه حسين منصفاً، وكنا نود إذا جاوز الإنصاف ألا يكون حديثه مجال تصديق مطلق لدى من يُدرسّون الكتاب لطلابهم، وفيهم من يملك قوة الحكم على ما يقدم، كما أن منهم من لم

يعرف غلوا الكاتب فسلّم مذعناً ويبقى الطالب الصغير -بعد- هدفاً لرأي غير سديد"[(١)].

من هذا يظهر جليّاً إلى أي حد كان طه حسين يطلق لسانه في الآخرين دون رادع، كما يظهر مدى ما تمتع به من صفة الجدل والسخرية التي قد تكون بعض ترسبّات شعوره بالضجر والسخط على فقده البصر الذي أحسّه بشئ من الظلم؛ ربما لاعتقاده أن فقد النور من عينيه كان نتيجة إهمال والديه .

وقد تلقى طه حسين تعليمه الأولي في الكتّاب، حيث حفظ القرآن الكريم في عامه التاسع، كما حفظ الكثير من الأشعار والأوراد والأدعية وأناشيد الصوفية وغير ذلك[(٢)]...

ولمّا بلغ الثالثة عشرة من عمره أرسله والده مع أخيه الأكبر (محمد) ليدرس ويتلقى بقية العلوم في الأزهر، وقد قدّم له أخوه كتاب ألفية بن مالك، وكتاب مجموع المتون قبل ذلك بعام للاطلاع عليها قبل الالتحاق بالأزهر للدراسة فيه.

التحق طه حسين بالأزهر عام ١٩٠٢م وبقي فيه إلى عام ١٩٠٨م، وظلّ طوال هذه المدة منتقلاً بين حلقات الدروس من حديث وفقه وتوحيد ومنطق ونحو وأدب، ولم يمل إلى شئ منها عدا الأدب فقد كان شغوفاً به حريصاً على حضور حلقاته، وخاصة حلقة الشيخ سيد المرصفي[(٣)] الذي كان يلقي دروساً في الأدب. وهذا ما كان يربط طه حسين بالأزهر[(١)].

---

(١) مجلة الهلال، مقال بعنوان شخصيات مظلومة في كتاب الأيام لطه حسين، د/ محمد رجب البيومي، ص٥٠ – ٥٨، سبتمبر ١٩٨٢، بتصرف. وراجع: الأيام، ص٤٥٨- ٤٦١.

(٢) يراجع: الأيام، ص٢٧.

(٣) سيد بن علي المرصفي الأزهري، ولد عام ١٣٤٩-١٩٣١م، عالم بالأدب واللغة. مصري كان من جماعة كبار العلماء في الأزهر. وتولى تدريس اللغة فيه إلى أن نالت منه الشيخوخة، وكُسرت ساقه فاعتكف في منزله (بالقاهرة) وأقبل عليه طلاب الأدب، فكان يقعد لهم حلقات للدرس، إلى أن توفي. من مؤلفاته: (رغبة الآمل من كتاب الكامل) ثمانية أجزاء في شرح الكامل للمبرد، و(أسرار الحماسة)... يراجع: =

لكن طه حسين لم تعجبه الدراسة في الأزهر ولم ترق له، ولذلك نجده كثيراً ما يهاجم شيوخ الأزهر، ويتحدّث عن سوء مناهج التعليم فيه، ويصف طريقة التدريس فيه بالجمود والتقليد و«الأيام » مليء بالأمثلة على مهاجمته المشايخ ولجاجته معهم... وسخريته بهم [٢].

وقد ذكر طه حسين قصة تخلفه وعدم توفيقه في الامتحان في مذكراته (الأيام) واتهم لجنة الامتحان تعمدها إسقاطه وتعجيزه. إلا أن أحد نقاده يرى خلاف ذلكً يقول أنور الجندي: "ظل الخلاف يتسع بينه وبين مشايخه حتى أغلق الباب بينه وبينهم واحداً واحداً، ولقد ساء ظنه بالأزهر وشيوخه، الذين أعرضوا عنه لسوء بادرته وجفوته لهم، ولعل هذه الجفوة هي التي دفعت أساتذته إلى إحراجه في امتحان العالمية حين عجز عن الإجابة على سؤال يسير"[٣].

ويقول الدكتور (غلاّب): "إن التاريخ يسجل بالخط العريض: أن الدكتور – طه حسين– تقدم لامتحان الشهادة النهائية (العالمية) ظناً أنه على شئ من العلم فلما جاء أمام لجنة الامتحان وسُئل ونوقش أخفق إخفاقاً لم يشهد التاريخ مثله، فنكص على عقبه وخرج لا يلوي على شئ، ولا يزال الذين تقدّم للامتحان بين أيديهم أحياء يرزقون، ومن ذلك الوقت أخذ يحارب الأزهر"[٤].

ومن أجلى صور المحاربة ما كتبه من مقالات حول ذلك، إذ كتب مقالاً عنيفاً هاجم فيه الأزهر وشيوخه خاصة، وطالب بحرية الرأي، وقدّم مقاله هذا إلى مدير الجريدة آنذاك أحمد لطفي السيّد الذي سُرّ به، وأظهر له من العطف ما هدّأ به نفسه

الأعلام، جـ٣، ص١٤٧.

(١) يراجع: الأيام، ص٣١٠ – ٣٣٢.

(٢) يراجع: مستقبل الثقافة في مصر، طه حسين ص٧٥-٧٧. دار الكتاب اللبناني، بيروت – لبنان، بدون.

(٣) طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام، أنور الجندي، ص٢٢.

(٤) مجلة النهضة الفكرية، ١٩٣٢، نقلا عن: طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام، ص٢٣.

الغاضبة، وكانت هذه الخطوة الأولى التي يخطوها إلى هذا المجتمع الجديد - مجتمع الصحافة - إذ بدت علاقته تقوى بلطفي السيد، وكذلك بعبدالعزيز جاويش مدير صحيفة الحزب الوطني.

وهكذا أخذ طه حسين يكتب المقال تلو المقال، وجلّها مقالات ناقدة خاصة إذا كان الحديث عن الأزهر وما يتصل به. يقول في مذكراته: "لم يكد الفتى يأخذ في الكتابة حتى عُرف بطول اللسان والإقدام على ألوان من النقد، وحين يعرض لشئون الأزهر فهناك كان يخرج عن طور الاعتدال ويغلو في العبث بالشيوخ[(١)]

وأثناء هذه الفترة اتصل طه حسين بالجامعة المصرية في بداية نشأتها، وكانت حينذاك غير حكومية، وأعجب بها إلى حد كبير، وأثّرت في نفسه تأثيراً بالغاً وغيّرت مجرى حياته، بل وقطعت الصلة بينه وبين الأزهر ممّا أغضب والده وأحزن والدته[(٢)].

وفي الجامعة تعرّف على الكثير من الأساتذة المستشرقين واشتد إعجابه بهم وبآرائهم ومناهجهم؛ فكان لذلك صدى واضح في كتاباته ومقالاته يقول: "... ثم لا يلبث أن تستأثر الجامعة بعقله كله وجهده كله وأن تشغله عن كل شئ آخر، فقد أقبل أساتذة جدد ملكوا عليه أمره واستأثروا بهواه، فهذا الأستاذ كارلو نالينو المستشرق الإيطالي يُدرسّ باللغة العربية تاريخ الأدب والشعر الأموي. وهذا الأستاذ سنتيلانا يدّرس بالعربية أيضاً وفي لهجة تونسية عذبة تاريخ الفلسفة الإسلامية وتاريخ الترجمة خاصة. وهذا الأستاذ ميلوني يُدّرس باللغة العربية كذلك تاريخ الشرق القديم...

إلى أن يقول:"وإذ الفتى يخرج من حياته الأولى خروجاً يوشك أن يكون تاماً لولا أنه يعيش بين زملائه من الأزهريين والدرعميين[(٣)] وطلاب مدرسة القضاء وجه النهار وشطراً من الليل. ولكن عقله قد نأى عن بيئته هذه نأياً تاماً، واتصل بأساتذته أولئك

---

(١) الأيام، ص٣٩٨.

(٢) يراجع: الأيام، ص٤٠٠.

(٣) نسبة إلى دار العلوم بمصر.

اتصالاً متيناً، فكلهم قد عرفه وكلهم قد آثره بالحب والرفق والعطف. وكلهم قد أدناه من نفسه ودعاه إلى أن يزوره في فندقه وأحبّ أن يقول له ويسمع منه"[١].

واستمر طه حسين في تلك الفترة في الكتابة في كل من صحيفة(الجريدة)، وصحيفة (الحزب الوطني)، وكان على صلة وثيقة بصاحبيهما لطفي السيد وعبدالعزيز جاويش، ومن خلال عبدالعزيز جاويش تعرّف طه حسين إلى الجماهير حيث كان يشجعه على إلقاء الخطب وإنشاد الشعر وخاصة الشعر الوطني. كما شجعه على السفر إلى فرنسا حيث يعتبر أول من ألقى في روعه السفر إليها والدراسة بها.

أما لطفي السيد فقد عرَّفه على العديد من الشخصيات الأدبية والسياسية وغيرها وأشركه في احتفالات الجامعة التكريمية[٢].

ظل طه حسين في الجامعة المصرية القديمة من عام ١٩٠٨م إلى عام ١٩١٤م حين تقدم برسالته عن ذكرى أبى العلاء المعري، وكانت أولى رسائل الدكتوراه في الجامعة. ثم سافر إلى فرنسا والتحق بجامعة مونبيليه فدرس بها الأدب الفرنسي واللغتين الفرنسية واليونانية، وتعرّف خلال تلك الفترة على المرأة الفرنسية (سوزان) التي أصبحت فيما بعد زوجاً له، وكانت تقرأ له الكتب الفرنسية حينما كان طالباً في الجامعة[٣].

ثم عاد بعد ذلك إلى القاهرة في عام ١٩١٦م، نظراً لظروف الحرب وقصور الجامعة من الناحية المالية. وأقام فترة قصيرة، ثم عاود دراسته بعد ذلك في جامعة السوربون وحصل على شهادة الليسانس عام ١٩١٧م، وتزوج في نهاية العام من رفيقته سوزان، التي كانت تساعده في إعداد رسالته، التي أشرف عليها كل من دوركايم المتخصص في علم الاجتماع، ثم أكمل الإشراف عليه سلستيان بوجليه بعد وفاة دور

---

(١) الأيام، ص٤٤٧.

(٢) راجع: تربية المرأة بين المودودي وطه حسين، ص٣٩.

(٣) نفسه، ص٥٣١ - ٥٨٥.

كايم، وكانت الرسالة تبحث في فلسفة ابن خلدون الاجتماعية[١].

وقد أنهى كتابة رسالته في عام ١٩١٨م ورزق في العام نفسه بابنته (أمينة) التي كان يدعوها بـ(مارجريت) وعاد بعد ذلك إلى القاهرة في عام ١٩١٩م، عاد إلى وطنه (مستغرباً) محاولا تطبيق منهج وأساليب الغرب[٢].

۞ ثالثاً: وفاته:

ضعفت صحة طه حسين في أواخر حياته ونتيجة لذلك فقد قَلَّ انتاجه الأدبي، وأصيب بنوبة مرضية أواخر عام ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م نُقل على إثرها للمستشفى حيث حانت وفاته بعد أيام قلائل وكان له من العمر ثلاثة وثمانون عاماً، وقد عمل له مأتم كبير في الجامعة المصرية[٣].

(١) نفسه، الصفحة نفسها.

(٢) يراجع: دراسة تحليلية لآراء طه حسين التربوية في كتاب مستقبل الثقافة في مصر من المنظور التربوي الإسلامي، فخرية خوج، ص٤٤، مطابع الصفا، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

(٣) راجع: معك، سوزان، ص١٢٠.

المبحث الثاني: أبرز أعماله

مارس طه حسين أثناء حياته الكثير من الأعمال كان من أبرزها مايلي:

◈ التدريس:

تولى طه حسين تدريس مادة التاريخ القديم (اليوناني والروماني)، وذلك بعد أن عاد من فرنسا وبعد حصوله على شهادة الدكتوراه في الجامعة الأهلية القديمة بعد أن أصبحت حكومية عام ١٩٢٥م[1].

وقد فرض طه حسين آراءه بقوة سلطانه في الجامعة وفي وزارة المعارف، فقد كانت له جماعة تحوطه وتوزع عليه أنشطتها على أوجه النشاط المختلفة لتؤثر فيها وتتلقى توجيهاته وتلفظ من يختلف معه أو يستعلي عليه، كما حدث مع علي العناني وزكي مبارك وسليم حسن ونجيب البهيبيتي وغيرهم. ومن هذا نفهم سر عبارة المستشرق (جب) في دراسته عن طه حسين حين قال: "وسواء قوبلت آراء الدكتور بالموافقة أم لم تُقابل فلابد أن يفضي نفوذه الواسع الذي يتمتع به إلى توطيد المبادئ التي يدعو إليها". وفي عام ١٩١٩م قدّم طه حسين إلى الجمهور في قاعة المحاضرات بالجامعة المصرية فقال في إحدى محاضراته: "إنه عزم على إحياء التراث اليوناني لأنه يؤمن إيماناً جازماً بأن مرجع الفكر في الشرق والغرب هو إلى القدماء من مفكري اليونان"[2].

وخلال هذه الفترة قام بنشر كتابه (في الشعر الجاهلي) عام ١٩٢٦م الذي أحدث ضجة كبيرة لما يحتويه من أفكار مناهضة للإسلام أثارت حمية الغيورين على الدين.

بقي طه حسين في الجامعة إلى عام ١٩٣٢م ثم أحيل إلى التقاعد وكان ذلك إثر مناقشة كتابه في الشعر الجاهلي في مجلس النواب[3]. ونتيجة لذلك لزم بيته مع الاستمرار في الكتابة في الصحف مثل صحيفة السياسة. ثم أعيد إلى الجامعة مرة أخرى حيث عين

---

(١) راجع: طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام، ص٥٧.

(٢) نفسه، الصفحة نفسها، بتصرف يسير.

(٣) راجع: نفسه، ص٥٨.

أستاذاً في كلية الآداب ثم عميداً واستمر في هذا المنصب حتى عام ١٩٣٩م.

ثم مراقباً للثقافة في وزارة المعارف، واستمر في هذا المنصب حتى عام ١٩٤٢م ثم عين مستشاراً فنيا للوزارة، وفي أواخر عام ١٩٤٢م انتدب مديراً لجامعة الإسكندرية وكان أول من شغل هذا المنصب، وبقي في هذين المنصبين حتى عام ١٩٤٤م، ومن ثم أحيل إلى التقاعد مرة أخرى عام ١٩٤٨م وأخيراً عين وزيرا للمعارف عام ١٩٥٠م.

وبعد عامين من هذا التاريخ اعتزل الخدمة الرسمية مع بقائه متصلاً بأكثر من عمل، من ذلك عمله مديراً للثقافة بالجامعة العربية، وعضواً ورئيسا للمجمع اللغوي، ثم عضواً في المجلس الأعلى للآداب والفنون وقد ظلّ يمارس هذين العملين حتى سنواته الأخيرة[1].

◈ الصحافــة:

بدأ طه حسين بالكتابة في الصحف منذ وقت مبكر، كانت بدايته عندما كان يدرس في الأزهر حين كتب مقاله الذي هاجم فيه الأزهر وشيوخه، وطالب بحرية الرأي مقدماً ذلك المقال إلى لطفي السيد، مدير صحيفة "الجريدة"، الذي قبله منه بكل عطف وأمره بالانصراف.

ومن ثم كثرت اللقاءات بينه وبين لطفي، كما اتصل بالشيخ عبدالعزيز جاويش مدير صحيفة الحزب الوطني، - كما أسلفت- وكتب عدة مقالات ناقدة[2]، كما اتصل أيضاً بالمجلات، وشارك في تحرير مجلة (الهداية)، وقد شهدت هذه المجلة معارك أدبية عنيفة بينه وبين خصومه[3].

كما كتب كذلك في جريدتي (اللواء)، و(العلم) عدة مقالات بعنوان نظرات في

---

(١) راجع: السابق، الصفحة نفسها.

(٢) راجع: الأيام، ص٤١٧.

(٣) نفسه، ص٤٢٧.

النظرات ينتقد فيها النظرات للمنفلوطي. أيضاً كتب في صحيفة (الشعب)، وكانت كل هذه الكتابات قبل سفره إلى فرنسا، وبإشراف من عبدالعزيز جاويش[1].وعندما عاد من فرنسا كتب في صحيفة (السياسة) ما بين ١٩٢٢-١٩٢٦م. وكتب كذلك في صحيفة (الجهاد) عدة مقالات عنونها بـ (حديث الأربعاء)، ثم جمعها فيما بعد في كتاب ضخم ضمن مؤلفاته.

بعد ذلك أصبح رئيساً لتحرير صحيفة "الاتحاد"، كما كتب مقالات يومية في صحيفة «كوكب الشرق »[2]. وبعد حصوله على الدكتوراه كتب في صحيفة "السفور" الأسبوعية، وكذلك كتب في صحيفة "الوادي" عام ١٩٣٤م[3]. ومن المجلات الخطيرة التي كتب فيها مجلة "الكاتب المصري" حيث رأس تحريرها. وتنبع خطورة هذه المجلة في كون مموِّلها يهودياً من مصر، وكان هذا الأمر الذي أثار ضده الكثيرين من الشخصيات الدينية والفكرية[4].

كما كتب عدة مقالات في صحيفة "البلاغ" جمعت فيما بعد في كتاب (بين بين). وفي السنوات الأخيرة بعد عام ١٩٥٢م كتب في الصحف اليومية الصادرة في القاهرة مثل: الأهرام، الأخبار، الجمهورية، ومعظمها كانت مقالات سياسية.

ومن الموضوعات التي كتب فيها: التعليم ومشكلات المدرسين، والجامعة، وتضمنت بعض مقالاته ورحلاته إلى فرنسا وبعض مشاهداته هناك. وكذلك استمر في كتاباته في مهاجمته للأزهر وشيوخه ومناهج تعليمه، وكتب أيضاً ما يتعلق باللغة ما أسماه إصلاح النحو ومشكلة الإعراب، كما دعا إلى تعليم اللغات الأجنبية والتبادل الثقافي، وكتب عن القومية والديمقراطية والعروبة وإحياء التراث العربي، أيضاً كتب بعض

---

(١) المرجع السابق، ص٤١٨.

(٢) يراجع: طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام، ص١٠٨- ١١١.

(٣) يراجع: الأيام، ص٤٥٩.

(٤) يراجع: طه حسين مطلوب حياً وميتاً، ص٦٣، د/ علي شلش، ص٦٣، الدار العربية للطباعة والنشر والتوزيع، ط: الأولى، ١٩٩٣م.

المقالات التي تخص المرأة والأسرة وغيرها من الموضوعات[1].

وتميزت كتاباته بسرعة الذيوع والانتشار نظراً لجرأته حيث قام بطرح قضايا خطيرة لم يجرؤ أحد قبله على التصدّي لها.

◈ التأليف:

خلّف طه حسين العديد من المؤلفات في العديد من الجوانب، حيث تزيد مؤلفاته على الخمسين مؤلفاً، فكتب في الأدب، والتاريخ، والتربية، والاجتماع، والنقد والإسلاميات، والقصص والروايات العربية والغربية... وغير ذلك.

كما قام بترجمة العديد من المؤلفات الغربية إلى العربية. ومن بدايات كتاباته رسالته (ذكرى أبي العلاء) التي نال بها درجة الدكتوراه عام ١٩١٤م.

ورسالته عن ابن خلدون التي نال بها درجة الدكتوراه من جامعة السوربون عام ١٩١٧م بالفرنسية تحت إشراف أستاذ علم الاجتماع (إميل دور كايم) و(سليستيان بوجليه) وأستاذه الفرنسي (كازانوفا) [2].

---

(١) يراجع: طه حسين وزوال المجتمع التقليدي، د/ عبدالعزيز شرف، ص١٠٢– ١١٩، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م.

(٢) نفسه، ص٤٥ – ٤٧.

المبحث الثالث: أشهر مؤلفاته

في الشعر الجاهلي:

أصدره طه حسين عام ١٩٢٦م وقد بنى دراسته فيه على منهج ديكارات، انتهى فيه إلى نظرية عامة هي نظرية الانتحال في الشعر الجاهلي، وقد أحدث هذا الكتاب ضجة كبيرة في الأوساط العلمية والثقافية والدينية، لما احتواه من عبارات تسيء إلى الإسلام وتشكك في العقائد الثابتة، مما أثار ثائرة النقاد وخاصة مصطفى صادق الرافعي[١] ورجال الأزهر إذ صودر الكتاب وأعيد نشره ثانية في العام التالي باسم (في الأدب الجاهلي) بعد حذف بعض الفصول وإضافة فصول أخرى[٢].

◈ مستقبل الثقافة في مصر:

وضع فيه طه حسين تصوراً لمستقبل مصر الثقافي، وقد تعرض هذا الكتاب أيضا للنقد الشديد لما احتواه من آراء جريئة ودعوات باطلة تمسّ الدين واللغة والثقافة الإسلامية والحضارة العربية والإسلامية[٣].

◈ الأيام:

ويقع في ثلاثة أجزاء ويروي فيه طه حسين سيرته الذاتية منذ طفولته إلى سنوات متأخرة من حياته. وقد تُرجم هذا الكتاب إلى الإنجليزية والفرنسية والعبرية والصينية

---

(١) مصطفى صادق الرافعي: (١٢٩٨- ١٣٥٦ هـ = ١٨٨١- ١٩٣٧م)، عالم بالأدب، شاعر من كبار الكتّاب، أصله من طرابلس الشام، ولد في بهتيم وتوفي في طنطا بمصر، أصيب بصمم فكان يُكتب له ما يراد مخاطبته به، له ديوان شعر، ومن مؤلفاته: (تاريخ آداب العرب)، (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية)، (تحت راية القرآن)، (رسائل الأحزان) وغيرها....، يراجع: الأعلام، جـ٧، ص٢٣٦.

(٢) يراجع: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، د/ محمد محمد حسين، جـ٢، ص٢٩٦، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

(٣) يراجع: نفسه، ص٢٢٨.

والروسية والألمانية والفارسية[1].

❖ **حديث الأربعاء:**

يتكون من ثلاثة أجزاء، وهو في الأصل مقالات كتب طه حسين الجزأين الأول والثاني في صحيفة (السياسة) بالعنوان نفسه، أما الثالث فقد كتبه في صحيفة (الجهاد) وقد تعرضت مقالاته هذه إلى النقد الشديد، لأنه انتهى في كتابه هذا إلى أن القرن الثاني الهجري كان عصر شك ولهو ومجون[2].

❖ **نقد وإصلاح:**

وهي عبارة عن مقالات في الأدب والفكر، وتحليل لبعض الروايات والكتب الأدبية العربية الغربية، كما يحوي موضوعات مختلفة مثل: ترجمة القرآن الكريم، والقضاء، والتعليم الديني وإصلاح الأزهر[3].

كما كتب مجموعة من الروايات مثل:

- المعذبون في الأرض.
- دعاء الكروان.
- أحلام شهرزاد.
- القصر المسحور.
- شجرة البؤس.

كذلك كتب بعض المؤلفات التاريخية والإسلامية مثل:

- الوعد الحق.
- على هامش السيرة (ثلاثة أجزاء).
- الفتنة الكبرى (جزءان).
- مرآة الإسلام[4].
- الشيخان .

---

(١) طه حسين ومعاركه الأدبية، صلاح عطية، جـ١، ص١٨، دار الجمهورية للصحافة، ١٩٥٤م.

(٢) حديث الأربعاء، طه حسين، ص٣٥٥، دار الكتاب اللبناني - بيروت، ١٩٢٥م.

(٣) طه حسين وزوال المجتمع التقليدي، ص٥٣.

(٤) نفسه، ص٤٨ - ٥٣.

كما اهتم بجانب الترجمة وضرورة نقل الفكر الغربي إلى اللغة العربية. وممّا أخذ عليه اهتمامه بنقل كتب الآداب والفلسفة والتاريخ والتربية، وما تؤدي إليه من إفساد أذواق الشباب وتدمير كيانهم وتحويل شخصيتهم، ومن أشهر ما ترجم:

- لحظات. - صوت باريس. - أوديب؛ الاندريه جيد الفرنسي

- القدر؛ لفولتير.

- قصص تمثيلية وضعها أشهر الكتاب الفرنسيين أمثال: بول هرفيو، وفرنسوا دي كوريل، وهنري كرنستين.

- كتاب أرسطو طاليس (نظام الأثينيين) عن اليونانية وقد قام بتدريس هذا الكتاب لطلبته في الجامعة.

وقد جمعت (دار الكتاب اللبناني) جميع مؤلفات طه حسين ضمن واحد وعشرين مجلداً مقسمة بحسب الموضوعات التي كتب فيها كالتربية، والنقد، والتاريخ، والفلسفة، والقصص، والأدب، والسيرة[1]. هذا أبرز ما تميزت به سيرة طه حسين، ومسيرته العلمية وما صاحبها من مناصب علمية وسياسية ترأسها، وكُتب ومقالات كتبها على امتداد حياته الطويلة.

(١) المرجع السابق، ص٥٤ وما بعدها.

الفصل الثاني

أهم المؤثرات في فكر طه حسين

وفيه تسعة مباحث : -

- المبحث الأول: القرية التي عاش فيها.
- المبحث الثاني: العاهة التي أصيب بها (فقده للبصر).
- المبحث الثالث: التحاقه ودراسته بالأزهر.
- المبحث الرابع: التحاقه بالجامعة المصرية.
- المبحث الخامس: علاقته ببعض الشخصيات السياسية التي لعبت دوراً كبيراً في تفكيره مثل:
  أ- لطفي السيد   ب - عبدالعزيز جاويش
- المبحث السادس: تأثره بشخصية وفكر الشاعر "أبي العلاء المعري" (٩٧٣ - ١٠٥٧) م.
- المبحث السابع: صلته ببعض المستشرقين داخل مصر وخارجها.
- المبحث الثامن: سفره إلى فرنسا للدراسة.
- المبحث التاسع: زواجه من الفرنسية (سوزان).

الفصل الثاني
أهم المؤثرات في فكر طه حسين

لا يخلو أي عالم أو مفكر من جملة من الظروف والعوامل التي تساعد على إنشاء تفكيره، ومن ثم إثراء هذا التفكير -سلباً أو ايجاباً-؛ وبغض النظر عما إذا كان تفكيره إسلامياً موافقاً لقواعد الشرع ومحافظاً على ثوابت الامة، أو كان غير ذلك؛ فإنه لا بد له من عوامل عدة تحدد كيفية هذا التفكير.

أما ما يخص طه حسين فإن هناك عدة مؤثرات أثَّرت في شخصيته، ومن ثم صاغت تفكيره واظهرته بهذه الصورة التي ستظهر لنا فيما بعد - إن شاء الله تعالى-، ويمكن إجمالها على النحو الآتي:

١- القرية التي عاش فيها.　　　　٢- العاهة التي أصيب بها.

٣- التحاقه ودراسته بالأزهر.　　　　٤- التحاقه بالجامعة المصرية.

٥- علاقته: أ- أحمد لطفي السيد ب- عبدالعزيز جاويش

٦- تأثره بشخصية وفكر الشاعر (أبي العلاء المعري) الذي كان عنواناً لأطروحته في الدكتوراه من الجامعة المصرية.

٧- سفره إلى فرنسا للدراسة.

٨- زواجه من الفرنسية (سوزان).

٩-علاقته بالمستشرقين .



المبحث الأول: القرية التي عاش فيها

لعبت قرية (الكيلو) -التي تبعد عن مغاغة بمقدار كيلو متر من إقليم (المنيا) في صعيد مصر- دوراً كبيراً في شخصية طه حسين حيث كان كثيراً ما يستمع إلى نساء القرى إذا خلون إلى أنفسهن حين يذكرن ما مرَّ بهنَّ من آلام وأحزان يمجلهن يعددن ويذكرن حسنات موتاهن وهذا ما جعل طه حسين يحفظ كثيراً من الأغاني وكثيراً من عبارات التعديد وكثيراً من جد القصص وهزله كما كان كثير المراقبة لأهل الريف وتحركاتهم ولعلَّ السبب في ذلك شدة تركيزه على حاسة السمع بدلاً من حاسة البصر التي فقدها في سن مبكرة من حياته[1] .

يقول طه حسين في مذكراته (الأيام) متحدثاً عن نفسه:

« ... وانصرافه عن العبث حببٌ إليه لوناً من ألوان اللهو، هو الاستماع إلى القصص والأحاديث؛ فكان أحبَّ شيء إليه أن يسمع إنشاد الشاعر، أو حديث الرجال إلى أبيه والنساء إلى أمِّه، ومن هنا تعلَّم حُسن الاستماع وكان أبوه وطائفة من أصحابه يحبون القصص حباً جماً، فإذا صلَّوا العصر اجتمعوا إلى واحد منهم يتلو عليهم قصص الغزوات، والفتوح، وأخبار عنترة والظاهر بيبرس، وأخبار الأنبياء والنسَّاك والصالحين، وكتباً في الوعظ والسُّنن »[2] .

وفي موضع آخر يصف فيه نساء القرية يقول:

« والنساء في قرى مصر لا يُحببن الصمت ولا يملن إليه، تحدثت إلى نفسها ألواناً من الحديث، فغنَّت إن كان فرحة، وعدَّدت إن كانت محزونة وكل امرأة في مصر محزونة حين تريد. وأحبُّ شيء إلى نساء القرى إذا خلون إلى أنفسهن أن يذكرن آلامهن وموتاهن فيعددن، وكثيراً ما ينتهي هذا التعديد إلى البكاء حقاً »[3] .

---

(١) راجع: الأيام، ص٢٦-٢٨ .

(٢) الأيام، ص٢٧ .

(٣) الأيام، ص٢٨.

وكذلك انتشرت في قريته بعض العادات والطرق الصوفية وتنافس الشيوخ في نشر مذاهبهم وطرقهم بين العامة يقول:

« وشيوخ الطريق، وما شيوخ الطريق!! كانوا كثيرين منبثِّين في أقطار الأرض، لا تكاد تخلو منهم المدينة أسبوعاً وكانت مذاهبهم مختلفة، وكانوا قد تقسَّموا الناس فيما بينهم فجعلوهم شيعاً، وفرقوا أهواءهم تفريقاً عظيماً وكانت المنافسة حادة في الإقليم»(١).

وممَّا يدلُّ على تأثره بقريته وما يدور فيها من أحداث أنه ذكرها في مذكراته في أكثر من خمسين صفحة .

ومن الأشياء الذي تأثر بها في قريته، وخاصة في كتّاب القرية، حفظه للقرآن الكريم، إذ أتّم حفظه وهو في التاسعة من عمره، ولا شك أن لهذا الحفظ الأثر الكبير في حياته فيما بعد، وفي كتاباته التي يظهر أسلوب القرآن الكريم فيها واضحاً، سواءٌ في قَصصه ومقالاته أو محاضراته.

يقول الدكتور: مصطفى عبدالغني حيث يقول: "على أن القرآن الكريم كان أكثر ما أثّر فيه فما كاد يبلغ سن التاسعة حتى كان قد أتمّ حفظه، وهو ما يظهر واضحاً في أسلوبه واستشهادات قصصه وفكره الاجتماعي"(٢).



(١) الأيام، ص٨٧.

(٢) تحولات طه حسين، د/ مصطفى عبد الغني، ص٢٦، مطابع الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٠، ط: بدون، بتصرف .

المبحث الثاني: العاهة التي أصيب بها (فقده للبصر)

من العوامل المؤثرة في فكره فقده للبصر في سن مبكرة، إذ فقد بصره تقريباً في عامه الخامس؛ الأمر الذي أصابه بشئ من الانطواء والهروب من نقد الآخرين، حتى من والديه وإخوته، فكان مرهف الحس، عاش صباه في عزلة ووحدة وألم نفسي باطني من هذه الآفة التي لازمته منذ الصغر[1].

فكان لها إيجابياتها وسلبياتها في حياته، وكثيراً ما نجد منه بعض الإشارات الخفيفة والسريعة إلى هذه الآفة مصحوبة بشئ من الضجر والسخط، فمن ذلك قوله في "الأيام": "كانت تؤذيه سراً ولا تجاهره بالخصومة والكيد، لم تكن تمنعه من المضيّ في الدرس، ولا من التقدم في التحصيل، ولا من النجاح في الامتحان، دائماً كانت أشبه شئ بالشيطان الماكر المسرف في الدهاء والذي يكمن للإنسان في بعض الأنحاء بين وقت ووقت، ويخلي له الطريق يمضي فيه أمامه قدماً لا يلوي على شيء، ثم يخرج فجأة من مكمنه ذاك هنا أو هناك يصيبه ببعض الأذى، وينثني عنه كأنه لم يعرض له بمكروه بعد أن يكون قد أصاب قلبه موضع الحس الرقيق والشعور الرقيق، وفتح له باباً من أبواب العذاب الخفي الأليم"[2].

ولعلّ لهذه الآفة أثرها السلبي عليه فيما بعد في بعض المواقف، ولعلها أيضاً السبب الخفي في بغضه للأزهر الذي كان أوّل لقائه به حينما اجرى فيه اختبار القبول فقيل له: اقرأ يا أعمى! وفي المقابل فقد أحبّ فرنسا وجامعتها حباً شديداً حيث كان أوّل لقائه بها حينما قال الأستاذ لرفيقه مشيراً إلى طه حسين أيكون رفيقك هذا أعمى؟ بأسلوب فيه بعض اللطف[3].

---

(١) يراجع: المرجع السابق، ص٢٢.

(٢) نفسه، ص٤٣.

(٣) يراجع: نفسه، ص٤٤٢.

ولقد ذكر طه حسين أن "أثر هذه المصيبة من الحزن العميق عظيم يلزم صاحبه في جميع أطوار حياته لا يفارقه ولا يعدوه. ذلك لأنه يذكر بصره كلما عرضت له حاجة، وكلما ناله من الناس خير أو شر، بل كلما لقيهم في مجمعٍ عام أو خاص. فما يزال الحزن يؤلمه ويخزه إلى أن يفقده الشعور وتصيبه البلادة المطلقة. وكلما قوي فيه الحياء والحرص على مجاراة الناس في المحافظة على آدابهم وأوضاعهم العامة اشتد أثر هذا الحزن في نفسه؛ لأنه لم يوفق إذا لقي المبصرين أن يكون مثلهم مهما كان فطناً ذكياً. قد يهزؤون منه ويسخرون به وإن كان حظهم من الأدب قليلاً. ولكنهم يتغفلونه ويقلون الاحتفال به في أنفسهم مهما عظم نصيبهم من الأدب وحسن الأخلاق.

والمكفوف إذا جالس المبصرين أعزل، وإن بزّهم بأدبه وعلمه وفاقهم في ذكائه وفطنته، فقد يتندرون عليه بإشارات الأيدي، وغمز الألحاظ، وهز الرؤوس وهو عن كل ذلك غافل محجوب. فإن نمت عليهم بذلك حركة ظاهرة أو صوت مسموع فحجته عليهم منقطعة، وحجتهم عليه ناهضة. وليس له من ذلك إلا ألم يكتمه وحزن يخفيه ثم إن اشتد ذكاؤه وانفسح رجاؤه، كثرت حاجته إليهم، وكثرت نعمهم عليه، فهو عاجز عن تحصيل قوته إلا بمعونتهم، وهو عاجز عن شفاء نفسه من حب العلم والمطالعة إلا بتفضلهم، وهو عاجز عن الكتابة والتحرير إلا إذا أعانوه وتطولوا عليه".

إلى أن يقول:"ومكان المكفوف في نفس زوجه وبنيه دون مكان المبصر. فإجلالهم إياه محدود، وطاعتهم إياه مقصورة على ما يتنبه إليه، ثم هو بعد ذلك كله قد حرم التمتع بلذة يُكبرها الناس، وجهله إياها يضاعف خطرها في نفسه، فإن تعاطى صناعة الشعر أو الوصف فإن الحرمان قد استتبع ضعف خياله، وحال بينه وبين مجاراة الشعراء والواصفين فيما يتنافسون فيه، إلا أن يكون مقلداً أو محتذياً، ثم هو يسمع الناس يتحدثون عن بهجة الربيع وجمال الربا، وعن اتساق الأزهار، والتفاف الأشجار، وعن اكتساء الأنهار الجارية، والبحار الطامية، ثياباً فضية أو عسجدية في الصباح والأصيل، وعن السماء وأفلاكها، والنجوم وحركاتها، وعن السحاب المركوم يخفق فيه البرق، وعن حبات البرد تتساقط، وقطرات المطر تنتثر، وعن ضوء القمر هلالاً وبدراً، وعن الشفق أول الليل وآخره.

يسمع أحاديثهم عن هذا كله وما أبدعوا فيه من تشبيه لا يعقله ولا يفقه كنهه، فضلاً عن أن يجاريهم فيه أو يسبقهم إليه، ثم هو بعد هذا كله قاعد إن نفر الناس لقتال أو حرب، قد يئس وطنه من نصره، وقنط من حفاظه، فلم ينط به أملاً، ولم يعقد به رجاء، كَلٌّ على الناس في كل شئ، تكلة في حياته المادية والمعنوية، فاليأس أخلق به من الرجاء، والموت خير له من الحياة؛ إلا أن تكون له نافلة من فضيلة الصبر وشدة الأيد"[(١)].

(١) ذكرى أبو العلاء المعري، طه حسين، ص١٢٣- ١٢٥.

المبحث الثالث: التحاقه ودراسته بالأزهر

لا شك أن التحاق طه حسين بالأزهر ساعد على إثراء تكوينه الفكري، فدرس النحو والفقه والمنطق، وعرف ألواناً من العلوم الأزهرية مثل المنطق، التوحيد، وأصول الفقه. كما درس شرح ابن عقيل للألفية، وحصل على قدر غير قليل من البلاغة، وتأثر تأثراً كبيراً بدروس الأدب، وخاصة ما كان يتلقّاه من الشيخ المرصفيّ الذي يعد الأستاذ الثاني في الأزهر بعد الإمام محمد عبده.

إذ أسهم المرصفيّ في تحّوله من الدراسة الدينية التقليدية إلى دراسة الأدب العربي القديم بمنهج جديد[(١)].

ويعد الشيخ محمد عبده أكثر من أثّر في شخصية طه حسين، ومما يدل على هذا أنه ذكره في كتابه "الأيام" قرابة عشرين مرة، وربما زاد إعجابه بالشيخ محمد عبده، مع أنه ممن ينتمي إلى الأزهر الذي كان طه حسين يتبرّم منه كثيراً، أن كان الشيخ هو الآخر متبرّماً من نظم الأزهر التي وصفها الدكتور مصطفى عبدالغني في كتابه: (تحولات طه حسين بالتقاليد الأزهرية المتجمدة[(٢)] مما جعل طه حسين يتهكم كثيراً بالأزهر ومشيخته، وهذا ما يبدو واضحاً في كثير من الأمثلة التي ذكرها في مذكراته "الأيام" أذكر منها على سبيل المثال موقفه من الشيخ سليم البشري[(٣)] حينما حضر حلقته مصطحباً معه أحد المستشرقين الذي تعرف عليه في الجامعة المصرية وهو (سانتيلانا)."وكان الشيخ سليم يفسر قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾[(٤)] فاعترض طه حسين على تفسير الشيخ قائلاً: هذه جبرية

---

(١) يراجع: تحولات طه حسين، د/ مصطفى عبدالغنى، ص٢٩.

(٢) يراجع: نفسه، ص٣١.

(٣) سليم بن أبي فرّاج البشري: (١٢٨٤ - ١٣٣٥هـ = ١٨٦٧ - ١٩١٧)م، شيخ الجامع الأزهر من فقهاء المالكية. ولد في محلة شبر (من أعمال شبر خيت - بمصر) وتعلّم وعلّم في الأزهر. وتولى نقابة المالكية، ثم مشيخة الأزهر مرتين، وتوفي بالقاهرة، من مؤلفاته: (المقامات السَنية في الردّ على القادح في البعثة النبوية) الأعلام، جـ٣، ص١١٩.

(٤) سورة الانعام: ١١١.

مطلقة، فأجاب الشيخ البشري من أين تعلمت هذا الكفر، من أساتذتك الأفرنج! هنالك وضع سانتيلانا يده على كتف طه طالباً منه السكوت"[1].

"وكانت فترة إقامته في الأزهرموزعاً فيها بين الحلقات يختار منها ويعرض، ولا يستقر في أيّها، إلا حلقة الأدب والشعر؛ ولذلك فقد كانت ثقافته في العلوم الإسلامية قاصرةً بحيث لم تتمكن من تكوين فكرةٍ كاملةٍ عن الإسلام، ولقد أقبل على دروس الأدب ولم يقبل على دروس الفقه والعقائد، وقد اتصل بدروس الفقه والمنطق والتوحيد والنحو ولكنه ألمّ بذلك إلماماً سريعاً حتى توقف عن دروس الأدب، وسرعان ما ضاق صدره بالأساتذة لأنه لم يصبر على فهم دقائق المسائل وظل الخلاف يتسع بينه وبين مشايخه حتى أغلق الباب بينه وبينهم واحداً واحداً، ولقد ساء ظنه بالأزهر وشيوخه، الذين أعرضوا عنه لسوء بادرته وجفوته لهم، فأخذ في الغضّ من شأن المشايخ وإحراجهم بالأسئلة المضللة والرد عليهم في عنف وفي سخرية، وذلك كله وارد في مذكراته "الأيام" وسوء مواقفه من أساتذته واضح لا ريب فيه بأكثر من صورة وحادثة"[2].

(١) طه حسين حياته وفكره في ميزان الاسلام، أنور الجندي، ص٢١، بتصرف يسير.

(٢) نفسه، ص٢٢.

المبحث الرابع: التحاقه بالجامعة المصرية

في عام ١٩٠٨م افتتحت الجامعة المصرية فالتحق بها طه حسين وتعرّف فيها على بعض الأساتذة من المستشرقين وغيرهم، ولم ينقطع في ذلك الوقت كليةً عن دروس الأزهر، بل كان يتردد عليه بين الفينة والأخرى، وأحس من خلال استماعه لدروس الجامعة أنها لا تشبه دروس الأزهر من قريب أو بعيد. حيث يقول: "إن المدة التي قضيتها في الأزهر كانت فترة انتقال، فكان محمد عبده يفسر القرآن على طرق حديثة والشيخ المرصفي يعلمنا الأدب، وكلاهما يذمّ الطرق الأزهرية. وكان قاسم أمين يقول بحرية المرأة و(فتحي زغلول) [1] يترجم لنا كتباً قيّمة و(الجريدة) تنادى بمعايير جديدة في السياسة والاجتماع، فكنا في اضطراب ذهني لا نستقر، وشعرنا نحن تلاميذ الشيخ المرصفي، أن طرق الأزهر عتيقة. وشعرت أن الأزهر لم يعد يشبع ما في نفسي من الأغراض الأدبية فتركته والتحقت بالجامعة"[2].

يقول الأستاذ حسن الشقرا: "ومن هنا يفهم القارئ أن السر في إخراج الدكتور طه من الأزهر عدم كفاية الأزهر لسد مطامعه الأدبية وهذا كذب صراح على التاريخ وجرأة مفضوحة على الحق، والتاريخ يسجل بالخط العريض أن الدكتور تقدم للامتحان في الشهادة العالمية فلما جاء أمام اللجنة وسئل ونوقش أخفق إخفاقاً لم يشهد التاريخ مثله

---

(١) فتحي زغلول: (١٢٧٩-١٣٣٢هـ)=(١٨٦٣-١٩١٤م) الشقيق الأصغر للزعيم سعد زغلول، أحد رواد الترجمة في مصر، يتقن الإنجليزية والفرنسية، ولد في قرية (إبيانة) التابعة لمديرية الغربية حالياً، شارك في الثورة العرابية، تدرج في وظيفته حتى أصبح رئيساً لمحكمة مصر، ربطت بينه وبين اللورد كرومر علاقة قوية قضت بإعدام عدد من الفلاحين أمام أهليهم وهو ما هزَّ الوجدان الشعبي المصري، وكان فتحي زغلول هو الذي صاغ حيثيات الحكم، وكان لهذه الحادثة المؤلمة أثرها القاتم على تاريخه وسيرته وأعماله والتي أطلق عليها (حادثة دنشواي) نسبة إلى محكمة دنشواي. لم تكن تربطه علاقة جيدة بأخيه سعد، ترجع إلى عوامل الغيرة والتنافس، من أعماله الكبرى في الترجمة: أصول الشرائع لجوستاف لوبون، روح الاجتماع، المحاماة، شرح القانون المدني، الآثار الفتحية وغيرها، يراجع الموقع الالكتروني: http://www.islamonline.net/Arabic/history/brohners/articleo٣.shtml.

(٢) طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام، أنور الجندي، ص٢٣.

فنكص على عقبه وخرج ومنذ ذلك الوقت أخذ يحارب الأزهر ويغضُّ من قدر أساطين المسلمين"[1].

ومما يدل على عظم تأثره بالجامعة ودروسها منذ اليوم الأول الذي التحق بها قوله في مذكراته "الأيام": "واستمع الفتى لأول درس من دروس الجامعة في الحضارة الإسلامية فراعه أول ما راعه شيء لم يكن له بمثله عهد في الأزهر، فهذا أحمد زكي بك يبدأ الدرس بهذه الكلمات التي لم يسمعها الفتى من قبل: "أيها السادة: أحييكم بتحية الإسلام، فأقول: السلام عليكم ورحمة الله".

وإنما كان الفتى يسمع في الأزهر كلاماً آخر لا يتجه به الشيوخ إلى الطلاب، وإنما يتجهون به إلى الله ﷻ فيحمدونه ويثنون عليه، ولا يحييِّ فيه الشيوخ طلابهم، وإنما يصلُّون فيه على النبي وعلى آله وأصحابه أجمعين!

ثم راع الفتى بعد ذلك أن الأستاذ لم يقل في أول درسه: "قال المؤلف ~ " وإنما استأنف الدرس يتكلم من عند نفسه ولا يقرأ في كتاب...وكان كلامه واضحاً لا يحتاج إلى تفسير، وكان سوياً مستقيماً لا فنقلة فيه ولا اعتراض عليه. وكان غريباً كل الغرابة، جديداً كل الجدة، ملك على الفتى عقله كله وقلبه كله فشغل عن صاحبيه وشغل عمن كان حوله من الطلاب، وما كان أكثرهم! حتى إذا أوشك الدرس أن ينقضي، أعلن الأستاذ أنه سيعيد هذا الدرس بعد دقائق ليتاح للطلاب الكثيرين الذين لم يتح لهم دخول الغرفة أن يسمعوه. وانصرف الفوج الأول من الطلاب، ولكن صاحبنا لم يرم[2]، وإنما أقام في مكانه حتى سمع الدرس مرة أخرى"... إنما كان يعيش لساعة المساء، ويتعجل ذلك الدرس الذي سيسمعه من أحمد زكي بك عن الحضارة المصرية القديمة. وقد سمعه فلم تسعه الأرض على رحبها، سمع أشياء لم تكن تخطر له على بال، ولم يكن

---

(١) المرجع السابق، ص٢٤.

(٢) يغادر، يبرح.

يتصور أنها قد كانت، أو أن الناس يمكن أن يتحدثوا بمثلها[١].

ويقول في مقام آخر: "ولم ينفق الفتى ثلاثة أيام منذ افتتاح الجامعة حتى تغيرت حياته تغيراً فجائياً كاملاً"[٢].

وفي هذه الفترة توثقت صلته ببعض الشخصيات، سواء داخل الجامعة أو خارجها، وكان لها أثر بالغ في فكره وكتاباته، وسيتبين هذا فيما سيأتي – إن شاء الله تعالى-.

(١) الأيام، ص٣٩١.

(٢) نفسه، ص٣٩٢.

المبحث الخامس: علاقته بلطفي السيِّد وعبدالعزيز جاويش

أ- أثر لطفي السيِّد[1] على طه حسين:

توثقت العلاقة بين لطفي السيّد وطه حسين في الجامعة حيث "وجد التشجيع المستمر من قبل لطفي السيّد على الكتابة في صحيفته (الجريدة)، كما شجعه على تعلّم الفرنسية؛ إذ كان من أكثر المثقفين ثقافة غربية في مصر في ذلك الحين، وقد سبق له التعلّم في أوروبا، وعاد إلى مصر مقتنعاً بالثقافة الغربية اقتناعاً عميقاً، وأراد أن ينقل هذه الثقافة إلى مصر، وبالأحرى أراد أن يجعل مصر تتجة وجهة غربية عصرية في ثقافتها الجديدة.

كما لم تكن طريقته في الدعوة إلى آرائه طريقة عنيفة ملتهبة، بل كانت طريقة هادئة، تهدف إلى إيضاح وانتهاز الفرص المناسبة، أكثر مما تهدف إلى توجيه صدمة فكرية وروحية إلى الجماهير بشكل أو بآخر. ومما زاد تأثر المصريين به كونه ابن البيئة المصرية النابع منها العارف بمشكلاتها معرفة دقيقة، ووجد طه حسين في لطفي السيّد وفي التيّار الفكري المتحرّر الذي أوجده لطفي السيّد بيئة ملائمة تماماً لفكره الذي يضيق بالبيئة المحافظة في الأزهر، ويصطدم بها كل يوم. ولم يكن لطفي السيّد يكتفي بقبول آراء طه

---

(1) أحمد لطفي بن السيّد أبو علي، ولد بقرية برقين مركز السبلاوين، يقول عن نفسه: "نشأت في أسرة مصرية صميمة لا تعرف إلا الوطن المصري، ولا تعتز إلا بالمصرية، ولا تنتمي إلاّ إلى مصر" حصّل رتبة الباشوية، وكان يملك إقطاعيات وقرى بأكملها، ألّف مع عبدالعزيز فهمي[1] أول جمعية سريّة، غرضها تحرير مصر، ثم ألّف مع مصطفى كامل الحزب الوطني كجمعية سريّة، واشتغل بالصحافة، وأنشأ (الجريدة). أُطلق عليه لقب (أستاذ الجيل)، أنشأ لأول مرة في مصر مجمع اللغة العربية، وأسّس الجامعة المصرية سنة ١٩٠٨م، وكان رئيساً لها، وعُيّن وزيراً للمعارف، ثم للداخلية والخارجية. تأثر بملازمة جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده. ردّ تحصيل المعارف واكتساب الخبرات إلى العقل والتعليم والتجربة.

حسين بإفساح صدره لها بل كان يشجعه على هذه الآراء تشجيعاً واسعاً عميقاً"[1].

وظلّ لطفي السيّد المكافح والمنافح عن طه حسين وعن كل ماكتب بحق أو بباطل، ومن ذلك دفاعه عنه حين أصدر كتابه (في الشعر الجاهلي) الذي أحدث ضجة كبيرة في مصر وخارجها نتيجة ما احتوى عليه هذا الكتاب من آراء وأفكار مناهضة لما جاء في النصوص القرآنية الثابتة[2].

ونتيجة لهذه العلاقة القوية بينهما نتج عن ذلك أكثر من مظهر منها:

أولاً: قول طه حسين: "... ولنقدم إلى صبيتنا وشبابنا من اللغة وعلومها وآدابها مايفهمون ويسيغون ويذوقون. وأؤكد لهؤلاء السادة أن الشباب لا يفهم النحو القديم ولا يسيغه، ولا يذوقه ولا ينتفع به، بل يبغضه أشد البغض، ويضيق به أقبح الضيق..."[3] إلى أن يقول:"فنحن بين اثنتين: إما أن نُيَسّر علوم اللغة العربية لتحيا، وإما أن نحتفظ بها كما هي لتموت"[4].

ويقول في موضع آخر:"وأنا أسأل المحافظين عامة والأزهريين خاصة، وأرجو منهم أن يجيبوا مخلصين، أقسم عليهم في ذلك باللغة التي يؤثرونها، والدين الذي يحبونه، والوطن الذي يريدون أن ينصحوا له. أحق أننا نستطيع أن نذيع اللغة العربية قراءة وكتابة وفهماً في مدارس التعليم الأولي التي تلتقي الناس جميعاً، ثم نطمئن إلى أن الصبية سيخرجون من هذه المدارس قارئين كاتبين فاهمين على خير وجه وأكمله، دون أن نيسرها للكتابة والقراءة وقواعد النحو وأصول التصريف. أم هم يريدون أن يكون التعليم الأولي للغة العربية صورة من الصور وشكلاً من الأشكال يكتفى منه بأن يقدر الصبي على أن يرسم الحروف ويتهجاها ويفك الخط كما يقولون، حتى إذا خرج من

---

(١) مجلة الهلال (عدد خاص طه حسين)، العدد الثاني: أول فبراير ١٩٦٦، ص٨٩.

(٢) سأتحدث عن ذلك بإسهاب – إن شاء الله تعالى – في الباب الثاني.

(٣) مستقبل الثقافة في مصر، طه حسين، ص٣٠٣.

(٤) نفسه، الصفحة نفسها.

المدرسة وبعد بينه وبينها العهد شيئاً نسي رسم الحروف وتهجيها، وعاد الخط مستغلقاً عليه أشد الاستغلاق"[1].

فمن هذه النصوص لطه حسين يتضح لنا أنه كان يسعى إلى تسهيل اللغة العربية بإحداث بعض التغيير فيها.

ثانياً: ذكرتُ سابقاً من النقد الذي وجّه للطفي السيِّد رسمه لمنهج الحياة الاجتماعية والسياسية والتربوية والاقتصادية حيث يقوم على التبعية العامة للنفوذ الأجنبي والاحتلال البريطاني والفكر الغربي... وطه حسين نفسه قد صرّح كذلك بالتبعية الكاملة للغرب و اعتبر مصر جزءاً من الغرب لا من العرب في سائر حياتها.

يقول في كتابه مستقبل الثقافة في مصر: "علينا أن نسير سيرة الأوروبيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أنداداً، ولنكون لهم شركاء في الحضارة، خيرها وشرها، حلوها ومرها، وما يحبْ منها وما يكره، وما يحمد منها وما يعاب، ومن زعم لنا غير ذلك فهو خادع أو مخدوع"[2]

ويقول في اعتبار مصر جزءاً من الغرب وليس العرب في نمط حياتها من جميع النواحي: "حياتنا المادية أوربية خالصة في الطبقات الراقية. وهي في الطبقات الأخرى تختلف قرباً وبعداً من الحياة الأوربية باختلاف قدرة الأفراد والجماعات، وحظوظهم من الثروة وسعة ذات اليد. ومعنى هذا أن المثل الأعلى للمصري في حياته المادية إنما هو المثل الأعلى للأوروبي في حياته المادية. نتخذ من مرافق الحياة وأدواتها ما يتخذون، ونتخذ من زينة الحياة ومظاهرها ما يتخذون. نفعل ذلك عن علم به وتعمد له، أو نفعل ذلك عن غير علم وعلى غير عمد، ولكننا ماضون فيه على كل حال. وليس في الأرض قوة تستطيع أن تردنا عن أن نستمتع بالحياة على النحو الذي يستمتع بها عليه

---

(١) المرجع السابق، ص٣٠٧.

(٢) مستقبل الثقافة في مصر، طه حسين، ص٥٤.

الأوربيون..."[1].

وكذلك قوله:"كل هذا يدل على أننا في هذا العصر الحديث نريد أن نتصل بأوروبا اتصالاً يزداد قوةً من يوم إلى يوم؛ حتى نصبح جزءاً منها لفظاً ومعناً وحقيقة وشكلاً. وعلى أننا لا نجد في ذلك من المشقة والجهد ما كنا نجده لو أن العقل المصري مخالف في جوهره وطبيعته للعقل الأوروبي"[2].

ومن هذا يتضح لنا توافق كلٍّ من طه حسين ولطفي السيّد في تمجيد الغرب والسعي الحثيث وراء تقليده؛ بيد أن هناك ثمة فرقاً يسيراً بينهما وهو أن لطفي السيّد مجدّ الغرب ممثلاً في بريطانيا، وطه حسين مجّد الغرب ممثلاً في فرنسا.

ثالثاً: السطو الجريء الفاضح على أعمال غيره ونسبتها إلى النفس، فلطفي السيّد زعم أنه قام بترجمة كتب الفلسفة (السياسة، الكون، الفساد، الأخلاق) عن أرسطو إلى الفرنسية، والواقع خلاف ذلك - كما أسلفتُ - وطه حسين سطا أكثر من مرة على أعمال غيره.

رابعاً: مقاومته للتضامن العربي والإسلامي: ويتمثل ذلك في دعوته للفرعونية، والقومية، والشعوبية، واعتبار مصر جزءاً من حضارة البحر الأبيض المتوسط، وكذلك اعتبارها جزءاً من اليونان.

حيث يقول: "إن الفرعونية متأصلة في نفوس المصريين وستبقى كذلك، بل يجب أن تبقى وتقوى، والمصري فرعوني قبل أن يكون عربياً، ولا يطلب من مصر أن تتخلى عن فرعونيتها وإلاّ كان معنى ذلك: اهدمي يامصر أبا الهول والأهرام، وانسي نفسك واتبعينا، لا تطلبوا من مصر أكثر مما تستطيع أن تعطي، مصر لن تدخل في وحدة عربية، سواء كانت العاصمة القاهرة أم دمشق أم بغداد".[3]

---

(١) المرجع السابق، ص٤١.

(٢) نفسه، ص٤٤.

(٣) مجلة الهلال، ابريل سنة ١٩٣١.

ففي هذا النص يُظهر طه حسين اعتزازه بالفرعونية الوثنية المندحرة، بل ويدعو غيره من المصريين إلى هذا الشعور المخزي، وقد أرسل إليه الأستاذ توفيق الفكيكي من مفكري العراق، برقية احتجاج عام ١٩٣٨ قال فيها: "إن شعاركم الفرعوني سيكسبكم الشنار وستبقى أرض الكنانة وطن الإسلام والعروبة برغم الفرعونية المندحرة"[(١)].

فهو يحاول أكثر من مرة أن يفصل مصر عن الدول العربية والإسلامية، مرة حين ينسبها إلى الفراعنة، ومرة حين ينسبها إلى حضارات دول البحر الأبيض المتوسط، وخاصة اليونان، ومرة حين يعتبرها جزءاً لا يتجزأ منه، ومرة حين يحيي فيها التمسك البغيض بوطنيتها وقوميتها دون أن يكون لها ثمة منبع أصيل تنتمي إليه وتعتز بالانتماء إليه، كما هو الحال مع الخلافة الإسلامية التي لا يريد أن يقرها.

وقد يتخذ في ذلك أسلوب التلميح تارة والتصريح تارة أخرى؛ فأما تلميحه في كون مصر جزءاً من حضارة البحر الأبيض المتوسط فيظهر في قوله: "إن العقل المصري منذ عصوره الأولى عقل إن تأثر بشيء فإنما يتأثر بالبحر الأبيض المتوسط، وإن تبادل المنافع على اختلافها فإنما يتبادلها مع شعوب البحر الأبيض المتوسط".[(٢)]

ويصرّح في موضع آخر بيونانية مصر في قوله: "وأصبحت مصر دولة يونانية أو كاليونانية، وأصبحت الإسكندرية عاصمة من عواصم اليونان الكبرى في الأرض، ومصدراً من مصادر الثقافة اليونانية للعالم القديم، بل أعظم مصدر لهذه الثقافة في ذلك الوقت".[(٣)]

وقوله: "إذا صح أن المسيحية لم تمسخ العقل الأوروبي، ولم تخرجه عن يونانيته الموروثة، ولم تجرّده من خصائصه التي جاءته من إقليم البحر الأبيض المتوسط، فيجب أن يصح أن الإسلام لم يغير العقل المصري، أو لم يغير عقل الشعوب التي اعتنقته والتي كانت متأثرة بهذا البحر الأبيض المتوسط، بل يجب أن نذهب إلى أبعد من هذا فنقول

---

(١) طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام، أنور الجندي، ص١٦.

(٢) مستقبل الثقافة في مصر، ص٢١.

(٣) نفسه، ص٢٩.

مطمئنين: إن انتشار الإسلام في الشرق البعيد، وفي الشرق الأقصى، قد مدّ سلطان العقل اليوناني وبسطه على بلاد لم يكن قد زارها إلا لماماً، ولم يستطع أن يستقر فيها استقراراً متصلاً إلا بعد أن استقر فيها الإسلام". [1]

هذا مجمل ما تأثر به طه حسين من صديقه ورفيق دربه (لطفي السيّد) الذي كان دائم الدفاع عنه في كثير من المواقف، كما رفع من شأن طه حسين في الجامعة وأعطاه الحرية المطلقة في كل ما يكتب غير محاسب له؛ من منطلق حرية الرأي التي تبيح لهم النيل من كل شئ حتى من المقدسات.....!!

(١) المرجع السابق، ص٣٢.

ب. أثر عبد العزيز جاويش[1] على طه حسين:

توثقت الصلة بين طه حسين وعبدالعزيز جاويش "إذ كان الفتى يختلف إليه كما كان يختلف إلى مكتب لطفي السيّد، وكان يرجو رضاء هذا كما كان يرجو رضاء ذاك، فجاويش لسان الحزب الوطني، ولطفي السيّد فيلسوف حزب الأمة، وجاويش مدير (اللواء)، جريدة حزبه، ولطفي السيّد مدير (الجريدة) لسان حزبه، والانصهار بخبرة الرجلين أجدى على طه حسين من الانطواء في كنف أحدهما، فمدير الجريدة قريب من عقله، وملجأ لتحقيق آماله، إذ كان يغريه بالكتابة، ويحثه عليها حثاً، ويعلمه القصد في اللفظ والأناة في التفكير، ومدير (اللواء) قريب من طبيعته، معين على تفجير ثورة أعماقه، إذ كان يحبب العنف إليه، ويرغبه فيه، ويزين في قلبه الجهر بخصومة الشيوخ،

---

(1) عبدالعزيز بن خليل جاويش، خطيب، من الكتّاب، له علم بالأدب والتفسير، من رجال الحركة الوطنية بمصر، تونسي الأصل، ولد بالإسكندرية وتعلم بالأزهر ودار العلوم.

اختير استاذاً للأدب العربي في جامعة (كمبردج) وعاد إلى مصر، فاشتغل مدرساً فمفتشاً للغة العربية في مدارس الحكومة.

اتصل بمصطفي كامل، وتولى تحرير جريدة (اللواء) سنة ١٩٠٨ فحمل على الاحتلال والمحتلين وصنائعهم، والمنتمين إليهم، فسيق إلى المحاكمة مرات. وسجن ستة أشهر لمقال كتبه عن حادثة دنشواي، وثلاثة أشهر، لكلمة قدّم بها ديوان (وطنيتي) من نظم علي الغاياتي. ورحل إلى الآستانة، فأصدر جريدة (الهلال، فمجلة الهداية) ثم مجلة (العالم الإسلامي) وأرسلته الحكومة العثمانية في خلال الحرب العالمية الأولى إلى برلين، للدعاية.

ودخل مصر خلسة بعد الحرب، ثم أظهر نفسه، فعين مراقباً عاماً للتعليم الأوليّ. وشارك في إنشاء جمعية الشبان المسلمين، وتوفي بالقاهرة عام (١٣٤٧هـ - ١٩٢٩م).

له كتب، منها: (أثر القرآن الكريم في تحرير الفكر البشري) و(خواطر في التربية والسياسة) و(أبحاث عن المرأة المصرية والشؤون العامة) و(الإسلام دين الفطرة).

وكتب عنه أنور الجندي في كتابه: (عبدالعزيز جاويش من رواد التربية والصحافة والاجتماع".

والنعي عليهم في غير تحفظ ولا احتياط، وهذا جانب في تكوين شخصية طه حسين قد انغرست بذوره في سلوكه ووجدانه منذ أن سلك طريقه إلى الأزهر، واصطدم بشيوخه هناك، وترسبت آثاره في عقله وأشجانه، منذ أن ترك من أجلهم الأزهر، وسعى إلى الجامعة، وحطم في طريقه إليها العوائق والأشواك..." [(١)]

"وتحقق له هذا كله حين فتح له جاويش الباب للكتابة، ومدّ له سطوته ومكانته بالرعاية، وفي هذا كله يقول طه حسين عن أثر الرجلين ومنهجهما في تكوينه: "...وكان صاحبنا موزعاً بين مذهبين من مذاهب الكتابة في ذلك الوقت، أحدهما مذهب الاعتدال والقصد، ذلك الذي كان الأستاذ لطفي السيّد يدعوه إليه ويزينه في قلبه، والآخر مذهب الغلو والإسراف، ذلك الذي كان الشيخ عبدالعزيز جاويش يغريه به، ويحرضه عليه تحريضاً، وكان الفتى يستجيب للمذهبين جميعاً، فإذا اقتصد في النقد نشر في الجريدة، وإذا غلا نشر في صحف الحزب الوطني"[(٢)].

هذا إلى جانب أن للشيخ عبدالعزيز جاويش فضلاً آخرعليه "فهو الذي عرّف الفتى إلى جماهير الناس، ودفعه بين أيديهم ذات صباح منشداً للشعر كما كان يفعل الشعراء المعروفون... ثم لم يقف الشيخ عبدالعزيز بالفتى عند هذا الحد، ولكنه علمه الكتابة في المجلات، فقد أنشأ مجلة الهداية، وطلب إلى الفتى أن يشارك في تحريرها، ثم ترك له الإشراف على هذا التحرير، وكان له الفضل كل الفضل فيما تعلم الفتى من إعداد الصحف وتنسيق ما ينشر فيها من فصول..." [(٣)]

"من أجل هذا كله كانت أوائل القصائد السياسية لطه حسين هي قصيدته "ثناء وهناء"، التي يهنئ فيها عبدالعزيز جاويش بمناسبة خروجه من السجن، بعد كتابته

---

(١) طه حسين بصيراً، د/ محمد صادق الكاشف، ص١٢٥، طبعة المدني، الأولى، ١٤٠٧ - ١٩٨٧، نقلاً عن: عبدالعزيز جاويش، أنور الجندي، سلسلة أعلام العرب (٤٤)، ص١٧٩.

(٢) الأيام، طه حسين، ص٣٩٨.

(٣) طه حسين بصيراً، د/ محمد صادق الكاشف، ص١٢٥، نقلا عن: عبدالعزيز جاويش، أنور الجندي، ص١٧٩.

للمقال التاريخي الذي كتبه في اللواء بعنوان (ذكرى دنشواي) - كما أسلفت - حيث ندد فيه بالاحتلال وأعوانه، ووجّه فيه التهم والملامة لبطرس غالي ناظر النظار إذ ذاك، وكان يوم الحادث رئيس المحكمة المخصصة التي علقت المشانق قبل النظر في القضية أو إصدار الأحكام، ووجّه كذلك التهم والملامة لفتحي زغلول وكيل وزارة الحقّانية إذ ذاك، وخليفة بطرس غالي في هذا المنصب، وكان عضواً بهذه المحكمة، ومن فقرات هذا المقال قوله:".... سلام على تلك الأرواح التي انتزعها بطرس باشا غالي - رئيس المحكمة المخصصة القضائية - من مكامنها في أجسامهم، كما تنتزع سلوك الحرير من خلال الشوك، قبضها بيده، فقدّمها قرباناً إلى ذلك الجبار الظالم الغاصب القاهر، القائم في بلادنا؛ بنفاقنا و ضَعة مقاصدنا، المستبد بالأمر فينا؛ بسبب تفرقنا وضعف عزائمنا، المسيطر علينا بنفر منا يخشون الإنجليز أكثر مما يخشون الله، ويرغبون في المال والرقي ولو شقيت في سبيل ذلك بلادهم واستبيحت حرماتهم... سلام على أولئك الذين وقف (هلباوي بك)، فثار فيهم ثوران الجبارين، ثم انثنى على رقابهم فقصمها، وعلى أجسامهم فمزّقها، وعلى دمائهم فأرسلها تجري في الأرض تلعن الظالمين، وتتوعّد الآثمين".... إلخ ذلك المقال. (١)

وقد قال طه حسين مادحاً جاويش:

"الآن حقّ لك الثناء فلتحي، وليحي اللواء

ولتحي مصر وأهلها شاء العِدا أو لم يشاؤوا

ثم يختم قصيدته بقوله مخاطباً جاويش:

"لك من بنى مصر جميعهمو التجلّة والثناء

فاسلم لمصر وأهلها إنا لنجدتك الفِداء..." (٢)

ولكن بالرغم من عمق هذه العلاقة بين طه حسين وجاويش، ونظراً لطبيعة طه

---

(١) نفسه، ص١٢٦.

(٢) المرجع السابق، ص١٢٧ وما بعدها.

حسين المزاجية، السريعة التقلّب، والتحول[1] - وخاصة بعد عودته من فرنسا حيث تنكّر لكثير من أصدقائه وأساتذته - فقد طرأ على علاقتهما ما أضعفها حيث إن هذه العلاقة القوية لم تخل من خلاف على طول الخط، ودليل ذلك ما دار بينهما من حوار حول موضوع (السفور والحجاب)؛ لأن طه حسين "كان يدافع عن سفور المرأة وتحريرها من الحجاب، وهي فكرة عصرية، أخذها من تفتحه على الثقافة الغربية والحضارة الغربية، وكتب سنة ١٣١١هـ سلسلة من المقالات يدعو فيها إلى هذا الرأي، وهو يلخص مقالاته في هذه الكلمات فيقول: "لافرق بين المرأة والرجل في الحرية، وكلاهما مأمور بمكارم الأخلاق منهي عن مساوئها، محظور عليه أن يتعرض لمظان الشبه، فالمرأة لا تخلو بالأجنبي ولا تسافر وحدها، ولا تتبرج تبرج الجاهلية الأولى.

ولها بعد ذلك أن تفعل ما تشاء من غير إثم ولا لغو. لها أن تطرح النقاب وترفع الحجاب، وتتمتع بلذات الحياة كما يتمتع الرجل. وليس عليها إلا أن تقوم بما أخذت به من الواجب لنفسها وزوجها والنوع الإنساني كافة"[2].

وقد ردّ على هذا الرأي الشيخ عبدالعزيز جاويش بقوله: "إن رأي الأستاذ طه حسين يعتمد على أصلين أوليين:

الأول: ظنه أن الحجاب إنما اصطنع ليكون عقوبة على المرأة.

الثاني: قوله إن المرأة والرجل إذا نشأ على قواعد الدين وأصوله وهذبت أخلاقهما أمنا عادية الشر ولم نحتج إلى حجاب ونقاب.

أما الأصل الأول فنحن نخالف الأستاذ فيه، نقول: إن الحجاب لم يتخذ عقوبة للمرأة ولا حجراً عليها، وإنما اتخذ تكريماً لقدرها وتعظيماً لأمرها، ودفعاً للأذاة عنها، فإننا لا نخاف المرأة على نفسها فقط، بل نخافها ونخاف معها الشبان وما يتصفون به من

---

(١) من أمثلة ذلك موقفه من المنفلوطي والشيخ محمد عبده - رحمهما الله تعالى - حيث تحول موقفه حولهما من الإعجاب إلى النقد الهدّام.

(٢) طه حسين الشاعر الكاتب، محمد سيد كيلاني، ص١٣٩.

سوء الخلال وكواذب الأخلاق.

وأما الأصل الثاني فنحن نوافق الكاتب عليه. نقول إن تهذيب الأخلاق وتربية النفوس على أصول الدين يغنيان أكثر من غناء الحجاب والنقاب؛ لكن أين السبيل إلى ذلك؟

تلك هي المسألة التي لا يستطيع أحد أن يجيب عليها إلا بالقول، حتى إذا آن له أوان العمل وحان حينه وقف منه موقف الحائر، لا يدري أيقدم أم يحجم، ولا يعرف إلى أين يذهب ولا من أين يجئ"[1].

والنص السابق يبدو فيه أن العلاقة بينهما لم تبق على ما هي عليه من صفاء تام؛ نظراً لمزاج طه حسين المتقلب، إضافة إلى مخالفة عبدالعزيز جاويش له في بعض آرائه المخالفة.

---

(١) مجلة الهلال (عدد خاص، طه حسين)، العدد الثاني: أول فبراير ١٩٦٦م.

المبحث السادس: تأثره بشخصية وفكر الشاعر (أبي العلاء المعري) (٩٧٣-١٠٥٧م)

◈ التعريف به:

هو أحمد بن عبدالله بن سليمان محمد التنوخي، ونسبته إلى قرية معرّة النعمان بالقرب من حلب الشام، حيث ولد لأسرة تعمل بالقضاء، وأصيب بالجدري في الرابعة من عمره أفقده عينه اليسرى وأضعف اليمنى إلى أن عميت تماماً بعد عامين.

تعلّم على شيوخ حلب، وارتاد مكتبة أنطاكية يقرؤون عليه تعاليم اليونان والمسيحيين. ودخل الدير في اللاذقية، ثم ارتحل إلى طرابلس يدرس على رهبانها، ثم إلى بغداد، ثم لم يلبث أن عاد إلى المعرّة بعد وفاة أمه ليعتزل الناس مدة خمس وأربعين سنة، رهين المحبسين: الدار والعمى، كما قال عنه الناس، أو رهين المحابس الثلاثة: الدار والعمى والجسد الخبيث كما قال هو عن نفسه. وحرم نفسه من اللحم. وطابق بين فلسفته وحياته، وعاش حياة الزهد التي دعا إليها، ولم يشرب الخمر، واكتفى بالتين والدبس، ولبس الصوف بالصيف والشتاء. ولم يشعل ناراً في شتاء. ولم يتزوج.[(١)] توفي بمعرّة النعمان سنة ١٠٥٧م.

◈ عقيدتــه:

لاشك أن من يقرأ مؤلفات أبي العلاء المعري كاللزوميات، ورسالة الغفران وغيرها يجد نفسه أمام شخصية كثيرة التخبط والضلال والشطط، فهو لا يكاد يثبت على عقيدة ولا يستقر على رأي – عياذاً بالله تعالى – متنقلاً من رأي إلى آخر ومن قول إلى خلافه، ما ترك فرقه إلا جادلها، ولا ديناً إلا عارضه.

وإن كنت أوافقه على اعتراضه على كثير من الفرق الضالة كالباطنية والإمامية وغيرها من الفرق، إلا أنني أخالفه أشد المخالفة في اعتراضه على دين الإسلام وما فيه

---

(١) موسوعة الفلسفة والفلاسفة، د/ عبدالمنعم الحفني، ص١٣٣٠، بتصرف يسير.

من عقائد وأحكام، وكذلك أخالفه على سخريته القبيحة بالدين والرسل، عليهم الصلاة والسلام. هذا إذا صح ثبوت ما نسب إليه من هذه الأشعار حيث إن هناك بعض الدراسات التي قام بها بعض الباحثين تنفي أن تكون هذه الأشعار من نظم أبي العلاء، وترى أن هذا مما نسب إليه كذباً من قبل حساده. (1)

وقد أثارت عبقرية المعريّ حسد الحاسدين فمنهم من زعم أنه قرمطي، ومنهم من زعم أنه درزي، وآخرون قالوا: إنه ملحد، ورووا أشعاراً اصطنعوا بعضها وأساؤوا تأويل البعض الآخر، غير أن من الأدباء والعلماء من وقفوا على حقيقة عقيدته، وأثبتوا أن ماقيل من شعر يدل على إلحاده وطعنه في الديانات إنما دُسّ عليه وألحق بديوانه.

وممن وقف على صدق نيته وسلامة عقيدته الصاحب كمال الدين ابن العديم المتوفى سنة ٦٦٠هـ أحد أعلام عصره، فقد ألّف كتاباً أسماه العدل والتحري في دفع الظلم والتجري عن أبي العلاء المعري، وفيه يقول عن حساد أبي العلاء:

"فمنهم من وضع على لسانه أقوال الملاحدة، ومنهم من حمل كلامه على غير المعنى الذي قصده، فجعلوا محاسنه عيوباً، وحسناته ذنوباً، وعقله حمقاً، وزهده فسقاً، وشقوه بأليم السهام وأخرجوه عن الدين والإسلام، وحرفوا كلامه عن مواضعه وأوقعوه في غير مواقعه"(2).

وبصرف النظر عن صحة أو عدم صحة المنسوب إليه فإن الناظر في هذا الشعر الذي احتوت عليه اللزوميات ورسالة الغفران وغيرها وجد الكثير من الأمثلة الدالة على ضلاله وتخبطه؛ فتارة ينكر النبوات ويجحد صحتها كقوله:

---

(1) تعرضت الدكتورة (بنت الشاطئ) لهذا الموضوع في كتاباتها ومؤلفاتها عن شيخ المعرة، وخاصة في كتابها (أبو العلاء المعرّي)، العدد ٣٨- من أعلام العرب - إذ تناولت فيه قضية الأشعار المكذوبة على أبي العلاء واستشهدت بحديث المعرّي عن الأحرار -النسكة - حساده الذين كذبوا عليه....) كذلك ذكر الأستاذ محمد عبدالغني مقالاً =بعنوان (الشعر المكذوب على أبي العلاء) واستشهد بنفس ما استشهدت به الدكتورة بنت الشاطئ،ينظر مجلة الهلال، العدد الرابع سنة ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

(2) يراجع الموقع الإلكتروني: www.all-٣rab.com/vb/showthread.php?t=١٨٤٤.

ولا تحسب مقال الرسل حقاً ولكن قول زور سطروه
وكان الناس في عيش رغيد فجاءوا بالمحال فكدروه

كما أنكر شئ من أحكام الشريعة كقوله في إنكار الدية وقطع يد السارق:

يد بخمس مئين عسجد وديت ما بالها قطعت في ربع دينار
تناقض مالنا إلا السكوت له وأن نعوذ بمولانا من النار

إلى غير ذلك من الامثلة الكثيرة التي تدل على مدى ضلال هذه الشخصية إن صح ثبوت ذلك عنه – كما اسلفت –.

❖ **أثره على طه حسين:**

ذكر طه حسين في كتابه (ذكرى أبي العلاء المعرّي) أن "من أظهر آراء أبي العلاء في الفلسفة الإلهية الجبر، فإن حياته المادية وشعره في اللزوميات ينطقان به، ويدلان عليه، لا يحتملان شكاً به ولا تأويلاً، إنه قد نص في مقدمة اللزوميات على أنه لم يؤلف هذا الكتاب مختاراً، وإنما ألفهّ بقضاء لا يعرف كنهه. وقد ذكر الجبر في اللزوميات أكثر من مائتي مرة؛ يثبته ويناضل عنه، ويبسط سلطانه على الحياة العملية للأفراد والجماعات؛ فمن قوله في الجبر:

المرء يقدم دنياه على خطر بالكره منه وينآها على سخط
يخيط إثماً إلى إثم فيلبسه كأن مفرقه بالشيب لم يخط

ثم يقول طه حسين معلقاً على بيتيه السابقين:

"فانظر كيف أثبت أن الإنسان يدخل هذه الدنيا كارهاً، ويخرج منها كارهاً، ولو خُيّر ما اختار".[1]

إلى أن يقول: "فقد أثبت الجبر في الدخول إلى الحياة والخروج منها، وسأل عنه فيما

(١) ذكرى أبي العلاء، ص٢٨٦.

بين هذين سؤال المستيقن به، الباتّ لرأيه فيه. وقال:

حوتنا شرورٌ لا صلاح بمثلها ... فإن شذّ منا صالح فهو نادر

وما فسدت أخلاقنا باختيارنا ... ولكن بأمر سبّبته المقادر

و في الأصل غدرٌ والفروع توابعٌ ... وكيف وفاء النجل والأبُ غادر

إذا اعتلّت الأفعال جاءت عليلة ... حالاتها أسماؤها والمصادر

فقل لغراب الجون إن كان سامعاً ... أأنت على تغيير لونك قادر؟

ثم يقول معلقاً: "فلم يبق شك بعد هذه الأبيات في أن روح أبي العلاء في الفلسفة الإلهية جبري لا يعرف الاختيار، ولا يطمئن إليه"[(١)].

فطه حسين هنا يقرّر جبرية أبي العلاء ثم ينجرّ وراءه في إثبات الجبر فيقول: "الجبر قديم عند الفلاسفة وكثير من أهل الديانات، ومصدر الإيمان به شيئان: أحدهما أن الاختيار لا يتفق مع القول بأن هذا العالم مبني في حركاته الاجتماعية والفردية للإنسان وغير الإنسان على العلل والأسباب، وأن كل شيء في هذه الحياة إنما هو نتيجة لشيء كان قبله ومقدمة لشيء يجيء بعده.

فإذا صحّت هذه القضية وقد فرغت الفلسفة من إثباتها منذ أمد بعيد، لم يكن للاختيار موضع في هذا العالم؛ ذلك أن هذا الاختيار إما أن يكون متصلاً بما قبله وما بعده اتصال العلة بمعلولها، والنتيجة بمقدمتها أو لا، فإن تكن الأولى فهو الجبر؛ إذ لا يمكن أن يتخلّف المعلول عن علته، ولا أن تحول النتيجة عن مقدمتها، وإذن فادعاء الاختيار ليس إلا غروراً. وإن تكن الثانية فقد بطلت القضية التي قدمناها وأصبح العالم ملعباً تختلف فيه المصادفات، وهو ما لا شك في بطلانه. إذن فليس من الجبر محيد، ولا عن الاضطرار من حل.

المصدر الثاني من مصادر الجبر الإيمان بشمول القدرة والعلم الإلهيين، فإن شمول القدرة يقتضي ألا يكون في هذا العالم شيء إلا إذا تعلقت به قدرة الله، فإذا فعل الإنسان

(١) المرجع السابق، ص٢٨٦ وما بعدها.

شيئاً فإما أن يكون مختاراً فيه، أو غير مختار، فإن يكن مختاراً فهذا الفعل واجب، وإن لم تتعلق به قدرة الله، وهو باطل؛ لأنه يهدم أصل القدرة. وإن يكن غير مختار فهو الجبر الذي لا شك فيه. إذن فالدين والفلسفة يتظاهران على إثبات الجبر وإقامة الأدلة عليه. فإذا بحثنا عن الحياة العملية، ولاسيما بالقياس إلى أبي العلاء، عرفنا أنها تنتج الجبر أيضاً، فإن الرجل يلقى في هذه الحياة ألواناً من الخير والشر ليس له في اكتسابها يد. وإنما ساقها إليه أحوال لا يملكها. ومن هنا لهج العامة بالركون إلى الله، والاعتماد عليه، وهم لا يفهمون من هذا اللفظ ما يفهم الفقيه في الدين، إنما يريدون أن هذه الحياة مسيرة ليس لعمل الناس فيها تأثير. فالمرء لاقٍ فيها حظه، سواء أعمل أم لم يعمل. وفي الحق أنا لو حلَّلنا قوى الإنسان النفسية لم نجد عن الجبر مندوحة. فإن هذه القوة متأثرة في نفسها بأشياء لا يملكها الفرد، ولا الجماعة. فالرجل لم يوجد نفسه، وإنما أوجده غيره، وهو لم يكوّن قواه، وإنما كوّنت له. وللزمان والإقليم فيها تأثير عظيم، وللبيئة والحوادث الطارئة تصرفها كما تريد، وتصوغها كما تشتهي. فمن أين يأتي للإنسان حظه من الاختيار، إلا أن الاختيار وهم قد ملك الناس منذ كانوا، وهم على الخضوع له مجبورون"[1].

ثم يؤكد عقيدته الجبرية حين قال معلقاً على بيت لأبي العلاء:

لا تمدحنّ ولا تذمنّ أمرأً فينا فغير مقصِّر كمقصِّر

قال: فهذا كلام يدل على أن أبا العلاء حين رأى الجبر لم يفرّق بين الإنسان وبين غيره مما اشتمل عليه هذا العالم، ولكنه لو بسط سلطان الجبر قليلاً لعرف أن ما ينال الانسان من مدح أو ذم، ومن إحسان أو إساءة، ليس في الحقيقة أمراً اختيارياً، وانما هو أمر جبري. فكما أُجبر الإنسان على أن يحسن ويسيء، أُجبر على أن يحمد الحسن ويذم القبيح، بل على أن يتصور هذا حسناً وهذا قبيحا. وإذا كنا قد قررنا أن المرء مجبر على أن ينتحل لنفسه الاختيار، كان من الواضح أنه مجبر على أن يضيف إلى نفسه آثار هذا

---

(١) المرجع السابق، ص٢٨٨ وما بعدها.

الاختيار المنتحل، فإذا بسطنا سلطان الجبر إلى هذا الحد - وهو كذلك في نفس الأمر - لم يُتهم جبري بمخالفة دين ولا بالخروج على شريعة"[1].

مما سبق اتضح أن طه حسين يميل إلى الجبر في عقيدته - كما يظهر ذلك في أقواله - ولا أدري هل كان هذا أثراً من آثار أبي العلاء عليه، أم أنه كان جبرياً قبل ذلك؟! لكن على كل حال فإن ثمة أثراً آخر من آثار أبي العلاء على طه حسين يظهر في شعره في الأبيات الآتية:

هات من هذه الأحاديث هات ... لست في غفلةٍ ولا في سبات
كيف أغترُّ بالمنى وبنات الدهـ ... ـر حربٌ عليّ محتشدات؟
لا أرى في الحياة إلا عدواً ... لي يبغي لديّ سلب الحياة
فأرى صحتى سبيل اعتلالي ... وأرى لذتي طريق أذاتي
لا أحبُّ الرَّدى ولا أتّقيه ... فضلال حبِّي له وتقاتي
لو تبيَّنتُ علم ما أنا لاقٍ ... في ذا القبر ماكرهت وفاتي
أو عرفنا إلى الخلود سبيلاً ... لم تطب نفس خالد بالمماتِ
كم سخرنا بحادثات الليالي ... وأراهنَّ بالملا سخراتِ
جرت النيِّراتُ بالسعد والنحـ ... ـس فما سرُّ هذه النيِّراتِ؟
أفناء بعد الردى فهدوء ... أم حياة الهموم والحسرات
حبذا موقع الخيال لدى النّا ... س مريحاً من هذه الشبهات
كذب المحسنون بالموت ظناً ... خُدعوا بالمنى وبالترّهات
ما أحقَّ امرئٍ تولَّى من الدنـ ... ـيا بسكب الدموع والعبرات!
كم نريق الدموع لو أن في ذا ... لك صدَّ الردى وردَّ الحياة

---

(١) المرجع السابق، ص٢٩٠.

فهو في هذه القصيدة "يلجأ إلى التزيّي بأزياء الفلاسفة في التفكير، والتجلبب بجلباب الحكماء في التأويل والتفسير، فإذا به يجعل أكثر من نصف أبيات قصيدته فلسفة في الحياة ومابعد الحياة، ذاهباً في ذلك مذهب المتشائمين، مضطرباً في أمر حياة القبر اضطراب الحيارى الوجلين، ثم يختم هذا ببيتي تخلّص، يخرج بهما من هذه المقدمة إلى موضوع القصيدة، فيقرر أحقية من يتولى من الدنيا بسكب الدموع، وإن كان سكب الدموع لا يصد الردى، أو يردّ الحياة"[(١)].

هذا ماظهر لنا من تأثر طه حسين بأبي العلاء إلا أني أكاد أجزم أن هناك أثراً أعظم من هذا؛ نظراً لمحبة طه حسين لأبي العلاء التي لا تخفى على من أمعن النظر في هذه الرسالة، ناهيك عن اشتراكهما في عاهة فقد البصر، حيث كان أكثر شعوراً به وإحساساً بآلامه، ونص طه حسين الذي يصف فيه مرارة فقد البصر - السالف ذكره[(٢)] - دليل على ذلك.

---

(١) طه حسين بصيراً، د/ محمد صادق الكاشف، ص١٢١ ومابعدها.

(٢) راجع ص٦٣ من هذه الدراسة.

المبحث السابع: سفره إلى فرنسا للدراسة

قررت الجامعة المصرية إيفاد طه حسين في بعثة إلى فرنسا، "فالتحق هناك بجامعة مونبلييه عام ١٩١٣م ودرس علم النفس، والأدب الفرنسي، والتاريخ الحديث، غير أنه عاد إلى مصر في السنة التالية نظراً لظروف مالية كان تعاني منها الجامعة المصرية، وما كادت الأزمة المالية تنفرج ثانية حتى عاد من جديد إلى فرنسا عام ١٩١٥م والتحق هناك بكلية الآداب بجامعة باريس، فدرس فيها التاريخ الحديث على سينويوس، وعلم الاجتماع على دور كايم، وحضّر تحت إشرافه رسالته عن "فلسفة ابن خلدون" وقد تولى الإشراف بعد دور كايم سلستيان بوجليه، كما حضر دروساً لتفسير القرآن الكريم لكازنوافا، وفي هذه الفترة بدأ دروس اللاتنية"[1].

ولا شك أن لهذه الرحلات والدراسات آثارها السلبية على فكره الذي طوّعه فيما بعد لخدمة الغرب وأغراضهم في المشرق الإسلامي؛ حيث يقول أنور الجندي "كانت «الكوليج دي فرانس» هي أخطر المؤسسات التي اتصل بها طه حسين في باريس، فهي المصنع الذي يُصنع فيه رجال الشرق في محاولة إعدادهم لخدمة الثقافة الغربية، وقد مرَّ بها كثيرون من العرب واستطاعوا النجاة من تبعيتها. وفي هذا مصداق ما أشار إليه أحد الباحثين حين قال: لقد كان للاعتبارات الروحية فضل كبير على (طه حسين) في الحصول على إجازته العلمية من أوروبا، ذلك لأن الأساتذة الذين يتقدم الرجل إليهم ليشهدهم على نجاحه كانوا يتمثلونه في أذهانهم رجلاً شرقياً مكفوف البصر منسوباً -بالحق أو بالباطل- إلى معهد إسلامي هو الأزهر، فلا يترددون في سلوك مسلك التسامح معه، والعادة المتبعة في الجامعات الأوربية تقضي على أساتذتها ألا يتعصبوا، ونحن نرى أن وجود طه حسين في الغرب أمر كان بالغ الأهمية، لقد ذهب أحمد حسن الزيات ومصطفى عبدالرازق وزكي مبارك ولكنهم لم يجدوا من العناية ما وجد هو، أما الزيات فقد كانت أمانته للأدب العربي ولأمته قوية وعميقة، وأما مصطفى عبدالرازق فقد كان لا يزال يحتفظ في باريس بعمامته بينما ألقى طه حسين عمامته في البحر الأبيض بعد قيام

(١) المرجع السابق، ص٣٨٨.

السفينة به في مشهد درامي مثير.

أما زكي مبارك فقد عارض منهجهم في رسالته وأصر على رأيه وتابعهم في القليل وخالفهم في أمر اللغة العربية. وأما طه حسين فقد استجاب لهم استجابة كاملة حتى قال (ماسينيون): إننا حين نقرأ طه حسين نقول هذه بضاعتنا ردت إلينا. وقامت هذه الرحلة من حياة الغرب على اصطناع الثقافة والجامعة وسيلة لتأكيد النفوذ الغربي في بلاد المسلمين عن طريق هؤلاء المبعوثين. إضافةً إلى ما قامت به وزارة الخارجية الفرنسية من تجنيد مجموعة من المستشرقين تعمل في ميدان الجامعات لهذا الغرض أمثال (ماسينيون) الذي كان يدعو إلى استبدال الحروف اللاتينية بحروف عربية، ودعا أيضاً إلى إعلاء شأن اللهجات العامية في البلاد العربية لتحطيم أواصر الفصحى لغة القرآن، فكانت من أقوى هذه المؤسسات هي المدرسة الاجتماعية الفرنسية التي كان يقودها دور كايم وليفي بريل اليهوديان، وكان هناك أيضاً محاولة لتلقين الشباب المسلم في مدرسة اللغات الشرقية تفسيراً للقرآن يُقدِّمه رجل فرنسي اللغة مسيحي الدين، ولكنه كان صهيوني الفكرة (كازانوفا). واجه طه حسين هذه المخططات، وأوغل في هذه التيارات،متقبلاً لها، محباً لها، فهو بطبيعته الطموحة إلى التبريز والشهرة وتأكيد الذات نتيجة عاهته، قد مضى شوطاً، ومع الآمال المعلقة، التي يُثيرها الجو العلمي حوله في الجامعة والجو الاجتماعي حوله في محيط الأسرة"[1].

ويستمر الجندي في قوله:

"نعم كان للرحلة إلى أوروبا أثرها البعيد والعميق - في التكوين الثقافي والاجتماعي لطه حسين حتى يمكن أن يقال: إنها خلقته خلقاً جديداً وأسلحته ولاء جديداً ظل مؤمناً به مدافعاً عنه إلى أن غرغرت الروح. بينما تغير كثير من أصدقائه وزملائه وتلاميذه(محمّد حسين هيكل، منصور فهمي، زكي مبارك، إلخ) ولكنه هو لم يتغير وظل ثابتاً على منهجه ومذهبه كأنما كانت هناك قوة تحرسه عن أن يعود إلى الأصالة كما عاد هؤلاء. ولقد أنتجت الرحلة إلى أوروبا آثاراً متعددة أهمها:

(١) طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام، ص٣٠.

أولا: الاتصال ببيئات الاستشراق وتبني مفاهيمها ومعطياتها، وقد بلغ الدكتور طه في هذا الاتجاه مبلغاً جعل بعض الناس يظن أنه واحد من المستشرقين، وكان يقول: إنه يرث عقلاً يونانياً من أجداده القدامى، وكان يُشير دائماً بشيء من السخرية، ولكن بشئ من الرضا، إلى ما كان يُقال من أنه سفير فرنسا في مصر أو سفير الثقافة اللاتينية "اليونانية الوثنية والفرنسية العلمانية" في البلاد العربية.

ثانياً: الإعجاب بفرنسا والولاء لها، وهو إعجاب وولاء كان يصل به إلى أن يرجح كفتها على حقوق أمتنا، ويقف مع فرنسا مدافعاً بينما تضرب بقنابلها دمشق، ويهاجم المجاهدين في المغرب ويصفهم بالبداوة.

ثالثاً: التأثر الشديد بثقافة الثورة الفرنسية ومطامعها، بينما الثورة الفرنسية هي عمل اليهودية العالمية للسيطرة على المجتمع الأوروبي والفكر الغربي، ويبدو ذلك واضحاً في إعجابه بفولتير وديدرو وروسو وغيرهم.

رابعاً: اتساع الخصومة مع الفكر الإسلامي والأزهر، وذلك من طبيعة الأمور حيث لم يدع ميداناً للإسلام فيه رأي إلا قال فيه رأي الاستشراق وأثار شبهاته، ودفع الناس دفعاً إلى الدخول في بوتقة التغريب وقد بلغ ذلك أقصى مدى حين دعا إلى الأخذ بالحضارة الأوروبية خيرها وشرها، حلوها ومرها، ما يُحمد منها وما يُعاب.

خامساً: بعث الأدب الشعوبي والفكر الباطني والوثني والمجوسي القديم، وذلك من طبيعة الهدف الذي حمل لواءه، ومن شأن الأمانة التي حُمِّلها للتغريب والغزو الثقافي"[1].

---

(١) طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام، ص٣١ وما بعدها بتصرف يسير، ويتمثل ذلك في اهتمام طه حسين بكتاب (رسائل إخوان الصفا) حيث حاول إسباغ صورة من البطولة والكرامة على موضوعه وكاتبه مع أن هذا الكتاب – الذي ظهر في القرن الرابع الهجري بالبصرة – كان عبارة عن مقولات لجمعية سرية من الباطنية والمجوس والزنادقة الحاقدين على الاسلام واللغة العربية، ولهم صلتهم المريبة بالحركات السرية التي كانت تعمل على تقويض المجتمع الاسلامي، يقول أبو حيّان التوحيدي في كتابه (الإمتاع والمؤانسة): "إن هذه الرسائل مبثوثة في كل فن إلى إشباع ولا كفاية، ينكرون البعث في الأجساد =

وممّا يدل على شدة تعلّق طه حسين بالغرب وخاصةً فرنسا هذه السطور التي تُعبرّ وتصور إلى أي حد بلغت مشاعره تجاه هذا البلد؛ حيث يقول في يوميات كانت تُنشر له في مجلة السفور: "ليس لي ماض أنعم بذكره، ولا مستقبل ألهو بالتفكير فيه، ولكن لي حاضراً يهيج في قلبي ألواناً من الحزن، ويغري بنفسي فنوناً من الأسى، ذلك الحاضر هو هذه الساعة، أذكر في هذه الساعة ثلاثة أيام، يوم ولدت، ويوم سافرت إلى أوروبا، وهذا اليوم... في مثل هذا اليوم ولدت منذ ست وعشرين سنة، وفي مثل هذا اليوم سافرت إلى أوروبا منذ سنة واحدة، وأنا الليلة في القاهرة أرجو ألا يصبح عليَّ الغد إلا وقد رحلت إلى حيث لا يرجع ظاعن ولا يرجى لمرتحل إياب. لا تصبح أيها الليل على هذا الغد... تلك الأشهر التي أمضيتها في فرنسا هي التي جعلت ليوم ميلادي في نفسي قيمة ما، فقد رأيت قوماً ليس فيهم من لا يتخذ هذا اليوم لنفسه عيداً – لم يجب الله دعائي فقد أشرقت عليّ شمس يوم الأحد، ولو قد أشرقت عليّ هذه الشمس في غير هذا البلد لكنت حرياً أن ألقى من أنواع البشر وألوان الابتهاج مايسر هذه النفس الحزينة ويسلي عن هذا القلب الكئيب، ولكنها قد أشرقت علي في مصر فأقسم ما لقيت طول اليوم شيئاً يسرُّ، ولقد لقيت كثيراً ممّا يسوء... حيا الله وفاء فرنسا وبرها في هذين الشخصين يذكرانني من وراء البحر، فلولا أني قرأت كتابيهما آخر هذا اليوم لأشفقت على نفسي أن أقضى صريع الأسى... تركت فرنسا مستعبراً، واستقبلت مصر مستعبراً، وأقمت فيها هذه الأشهر آسفاً محزوناً، لا ينام لي ليل ولا يصفو لي نهار، ضجر بكل شيء، ضيق الحظيرة بكل نازلة،

ويفسرون الآخرة والجنة والنار، خلافاً لما تواتر عند المسلمين ويقولون: هي للنفوس الشهيرة الهائمة فيما دون فلك القمر مع إخوانه من النفوس التي جهلت ذواتها في الحياة الدنيا"، قال طه حسين عن رسائل إخوان الصفا أشبه شيء بدائرة معارف فلسفية جمعت كل ما لم يكن بد من تحصيله للرجل المثقف في هذا العصر. محاكمة فكر طه حسين، أنور الجندي، ص٣٥١، يقول الأستاذ أنور الجندي: وبالاختصار فهي مجموعة غريبة من الحكمة والديانة والشعوذة والكهانة والسياسة، تقوم على أساس الفلسفة اليونانية الطبيعية ونظرياتها وأوهامها وتنهار بانهيارها وليس لها أهمية كبيرة. ولولا الاضطراب الفكري الذي كان يسود العالم في القرنين الرابع والخامس لما نالت هذا الاهتمام.."، هموم الاستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية، أنور الجندي، ص١٢ وما بعدها.

متبرماً حتى بحديث الأصدقاء والأحباء... ما أكثر ما حزنت، وأنا الآن أتأهب للعودة إلى فرنسا، فما أكثر ما كنت خليقاً أن أجد من السرور والبشر ومن الغبطة والرضا، حين دنوت من أمل طالما رجوته وطمعت فيه، ولكن لا أكذب الناس ولا أخفي على الناس، لا أشعر بهذا السرور، كما كنت أنتظر أن أشعر به، إنما هو سرور يشوبه الخوف، ولذة يمازجها الألم، وبشر يخالطه الأسى... ومالي لا أحزن ولا أتألَّم وأنا عازم على رحلة لا أدري ماذا أستقبل فيها"[1] وهكذا ظهر من خلال هذه السطور إلى أي حد تغلغل حب هذا البلد (فرنسا) في قلب طه حسين ومن أحب شيئاً أكثر من ذكره.

---

(١) طه حسين كما يعرفه كتّاب عصره، دار الهلال، ص٥٩ وما بعدها، مطابع دار الهلال، ط: بدون، نقلاً عن: مجلة السفور، ١٤ نوفمبر عام ١٩١٥م.

المبحث الثامن:
زواجه من الفرنسية (سوزان)

لعبت زوجة طه حسين (سوزان) دوراً كبيراً في حياته، فهي شريكة حياةٍ دامت بينهما أكثر من خمسين عاماً، كانت فيها أقرب قريبٍ إلى زوجها ومصاحبته في شتى رحلاته وزياراته ومؤتمراته...

ويبدو هذا التأثر من الأيام الأولى التي تعرف فيها طه حسين على هذه المرأة حيث تحدث في مذكراته (الأيام) عن يوم الامتحان وقد رافقته زوجته الفرنسية حيث يقول: "ويقبل صاحبنا على الامتحان مشفقاً منه أعظم الإشفاق، مروعاً به أشد الروع، وإذا الأستاذ قد كتب على أوراق صغيرة أسئلة كثيرة وضعها أمامه. وجعل الطلاب كلما أقبل واحد منهم على الأستاذ يرقبونه ويرقبون ما يسعفه به الحظ ويقبل صاحبنا ترافقه زوجته، فإذا بها أخذت ورقة ودفعتها إلى الأستاذ فنظر فيها ثم ابتسم. ثم قال في صوت عذب: "لقد أسعدك الحظ بمرافقة هذه الآنسة: حدثني إذن عن الإمبراطورية العربية أيام بني أمية"[(١)] وأعفاه من أسئلة التاريخ الروماني واليوناني القاسية [(٢)].

ولعل طول هذه المدة وشدة القرب بينهما أضفت على حياته الشكل الغربي، فالمطّلع على مذكرات سوزان (معك) يظن أنه أمام أسرة أجنبية لا تمت إلى الإسلام أو العروبة بصلة في حين أن زوجها عربي تربى في بيئة مسلمة عربية. إن هذا ليذكرنا بتلك المقالة التي كتبها (حسن البنا) ~ كرسالة إلى طه حسين في مجلة المعارف في فصل تحت عنوان "إذا كان هذا صحيحاً يا دكتور فقد اتفقنا" وذكر فيها "وأنشدك الحق يا دكتور أفتحيا أنت في حياتك اليومية على نمط إسلامي وتطبع أسرتك كرب بيت بهذا الطابع؟ ودع البيت وما فيه، أتقوم أنت في حياتك الشخصية بواجبات الرجل المسلم فضلاً عن الداعية الذي يتمنى أن يقيض الله للإسلام من يدافع عنه؟

---

(١) الأيام، ص٦١٦.

(٢) طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام، ص٣١.

لا أحرجك بهذا السؤال الأخير ولا أطالبك بجوابه، فأنتم معشر الدعاة العصريين تفرقون بين الحياة الشخصية والحياة العامة كأن واجبات الفضيلة وتعاليم الإسلام لا تتناولها جميعاً وكأن الحياة العامة للفرد ليست مرتبطة بحياته الخاصة كل الارتباط"[1].

والعرب تقول (الصاحب ساحب) والإنسان إما أن يكون مؤثراً أو متأثراً، فإذا لم يؤثر فيمن حوله فلا شك أنه سيتأثر بهم لا محالة.

ولو تتبعنا حياة طه حسين مع زوجته لوجدنا التأثر الكبير يبدو واضحاً فالزوج قد تأثر ببيئة زوجته ونمطها الغربي، وفي المقابل لم يبدُ أي تأثرٍ من قبل الزوجة بزوجها أو ببيئته العربية المسلمة.

أليس غريباً أن يعيشا معاً كل هذه المدة مع شدة القرب والألفة بينهما ثم لا يدعوها إلى الإسلام، ولا يحببها في اعتناقه، بل إنها في مذكراتها التي تربو على الثلاثمائة صفحة لا نراها تذكر الإسلام أو ما يتعلق به إلا ذكراً يسيراً نادراً في حين أنها تذكر ديانتها المسيحية والكنائس التي زارتها وأدّت الصلاة فيها كثيراً جداً وبرفقة زوجها وولديها!

إضافة إلى ما تقوم به من مرافقة زوجها في كل المؤتمرات والندوات التي يحضرها في مصر وخارجها والتي غالب من يحضرها من الرجال؛ مما يدل دلالة واضحة على أن زوجها لم يكن له أي دور في توجيهها أو التأثير عليها في تغيير بعض عاداتها وسلوكياتها التي لا تتوافق مع مبادئ الإسلام[2].

ويصف الدكتور البهبيتي البيت الذي عاش فيه طه حسين بقوله: "وقد قضى طه حسين عمره الطويل في هذا القالب الحديدى: بين امرأة نصرانية، وسكرتير مسيحي لا يغيب طه حسين عن عينه، وولدين هما (كلود) و(مرجريت) لا يناديهما الأب أو الأم أو السكرتير أو الخادم إلا بهذين الاسمين. وأشهد ما سمعت شخصاً ينادى باسم إسلامي

---

(١) المرجع السابق، ص٧٥.

(٢) يراجع: تربية المرأة بين المودودي وطه حسين، منيرة القاسم، ص١٤٥.

في هذا البيت إلا طه حسين ومحمد الخادم الأسود!" [1].

ومما يدل على مدى تمسكها بديانتها ومبادئها وعاداتها قولها: "و إذ أذكر اليوم هذا الصباح، أذكر هذا التوافق الخفي الذي وحدّنا دوماً في احترام كل منا لدين الآخر، لقد دهش البعض من ذلك، في حين فهم البعض الآخر إذ رأى أن بوسعي أن أردد صلاتي على حين تستمع إلى القرآن في الغرفة المجاورة، ويصدفني اليوم أن افتح المذياع لأستمع إلى آيات من القرآن عندما أبدأ تسبيحي، بل إني لأسمعه على كل حال في أعماق نفسي، كنت غالباً ما تحدثني عن القرآن، وتردد البسملة التي كنت تحبها بوجه خاص، وكنت أقرأ التوراة وكنت أتحدث عن يسوع،كنت تردد في كثير من الأحيان أننا لا نكذب على الله، لقد قالها أيضاً القديس بولس، لا شك أننا لا نكذب على الله وويل للمكذبين"[2].

ومما يدل على شدة تعلق طه حسين بزوجته حيث اعتبرها ملهمته التي تمنحه كل شئ بلا استثناء حيث يقول: "أوحي لي يا ملهمتي! فأنت تمنحيني كل شيء، "كل شيء" هل تسمعين؟ كل شئ بدون استثناء!!

لقد رحلت فلحق بك ذكائي، كل قلبي، كل نفسي، كل شئ في هذه الرسالة"[3]

ويقول في موضع آخر: "وهكذا يا حبي عندما رجعت إلى البيت ذهبت مباشرة إلى الصورة، وركعت أمامها وقصصت عليها الأمر بصوت عال يا سوزان وبالتفصيل"[4]...

إن كل ما سبق ليدل دلالة واضحة على تأثر طه حسين بزوجته وشدة تعلقه بها حتى أصبحت ملهمته التي تهبه كل شئ بدون استثناء، بل الأشد من ذلك مرارة أن يصل الزوج في غياب زوجته وعند غلبة الشوق إليها أن يتلمس صورتها ثم يركع لها!

فماذا بقي من إيمان المسلم إذا كان يعتقد أنه يستمد كل شيء من غير الله ﷻ؟!

---

(١) طه حسين الجريمة والإدانة، جابر رزق، ص١٠٣، ط: دار الاعتصام، بدون، بتصرف.

(٢) معك، سوزان طه حسين، ص٢٨.

(٣) نفسه، ص٣٩.

(٤) المرجع السابق، ص٣٨.

بل ماذا بقي من إيمان المسلم إذا خر راكعاً لغير الله؟!

ألا يدل هذا على عمق التأثر بزوجته الذي صاغ تفكيره فيما بعد فجعل من بلدها (فرنسا) قبلة لأفكاره يوجه إليها سائر فكره.

ويمكن إجمال ما احتوت عليه مذكرات زوجته من ممارسات مخالفة لمبادئ الإسلام كانا يقومان بها، سواء كانت عقدية أو شرعية على النحو الآتي:

- زيارة الكنائس وسماع الموسيقا برفقة زوجها وولديها تقول: "واستمعنا ذات مساء في رواق كنيسة سانتا كروتشه إلى السيمفونية[1] الرابعة لبراهمز بقيادة د.ميتروبولوس D.Mitropoulos هل يجب علي أن أقول: إن ذلك كان خارق الجمال؟"[2].

- رضا طه حسين بتقليده الصليب من قبل أحد الملوك، تقول في مذكراتها: "واستقبلنا الملك بول والملكة فريديريكا لتناول طعام الغداء، ولم يكن معنا سوى سفيرنا وضابط من القصر. وتحدثنا بطلاقة وبصورة عائلية تقريباً في القاعة الزرقاء المؤدية إلى غرفة الطعام وسألت الملكة طه: من هو موسيقاره المفضل، فأجاب: باخ، فصفقت الملكة بيديها قائلة: "كنت على ثقة من ذلك!" وببساطة متناهية، بل أكاد أقول بطيبة متناهية، إذ إنه كانت ثمة طيبة في سلوك هذا الإنسان، قلد الملك طه صليب العنقاء الأكبر"[3].

- الزيارات المتبادلة بينه وبين الرهبان المسيحيين، والصداقة الحميمة التي تربطهم به مثل الأب (قنواتي) والأب (جومييه)، تقول في كتابها: "ما أكثر المرات التي أضفى فيها الأب قنواتي وبصحبته الأب جومييه وغيره من الآباء الدومينيكان على هذه الغرفة

---

(١) هي مؤلف موسيقى يتكون من عدة حركات، ويكتب عادة من أجل الأوركسترا. وقد نشأ هذا النوع من التأليف الموسيقى في القرن الثامن عشر، ثم تطور علي أيدي بعض أعلام الموسيقى الكلاسيكية في القرون الثامن عشر والتاسع عشر، وأواسط القرن العشرين. يراجع: الموقع الإلكتروني: www.ar.wikipedia.org/wiki/.

(٢) معك، سوزان طه حسين، ص٢٠٠.

(٣) المرجع السابق، ص١٨٣.

الجديدة روحه المرحة وحديثه العميق، كان يعرف طه جيداً"[١].

- الزيارات المتبادلة بين عائلة طه حسين والكثير من العائلات الغربية وما يصحب ذلك من اختلاط بين الجنسين. تقول ما نصه: "كان طه في (نيس)[٢] يفتتح مشاركة مصر في الندوة التي أقامها مركز البحر المتوسط، كانت رحلة قصيرة مريحة وسريعة. فقد التقينا فيها وذكرى عزيزة هي ذكرى آل جلينشيف وهو نبيل روسي، وهي فرنسية كان جلينشيف يتكلم أربع عشرة لغة وكان عالماً مختصاً بالآثار المصرية. وكان غالبا ما يأتي إلى مصر عندما كان أرستقراطيا غنياً، كما قضى فيها كأستاذ وكمنفي معظم السنوات الأخيرة من حياته. كانا، هو وزوجته، لا يستقبلان الكثير من الناس، متمسكين بشيء من العزلة. بيد أن ودهما نحونا كان مخلصاً وقريباً. ويعرف ولداي ذلك جيداً، وهما اللذان لم يرياهما قادمين إلى بيتنا دون أن يحملا علباً ضخمة من الشوكولا والألعاب الجميلة"[٣].

- إعداده لحفلات عيد الميلاد سواء له أو لأحد أ فراد الأسرة والتي كان يحضرها بعض الضيوف أحياناً. حيث ذكرت زوجته في مذكراتها ما نصه: "وفي ١٤ نوفمبر وجه طه هدايا كنا أعددنا له بمناسبة عيد ميلاده، وقد أعدّت له أمينة التي كانت ربة بيت ممتازة حفلة غداء خاصة بمناسبة هذا العيد، وتلقى الأزهار والأمنيات"[٤]. وفي مناسبة أخرى تقول: "وفي التاسع والعشرين من أبريل في السنة التالية احتفلنا بميلاد (حسن) أول حفيد لنا. وكنا نحتفل عشية ذلك اليوم أيضاً بعيد ميلاد الملك"[٥].

- سماحه لأسرته باقتناء بعض الحيوانات المحرم اقتناؤها كالكلب، وسروره بذلك. تقول زوجته في مذكراتها: "في هذه الاجتماعات كان ثمة شخصية تدعي لها

---

(١) نفسه، ص٢٦٦.

(٢) مدينة فرنسية تقع في جنوب فرنسا، على ساحل البحر الأبيض المتوسط.

(٣) معك، سوزان طه حسين، ص١٧٢.

(٤) نفسه، ص١٤٩.

(٥) المرجع السابق، ص١٦٤.

حقوقا، وأعنى بها عنتر، كلب ابنتي الضخم، كان عندما يتوصل إلى دفع باب بقوة، يدخل مبعثراً كل شئ في طريقه. وكان دريتون يقول: "هو ذا الأسد" كان هذا الأسد يحب الكاهن لكنه كان يختص مع ذلك بحنانه العظيم طه... وكان كل صباح يصعد إلى غرفة طه، وبعد أن يبذل كل جهوده في تحيته والتعبير عن عاطفته، فإنه يقاسم طه فطوره بدقة رياضية: قطعة خبز لطه وقطعة أخرى له. فإذا أخذ طه قطعتين، فإن عنتر كان يتناول أيضاً قطعتين. ولم يكن يطلب زيادة على الإطلاق"[1].

إلى غير ذلك من الممارسات المنهي عنها شرعاً مثل حضور الحفلات المختلطة وسماع الموسيقى واللقاء ببعض النساء مثل الممثلات والمغنيات والأديبات أمثال سهير القلماوي إحدى تلميذات طه حسين في الآداب.

مما سبق ظهر لنا عظم أثر هذه الزوجة على زوجها في شتى ممارساتها وسلوكياتها حيث شكلت أهم مؤثر من المؤثرات التي صاغت تفكير هذا الأديب.

وهكذا تبيّن من خلال هذا الفصل أبرز المؤثرات التي أثرت على فكر طه حسين وأظهرته بالصورة التي سوف تتجلى لنا حين نعرض للباب الثاني من هذه الرسالة الذي شمل أبرز المخالفات العقدية والشرعية التي وقع فيها طه حسين، وخالف بها عقيدة ومنهج المسلمين.

(١) نفسه، ص١٢٨.

المبحث التاسع: علاقة طه حسين بالمستشرقين

۞ توطئـــــة:

التقى طه حسين بـالكثير مـن المستـشرقين داخـل مـصر وخارجهـا وارتـبط معهـم بعلاقات قوية وصلات وثيقة حيث رأوا فيه شخصاً محباً للـشهرة والتبريـز، متمـرداً عـلى نظم الأزهر ومشيخته، فما كان منهم إلا أن استغلوا هذه الفرصة أسوأ استغلال، فأخذوا يتقربون منه ويتوددون إليه حتى يستطيعوا أن يشكلوا فكره كما يشاؤون، ليكون فيما بعـد الحربـة المـسمومة التـي يغرزونهـا في جـسد الأمـة دون أن تجـد الأمـة – وللأسـف – مـن ينتزعها أو يحطمها لماذا؟ لأن طـه حـسين يعـرض مـا شـاء عرضـه مـن شـبهات في صـورة أبحاث علمية هدفها التجرد والموضـوعية – عـلى حـد زعمـه– ولـذلك تبنّـى أراء الكثـير منهم في مؤلفاته ومقالاته ومحاضراته، مصرحاً بنسبتها إلـيهم تـارةً، وناسـباً لهـا إلى نفسه تارةً أخرى. حتى مرَّر الكثير من شبههم وافتراءآتهم – على الإسـلام ونبيـه الكـريم ﷺ – على أفراد الشعب ورفع من شأن أولئك المستـشرقين، وأيّـدهم في كثـير مـن آرائهـم غثهـا وسمينها، ومن أبرز هؤلاء وأعظمهم أثراً على طه حسين:

❖ ١) أرنست رينان (١٨٢٣-١٨٩٢م) Ernest Renan:

◈ التعريف به مع ذكر أبرز أعماله:

مستشرق ومفكـر فرنـسي، علـماني، ولـد عـام ١٨٢٣م، وتـوفي عـام ١٨٩٢م. بعـد الدراسات التمهيدية دخل الكليـة الدينيـة الـصغرى ثـم العليـا في بـاريس. وأُعـد ليكـون قسيساً وكان أهله ومعلموه يرون فيه ما يؤهلـه للمركـز الـديني. وفي عـام ١٨٤٥م أعلـن رفضه لهذا النمط من الحياة، كما رفـض الانـضواء تحـت سـلك رجـال الـدين، وخـرج إلى الحياة العامة...واصل تعليمه وما يخص الدراسـات الفلـسفية ولاسـيّما اللغويـة القديمـة منها.وفي عام ١٨٤٨م حصل على شهادة عليا في الفلسفة وألّف كتاب (مستقبل العلـوم) وحصل على الدكتوراه وعين أستاذاً للغات السامية في الكـوليج دي فـرانس، وأرسـل في مهمة ثقافية إلى سورية ولبنان وزار فلسطين، وكتب (حياة يسوع) عـام ١٨٦٣م، وكتـب

أيضاً أيام طفولته وصباه في كتاب أسماه (ذكريات الطفولة والشباب) عام ١٨٨٣م[1].

ولقلة معرفته باللغة العربية، لم ينشر رينان أي نص عربي، لكن قلة بضاعته في اللغة العربية لم تقلّل من اهتمامه بالثقافة العربية، والموضوعات الإسلامية، بل حرص على متابعة ما يصدر من كتب ودراسات في هذا الميدان، وراح يكتب مرارا عن هذه الكتب في مقالات منها:

- مقامات الحريري سنة ١٨٥٣م.
- إسبانيا الإسلامية سنة ١٨٥٣م.
- ابن بطوطة ١٨٥٣م.
- مروج الذهب للمسعودي سنة ١٨٧٣م.

وكل هذه المقالات -الدراسات- تكشف عن اطلاع واسع على التراث العربي مترجماً إلى اللغات الأوربية الحديثة[2].

◈ موقفه من السيرة النبوية:

كتب رينان بحثاً في ميدان الدراسات الإسلامية بعنوان: (أسطورة محمد في الغرب) وفي أثناء عرض رينان محتويات البحث أبدى آراءه حول سيرة النبي ﷺ وشخصية الراهب بحيرا، والعناصر التي أثّرت في تكوين (أسطورة محمد) في أوروبا في العصور الوسطى وما تلاها[3].

ويظهر من استخدامه كلمة أسطورة عدم اعترافه بنبوة الرسول ﷺ وهذا ديدن معظم المستشرقين عدا القلة القليلة الذين شرح الله صدروهم للإسلام.

---

(١) طه حسين وأثر الثقافة الفرنسية في أدبه، ص٩٦، بتصرف يسير.

(٢) يراجع: موسوعة المستشرقين، ص٣١١ - ٣١٣.

(٣) المرجع السابق، ص٣١٤ - ٣٢٠.

❖ **التشابه الكبير بين رينان وطه حسين:**

قبل أن أذكر أثر هذا المفكر والمستشرق الفرنسي على طه حسين أود أن أبين أوجه الشبه بين هذين المفكرين، التي قد تكون ساهمت في تأثر طه حسين به واعتباره مثله الأعلى -كما صرّح بذلك الأستاذ أنور الجندي في كتابه(1).

يقول كمال قلته: " فمن الواضح أن هناك تشابهاً كبيراً بين نشأتهما، حيث ولد كلاهما في إقليم محافظ شديد التمسك بالدين، رينان في إقليم برتاني الفرنسي المحافظ، والذي يشبه الصعيد في الحفاظ على التقاليد، وطه حسين في عزبة الكيلو بمغاغة.

كلاهما نشأ في بيئة دينية، وأعّد الأول ليكون قسيساً، والثاني ليكون أزهرّياً.

كلاهما انتقد هذا الأسلوب من الحياة والتفكير، وأعلن رفضه لسلك رجال الدين. وفضّل الجامعة على الدير أو الأزهر.

كلاهما كتب عن نبيّه، فرينان رأى المسيح من وجهة نظر تختلف عن وجهة نظر الكنيسة، وقرأ الإنجيل والتاريخ قراءة لم تتعودها الكنيسة، وعالج القضايا القديمة معالجة لا تستسلم لأسلوب العلاج الذي تمارسه الكنسية. وطه حسين كتب عن (محمد) في (على هامش السيرة) ورأى الإسلام من وجهة نظر تختلف إلى حد ما عن وجهة نظر الأزهر، وقرأ القرآن والتاريخ قراءة لم يتعودها الأزهر، وعالج القضايا القديمة معالجة لا تستسلم للأسلوب الذي يفرضه الأزهر.

و كلاهما كتب عن حياته، وكتب هذه الذكريات في فترة من فترات آلامه وأحزانه، فكتب رينان سنة ١٨٨٣م بعد فترة من اليأس في أعقاب حرب سنة ١٨٧٠م في فرنسا، كما كتب طه حسين (الأيام) سنة ١٩٢٩م في أعقاب ثورة الأزهر على كتاب الشعر الجاهلي"(2).

---

(١) طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام، ص٤٣.

(٢) طه حسين وأثر الثقافة الفرنسية في أدبه، ص٩٦ وما بعدها، بتصرف.

- **أثره على طه حسين:**

"نادى كلٌ من رينان وطه حسين بنظرية الجبر التاريخي. فيرى رينان في المسيحية ظاهرة تاريخية، ولم ير في المسيح أي صفات إلهية كما يرى المسيحيون والكنيسة، كما لم ير في المسيحية أو في أي دين نوعاً من الأفعال الإلهية التي تفوق قدرة الإنسان وتتحدى سير الطبيعة، فالمسيح عنده شخص عادي، بل أحياناً يستنكر حتى الصفات البطولية التي يحاط بها، وعنده أن المسيح أوجدته الظروف والتاريخ كما ستوجد غيره من المصلحين أو الداعين إلى الإصلاح، وطه حسين يؤمن بالجبرية التاريخية إيماناً لا شك فيه ويعطي مصدرين لهذا الإيمان:

أولاً: الفلسفة التي أثبتت - كما يقول- أن كل شيء في هذه الحياة إنما هو نتيجة لشيء كان قبله ومقدمة لشيء يجئ بعده، علة ومعلول، وفق قانون محكم، يسيّر الحياة والكون والبشر.

ثانياً: الدين الذي يقول إن القدرة والعلم الإلهيين لا بد أن يشملا كل حركة من حركات هذا الوجود في الفرد كما في الجماعة، فهما اللذان سنّا قانون العلة والمعلول"[1] .

هذا أبرز ما تأثر به طه حسين من المستشرق رينان. فإلى غيره من المستشرقين.

---

(١) المرجع السابق، ص٩٩.

❖ ٢) برجستراسر (١٨٨٦-١٩٣٣م) BERGSTRASSER :

◈ التعريف به مع ذكر أبرز أعماله:

مستشرق ألماني، مسيحي، برز في نحو العبرية واللغات السامية بعامة، وعُني بدراسة اللهجات، وبقراءات القرآن. ولد في ٥ أبريل سنة ١٨٨٦م وتوفي في ١٦ أغسطس سنة ١٩٣٣م إثر سقوطه وهو يمارس رياضة تسلّق الجبال في جبال الألب جنوبي ألمانيا في إحدى قرى ألمانيا، تعلّم في ليبتسك الفلسفة وعلم اللغة (اليونانية، واللاتينية). وبعد تخرجه عيّن مدرساً في مدراس ثانوية في درسدن وليبتسك. ثم حصل على الدكتوراه عام ١٩١٢م وكان عنوان رسالته (حُنين بن إسحاق ومدرسته) وقد طبعت في ليدن عام ١٩١٣م. واستقدمته الجامعة المصرية في العامين الدراسيين ١٩٢٩-١٩٣٠م و١٩٣٠-١٩٣١م لإلقاء محاضرات في فقه اللغة، والنحو المقارن بين اللغات السامية. وانتهز فرصة وجوده في القاهرة ليسجّل مجموعة من الأسطوانات لمختلف القراءات القرآنية لعدد من مشاهير المقرئين في مصر آنذاك.

وقد اطلع على المخطوطات المتعلقة بعلم القراءات في دار الكتب المصرية. وكان من ثمرات هذا المجهود، نشرته لكتاب (طبقات القراء) لابن الجوزي في مجموعة المجلّد رقم (٨) كما كان له عناية باللغة العامية في مصر.

◈ نتاجه العلمي:

توزع نشاط برجستر اسر العلمي بين اللغات السامية وتاريخ العلوم عند العرب، وقراءات القرآن. فمن أبرز ما كتب في اللغات السامية كتابه (المدخل إلى اللغات السامية) كذلك رسالته المعنونة بـ (إسحاق بن حنين ومدرسته) ومن أبرز نتاجه العلمي ما كتبه حول قراءات القرآن الكريم.

وتبرز خطورة هذا المستشرق في المشروع الكبير الذي سعى إلى تحقيقه وهو (جهاز نقدي) لنص القرآن، وقد سعى لدى الأكاديمية البافارية لإنشاء مركز للقيام بهذا العمل، وقدم مخططاً لمشروع جهاز نقدي للقرآن الكريم، نشر من محاضر جلسات الأكاديمية البافارية في منشن سنة ١٩٣٠م.

وأتخذ معاوناً له في هذا المركز أوتو برتسل[1]، تلميذه، بيد أن وفاة برجستراسر، المفاجئة حالت بينه وبين إنجاز هذا المشروع ولم يكمله مساعده برتسل بعد وفاته. كذلك لم ينجز برجستراسر عمله الرئيسي الآخر في ميدان قراءات القرآن، وهو كتابة الجزء الثالث من (تاريخ القرآن). كما عني بتاريخ الفقه الإسلامي[2].

- **أثره على طه حسين:**

ذكرت سابقاً محاولة هذا المستشرق إعداده وإتمامه وهو مشروع (جهاز نقدي) لنص القرآن الكريم، وإن كان موت برجستراسر حال بينه وبين إتمام هذا المشروع، وكذلك ترك معاونه (أوتو برتسل) إتمام هذا المشروع بعد وفاة أستاذه. إلا أن طه حسين حاول إتمام هذا الأمر وهو نقد نصوص القرآن الكريم نقداً أدبياً، واعتبار أي نص من نصوصه مجرّد قطعة أدبية خاضعة للنقد كما يخضع أي نص أدبي لذلك.

يقول الأستاذ أنور الجندي: "قام طه حسين بتكليف بعض طلبته أن ينقدوا بعض آيات من القرآن الكريم يعيّنها لهم ويطلب منهم إثبات هذا النقد في كراسات يتلونها عليه، فكانوا يثبتون أن هذه الآية ليست من البلاغة، وأن تلك الآية على جانب من الركاكة، وأن الآية الأخرى مفككة لا تؤدي المعنى المقصود منها، ولقد غاب عن هذا الرجل أنه لا يصح التصدي لتفسير القرآن إلا لمن يتوافر فيه شروط أساسية أهمها:

- أن يكون ملّما بكل فروع اللغة العربية وآدابها.

- أن يكون واسع الإطلاع علياً بأسباب النزول والناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه، وبحديث رسول الله ﷺ وإسناده.

فهل تتوافر هذه الشروط في الطلبة كما تتوافر فيمن يتعرض لتفسير كتاب الله. فما

---

(١) مستشرق فرنسي، ولد في منشن (ميونخ) في عام ١٨٩٣م، درس معظم اللغات السامية، ارتبط اسمه بالدراسات الخاصة بقراءات القرآن، كما عُني بعلم الكلام في الإسلام، من مؤلفاته: (مذهب الذرة في مرحلته الأولى في الإسلام)، و(صفات الله عند المتكلمين الأوائل)، و(محمد بوصفه شخصية تاريخية)، مات أثناء سقوطه من طائرته عام ١٩٤١م. يراجع: موسوعة المستشرقين، ص٨٢.

(٢) يراجع: طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام، ص٥٧ وما بعدها.

بالك بمن يريد أن ينقده؟!"

ثم يتابع أنور الجندي قوله: وسأتلو عليكم بعض ما أثبته أحد طلبة الدكتور طه حسين في كراسته مما كان يلقيه عليهم فالتقطه الطلبة عنه وسجلوه في كراساتهم، وهذه إحدى المذكرات التي أخذت من المحاضرات التي ألقاها الدكتور طه حسين في كلية الآداب: "وصلنا في المحاضرة الماضية إلى موضوع اختلاف الأساليب في القرآن، وقررنا أنه ليس على نسق واحد. واليوم نوضح هذه الفكرة. لا شك أن الباحث الناقد والمفكر الحر الذي لا يفرّق في نقده بين القرآن وبين أي كتاب أدبي آخر، يلاحظ أن في القرآن أسلوبين متعارضين لا يربط الأول بالثاني صلة ولا علاقة؛ مما يدفعنا إلى الاعتقاد بأن هذا الكتاب قد خضع لظروف مختلفة وتأثر ببيئات متباينة، فمثلاً نرى القسم المكي منه يمتاز بكل ميزات الأوساط المنحطة كما نشاهد في القسم المدني واليثربي تلوح عليه أمارات الثقافة والاستنارة. فإذا دققّتم النظر وجدتم القسم المكي ينفرد بالعنف والقسوة والحدة والغضب والسباب والوعيد والتهديد، ويمتاز كذلك بقطع الفكرة واقتضاب المعاني، وقصر الآيات والخلّو التام من التشريع والقوانين، كما يكثر فيه القسم بالشمس والقمر والنجوم إلى آخرها ما هو جدير بالبيئات الجاهلية الساذجة التي تشبه بيئة مكة انحطاطاً. أما القسم المدني فهو هادئ ليّن وديع مسالم يقابل السوء بالحسنى، وينافس الخصومة بالحجة الهادئة والبرهان الساكن الرزين، كما أن هذا القسم ينفرد بالتشريعات الإسلامية كالمواريث والوصايا والزواج والطلاق والبيوع وسائر المعاملات. ولا شك أن هذا أثر واضح من آثار التوراة والبيئة اليهودية التي ثقّفت المهاجرين إلى يثرب ثقافة واضحة يشهد بها هذا التغيير الفجائي الذي ظهر على أسلوب القرآن"[1].

(١) طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام، أنور الجندي، ص١٥٨، لم يذكر طه حسين هذا النص ضمن كتبه المؤلفة، وذكره في إحدى المجلات والمحاضرات العامة، ولم أستطع الوقوف على ذلك فنقلتها من كتاب أنور الجندي السابق، كما وجدتها في كتاب (نقض مطاعن في القرآن الكريم لمحمد عرفة مطابقة تماماً لما ذكره أنور الجندي .

يقول عبدالحميد سعيد:"فكأنه يريد القول صراحة: إن القرآن مأخوذ من التوراة..." [1] وقد ألقى طه حسين في مؤتمر المستشرقين عام ١٩٢٨م محاضرتين عن ضمير الغائب في القرآن الكريم، وذكر أن نصوص القرآن الكريم تضطرب بين ضمير الغائب وضمير الإشارة[2]، – فتعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً، وبهذا نرى أن الاستشراق قوىّ لدى طه حسين الجرأة على الدين وكل ما يتصل به من القرآن الكريم ورسله، عليهم الصلاة والسلام، ناهيك عن موافقاته لعدد من المستشرقين في كثير من آرائهم.

❖ ٤) جويدي إجنتيسو (١٨٤٤ – ١٩٣٥م):

◈ التعريف به مع ذكر أبرز أعماله:

ولد جويدي في مدينة روما في ٣١ يوليو ١٨٤٤م من أسرة تنسب إلى المستوى العالمي من الطبقة الوسطى، وإليها ينسب العديد من العلماء وأرباب المهن الحرة ورجال الكنيسة الكاثوليكية. وفي عام ١٨٦٩م زار مالطة ومصر وفلسطين ودمشق وإستانبول. ودعي في عامي ١٩٠٨-١٩٠٩م ليكون أستاذاً في الجامعة المصرية القديمة، حيث ألقى دروساً في الأدب العربي، وفقه اللغات العربية الجنوبية، وكان من أبرز تلاميذه طه حسين، وكان يلقي دروسه بلغة عربية فصيحة. وتندرج أبحاثه تحت خمسة أبواب: الأدب العربي الإسلامي، الآداب المسيحية في المشرق، اللغة الحبشية وآدابها، اللغة العبرية والكتاب المقدس، لغات جنوب الجزيرة العربية.

يتقن اللغة العربية إتقاناً تاماً كما كان على علم بالعامية، خصوصاً اللهجة اللبنانية منها، كذلك كان على معرفة راسخة باللغات السامية الأخرى مثل العبرية والسريانية والحميرية والسبئية والمعينية في جنوب الجزيرة العربية.

---

(١) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٢) يراجع: بلاغة القرآن، للإمام محمد الخضر حسين، ص٧٠ – ٨٥، سأناقش هذا عند الحديث عن المخالفات العقدية المتعلقة بالقرآن الكريم – إن شاء الله تعالى–، يراجع: ص٢٠٨ من هذه الدراسة.

دُعي أستاذاً في الجامعة المصرية القديمة عام ١٩٠٨-١٩٠٩م فألقى سلسلة محاضرات تحت عنوان (محاضرات أدبيات الجغرافية والتاريخ واللغة عند العرب). وممّن حضر هذه المحاضرات طه حسين، وقد أشار إليها واقتبس منها في الفصول الأولى من كتابه في الأدب الجاهلي.

عني جويدي بلغات جنوب الجزيرة العربية: الحميرية والسبئية والمعينية...وألقى على الطلاب في الجامعة المصرية القديمة محاضرات حول هذه اللغات. ولما بلغ الخامسة والسبعين في ١٩١٩م تقاعد بعد أن تولى التدريس في جامعة روما أكثر من أربعين عاماً. توفي في ١٨ أبريل ١٩٣٥م[1].

- **أثره على طه حسين:**

قام المستشرق (جويدي) بتدريس (أدبيات الجغرافيا والتاريخ) في الجامعة المصرية القديمة في الفترة من ١٩٠٨ إلى ١٩٠٩م وكان يلقي دروسه باللغة العربية، حيث كان متقناً لها - كما أسلفت -، ولضعف صوته كان له معيد يردد ما يقول. ومن ثم عدل عن المجيء إلى مصر مرة أخرى، وبهذا لم يدرس في الجامعة إلا عاماً واحداً[2]، لذلك لم يكن له أثرٌ كبيرٌ على طه حسين، لكنه على كل حال تأثر به وردّد بعض ما كان يلقيه هذا المستشرق في محاضراته. ويظهر ذلك في كتابه (في الأدب الجاهلي) عند حديثه عن الأدب الجاهلي واللغة، حيث يقول: "وفي الحق إن البحث الحديث قد أثبت خلافاً جوهرياً بين اللغة التي كان يصطنعها الناس في جنوب البلاد العربية، واللغة التي كانوا يصطنعونها في شمال هذه البلاد"[3].

ثم علّق في الحاشية بقوله: "نشرت كلية الآداب في سنة ١٩٣٠م رسالة للأستاذ (أغناطيوس جويدي) بالعربية واللاتينية عنوانها (المختصر في علم اللغة العربية الجنوبية

---

(١) يراجع: موسوعة المستشرقين، د/ عبدالرحمن بدوي، ص٢١٢- ٢١٧.

(٢) طه حسين وأثر الثقافة الفرنسية في أدبه، كمال قلته، ص٣٣، دار المعارف بمصر- بدون - ١٩٧٣م.

(٣) في الأدب الجاهلي، طه حسين، ص٨٣.

القديمة) يحسن أن يرجع إليه من أراد أن يُلمّ بشيء من وجوه الخلاف والوفاق بين لغتي الشمال والجنوب في جزيرة العرب"[1]. وبهذا رأى (جويدي) وجود فرق بين لغات جنوب الجزيرة العربية وهي: الحميرية، السبئية، المعينية، وبين لغات شمال الجزيرة. ووافقه طه حسين على ذلك.

وقد يكون هذا مجرَّد إحالة من طه حسين إلى هذا المرجع دون التأثر بصاحبه .

❖ ٥) كارلو ألفونسو نالّينو (١٨٧٢-١٩٣٨م)Carlo Alfonso Nallino :

◈ التعريف به مع ذكر أبرز أعماله:

« مستشرق إيطالي ولد بمدينة تورينو في السادس عشر من شهر فبراير عام ١٨٧٢م، كان والده أستاذاً مشهوراً (لعلم الكيمياء)، اتصف بالجد وكثرة التحصيل منذ صغره، رُبّي تربية حازمة لا تخلو في بعض الأحيان من الصرامة والقسوة مما جعله منصرفاً عن اللهو مقبلاً على العلم.

أقبل منذ الصغر على دراسة الجغرافيا وخاصة كتب الأسفار، كما شغف بدراسة اللغات الأجنبية واهتم بدراسة جغرافية كل من قارتي آسيا وإفريقية. ودعاه هذا إلى الإقبال على دراسة اللغة العربية ونحوها وصرفها. كما درس كلاً من اللغتين العبرية والسريانية.

كما اهتم بدراسة الفلك حتى أصبح حجةً في تاريخ الفلك عند العرب، حتى إن إدارة (دائرة المعارف الإسلامية) عهدت إليه بكتابة المواد الخاصة بتاريخ الفلك عند العرب، وكذلك فعلت (دائرة معارف الدين والأخلاق) الإنجليزية، وكذلك دعته الجامعة المصرية القديمة عام ١٩٠٩م، وطلبت إليه أن يلقي محاضرات في تاريخ الفلك عند العرب باللغة العربية، حيث تمخضت هذه المحاضرات عن كتاب هو أقدم ما كتب في بابه وقد ظهر باللغة العربية تحت عنوان (علم الفلك، تاريخه عند العرب في القرون

---

(١) نفسه، الصفحة نفسها، (الحاشية).

الوسطى). وقد كان له نشاط واسع في معظم ميادين النشاط العلمي في الاستشراق الخاص بالعرب والإسلام، والعلم بمسائلها علماً دقيقاً يقوم أولاً على تحقيق النصوص، والكشف عن النادر من الوثائق والمجهول من المخطوطات »[1] .

« و قد قام أيضاً بكتابة مقال عن (نظام القبائل العربية في الجاهلية) بحث فيه النظام من الوجهة التاريخية والسياسية والاجتماعية بحثاً عميقاً يدل على ذكاء نادر، واستقامة في الحكم والتقدير، كما أخرج كتاباً جمع فيه أشهر السور القرآنية، ورتبها ترتيباً تاريخياً وأضاف إليها تعليقات ومعجماً بأهم ما فيها من ألفاظ قارنها بمقابلاتها في اللغات السامية الأخرى.

ونتيجة لشهرته العلمية فقد منحته وزارة المعارف الإيطالية مكافأة دراسية لكي يدرس في القاهرة، فجاء إليها في عام ١٨٩٣م، واستمر في مصر حتى العام التالي. واستطاع خلال هذه المدة أن يستخدم قدرته الفائقة على الملاحظة في فهم أحوال مصر خصوصاً، والشرق الإسلامي على وجه العموم. بعدها أخرج كتاباً عنوانه (اللغة العربية في لهجتها المصرية) لكي يدرس الإيطالي اللغة العربية بواسطته.

وقد أظهر نشاطاً واسعاً في التحصيل والدرس، فعكف على الكثير من الكتب العربية في فروع العلم المختلفة، لم يترك فيه باباً ولم يهمل مسألة من مسائله، دون أن يقف عندها فيطيل الوقوف، مهتماً بالدراسات العربية وحدها دون غيرها من الدراسات الشرقية، بخلاف غيره من المستشرقين الذين كانوا في الغالب يوجهون نشاطهم إلى أكثر من ناحية واحدة من نواحي الاستشراق من عربية وغيرها »[2] .

واستمر نالّينو في دراساته العلمية لم ينقطع عنها إلا مرة واحدة حين رحل إلى الجزائر عام ١٩٠٥م بمناسبة انعقاد المؤتمر الدولي للمستشرقين، وفي الجزائر دفعته نزعته إلى الأسفار إلى زيارة بلاد الجزائر حتى الأجزاء غير المعروفة تماماً منها. وبعد غزو إيطاليا

---

(١) موسوعة المتشرقين، عبد الرحمن بدوي، ص٥٨٣ بتصرف .

(٢) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

لطرابلس، لجأت إليه وزارة المستعمرات لتستعين بخبرته ومعرفته الدقيقة بأحوال العالم الإسلامي[1].

وفي هذا أفاد الحكومة الإيطالية فائدة قيمة، خصوصاً فيما يتصل بمسألة الخلافة التي أثارها الأتراك في ذلك الحين، وكانت موضوعاً لكثير من المناورات السياسية إبان الحرب العظمى، فقد كتب عن الخلافة رسالة طويلة بحث فيها طبيعة الخلافة على وجه العموم، والخلافة العثمانية (المزعومة)- على حد تعبيره - بوجه خاص.

ويعد أوثق المستشرقين صلة بمصر، فالجامعة المصرية القديمة قد دعته إلى تدريس تاريخ الفلك عند العرب في العامين ١٩٠٩-١٩١٠م - كما أسلفت -، ثم تاريخ الأدب العربي في السنتين الدراسيتين التاليتين. وكان لتدريسه في الجامعة المصرية القديمة أخطر الأثر في تكوين كبار الأدباء في مصر حينذاك، فقد استحدث منهجاً جديداً لدراسة تاريخ الأدب العربي، لم يكن معروفاً في مصر من قبل. وكان (طه حسين) من أكبر تلاميذه المتأثرين به جداً، وقد شهد بفضله في كتابه (في الأدب الجاهلي) ومما يدل على عمق العلاقة وقوتها بينه وبين الجامعة دعوتها له مرة أخرى إلى تدريس تاريخ اليمن بكلية الآداب لمدة أربعة أشهر كل سنة في المدة ١٩٢٨-١٩٣١م، وتعيينه عضواً في المجمع اللغوي عام ١٩٣٢م »[2].

- **أثره على طه حسين:**

لم يكن لأي من المستشرقين الذين علّموا طه حسين تأثير يعدل تأثير (نالّينو) على تطوره، خاصة في تلك الفترة من عام ١٩٠٩-١٩١٠م، وقد رأى طه حسين فيما تلقّاه من نالّينو عن تاريخ الأدب العربي نقطة تحول كبرى في تاريخ الفكر والثقافة في مصر؛ حيث إن نالّينو قام بتدريس طه وزملائه من الشباب الدارسين المناهج الحديثة للبحث

---

(١) ومن هذا يتضح جلياً هدف المستشرقين من دراستهم للعالم الإسلامي (سياسياً) فهو أكبر معين لهم على إذلال الشعوب واستنزاف خيراتها.

(٢) المرجع السابق، ص٥٨٤-٥٨٧ بتصرف .

التاريخي كما تطبق في دراسة الأدب العربي.

وفيما يخص طه حسين فإن دروس نالّينو جاءت لتكمل دروس شيخه الأزهري (سيد المرصفي) الذي كان يُدرس له الأدب في الأزهر قبل التحاقه بالجامعة.

فالمرصفي كان يُحلِّل النصوص الأدبية، ونالّينو كان يدرسّها مبيناً المنهج التاريخي النقدي لها[1]. وقد ذكر عبدالرشيد الصادق محمودي، عند ترجمته لكتاب (تاريخ الآداب العربية لنالّينو) في مقدمته، أن نالّينو كان أول من ألقى في روع طلابه الحقائق التالية:

- "أن الشعر العربي لا يختلف باختلاف فنونه التقليدية، مدحاً ورثاءً ووصفاً وهجاءً ونسيباً وتشبيباً فحسب، وإنما يختلف باختلاف موضوعاته التي قيل فيها، وظروفه التي أحاطت به حين قيل، والمؤثرات التي أثرّت في قائليه وفي سامعيه أيضاً.

- أن للسياسية آثاراً دقيقة عميقة في نشأة فنون مختلفة، كما لفت أنظار طلابه إلى الفرق بين النسيب التقليدي القديم، والغزل الذي استحدثه النظام الاجتماعي الإسلامي في الحجاز، وبين الغزل المحقق الذي نشأ في حواضر الحجاز، والغزل العذري الذي نشأ في البادية العربية في الحجاز ونجد والعراق.

- أن من الممكن دراسة الأدب على أساس من الموازنة بينه وبين الآداب القديمة الكبرى، وأن الحياة الإنسانية تتشابه وتتقارب مهما تختلف ظروفها.

- أن الآداب مرآة لحياة العصر الذي ينتج فيه، لأنه إما أن يكون صدى من أصدائها، وإما يكون دافعا من دوافعها"[2].

"ولعل أبرز جانب من جوانب تفكير نالّينو يظهر لنا فيه مدى تأثر طه حسين به هو ما يتعلق بصحة الشعر القديم وخاصة الشعر الجاهلي. فبعد أن أثار نالّينو عدة مشكلات حول هذا الشعر حدّد المسائل الرئيسة في هذا المجال على النحو التالي:

---

(١) يراجع: طه حسين من الأزهر إلى السوربون، ص٧٧ وما بعدها.

(٢) كتاب تاريخ الآداب العربية للمؤلف نفسه ص٨ وما بعدها، نقلاً عن المرجع السابق، ص٧٨.

أكانت لغة الأشعار (الجاهلية) لغة واحدة؟ وكيف تكونت هذه اللغة؟ وعلى أي نحو وصلت أشعار الجاهلية إلينا؟ أيجوز لنا أن نثق بصحة رواياتها؟ وأن نعتمد على الحكايات المروية لشرح الأبيات القديمة؟ وقد كانت هذه مشكلة معروفة لدى علماء العرب القدامى، ولكنها ازدادت أهمية عندما بعثها نالّينو. وذلك أن الشكوك القديمة كانت قد نسيت ووريت التراب منذ زمن بعيد، وكان علماء العربية المحدثون على عهد نالّينو يسلمون تسليماً بأن الشعر القديم صحيح في مجمله.

يضاف إلى ذلك أن المشكلة ازدادت إلحاحاً بالنظر إلى هذا المنهج الجديد الذي أتى به نالّينو، والذي كان يقتضي الدراسة الفاحصة للتاريخ الاجتماعي والديني واللغوي للعرب قبل ظهور الإسلام.

فبناءً على ذلك أثار نالّينو الشك حول صحة بعض القصائد المنسوبة إلى لبيد؛ لأنها تنمّ عن مفاهيم ومعتقدات إسلامية، كما أنكر صحة كل الأشعار المنسوبة للتبابعة[1]. فرأى أن عدم الموافقة بين أخبار الأشعار المنسوبة للتبابعة وبين أخبار الكتابات الحميرية الحقيقية أدلّ دليل على أن الأشعار مختلقة.

وسّع نالّينو نطاق نقده ليشمل الرواة ويتناول الدوافع والعوامل العميقة من وراء حالات التزوير الأدبية. ورأى أن من أهم هذه الدوافع والعوامل ميل الناس إلى الأخبار العجيبة، وما جاء به الرواة من المكسب بها، وحب كل شعب للافتخار بأجداده. ولقد كان كل ذلك هو المادة التي صنع منها طه حسين – فيما بعد– نظريته المثيرة للجدل عن زيف الأكثرية المطلقة من الشعر الجاهلي"[2].

وبناءً على أقوال نالّينو ردّ طه حسين أيضاً نصوصاً من الكتاب والسنة، وكذّب الرواة الصادقين في رواياتهم كما سيأتي – إن شاء الله – في ثنايا البحث.

---

(١) التبابعة: نسبة إلى تبّع وهم الدولة الحميرية.

(٢) نفسه، ص٨٤.

❖ ٦) دافيد سامويل مرجليوث (١٨٥٨-١٩٤٠م) David Samuel Margoliouth:

◈ **التعريف به مع ذكر أبرز أعماله:**

كان قسّاً في الكنيسة الإنجليزية، اهتم باللغة العربية وتراثها وساح كثيراً في أرضها، وفي العام الذي ولد فيه طه حسين (١٨٨٩م) بدأ عمله الأكاديمي باعتباره أستاذاً للغة العربية بجامعة أكسفورد، وهو العمل الذي استمر حتى عام ١٩٣٧م، وأكسبه شهرة واسعة ساهمت فيها مؤلفاته وترجماته.

ومن أهم هذه المؤلفات: (محمد وظهور الإسلام) ١٩٠٥م، (التطور المبكر للمحمدية) ١٩١٤م، (العلاقات بين العرب واليهود قبل ظهور الإسلام) ١٩٢٤م، ومن أهم ترجماته عن العربية: (رسائل أبي العلاء ابن معرة النعمان) ١٨٩٨م، (معجم ياقوت أو معجم البلدان)، (تاريخ مسكويه)، كما قام بترجمة بعض الكتب العربية الحديثة مثل (تاريخ التمدن الإسلامي) لجرجي زيدان[١]. كما ألقى محاضرات عن (تطور الإسلام في بدايته) ونشرت عام ١٩١٤م. لكن هذه الدراسات كانت تسري فيها روح غير علمية ومتعصبة، ممّا جعلها تثير السخط عليه ليس فقط عند المسلمين، بل عند كثير من المستشرقين[٢].

- **أثره على طه حسين:**

لعل أبرز أمر تأثر به طه حسين نتيجة علاقته بمرجليوث هو ما كتبه حول الشعر الجاهلي ومدى صحة نسبته إلى الشعراء الجاهليين، حيث يعد مرجليوث من أوائل المستشرقين الذين أثاروا الشك في الشعر الجاهلي في مقالته التي عنونها بنشأة الشعر

(١) طه حسين مطلوب حياً وميتاً، د/ علي شلش، ص٢٤، الدار العربية للطباعة والنشر، ط: الأولى، ١٩٩٣م.

(٢) راجع: موسوعة المستشرقين، ص٥٤٦.

العربي، التي كتبها في مجلة الجمعية الآسيوية عام ١٩٢٥م[1].

حيث ذكر ما نصه: "إن الشعر الجاهلي لا يستطاع الاحتفاظ به كل هذه المدة الطويلة، أي منذ أن قيل حتى عصر التدوين في منتصف القرن الثاني للهجرة إلا إذا افترضنا إحدى طريقتين: أولاهما: الرواية الشفوية المتصلة، وهذه لابد، لتؤدي دورها بشكل دقيق، من قيام رواة محترفين في هذه السبيل، وهذا ما لا نملك أدلة على وجوده.

وثانيتهما: أن يكون هذا الشعر نقل إلينا مدوناً منذ تلك العصور، ودليل هذا الافتراض من تاريخ الحياة العربية أضعف من سابقه. إذ لو قلنا بهذا الافتراض فإن اللغة التي نقل إلينا بها هذا الشعر وهي لغة القرآن تخالف ما هو مفترض ظهوره في هذا الشعر من تعدد اللهجات لتعدد القبائل، ولاسيما أن لغة أهل الجنوب وهي الحميرية تختلف عن لغة أهل الشمال العدنانيين الذين نزل القرآن بلغتهم، ثم إن القرآن يتحدى العرب أن يكون لهم كتاب سابق عليه بقوله ﴿أَمۡ لَكُمۡ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدۡرُسُونَ﴾ [2] ويريد مرجليوث بذلك أن ينفي كل سبب لتحمل هذا الشعر، ولاسيّما أن القرآن في رأيه نفّر من رواية هذا الشعر بقوله: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ﴾ [3].

ويختم حديثه بقوله: "فكان هناك إذن سبب قوي لنسيان الشعر الجاهلي إن كان قد بقي منه شئ"[4]. هذا ما ساقه المستشرق مرجليوث حول ما أسماه (وحدة اللغة).

أما ما كتبه طه حسين تحت ما أسماه بـ (الشعر الجاهلي واللغة) فإنه يقول: "على أن هناك شيئاً آخر يحظر علينا التسليم بصحة الكثرة المطلقة من هذا الشعر الجاهلي، ولعله

---

(١) يراجع: مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ص٣٥٢، د/ ناصر الدين الأسد، دار المعارف بمصر، ط: الرابعة، بدون.

(٢) سورة القلم: ٣٧.

(٣) سورة الشعراء: ٢٢٤.

(٤) دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، ترجمة الدكتور عبدالرحمن بدوي، ص٢٢٥، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ط: الثانية، ١٩٨٦م. نقلاً عن: تاريخ ونقد الشعر العربي القديم، ص٩٦-١١٩.

أبلغ في إثبات ما نذهب إليه. فهذا الشعر الذي رأينا أنه لا يمثل الحياة الدينية والعقلية للعرب الجاهليين بعيد كل البعد عن أن يمثل اللغة العربية في العصر الذي يزعم الرواة أنه قيل فيه. والأمر هنا يحتاج إلى شيء من الروية والأناة. فنحن إذا ذكرنا اللغة العربية نريد بها معناها الدقيق المحدود الذي نجده في المعاجم حين نبحث فيها عن لفظ اللغة وما معناه، نريد بها الألفاظ من حيث هي ألفاظ تدل على معانيها، تستعمل حقيقة مرة ومجازاً مرة أخرى، ولتطوّر تطوّراً ملائماً لمقضيات الحياة التي يحياها أصحاب هذه اللغة"[1].

ويقول في مقام آخر: "نقول إن هذا الشعر الجاهلي لا يمثل اللغة الجاهلية. ولنجتهد في تعرف اللغة الجاهلية هذه ما هي، أو ماذا كانت في العصر الذي يزعم الرواة أن شعرهم الجاهلي هذا قد قيل فيه. أما الرأي الذي اتفق عليه الرواة أو كادوا يتفقون عليه فهو أن العرب ينقسمون إلى قسمين: قحطانية منازلهم الأولى في اليمن، وعدنانية منازلهم الأولى في الحجاز. وهم متفقون على أن القحطانية عرب منذ خلقهم الله فطروا على العربية فهم العاربة، وعلى أن العدنانية قد اكتسبوا العربية اكتساباً، كانوا يتكلمون لغة أخرى هي العبرانية أو الكلدانية، ثم تعلّموا لغة العرب العاربة فمحت لغتهم الأولى من صدورهم وثبتت فيها هذه اللغة الثانية المستعارة. وهم متفقون على أن هذه العدنانية المستعربة إنما يتصل بها نسبها بإسماعيل بن إبراهيم. وهم يروون حديثا يتخذونه أساساً لكل هذه النظرية، خلاصته أن أول من تكلّم بالعربية ونسي لغة أبيه إسماعيل بن إبراهيم.

على هذا كله يتفق الرواة، ولكنهم يتفقون على شيء آخر أيضاً أثبته البحث الحديث، وهو أن هناك خلافاً قوياً بين لغة حمير (و هي العرب العاربة) ولغة عدنان (وهي العرب المستعربة). وقد روي عن أبي عمرو بن العلاء أنه كان يقول: ما لسان حمير بلساننا ولا لغتهم بلغتنا"[2].

---

(١) في الشعر الجاهلي، طه حسين، ص٢٤.

(٢) نفسه، ص٢٤ وما بعدها.

وبهذا يتفق كلٌ من مرجليوث وطه حسين في الدواعي التي سوّغت لهما الشك في وجود الشعر الجاهلي وصحة نسبته إلى الشعراء الجاهليين، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: "أنه لا يمثل لهجات العرب التي كانت سائدة بينهم إبان نظم هذا الشعر. وعلى العكس من ذلك فقد جاء هذا الشعر بلغة واحدة هي اللغة التي يتحدث بها القرآن الكريم. في حين أن النقوش المكتشفة حديثاً في بلاد العرب تخبرنا أن لغتها غير لغة هذا الشعر، ولاسيّما التي تعبّر عن لغة أهل الجنوب. وهذا ما أشار إليه أبو عمرو بن العلاء قديماً بقوله: "ما لسان حمير بلساننا، ولا لغتهم بلغتنا". "إن هذا الشعر لم يصل إلينا مدوناً، بل وصل عن طريق الرواية الشفوية، وإن طول المسار الذي قطعه حتى وصل إلى عصر التدوين كاف لأن تعمل فيه الأيدي بالتحريف والتزوير، ولذا نراه يقول: "وحسبي أن شعر أمية بن أبي الصلت لم يصل إلينا إلا من طريق الرواية والحفظ لأشك فيه كما شككت في شعر امرئ القيس والأعشى وزهير"[1].

من هذا المثال وغيره يسوغ لنا أن نسمّي ما كتبه طه حسين حول صحة الشعر الجاهلي، حاشية وتعليقاً على مقالة مرجليوث التي نشرها في مجلة الجمعية الآسيوية، وهذا ما أطلقه الأستاذ محمود محمد شاكر على كتاب طه حسين في الشعر الجاهلي في مقدمة كتابه (المتنبي) فقد ذكر الأستاذ محمود محمد شاكر أن الأستاذ أحمد تيمور أعطاه نسخة للمقالة السابقة لمعرفته باهتمام الأستاذ شاكر بالشعر الجاهلي حيث يقول الأستاذ شاكر ما نصه: "وقال لي وهو يبتسم - أي المرحوم أحمد تيمور باشا- اقرأ هذه!. فإذا فيها مقالة للأعجمي المستشرق مرجليوث، تستغرق نحو اثنتين وثلاثين صفحة من هذه المجلة بعنوان (نشأة الشعر العربي) كنت خبيراً بهذا الأعجمي التكوين، التكوين البدني والعقلي منذ قرأت كتابه عن محمد رسول الله ﷺ. أخذت المجلة وانصرفت وقرأت المقالة وزاد الأعجمي سقوطاً على سقوطه، كان كل ما أراد أن يقوله: إنه يشك في صحة الشعر الجاهلي، لا بل إن هذا الشعر الجاهلي الذي نعرفه إنما هو في الحقيقة شعر إسلامي وضعه الرواة المسلمون في الإسلام ونسبوه إلى أهل الجاهلية، وسخفاً في خلال ذلك كثيراً.

---

(١) المرجع السابق، ص٨٤.

ولأني عرفت حقيقة الاستشراق لم ألق بالاً إلى هذا الذي قرأت، وعندي الذي عندي من هذا الفرق الواضح بين الشعر الجاهلي والشعر الإسلامي".

إلى أن يقول: "كان ما كان، ودخلنا الجامعة وبدأ الدكتور طه حسين يلقى محاضراته التي عرفت بكتاب (في الشعر الجاهلي) ومحاضرة بعد محاضرة، ومع كل واحدة يرتّد إليّ رجعٌ من هذا الكلام الأعجمي الذي غاص في يمّ النسيان، وثارت نفسي وعندي الذي عندي من المعرفة بخبيئة هذا الذي يقوله الدكتور طه حسين، وعندي الذي عندي من هذا الإحساس المتوهّج بمذاق الشعر الجاهلي كما وصفته آنفاً، والذي استخرجته بالتذوق وبالمقارنة بينه وبين الشعر الأموي والعباسي، وأخذني ما أخذني من الغيظ وما هو أكبر وأشنع من الغيظ، ولكني بقيت زمناً لا أستطيع أن أتكلم.

والسبب في ذلك (الأدب) الذي كان يؤدب به الآباء الأبناء. فكان التلميذ يهاب أن يكلّم أستاذه...ومع ذلك لم تخل أيام الطالب محمود شاكر من إثارة بعض ما كان يجد في نفسه من خفوت وتردد، وكان من بين من كان يتحدث إليهم زميل من زملائه هو الأستاذ الجليل محمود الخضيري وكان طالباً في قسم الفلسفة، ولكنه كان يحضر محاضرات الدكتور طه حسين، وكان صفوه وميله وهواه مع الدكتور طه حسين".

ويتابع بقوله: "وجاء يوم ففاجأني الخضيري بأنه يحب أن يصارحني بشيء، وعلى عادته من الهدوء والأناة في الحديث، ومن توضيح رأيه مقسّماً مفصلاً قال لي: إنه أصبح يوافقني على أشياء ذكر منها: "أن كل ما قاله الدكتور طه حسين في محاضراته، كما كنت أقول له يومئذ، ليس إلا سطواً مجرداً على مقالة مرجليوث بعد حذف الحجج السخيفة والأمثلة الدالة على الجهل بالعربية التي كانت تتخلل كلام ذلك الأعجمي، وأن ما يقوله الدكتور طه حسين لا يزيد على أن يكون (حاشية) وتعليقا على هذه المقالة"[1]. وبهذا يظهر لنا أثر ما كتبه مرجليوث على كتابات طه حسين، وخاصة ما يتعلق بكتابه (في الشعر الجاهلي) الذي أثار ضجة كبرى عند صدوره؛ نظراً لما احتوى عليه من آراء مضادة للعقيدة الإسلامية الصحيحة.

(١) الطريق إلى ثقافتنا، محمود محمد شاكر، مقدمة كتابه المتبي، ص١٩.

❖ ٧) ليتمان (١٨٧٥-١٩٥٨م) Litmann :

◈ **التعريف به مع ذكر أبرز أعماله:**

مستشرق ألماني. ولد في ١٦ سبتمبر سنة ١٨٧٥م في مدينة أولدبنورج، وتوفي في ٤ مايو سنة ١٩٥٨م في مدينة بجن. أمضى مرحلة شبابه في أولدمبورج حيث تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي من ١٨٨٥ حتى ١٨٩٤م، ثم دخل جامعات برلين وغيرها من سنة ١٨٩٤م حتى سنة ١٨٩٨م. صار أستاذاً في جامعة جيتنجن حتى عام ١٩١٦م، ثم أستاذاً في جامعة بون حتى عام ١٩٢١م، ثم أستاذاً في جامعة توبنجن حتى عام ١٩٤٩م. ودعي إلى الجامعة المصرية أستاذا زائرا في أواخر العشرينيات وأوائل الثلاثينيات. عين عضواً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة منذ إنشائه سنة ١٩٣٢م.

◈ **نتاجه العلمي:**

تربو مؤلفاته على ٥٥٠ بين مصنّف ومحقق ومترجم، ويعد من أبرز أعماله تمكنه من قراءة النقوش الصفوية، والتدمرية، والثمودية، والنبطية. فقد كان بارعاً في حل رموزها.

◈ **ومن أهم أعماله:**

١-ترجمة (ألف ليلة وليلة) إلى اللغة الألمانية في ستة أجزاء. وقد نالت هذه الترجمة رواجا واسعاً جداً فتعددت طبقاتها وانتشرت بين عامة المثقفين الألمان.

٢-(حكايات عربية منقولة شعرياً) جمعها وترجمها إلى اللغة الألمانية سنة ١٩٣٥م.

٣-(أمثال وألغاز قاهرية) عام ١٩٣٧م.

٤-أحمد البدوي: موّال خاص بمولده، نشره وترجمه إلى الألمانية عام ١٩٥١م.

٥-(حكايات ونكت من مصر) جمعها من النقل الشعري وترجمها وشرحها عام ١٩٥٥م، ولم يخرج اهتمامه عن نطاق الأدب الشعبي، ولم يكتب أي بحث في العربية

الكلاسيكية[١].

- **أثره على طه حسين:**

يُعد ليتمان من أوائل المستشرقين الذين درّسوا طه حسين في الجامعة المصرية، يقول طه حسين: "وهذا أستاذ ألماني هو الأستاذ ليتمان قد أقبل يتحدّث إلى الطلاب عن اللغات السّامية والمقارنة بينها وبين اللغة العربية، ثم يأخذ في تعليمهم بعض هذه اللغات"[٢].

وقد نشأت بينهما علاقة قوية كغيره من المستشرقين، وخاصة سانتيلانا وماسينيون، وإلى هذا يشير طه حسين بقوله: "وإذا ذكرت ليتمان إنما أذكر أستاذاً كان له أبلغ الأثر، لا أقول في حياتي الخاصة، بل في حياة كثير من الشباب الذين كانوا يختلفون إلى الجامعة المصرية القديمة، ما أعرف أن أحدا أثّر في الحياة العقلية للشباب المصري في ذلك الوقت مثل الأستاذ ليتمان والأستاذ نالّينو، نشأ بيني وبينه شئ من المودة لم يلبث أن تحوّل في نفس ليتمان إلى حب عميق وكان يعتبرني ابنه، وكان يرى أني قد استطعت أن أفهم عنه"[٣].

ولذلك سعد ليتمان بالمشاركة في تخريج إحدى طالبات الماجستير - هي سهير القلماوي- لأن طه حسين يعتبرها ابنة له وبالتالي فهي حفيدة ليتمان الذي يُعدّ طه حسين ابناً له[٤]. ومما يدل على قوة العلاقة بينهما قوله في مذكراته: "وقد رأى الفتى أستاذه ليتمان بعد ذلك مرات كثيرة في مواطن مختلفة، فلم يحس عنده مثل هذه السعادة إلا في موطنين اثنين. أحدهما في ليدن بهولندا عندما سمع تلميذه الفتى يلقي بحثه في مؤتمر المستشرقين، فلم يملك دموعه التي أخذت تفيض على وجهه بين الزملاء، والآخر في كلية الآداب

(١) يراجع موسوعة المستشرقين، ص٥١٢، وما بعدها.

(٢) الأيام، طه حسين، ص٤٤٦.

(٣) طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام، أنور الجندي، ص٣٧.

(٤) يراجع: الأيام، ص٤٨٦.

بجامعة القاهرة عندما شارك تلميذه في امتحان السيدة سهير القلماوي لدرجة الماجستير، وأعلن مفاخراً بعد فوزها بالدرجة أنه مغتبط سعيد لأنه يشارك في تخريج هذه الفتاة التي يعدّها حفيدته لأنها ابنة تلميذه ذاك الفتى. وما أكثر ما تحدّث بعد ذلك بأنه جدٌ في علم له ابن وله أحفاد"[١]. وقد ذكر أنور الجندي أن طه حسين قد أخذ من ليتمان فقه اللغة ولم يبرز جوانب هذا الأخذ ولا كيفيته[٢].

(١) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٢) طه حسين حياته وفكره في الميزان الإسلام، ص٣٥.

❖ ٨) لويس ماسينيون (١٨٨٣-١٩٦٢م) Louis Massignon:

◈ التعريف به مع ذكر أبرز أعماله:

مستشرق فرنسي، ولد عام ١٨٨٣م، في ضاحية نوجان على نهر المارن إحدى ضواحي باريس، وكان والده (فرناند) نحاتاً، درس الطب ثم عدل منه إلى النحت وخاصة نحت الجبس، وقد أثّر هذا في ولده لويس حيث توجه الابن إلى العناية بالآثار الإسلامية. وأنهى دراسته الثانوية في ليسيه لوي لو جران بباريس، ثم حصل على البكالوريا عام ١٩٠٠م قسم الآداب والفلسفة، ثم على البكالوريا في قسم الرياضيات في عام ١٩٠١م.

بعد ذلك بدأ رحلاته إلى البلاد الإسلامية حيث استهلها برحلة قصيرة إلى الجزائر عاد بعدها إلى باريس لمتابعة دراساته الجامعية فحصل على ليسانس الآداب، ثم تطوع للخدمة العسكرية حتى عام ١٩٠٣م، ثم سافر إلى مراكش في عام ١٩٠٤م وكتب بحثاً صغيراً نال به دبلوم الدراسات العليا في السوربون بجامعة باريس بقسم العلوم الدينية. وتابع محاضراته في الكوليج دي فرانس عن دراسته الإسلام من الناحية الاجتماعية. ودرس اللغة العربية في المدرسة الوطنية للغات الشرقية، وحصل منها على دبلوم في اللغة العربية الفصحى والعامية عام ١٩٠٦م.

وتأثر كثيراً بالشاعر الصوفي الحلاّج[1] وأعجب به إلى حد كبير وقصر دراساته عليه. فبدأ أبحاثه عنه، ثم عاد إلى باريس في عام ١٩٠٧م وكُلّف من قبل الحكومة للقيام بأبحاث وحفائر في الآثار في العراق فقام بهذه المهمة من المدة ١٩٠٧-١٩٠٨م، وزار مشاهد الشيعة كلها في جنوبيّ العراق (كربلاء والنجف والكوفة....إلخ)، وتمخضت

---

(١) وهنا يحق لنا أن نتساءل: لماذا كل هذا الإعجاب بفرقة الصوفية؟ وبالحلاج على وجه الخصوص؟! أليس في رموز الإسلام ما يغني في الإعجاب بهم والبحث عن آثارهم بدلاً من هذا الصوفي المنحلّ؟ فمثلاً هناك شيخ الإسلام ابن تيمية الذي برع في كثير من العلوم حتى في المنطق والفلسفة، بل وعارض المناطقة ورد عليهم في كتابه (الرد على المنطقيين) أحسن رد، وكذلك تلميذه الفذ ابن القيم - رحمهما الله تعالى- وغيرهما...

هذه البعثة الأثرية عن كتاب في مجلدين بعنوان "بعثة أثرية في العراق" كما تمخضت أيضاً عن دراسات أخرى عن بغداد والعراق منها: هجرات الموتى في بغداد، المعركة الأخيرة بين الرفاعية والقادرية، الحج الشعبي في بغداد... إلخ.

أما عن الحلاّج فقد كانت أول دراسته له بحثاً بعنوان (عذاب الحلاّج والطريقة الحلاّجية)، ثم كتب مقالاً بعنوان (الحلاّج، الشبح المصلوب، والشيطان عند اليزيدية).

وقد عاد مرة أخرى إلى القاهرة وحضر دروساً في الأزهر، وكان يلبس الزيّ الأزهري -كما أسلفت- ثم دعي للتدريس في الجامعة المصرية القديمة فلبى الدعوة وألقى أربعين محاضرة باللغة العربية على طلاب الجامعة المصرية،- وكان من بينهم - طه حسين- تدور هذه المحاضرات حول تاريخ المذاهب الفلسفية في الإسلام. وواصل دراساته عن الحلاّج: يجمع النصوص، ويحقق كثيراً من أخباره، ويُعنى بكل ما يتصل بنشأة التصوف الإسلامي قبل الحلاّج. ثم قرر أن يصير الحلاّج موضوعاً لرسالة الدكتوراه، وتمكن من كتابة رسالتين:

- الأولى بعنوان (عذاب الحلاّج شهيد التصوف في الإسلام).

- والثانية بعنوان (بحث في نشأة المصطلح الفني في التصوف الإسلامي) ونوقشت الرسالتان معاً في مايو عام ١٩٢٢م، وتمَّ اختيار هذا التاريخ عن قصد ليوافق مرور ألف عام على صلب الحلاّج!

- وتولى تحرير (مجلة العالم الإسلامي)، في عام ١٩١٩م وأصبح مديراً لها في عام ١٩٢٧م. ثم تحولت إلى مجلة الدراسات الإسلامية، وكان مديراً لها واستمر يتابع إصدارها كل عام حتى وفاته. أما عنايته بالحلاّج فلم تنقطع إذ نشر في عام ١٩٣١م (ديوان الحلاّج) مع ترجمة فرنسية له، وعكف على أخباره، فأخرج هو و(بول كراوس)[1] كتاب (أخبار الحلاّج) مع ترجمة فرنسية ومقدمة.

---

(١) مستشرق نمساوي، ولد عام ١٩٠٤م في مدينة (براغ) من أسرة يهودية، أتقن اللغة العربية، مستشرق متعصب ظهر حقده على الإسلام والمسلمين من خلال مؤلفاته، مثل: (تحطم أسطورة جابر بن حيان)، =

كذلك كتب عن النصيرية والقرامطة، وشغل في سنواته الأخيرة بأهل الكهف، حيث كتب بحثاً جامعاً عن أهل الكهف، استوعب فيه قصة أهل الكهف في الإسلام والمسيحية وجمع وثائق عنها وصوراً وآثاراً.

- **أثره على طه حسين:**

بالرغم من كل هذه الأنشطة التي قام بها هذا المستشرق، إلا أننا نجد تباين الأقوال والآراء حول حقيقة هذا الرجل، وهل كان فعلاً يحب العرب ويعجب بهم، كما يظهر من لبسه للعمامة ودراسته للثقافة العربية والتحاقه بالأزهر، أم أن هذا كان ستاراً لما يخفيه من بغض شديد للإسلام والمسلمين، ويظهر ذلك من قصر أبحاثه على غلاة الصوفية أمثال (الحلاّج) وحول الشيعة، ناهيك عن اشتراكه مع المستشرق اليهودي. (بول كراوس) الذي كان عداؤه للإسلام سافراً وحقده ظاهراً في تأليفهما لكتاب (أخبار الحلاّج) [1]. ثم ما سر هذا الاهتمام الزائد بطه حسين دون سائر زملائه حيث كان على صلة وثيقة به ونمت بينهما مودة خاصة؟!

"يروي طه حسين في هذا الصدد أن ماسينيون كان لسبب غامض يختاره لكي يلقي عليه الأسئلة قبل غيره، ولم تمض أيام قلائل بعد بداية الدروس حتى نشأ بينهما نوع غريب من الألفة، فقد كان هذا المستشرق يستفسر طه عن حياته كلها ويدعوه إلى لقائه

و(أخبار الحلاّج) مع المستشرق ماسينيون، ورسالته للدكتوراه عن: (محمد بن زكريا الرازي) ولكنه انتحر قبل مناقشتها عام ١٩٤٤م بالقاهرة بمصر. يراجع: موسوعة المستشرقين، ص٤٦٤.

(١) إن موقف هذا المستشرق لا يعد غريباً فهذا حالهم، أغلبهم يهدمون الرموز ويعلون من شأن من دونهم من الملحدين الذين اعتصموا بالعقل واعتزوا بمنطقه، واستهانوا بالإيمان واستخفوا به مثل المستشرق (بول كراوس) الذي عُني بدراسة شخصية ابن الراوندي الملحد، وكانت دراسته طعناً سافراً للإسلام وهدماً صريحا للنبوة، وإبطالاً للرسالات، وسخرية بالمعجزات، واستخفافاً بإعجاز القرآن، حتى جعل فصاحة أكثم بن صيفي تفوق فصاحة القرآن!!. يراجع: مجلة الدوحة العدد ٨٣.

في معهد الآثار الفرنسي حيث كان يقيم"[1].

لاشك أن طه حسين بالنسبة لماسينون يُعد فتىً أزهرياً متمرداً بوجهٍ أو بآخر على الأزهر ونظمه ومشيخته، والأزهر الذي يُعدّ رمزاً من رموز الإسلام ومعلَماً من معالمه، ويُعد أي تمرد عليه بمثابة التمرد على الدين ذاته، وهذا ما يريده المستشرقون، سواء كان ماسينيون أو غيره؟!! وهذا سر هذه العلاقة الحميمة بينهما - والله تعالى أعلم -. ومما يدل على عداوة ماسينون للإسلام "مفهومه العجيب للحديقة الإسلامية والنصرانية واليهودية وكيف اتخذ في التشبيه الرمزي للحديقة مدخلاً إلى الحط من قدر الإسلام وإعلاء شأن الحضارة الأوروبية المتحررة ومجمل وصف (ماسينيون) للحديقة في الحضارة يستند إلى وجود الأسوار التي تحوط بها...وهو يرتب على ذلك النتائج فيقول: إن الأسوار تبنى لكي تحجب الرؤية، وتمنع النظر، فلا يرى من في الحديقة من خارجها... لأن السور يعزل الخارج من الداخل... وهذا الوضع يرمز في نظره إلى نزعة انعزالية وانغلاقية لدى المسلمين... في حين أن الحديقة الأوروبية المفتوحة ترمز إلى النظرة المتحررة الانطلاقية!

وهكذا يتخذ (ماسينيون) من الحديقة مدخلاً إلى الحط من قدر الإسلام وحضارته الانعزالية غير المتحررة!! وإلى الإعلاء من شأن الحضارة الأوروبية المتحررة والمنطلقة!!!

ومن ثم تنفير المسلمين وغير المسلمين من الإسلام وتزيين الحضارة الأوروبية وفكرها وثقافتها للناس على أمل أن ينبذ المسلمون دينهم، ويتحللوا منه، ويعتنقوا المذاهب والفلسفات الأوروبية، ويصيروا تابعين لأوروبا مسايرين لها... وفي الوقت نفسه يتضاعف نفور الأوروبيين من الإسلام... بحيث لا يفكرون في دراسته، ناهيك عن الدخول فيه "[2]!!

ولعل أبرز ما دعا إليه هذا المستشرق من أمور مناهضة للإسلام...دعوته إلى

---

(١) طه حسين من الأزهر إلى السوربون، ص١٦٩، بتصرف يسير.

(٢) مجلة الاعتصام، العدد الثاني، السنة ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م.

استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية، كما كان يدعو إلى إعلاء شأن اللهجات العامية في البلاد العربية لتحطيم أواصر الفصحى، لغة القرآن الكريم[1].

وعند التنقيب عن أبرز الآثار التي ظهرت على كتابات طه حسين وآرائه نتيجة علاقته بماسينيون لم يظهر لي منها إلا ترديده لتلك الشبهة التي طالما نادى بها ماسينيون حول القرآن الكريم، وأنه كان غير منقط؛ ولذلك فقد حدث فيه اختلاف كثير، وهذا معارض لقوله تعالى: "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون"[2].

---

(١) يراجع طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام، أنور الجندي، ص٢٩.

(٢) المرجع نفسه، ص١٤٣، هذا ما استطعت الوقوف عليه من أثر ماسينيون على طه حسين. الآية: ٩ - سورة الحجر.

❖ ٩) جاستون فييت (١٨٨٧-١٩٧١م) Gaston Wiet :

◈ التعريف به مع ذكر أبرز أعماله:

مستشرق فرنسي له علم بالآثار والتاريخ الإسلامي. ولد في ١٨ ديسمبر سنة ١٨٨٧م في باريس، وتوفي بها في٢٠ أبريل سنة ١٩٧١م. تلقى تعليمه الثانوي في مدرسة ثانوية في محافظة يون، والتحق في سنة ١٩٠٥م بالمدرسة الوطنية للغات الشرقية.

وتابع دروسه في اللغة التركية والعربية، حتى حصل على دبلوم مدرسة اللغات الشرقية في اللغة العربية والتركية والفارسية، ثم أرسل إلى القاهرة طالباً يقيم في المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بحي المنيرة.وفي سنة ١٩١٢م أوكل إليه الملك (فؤاد) التدريس في الجامعة المصرية القديمة، فبقي فيها حتى ٣٠ أبريل عام ١٩١٣م، ثم التحق بالجيش عند قيام الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤م. وفي سنة ١٩٢٦م دعاه الملك (فؤاد) مرة أخرى إلى القاهرة ليكون مديراً لدار الآثار العربية في القاهرة، وظل في هذا المنصب حتى عام ١٩٥١م.

◈ نتاجه العلمي:

توزع نتاج فييت العلمي بين الآثار الإسلامية، وتاريخ مصر الإسلامية، وتحقيق وترجمة كتب مهمة في التاريخ الإسلامي.ومن أهم ما كتب:

- تاريخ مصر من الفتح العربي حتى الفتح العثماني
- (عظمة الإسلام) أو (مجد الإسلام) سنة ١٩٦١م.
- (المدخل إلى الأدب العربي) ١٩٦٦م.
- كما قام بترجمة الجزء الثاني من كتاب الأيام لطه حسين سنة ١٩٧٤م.

إلى غير ذلك من الكتب التي قام بتأليفها أو بترجمتها[1].

- **أثره على طه حسين:**

سبق أن ذكرت أن فييت قام بتأليف كتاب (مجد الإسلام) أو (عظمة الإسلام)

(١) يراجع موسوعة المستشرقين، ص٤٣٣ - ٤٣٧.

والكتاب خلاف عنوانه تماماً فهو لا يعكس ما تمتع به الإسلام من مجد عظيم بقدر ما يعكس مدى الحقد الذي يملأ قلب فييت ضد الإسلام وصاحب الرسالة ﷺ.

ومن يطالع الكتاب يرى التشويه للإسلام والرسول ﷺ يبدأ من الفصل الأول "فهو كغيره من المستشرقين الفرنسيين يردد نفس الأفكار التي حالت بين جمهور قرّائهم وفهم صاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام.

من هذه الأساطير مثلاً أن بني أمية كانوا قبل الإسلام أغنى وأعز من بني هاشم. مع أنهم يعرفون أن أعلى ذروة بلغها قرشي قبل النبي ﷺ كانت لعبدالمطلب، وهو ابن هاشم وجد النبيّ المباشر"[1].

إن هذا الهراء يذكرني بما ردده طه حسين في كتابه (في الشعر الجاهلي) حول نسب الرسول ﷺ حين طعن فيه بقوله:"ونوع آخر من تأثير الدين في انتحال الشعر وإضافته إلى الجاهليين، وهو ما يتصل بتعظيم شأن النبي من ناحية أسرته ونسبه في قريش.فلأمر ما اقتنع الناس بأن النبي يجب أن يكون صفوة بني هاشم، وأن يكون بنو هاشم صفوة بني عبد مناف، وأن يكون بنو عبد مناف صفوة بني قصي، وأن تكون قصي صفوة قريش وقريش صفوة مضر، ومضر صفوة عدنان، وعدنان صفوة العرب، والعرب صفوة الإنسانية كلها. وأخذ القصّاص يجتهدون في تثبيت هذا النوع من التصفية والتنقية وما يتصل منه بأسرة النبيّ خاصة. فيضيفون إلى عبدالله وعبدالمطلب وهاشم وعبد مناف وقصي من الأخبار ما يرفع شأنهم ويعلي مكانتهم ويثبت تفوقهم على قومهم خاصة وعلى العرب عامة"[2].

فمن يقرأ هذين النصين يدرك تماماً تأثر طه حسين بهذا القول، علماً بأن فييت كان من بين المستشرقين الذين درّسوا طه في الجامعة العربية القديمة – كما أسلفت –.

---

(١) دراسة الأستاذ الدكتور حسين مؤنس أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة القاهرة. نشرت بالملحق الأدبي لجريدة الأهرام، نقلاً عن الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، د/ محمد البهي، ص٥٦٩، دار المعارف بمصر، ط: العاشرة، ١٩٩١م .

(٢) في الشعر الجاهلي، ص٧٢.

❖ ١٠) جب هاملتون (١٨٩٥-١٩٧١م) Hamilton :

◈ التعريف به مع ذكر أبرز أعماله:

مستشرق إنجليزي. ولد في مدينة الإسكندرية (مصر) وتعلم في إسكتلندا في المدرسة الثانوية الملكية في أدنبرة، وفي عام ١٩١٢م دخل جامعة أدنبرة وتخصص في اللغات السامية: العربية والعبرية والآرامية. وفي عام ١٩٢٦ - ١٩٢٧ زار الشرق زيارة طويلة، وبدأ في أثنائها دراسة الأدب العربي المعاصر. وفي عام ١٩٥٤ كان أحد المشرفين الأوائل على الطبعة الثانية من دائرة المعارف الإسلامية.

وقد نال في حياته كثيراً من ألقاب التشريف التي لا يستحقها علمياً. والواقع أن جب كانت شهرته فوق قيمته العلمية، وإنتاجه أدنى بكثير من الشهرة التي حظي بها لأسباب كلها بعيدة عن العلم.

ويعد أهم عمل قام به في هذا الميدان هو الكتاب الذي ألفه بعنوان (المجتمع الإسلامي والغرب. المجتمع الإسلامي في القرن الثامن عشر).كتب عدة مقالات في التاريخ الإسلامي منها:

- (تفسير التاريخ الإسلامي) ١٩٥٣.
- (الأهمية الاجتماعية للشعوبية) ١٩٥٣.
- (تطور نظام الحكم في أوائل الإسلام) ١٩٥٥.
- (كتب السير في الإسلام) ١٩٦٢.

كما كتب فيما يخص الدين الإسلامي كتاب (المحمدية) أو (المذهب المحمدي)، الاتجاهات الحديثة في الإسلام، استعرض فيه الاتجاهات الإسلامية الحديثة والمعاصرة وغيرها من الكتابات. توفي في أكسفورد في ٢٢ أكتوبر ١٩٧١[1].

---

(١) يراجع: موسوعة المستشرقين، ص١٧٤.

- **أثره على طه حسين:**

يعد كتاب (المذهب المحمدي) أو (المحمدية) الذي ألفه المستشرق جب صورة صادقة لما يحمله هذا المستشرق من الحقد على الإسلام ونبيه الكريم عليه الصلاة والسلام، بالرغم من تجنبه الألفاظ النابية فيما يحكيه عن الرسول ﷺ - كما يفعل بعض المستشرقين، أخزاهم الله تعالى - وكذلك تجنبه الصراحة المكشوفة فيما يريد أن يبثه من سموم في نفس القارئ[1] حيث يثبت من خلاله بشرية القرآن، وأنه من كلام الرسول ﷺ وليس من كلام الله تعالى.

إنه يرى "أن جو مكة بما فيه من زعامة اقتصادية وسياسية ودينية، ثم بما فيه من عيوب اجتماعية كالرق والفوارق البعيدة المدى بين الطبقات، هو الذي أثَّر في نفس الرسول ﷺ ليكون صاحب ثورة! فالحياة المكية - بما فيها من عوامل إيجابية وأخرى سلبية - قد تفاعلت في نفسه، وهو يرتبط في رسالته بهذه الحياة أيَّما ارتباط، بحيث لو كان رجلاً غير (مكيٍّ) لما صادف هذا النجاح"[2] حيث يقول في ذلك "إن (محمداً)، ككل شخصية مبدعة، قد تأثر بضرورات الظروف الخارجية (عنه) المحيطة به من جهة، ثم هو من جهة أخرى قد شق طريقاً جديداً بين الأفكار والعقائد السائدة في زمانه، والرائدة في المكان الذي نشأ فيه".

إلى أن يقول: "لقد كان أحد سكان (مدينة) غير رئيسية... وليس هناك ما يصح أن يصوره (فمكة) في ذات الوقت لم تكن خلاءً بعيداً عن صخب العالم، وعن حركته في التعامل......بل كانت مدينة ذات ثروة اقتصادية، ولها حركة دائبة كمركز للتوزيع التجاري بين المحيط الهندي والبحر الأبيض المتوسط. و(سكانها) مع احتفاظهم بطابع البساطة العربية الأولية في سلوكهم ومنشآتهم، اكتسبوا معارف واسعة بالإنسان والمدن....عن طريقة تبادلهم الاقتصادي والسياسي مع العرب الرحل، ومع الرسميين من رجال الإمبراطورية الرومانية. ثم إن (السيادة الروحية) التي اكتسبها المكيون من

---

(١) يراجع: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، د/ محمد البهي، ص٢٢٦.

(٢) نفسه، الصفحة نفسها.

قديم الزمان على العرب الرحل، زادت قوة ونمواً بفضل الإشراف على عدد من (المقدسات الدينية) التي وجدت داخل مكة وبالقرب منها"[١].

فجب يرى "أن ثورة الرسول ﷺ النفسية لم تبرز في صورة (إصلاح اجتماعي) ولم يقم بها على أنه مصلح للحياة المكية الاجتماعية، وإنما برزت في صورة (دينية) وفي صورة أنه (رسول)، وذلك لأنه أراد أن يستغل قيم (المقدسات الدينية) بمكة في الزعامة والرواج الاقتصادي ومعارضة المكيين إياه؛ ولذلك كانت معارضته في الزعامة السياسية، وخشية على ازدهارهم الاقتصادي من أن يضعف لو قبلوا دعوته، ولم تكن معارضتهم إياه بسبب العقيدة والإيمان وإلا فالقرآن نفسه، يدل على أن فكرة الوحدانية وهي الفكرة الأساسية في الإسلام كانت معروفة في غَربيِّ الجزيرة العربية"[٢].

يقول الدكتور محمد البهي:

"وملخص قوله هو: أن (مكة) كانت فيها حضارة وزعامة...ولم تكن أيضاً جرداء، ولم يكن سكانها حفاة غلاظاً، بل كانت لديهم فطنة، وملكة في السياسة، ومعارف واسعة بالناس والمدن على السواء. وأن حياة الرسول ﷺ كانت حياة (مكية) خالصة بما فيها نشأته، ودعوته، وصراعه...فهي حياة محدودة بظروف الزمان والمكان!

فدعوته عندئذ ليست دعوة عامة، بل لأناس معينين، واختياره طابع الدعوة بأن تكون دينية، ثم اختياره هذه الدعوة الدينية بأن تكون في صورة حكومة إلهية، وهو من تحديد عوامل الحياة المكية، وقد وقع (محمد) تحت تأثير ما دار فيها من اتجاهات سياسية واقتصادية ودينية. وأن (القرآن) ليس جديداً كله على العرب (المكيين) وأن ما فيه من مسيحية لا يتعدى المسيحية الشرقية السريانية، وكذا ما فيه من يهودية لا يتعدى اليهودية المعروفة في (المدينة)، وليست معارضة (المكيين) له بسبب تمسكهم بالقديم أو بسبب

---

(١) كتاب: Mohammedanism، ص٢٨، نقلاً عن الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ص٢٢٨.

(٢) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

الإيمان، كما ذكر القرآن مثلاً في قوله تعالى: "بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون"(١).

وإنما جاءت معارضة (مكة) في نظر جب بسبب المنافسة في الزعامة والسياسة، والخوض في انهيار حياتهم الاقتصادية. و(القرآن)، كما يريد جب أن يقول، إذن هو من عمل (إنسان) معين هو (محمد) ﷺ عاش في حياة خاصة وهي حياة (المكيين) وتبلورت حياتهم الخاصة هذه فيما قاله فيه"(٢).

هذا ما يراه ويعتقده هذا المستشرق حول القرآن الكريم ونبيه الكريم ﷺ وهو يحاول إثباته وتأكيده في نفوس أبناء المسلمين، ولا يستغرب منه ذلك فهو نصراني حاقد لا يحب الإسلام، ولا يحب أن ينتمي إليه، بل إن انتماءه إلى دينه المحرَّف هو مصدر عزته - الموهومة -.

وهي دافعه وغيره من المستشرقين إلى إظهار هذا العداء إما بصورة ألفاظ نابية وهمز ولمز لنبينا ﷺ - كما يفعل الكثير منهم -، أو بصورة هادئة ذات ألفاظ مهذبة، لكنها على كل حال مجانبة للحق والصواب، كما يفعل هذا المستشرق.

أما أن يصدر هذا الفعل من رجل ينسب نفسه للإسلام ويعد نفسه أحد أبنائه فهذا ما يحار فيه العقل وتضطرب عنده الكلمات؛ وهذا ما نراه واضحاً في موقف طه حسين من القرآن الكريم، كلام الله تعالى، ومن أنزل عليه ﷺ.

يتضح هذا الأمر جلياً في كتابه (في الشعر الجاهلي) حيث يقوم هذا الكتاب على فكرة واحدة هي: "أن الشعر الجاهلي لا يمثل حياة العرب قبل ظهور الإسلام.... أي لا يمثل الحياة التي عاش فيها الرسول ﷺ قبل الرسالة، بما لها من جوانب وأجواء، إذ هو شعر مصطنع مفتعل، ولذا لا يعبر عن حقائقها وعن ما دار فيها! فهو في جملته يعبر عن حياة جاهلية فيها غلظة وخشونة، وبعيدة عن التمرس السياسي والنهضة الاقتصادية،

---

(١) سورة الزخرف: ٢٢.

(٢) المرجع السابق، ص٢٣٢.

والحياة الدينية، الواضحة، مع أن حياة العرب في الجاهلية كانت حياة حضارية "والعرب لم يكونوا على غير دين، ولم يكونوا جهالاً ولا غلاظاً، ولم يكونوا في عزلة سياسية أو اقتصادية"[1].

"وإذا كانوا أصحاب علم ودين، وأصحاب ثروة وقوة وبأس، وأصحاب سياسة متصلة بالسياسة العامة متأثرة بها مؤثرة فيها؛ فما أخلقهم أن يكونوا أمة متحضرة راقية، لا أمة جاهلة همجية! وكيف يستطيع رجل عاقل أن يصدق أن القرآن ظهر في أمة جاهلية همجية"[2].

إلى أن يقول: "وليس من اليسير، بل ليس من الممكن أن نصدق: أن القرآن كان جديداً كله على العرب، فلو كان كذلك لما فهموه ولما وعوه، ولا آمن به بعضهم، ولا ناهضه وجادل فيه بعضهم الآخر! وفي القرآن رد على الوثنيين فيما كانوا يعتقدون من وثنية، وفيه رد على اليهود وفيه رد على النصارى، وفيه رد على الصابئة والمجوس... وهو لا يرد على يهود فلسطين، ولا على نصارى الروم، ومجوس الفرس، وصابئة الجزيرة وحدهم... وإنما يرد على فرق من العرب كانت تمثلهم في البلاد العربية نفسها، ولولا ذلك لما كانت له قيمة ولا خطر، ولما حفل به أحد من أولئك الذين عارضوه وأيدوه وضحُّوا في سبيل تأييده ومعارضته بالأموال والحياة!

أفترى أحداً يحفل بي لو أني أخذت أهاجم (البوذية) أو غيرها من هذه الديانات التي لا يدينها أحد في مصر؟؟ ولكنني أغيظ النصارى حين أهاجم نصرانياً، وأهيج اليهود حين أهاجم اليهودية، وأحفظ المسلمين حين أهاجم الإسلام"[3] يقول الدكتور محمد البهيِّ: "وإذن فالقرآن - بعبارة أخرى - دين محلي لا إنساني عالمي، قيمته وخطره في هذه المحلية وحدها!

(١) الفكر الإسلامي الحديث، ص٢٣٤.

(٢) في الشعر الجاهلي، ص٣٠.

(٣) نفسه، ص٢٨.

قال به صاحبه متأثراً بحياته التي عاشها وعاش فيها ولذلك يعبر تعبيراً صادقاً عن هذه الحياة! أما أنه يمثل غير الحياة العربية أو يرسم هدفاً عاماً للإنسانية في ذاتها، فليس ذلك بحق!

إنه دين (بشري)، وليس وحياً إلهياً... قاله صاحبه لقوم معينين، ولذلك تجاوبوا معه، أو قاموا ضده! ولو أن صاحبه قاله في جماعة أخرى لما حفل به أحد لأن ما يقوله فيه لا يتصل عندئذ بحياة الجماعة الأخرى في قليلٍ أو كثير!

فالقرآن مؤلف، ومؤلفه (نبيه) محمد! ويمتاز تأليفه بأنه يمثل حياة العرب المحدودة في شبه جزيرة العرب، في اتجاهات حياتها المختلفة: السياسية، والاقتصادية، والدينية!" [1].

هذا ما يراه الدكتور محمد البهي من موقف طه حسين من القرآن الكريم مع أنَّ طه حسين لم يصرّح بذلك إلا أنه يلزم من قوله السابق هذا القول الذي قال به الدكتور البهي ~ .

ويجمل الدكتور (محمد البهي) في كتابه (الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي) الأمور التي يلتقي فيها كتاب (المذهب المحمدي) بكتاب (الشعر الجاهلي) على النحو التالي:

إنَّ كليهما يرى: أن الحياة الجاهلية قبل الإسلام، كانت حياة حضارية...كانت حياة حافلة بالكياسة، والنشاط الاقتصادي، والنهضة الدينية!

وأن (محمداً) أو الإسلام، أو القرآن استغل المقدسات الدينية في مكة، وفي مقدمتها (البيت الحرام) أول بيت وضع للناس بمكة. والذي قام على عمارته إبراهيم والد إسماعيل! وظاهر استغلال هذه المقدسات كما يرى كتاب (المذهب المحمدي) هو في أن ثورة محمد أو الإسلام أخذت طابع الدين، دون الطابع الاجتماعي! أما كتاب (الشعر الجاهلي) فيرى هذه الظاهرة في أن محمداً أو الإسلام اضطر إلى قبول قصة إسماعيل

(١) الفكر الإسلامي الحديث، ص٢٣٧.

وتعلمه العربية اضطراراً - مع أنها خرافة أثبتت الحقائق العلمية عدم وقوعها! اضطر إلى ذلك حتى لا يفقد سلاح (المقدسات الدينية) القائمة في مكة وحول مكة في صراعه مع خصومه (المكيين)؛ إذ المكيون أنفسهم كانوا على استعداد نفسي لقبول هذه القصة، رغبة في الوحدة والتكتل، ليكونوا قوة ثالثة في مواجهة الفرس والروم!

وأن (القرآن) لم يكن جديداً كل الجدة على العرب، فما فيه من عقائد كانت في مكة، وتعرفها العرب في شبه الجزيرة. لكن صاحب كتاب (المذهب المحمدي): يرى أن آية معرفتهم لذلك هي عدم معارضة المكيين له فيما ذكر من عقائد - حتى عقيدة الوحدانية -، وأرجع معارضتهم إياه إلى المنافسة السياسية والخشية على انهيار اقتصادهم! بينما يرى صاحب كتاب (الشعر الجاهلي): أن آية ذلك هي قبول من قبل منهم ومعارضة من عارض بينهم، فلو لم يكن القرآن مألوفاً لديهم لما عارض من عارض ولا قبل من قبل، ولا حفل به أحد، ولا كان له أي خطر!

وأن (دعوة الإسلام) دعوة محلية، في جماعة خاصة، وفي حياة خاصة؛ ولذا فالقرآن أو الإسلام، انطباع واضح لهذه الجماعة الخاصة - في حياتها الخاصة! ويمكن أن يتبع آثار هذه الجماعة الخاصة - في حياتها الخاصة - في حياة محمد في جميع أدواره.....وهذا ما يصوره صاحب كتاب (المذهب المحمدي)، ولهذا السبب يعتبر القرآن تعبيراً صادقاً عن هذه الجماعة الخاصة في حياتها الخاصة، حتى عن أمانيها، كما يصوره صاحب كتاب (الشعر الجاهلي)...وإذن فالقرآن محدود القيمة، محدود المكان، محدود الزمان!" (1)

ومن هذا يظهر لنا شدة القرب بين فكر المؤلفين، وأثر المستشرق جب على طه حسين فيما يخص القرآن الكريم والنبي ﷺ.

(1) المرجع السابق، ص٢٣٤.

❖ ١١) ريجي بلاشير (١٩٠٠-١٩٧٣م) Regis Blachere:

◈ التعريف به مع ذكر أبرز أعماله:

مستشرق فرنسي، ولد في مونروج بباريس، وسافر مع أبويه إلى المغرب عام ١٩١٥م. أنهى دراسته الثانوية في مدرسة فرنسية في الدار البيضاء، ثم عين ملاحظاً في إحدى مدارس الرباط بعد حصوله على البكالوريا. التحق بعد ذلك بالجامعة وحصل على الليسانس عام ١٩٢٢م. عاد مرة أخرى إلى الرباط حيث عين مدرساً. وفي عام ١٩٢٩م عين في معهد الدراسات العليا المغربية، واستمر في عمله هذا حتى ١٩٣٥م. وفي عام ١٩٣٦م حصل على الدكتوراه من جامعة باريس برسالتين: الأولى: عن: شاعر عربي من القرن الرابع الهجري: (أبو الطيب المتنبي)، وقد عني به عناية شديدة.

الثانية: ترجمة فرنسية لكتاب (طبقات الأمم) لصاعد الأندلسي. وعقب ذلك عيّن أستاذا للغة العربية في (المدرسة الوطنية للغات الشرقية).

ومن الجدير بالذكر أنه كان يعمل في وزارة الخارجية الفرنسية كخبير في شؤون العرب والمسلمين، ولهذا ساعد الاستعمار وأمده بما يحتاج إليه من معلومات تعينه على السيطرة على المسلمين في المغرب. توفي في السابع من شهر أغسطس ١٩٧٣م[1].

◈ ومن أهم كتبه:

- (تاريخ الأدب العربي منذ البداية حتى نهاية القرن الخامس عشر). وتوفي قبل إتمامه.

- (ترجمة القرآن الكريم) إلى اللغة الفرنسية مع مقدمة طويلة وتفسير قصير.

- صنف كتاباً صغيراً لخص فيه أبحاث المستشرقين عن حياة النبي ﷺ[2].

---

(١) يراجع: موسوعة المستشرقين، ص١٢٧.

(٢) نفسه، ص١٢٨.

- **أثره على طه حسين:**

ذكر الأستاذ شاكر في كتابه (المتنبي) أن طه حسين ليس أول من قال بقرمطية المتنبي، بل قال بها قبله المستشرق (بلاشير) فتبعه في ذلك طه ووافقه على هذا. يقول الأستاذ شاكر: "ومن الظلم البيّن للدكتور طه أن نقول إنه (استحدث) مشكلة القرامطة، فليس هو بذلك الذي (يستحدث) شيئاً لم يكن!! ولكني أنسب استحداثها إليه، لأنه رجل عبقري نابغة فذّ، وللعبقري علينا أن ننسب إليه كل ما يقوله، وإن لم يكن هو صاحبه ولا مبتدعه ولا البادئ به.

وأوّل من أحدث هذه الخرافة، فيما نعلم، أحد الفئة المستشرقة الأستاذ (بلاشير)، وقيّد هذا في دائرة المعارف الإسلامية[1] فقال: "ولقد هذّب دعاة القرامطة من شأن بني كلب الذين كانوا يعيشون عيشة البدو في سهوب تلك الصحراء، ومن المحتمل أن يكون هذا الشاعر الشاب قد اتصل في ذلك الوقت ببعض هؤلاء (الزنادقة) إلا أنه من المرجح أيضاً أن هذا الاتصال لم يترك أثراً واضحاً في حياته لحداثة سنه، ومن المحقق من جهة أخرى أن إقامة أبي الطيب بين هؤلاء البدو، قد أكسبته معرفة واسعة باللغة العربية كثيراً ما فاخر بها فيما بعد"[2].

وقد قال طه حسين في كتابه (مع المتنبي) كلاماً يظهر منه التقارب والتوافق بين النصين حيث يقول: "ليس من اليسير أن نقطع بشيء من هذا، ولكن الذي نستطيع أن نقطع به ونحن مطمئنون، هو أن رحلة المتنبي إلى البادية قد نفعته من الناحيتين جميعاً، فقد ربا جسمه، ونما عقله، وفصح لسانه، وتعلّم أصول القرامطة، وعرف مذاهبهم النظرية والعملية معاً، وشعر المتنبي في صباه، بعد عودته من البادية إلى الكوفة، يبين لنا هذا أوضح تبيين وأجلاه"[3].

فإذا تأملنا النصين السابقين وجدنا عظم ما بينهما من الشَبه، وذلك ما يؤكده

---

(١) المتنبي، محمود شاكر، ص٤٩٨.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية، الترجمة جـ١، ص٣٦٤.

(٣) مع المتنبي، طه حسين، ص٤٥.

الأستاذ شاكر حيث يقول: "إن الدكتور إنما استلب هذه الفكرة من الأستاذ (بلاشير) المستشرق، ولكن (بلاشير) يقول: إنه من (المحتمل) أن يكون المتنبي قد اتصل ببعض القرامطة، ثم (يرجّح) أن هذا الاتصال لم يترك أثراً في حياته وشعره لحداثة سنه. فلما استولى عليها الدكتور طه، واستبدّ بها، وتملّكها تملك المالك لما يملك، تصرّف فيها بحقّه وحقّ المِلك، فجعل (المحتمل) يقيناً لا شك فيه!! وجعل هذا الاتصال الذي لم يترك أثراً في حياته أو شعره عند (بلاشير)، اتصالاً كان له أكبر الأثر وأبينه وأوضحه في حياة المتنبي!! واستدّل على ذلك بأبيات وصفها بأنها (كافية كلّ الكفاية لإثبات قرمطية المتنبي) على عادة الدكتور في سوء فهم الشعر، وفي التحكّم والتكلّف والتعسّف والغِلَظ المفضي إلى البغض"(1).

والأبيات التي يقصدها الأستاذ شاكر هنا هي قول المتنبي:

إلى أيّ حين أنت في زيِّ محرم؟ وحتى متى في شقوة؟ وإلى كم؟

وإلا تمت تحت السيوف مكرماً تمت وتقاس الذل غير مكّرم

فثِب واثقاً بالله وثبة ماجد يرى الموت في الهيجا جنى النحل في الفم

فطه حسين هنا استدّل بهذه الأبيات على إثبات أن هذا الغلام (المتنبي) قد عاد من البادية القرمطية!! وهو قرمطي الرأي، متحفزاً ليكون قرمطي السيرة أيضاً حيث قال بهذا في كتابه (مع المتنبي) ص ٤٥ ثم يقول في ص ٦٧: "وهو لا يريد بهذا الوثوب إلا الخروج على السلطان، وشق عصا الطاعة، والمخالفة عما يأمر به النظام المألوف".

ويقول: "ليس عندي من شك أن هذه الأبيات تصور ما عاد به الغلام من البادية بعد أن عاش في بيئتها الخشنة المقتنعة بالمذهب الجديد (يعني القرمطية)" ثم يقول: إن هذه الأبيات فيها "الرصانة اللفظية التي تدفع اللفظ عن الابتذال وتكسبه عذوبة تحسّ فيها ريح الصحراء"(2).

---

(١) المتنبي، محمود شاكر، ص٥٠٩.

(٢) مع المتنبي، طه حسين، ص٤٦.

يقول طه حسين هذا ويصرّح به على هذا النحو مع علمه أن الرواة أخبروا أن المتنبي قال هذه الأبيات وهو لا يزال صغيراً في المكتب (الكتّاب) في الكوفة قبل أن يذهب إلى البادية.

❖ ١٢) بول كازانوفا Poul Casanova:

◈ التعريف به مع ذكر أبرز أعماله:

مستشرق فرنسي، تعلم العربية وعلمها في معهد فرنسا (١٩٢٠م)، قدم إلى مصر فانتدبته الجامعة المصرية ١٩٢٥) أستاذاً لفقه اللغة العربية. له عدة آثار منها:

مصنف بعنوان (محمد وانتهاء العالم في عقيدة الإسلام الأصلية)، أيضاً له بعض الدراسات مثل:

- أساطير فلكية عربية وعلاقتها بالأساطير المصرية (١٩٠٢)
- الملحمة في فجر الإسلام (مجلة تاريخ الأديان) (١٩١٠)
- عقيدة الفاطميين السرية في مصر (١٩٢١)

وغيرها من الدراسات أيضاً كتب بعض الدراسات في المجلة الآسيوية منها:

- مخطوط للأشعري عن الفرق في الإسلام (١٩١٢)
- علم الفلك في رسائل إخوان الصفاء (١٩١٥) وغيرها...

- **أثره على طه حسين:**

من المعلوم أن طه حسين أعرب عن رأيه فيما يتعلق بالشعر الجاهلي سنة ١٩٢٦ "وقد استمد رأيه هذا من عدة مصادر، أولها أنه يترتب على قبول مبدأ (سينوبوس) [١] الذي ينص على أن الوثائق المكتوبة هي وحدها التاريخية.

ولما كان القرآن هو أول نص عربي يدّون فإنه هو أيضاً أول وثيقة تاريخية في تاريخ العرب.

ويبدو أن ثمة مصدراً آخر ممكّناً للرأي المذكور من ذلك (بول كازانوفا)، أستاذ طه

(١) سينوبوس: فيلسوف يوناني، ولد في قيرينا (ليبيا) درس الأفلاطونية الجديدة في الإسكندرية وأثينا، له رسائل ومقالات وأناشيد، توفي سنة ٤١٣ق م. يراجع: المنجد في اللغة والأعلام، ص٣٢٣.

في الكوليج دي فرانس، فهو بالإضافة إلى اشتراكه في الإشراف على رسالة طه عن (ابن خلدون) قدم نوعين من الدروس حضر طه كليهما.

وكان أولهما عن تفسير القرآن الكريم بينما كان الثاني موجهاً للجمهور. يرى كازانوفا في كتابه (محمد ونهاية العالم) أن عمله هذا مدخل لتفسير أوفى وأبعد مرمى يريد أن يقدمه بعد بضع سنوات، وكان من المقرر أن تكون نقطة الانطلاق في التفسير المقترح هي الإيمان بأن جمع القرآن، كما وصل إلى الأجيال التالية، لم يكن إلا نقلاً غير أمين لفكر محمد. وقد اقترح كازانوفا أن يضطلع - عن طريق تطبيق النقد الحديث تطبيقاً صارماً على أوسع نطاق وبأكبر قدر من الحرية - بتحقيق القرآن وترجمته وتفسيره على نحو مستقل قدر الإمكان عن التفسير الإسلامي التقليدي وما حاكاه من تفاسير غربية"[1].

فتلك إذن هي طبيعة التفسير الذي كان كازانوفا يمارسه عندما كان يلقى دروسه على طه وعلى غيره في الكوليج دي فرانس بداية من سنة ١٩١٦م فما تلاها.

وقد قدّم طه حسين مزيداً من المعلومات عن طريقة أستاذه في التفسير عندما وصف ما كان يتحلى به من تجرد علمي وموضوعية. حيث يقول: "كان شديد الإيمان بمسيحيته يذهب فيها إلى حد التصوف، ولكنه إذا دخل غرفة الدرس نسي من المسيحية واليهودية والإسلام كل شيء سوى أن لها نصوصاً يجب أن تخضع للبحث اللغوي؛ كما تخضع المادة للعلماء يتناولونها في معاملهم بما يشاءون من ألوان البحث والامتحان".

ويتابع قوله: "إن بول كازانوفا كان إذا عرض لنص من نصوص القرآن درس لفظه وكشف معناه، وبحث عن تاريخه ووصل بينه وبين قديم العرب وأهل الكتاب، والتمس تأثيره في المسلمين بعد أن تلي عليهم"[2]. ومن هذا نستخلص أن منهج كازانوفا كان ديكارتياً؛ نظراً لأنه كان يحرص على أن يطرح جانباً معتقداته الدينية

---

(١) طه حسين من الأزهر إلى السوربون، ص٢١٢ وما بعدها، نقلاً عن: السياسة الأسبوعية، طه حسين، بول كازانوفا، ٢٧ مارس ١٩٢٦، ص٩ وما بعدها، بتصرف يسير.

(٢) طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام، أنور الجندي، ص٣٦.

والوطنية عند تناوله موضوع الدراسة. ولقد كان كازانوفا هو الوحيد بين أساتذة طه، سواءٌ في مصر أو فرنسا، الذي طبّق المنهج التاريخي على القرآن الكريم.

وبناء على ذلك يبدو أنَّ طريقة كازانوفا في تفسير القرآن الكريم كانت هي المصدر الرئيسي الذي استمد طه حسين منه رأيه في أن القرآن - وليس الشعر الجاهلي- هو مرآة الحياة الجاهلية.

ولهذا فإن كتاب طه حسين «في الشعر الجاهلي» يدل على تأثر طه بكازانوفا من عدة جوانب، من ذلك مثلاً شكّه في صحة الشعر المنسوب إلى أمية بن أبي الصلت حيث يقول: "ثم إن هذا الموقف نفسه يحملني على أن ارتاب الارتياب كله في شعر أمية بن أبي الصلت، فقد وقف أمية من النبيّ موقف الخصومة: هجا أصحابه وأيّد مخالفيه ورثى أهل بدر من المشركين. وكان هذا وحده يكفي لينُهى عن رواية شعره، وليضيع هذا الشعر كما ضاعت الكثرة المطلقة من الشعر الوثني الذي هجي فيه النبيّ وأصحابه حين كانت الخصومة شديدة بينهم وبين مخالفيهم من العرب الوثنيين واليهود"[1].

إلى أن يقول: "ونحن نعتقد أن هذا الشعر الذي يضاف إلى أمية بن أبي الصلت وإلى غيره من المتحنفين الذين عاصروا النبي أو جاءوا قبله إنما اُنتحل انتحالاً، انتحله المسلمون ليثبتوا -كما قدمنا- أن للإسلام قدمة وسابقة في البلاد العربية، ومن هنا لا نستطيع أن نقبل ما يضاف إلى هؤلاء الشعراء المتحنفين إلا مع شئ من الاحتياط والشك غير قليل"[2].

فما هذا الشك من قبل طه حسين إلا صدى لما قاله كازانوفا في هذا الصدد حيث يقول: "إن كل جهود المفسرين المسلمين في تأييد آرائهم اللغوية المتعسفة بالاستشهاد بقصائد يدّعى أنها معاصرة للقرآن تبعث على الارتياب.

وربما كان بعض هذه الأبيات صحيحاً، ولكن ليس لدينا أي معيار (لتحديدها).

---

(١) في الشعر الجاهلي، طه حسين، ص٨٤.

(٢) المرجع السابق، ص٨٦.

ولو أن هذا المعيار قد وجد فلابد أنه الذي ينص على أن جميع الأبيات التي تحمل طابعاً قرآنياً لا بد قد حُرفت أو اُخترعت بكاملها. غير أن هذا الرأي ذاته لا يمكن إثباته"[1].

وقد صور طه حسين علاقته بالمستشرق كازانوفا الذي علمه تفسير القرآن في الكوليج دي فرانس على هذا النحو: "عرفته أستاذاً في الكوليج دي فرانس، ولم أكد أسمع له حتى أعجبت به إعجاباً لم أعرف له حداً، كان يفسر القرآن وكنت حديث العهد بباريس، كنت شديد الإعجاب بطائفة من المستشرقين، ولكني لم أكن أقدّر أن هؤلاء المستشرقين يستطيعون أن يعرضوا في إصابة وتوفيق لألفاظ القرآن ومعانيه، والكشف عن أسراره وأغراضه، فلم أكد أجلس إلى كازانوفا حتى تغير رأيي، أو قل حتى ذهب رأيي كله، وما هي إلا دروس سمعتها منه حتى استيقنت أن الرجل كان أقدر على فهم القرآن وأمهر في تفسيره من هؤلاء الذين يحتكرون علم القرآن ويرون أنهم خزنته وسدنته وأصحاب الحق في تأويله، فُتنت بهذا الرجل لا لأنه كان عالماً صادقاً، ولا لأن منهجه في البحث كان متقناً دقيقاً حصيفاً بل لهذا ولشئ آخر خيرٌ من هذا، كان حراً خصباً رفيقاً لا يتعصب لرأي ولا يتأثر بهذه العواطف المنكرة التي تفسد على الناس علمهم وأدبهم وفنهم وحياتهم العقلية والشعورية بوجه عام، كان كازانوفا مسيحياً شديد الإيمان بمسيحيته يذهب فيها إلى حد التعصب، ولكنه كان إذا دخل غرفة الدرس في الكوليج دي فرانس نسي من المسيحية واليهودية والإسلام كل شيء؛ إلا أن لها نصوصاً يجب أن تخضع للبحث اللغوي كما تخضع المادة للعلماء يتناولونها في معاملهم بما يشاءون من ألوان البحث والامتحان، نعم، لم يكن مسيحياً ولا يهودياً ولا متديناً حين كان يعرض لنص من النصوص القرآنية يدرس لفظه ويكشف معناه"[2].

"وما أشار إليه طه حسين عن كازانوفا مليء بالمغالطات، فلم يكن كازانوفا يفهم في القرآن ما يفهمه علماء المسلمين؛ وإنما يفهمه ويبحثه من خلال ذلك المفهوم

---

(١) Paul Casanova، Mohammad et la fin du mond، notes complementaires١١ (Paris ١٩٢٤) p.٢٢٣.

(٢) السياسة اليومية -٢٧ مارس ١٩٢٦، نقلاً عن: طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام، أنور الجندي، ص٣٦ وما بعدها.

الاستشراقي للقرآن، حين يرى الحرية المطلقة في القول بأن القرآن من كلام محمد، وأن آيات القرآن يمكن أن توصف بالقوة والضعف، وهذا المنهج الذي نقله طه حسين من كازانوفا هو الذي طبقه في كلية الآداب وسجّله عليه تلاميذه. وما ادعاه من أن هناك قرآناً مكياً وقرآناً مدنياً[(1)] وأن الرسول ﷺ تأثر بالكتب القديمة، في أسلوب القصص إلى آخر هذا الاتجاه الجريء على الله وكتابه ودينه"[(2)].

وإذا أردنا أن نعرف إلى أي حد انحدر فكر هذا المستشرق وإلى أي درجة بلغ به السّفه الذي عميت بصيرة طه حسين عن إدراكه-، فإلى هذا المثال من الشبه والافتراءات التي كان يرددها كازانوفا حول الرسول ﷺ حيث يقول: إن محمداً لم يُعّين خليفة له، لأنه كان يعتقد أن القيامة ستقوم في حياته أو بعد موته مباشرة!!

ذكر هذا الكلام الذي لا يمكن صدور مثله عن عاقل في كتابه السالف الذكر (محمد ونهاية العالم) ويمضي كازانوفا فيقول: إن أصحاب النبي كانوا مثله في ذلك الاعتقاد ولذلك أحسّوا بالحرج لما توفي النبي ولم تقع الساعة، فكان لا بد من البحث عن مخرج من ذلك الحرج!!

ويتطوع كازانوفا بالمخرج فيقول: إن ذلك المخرج كان في اضطرار أبي بكر إلى اختراع آيتين وإضافتهما إلى القرآن، إحداهما: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾[(3)].

والثانية: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾[(4)].

وهكذا ظهر من خلال هذا المبحث أبرز المستشرقين المؤثرين على فكر طه حسين، الذي تمثّل لنا فيما بعد في كتاب أصدره، أو مقالٍ نشره، أو محاضرة ألقاها، بثّ من خلالها سموم الاستشراق الهدّام، لتصبح كالسوس ينخر فيما تبقى من جسد الأمة العليل. لكن

---

(١) سيأتي الحديث عن هذا -إن شاء الله- عند ذكر المخالفات العقدية لطه حسين في الباب الثاني، ص٢٠٨.

(٢) طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام، ص٣٧، بتصرف يسير.

(٣) سورة آل عمران: ١٤٤.

(٤) سورة الزمر: ٣٠- ٣١.

برغم كل ما فعله الاستشراق وساعده عليه عملاؤه من رموز التغريب لم تخل الأمة الإسلامية من جهابذة ينفون عنها الخبث، وصدق الحق: ﴿ بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞ ﴾[1].

---

(١) سورة الأنبياء: ١٨.

س

الفصل الثالث

المصادر الأجنبية لفكر طه حسين

وفيه مبحثـــان : -

- **المبحث الأول: الفكر الفرنسي.**
- **المبحث الثاني: التراث الروماني واليوناني.**



مصادر فكر طه حسين

يرجع فكر طه حسين إلى مصدرين أساسيين ويتمثلان في المبحثين التاليين:

❖ المبحث الأول: الفكر الفرنسي:

تعلَّم طه حسين اللغة الفرنسية وتكلم بها، ومن ثم بدأت معرفته للثقافة الفرنسية عن طريق أساتذته الفرنسيين في الجامعة، ثم اتسعت هذه الثقافة عندما ابتعثته الجامعة المصرية ليكمل دراسته في جامعة (مونبيليه) ثم جامعة (السوربون) بفرنسا.

وساعده على ذلك تعرفه على الآنسة (سوزان) التي أصبحت فيما بعد زوجاً له – كما أسلفت –.

و تعلق طه حسين بفرنسا إلى حد كبير، وأصبحت جزءً كبيراً من حياته لا يطيق فراقها

أو البعد عنها، بل أصبحت باريس قبلته التي يوجه إليها حبه وعواطفه....

يقول في فرنسا: "كل شيء في فرنسا يعجبني ويرضيني، خير فرنسا وشرها، حلو فرنسا ومرها، نعيم فرنسا وبؤسها، كل ذلك يروقني ويلذّني وتطمئن إليه نفسي اطمئناناً غريباً، إني لأحس نفسي تسبق القطار إلى باريس على سرعة القطار..." [(١)].

و يقول في مقال بعنوان (باريس):"أريد أن أكتب عن باريس، ولكني لا أدري ماذا أقول عن باريس، لا لأن الكلام يعوزني، ولا لأن الخواطر تنقصني، بل لأن لدي خواطر لا أستطيع أن أحصيها ولا أن أنظِّمها، ولأن لدي كلاماً لا أستطيع أن يؤثر بعضه على بعض، فما أكثر ما أريد أن أقول، وما أشد عجزي عن تسطير ما أريد قوله. وماذا تريد أن أفعل؟ ولست من الفن ورقّة القلب بحيث كان الكاتب الفرنسي (رينان) الذي زار عاصمة العالم القديم فقدَّم إلى آلهتها هذه الآية الفنية الخالدة، التي هي صلاته إلى آلهة الحكمة في أثينا.

(١) طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام، أنور الجندي، ص٥٠.

ماذا تريد أن أفعل وليس لي حظ (رينان) من الفن ولا من رقّة القلب، وقد حرمني الله كل خيال أو قدرة على التصرف في الخيال. ومع ذلك ففي باريس آلهة يستحقون أن يتقدَّم إليهم الإنسان بالصلاة كما تقدم (رينان) إلى آلهة الحكمة في مدينة أثينا"[1].

وفي هذا النص من المخالفات العقدية مالا يخفى، فمتى جاز لمن يدّعي الإسلام الصلاة لغير الله تعالى؟ بل متى جاز له الاعتراف بألوهية غير الله ﷻ؟! وأخيراً هل يصل التعلُّق ببلاد الكفار إلى هذا الحد؟!

وفي عام ١٩١٩ عاد طه حسين إلى وطنه، ولكن صلته بفرنسا وبأدبائها لم تنقطع، فقد ارتبط بصداقة الكثير من المفكرين المعاصرين مثل:(أندريه جيد)، (سارتر)، (بول ڤاليري) وغيرهم...وعندما أصبح عميداً لكلية الآداب سنة ١٩٣٥ حاول أن يجدِّد قسم الدراسات الفرنسية في الكلية، فأنشأ قسماً جديداً على نظام الأقسام في جامعة السربون، وأتى بأساتذة فرنسيين، وفرض على أستاذ اللغة الفرنسية أن يلقي المحاضرات من السنة الأولى وليس في السنة الرابعة وحدها كما كان معتاداً آنذاك، وشجَّع البعثات إلى فرنسا للتخصص، وقد اعترفت فرنسا لما كان لطه حسين من جميل على الأدب والفن الفرنسيّين، فقد ساهم بنصيبه في انتشارهما كما أدَّى للفكر الفرنسي خدمات جليلة في كتبه ومقالاته؛ فأهدته كما يُهدى القلائل من الفرنسيّين وسام (اللجيون دونور)، ومنحه (إدوارد هريو) عمدة ليون الدكتوراه الفخرية من جامعة ليون. وكتب عن طه حسين أشهر الأدباء الفرنسيّين المعاصرين مثل جورج ديهاميل وأندريه جيد[2]. كما كتب هو وتأثر بعدد من الفلاسفة والمفكرين والنقاد والأدباء الفرنسيّين الذين يمكن تقسيمهم إلى الآتي:

- **أولاً**: المفكرون الفرنسيُّون المتقدمون: أمثال (ديكارت)، (روسو)، (فولتير)...
- **ثانياً**: المفكرون الفرنسيُّون المعاصرون له: (سانت بيف)، (تين)، (دور كايم)...

---

(١) من بعيد، طه حسين، ص٢٩، دار الكتاب اللبناني، بيروت، بدون.

(٢) يراجع: طه حسين وأثر الثقافة الفرنسية في أدبه، ص٤١ – ٤٣.

• **ثالثاً**: الأدباء الفرنسيُّون المعاصرون له: (بود لير)، (أندريه جيد)، (بول فاليري)...

أولاً: المفكرون الفرنسيُّون المتقدمون:

١) رينيه ديكارت (١٥٩٦-١٦٥٠م) René Descartes[1]:

• **أثره على طه حسين:**

ذكر الأب (كمال قلته) في كتابه[2] شدة تأثر طه حسين بديكارت حيث يقول:

"هو متأثّر بديكارت أشد التأثّر مقتنع أشد الاقتناع بأن منهجه ضروري للحياة العقلية العربية. بل واثق أن منهج ديكارت سيغزو العالم، وسيغزو الفكر العربي شئنا أم أبينا"[3]. ويظهر ذلك في قول طه حسين:

"أحب أن أكون واضحاً جلياً، وأن أقول للناس ما أريد أن أقول دون أن أضطرهم إلى أن يتأولوا أو يتمحّلوا ويذهبوا مذاهب مختلفة في النقد والتفسير والكشف عن الأغراض التي أرمي إليها.

أريد أن أريح الناس من هذا اللون من ألوان التعب، وأن أريح نفسي من الردّ والدفع والمناقشة فيما لا يحتاج إلى مناقشة. أريد أن أقول إني سأسلك في هذا النحو من

---

(١) "فرنسي، ولد بمقاطعة تورين، وتعلم بكلية لافليش اليسوعية، وكانت من أشهر مدارس أوروبا، ونال إجازة الحقوق من بواتيني (١٦١٦)، وتطوَّع للخدمة في الجيش الهولندي (١٦١٨)، وفيه التقى بشخصية كان لها أثرها على حياته الفكرية، فقد تعرف إلى عالم رياضي يدعى إسحق بيكمان، صرفه إلى الرياضيات والطبيعة، وكان قد زهد في الدراسات الفلسفية، ولم يعثر فيها على اليقين الذي يطمح إليه، وأعجب بدقة الرياضيات وإحكام براهينها، وتمنى لو يتوصل إلى معالجة المسائل الطبيعية بالطريقة الرياضية. وفي عام ١٦١٩ رحل إلى ألمانيا، وكان التفكير في مشكلته تلك يقضّ مضجعه، ولجأ إلى قرية بالقرب من مدينة (أولم) وقد شملته نشوةٌ علميةٌ غريبة - هكذا وصفها - وحلم حلماً عجيباً لم يشك لحظة أنه الوحي قد تنزل عليه!".

(٢) طه حسين وأثر الثقافة الفرنسية في أدبه.

(٣) ص ١٣٣.

البحث مسلك المحدثين من أصحاب العلم والفلسفة فيما يتناولون من العلم والفلسفة. أريد أن أصطنع في الأدب هذا المنهج الفلسفيّ الذي استحدثه ديكارت للبحث عن حقائق الأشياء في أول هذا العصر الحديث"[1].

ثم يقول موضحاً المنهج الذي سيسير عليه في بحثه: "والناس جميعاً يعلمون أن القاعدة الأساسية لهذا المنهج هي أن يتجرد الباحث من كل شيء كان يعلمه من قبل، وأن يستقبل موضوع بحثه خالي الذهني مما قيل فيه خلواً تاماً".

إلى أن يقول: ".... فلنصطنع هذا المنهج حين نريد أن نتناول أدبنا العربي القديم وتاريخه بالبحث والاستقصاء. ولنستقبل هذا الأدب وتاريخه وقد برأنا أنفسنا من كل ما قيل فيهما من قبل وخلصنا من كل هذه الأغلال الكثيرة الثقيلة التي تأخذ أيدينا وأرجلنا ورؤوسنا فتحول بيننا وبين الحركة الجسمية الحرة، وتحول بيننا وبين الحركة العقلية الحرة أيضاً. نعم! يجب حين نستقبل البحث عن الأدب العربي وتاريخه أن ننسى قوميتنا وكل مشخصاتها، وأن ننسى ديننا وكل ما يتصل به، وأن ننسى ما يضاد هذه القومية وما يضاد هذا الدين، يجب ألا نتقيد لشيء ولا نذعن لشيء إلا مناهج البحث العلمي الصحيح. ذلك أنَّا إذا لم ننسَ قوميتنا وديننا وما يتصل بهما فسنضطر إلى المحاباة وإرضاء العواطف، وسنغلّ عقولنا بما يلائم هذه القومية وهذا الدين"[2].

فطه حسين هنا بيّن السبيل الذي سيسلكه في البحث، "ومن الغريب أنه لم يبين فيه للبحث منهجاً ولا طريقة، بل كل الذي قاله إنه لن يتأثر بالقومية ولا بالدين وأنه سيهمل علم العلماء المتقدمين، وليس في هذا تبيين للطرق التي سيسلكها هو، إن كان فيه بيان فهو بيان سلبي ينبئ بالطرق التي لن يسلكها لا بالطريق التي سيسلك، وعنوان الفصل كان يقتضي العكس. كان يقتضي أن يكون بيان منهج البحث فيه إيجابياً، ينبئنا بما

(١) في الأدب الجاهلي، ص٧٠.

(٢) المرجع السابق، الصفحة نفسها وما بعدها.

سيفعله الباحث لا بما سيجتهد أن لا يفعل".[1]

يقول الأستاذ محمود شاكر ~ مبطلاً مذهب طه حسين:"إن ادعاء طه حسين أن القاعدة الأساسية في منهج ديكارت أن يتجرَّد الباحث من كل شيء كان يعلمه من قبل، وأن يستقبل بحثه خالي الذهن خلواً تاماً مما قيل، فإن هذا شيء لا أصل له، وتكاد تكون هذه الصياغة كذباً مصفى، بل هو خارج عن طوق البشر.

هبه يستطيع أن يخلي ذهنه خلواً تاماً مما قيل، وأن يتجرَّد من كل شيء كان يعلمه من قبل، أفيستطيع هو أيضاً أن يتجرَّد من سلطان اللغة التي غذي بها صغيراً حتى صار إنساناً ناطقاً؟ أفيستطيع أن يتجرَّد من سطوة الثقافة التي جرت منه مجرى لبن الأم؟ أيستطيع أن يتجرَّد من بطشة الأهواء التي تستكين ضارعة في أغوار النفس وفي كهوفها؟ كلام يجري على اللسان بلا زمام يضبطه، محصوله أن يتطلب إنساناً فارغاً خاوياً مكوناً من عظام كسيت جلداً؟"[2].

وليت طه حسين حين دعا إلى مذهب الشك كان يهدف إلى أن يكون الشك مقدمة إلى اليقين، إذن لهان الأمر، ولكنه كان يهدف إلى أن يكون الشك للشك!!

يقول الغمراوي:

"أما أن ديكارت كان يشك وكان يغلو في الشك فهذا ما لا ننكره وما لا نجادل صاحب الكتاب فيه، ولكننا ننكر أن يكون شكه ذلك أكبر من أن يخضع في العلم لما يخضع له كل شك من القيود. وننكر أن تكون مكانة ديكارت العلمية راجعة إلى أنه كان يشك، أو أنه كان يغلو في الشك، فإن الشك موجود على الأرض منذ وجد العقل، وليس الغلو في الشك في ذاته بمحمدة فيذكرها العلم أو التاريخ لأحد. لا، لم تكن عظمة ديكارت راجعة إلى أنه شك، ولكن إلى أنه طلب مخرجاً من الشك واهتدى إلى طريقة في

---

(١) النقد التحليلي لكتاب في الأدب الجاهلي، محمد أحمد الغمراوي، ص١١٦، دار الحكمة، ١٩٧٠م.

(٢) نقلاً عن: نظرة شرعية في فكر منحرف، سليمان صالح الخراشي، جـ١، ص٤٧٦ وما بعدها، مكتبة التوحيد، ط: الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م.

البحث خرج بها إلى بحبوحة اليقين، ثم ترجع إلى أنه طبّق تلك الطريقة في نواح مختلفة فأثمرت معه في بعض النواحي ثمراً حسناً ولم تثمر معه في بعض. أثمرت معه مثلاً في الرياضة ما هو في الحقيقة أساس عظمته إذ ابتكر فيها الهندسة التحليلية – أو الهندسة الكارتيزية كما قد تسمى نسبة إليه – ولم تثمر معه في الفلسفة أو الطبيعة مثلاً إلا قليلاً مما يأخذ به العلم اليوم.

تلك الطريقة هي التي بيّنها ديكارت في رسالته التي أخرجها للناس سنة ١٦٣٧. وهي نفس المنهج المعروف بمنهج ديكارت في البحث والذي عقد له طه حسين فصلاً في كتابه وعجز – لأمر ما – عن أن يبيّنه فيه"[١].

ويتابع الغمراوي قوله:

"على أن ديكارت حين أخذ الشك يساوره كان غلاماً ناشئاً يتربَّى في إحدى كليات الجزويت. وكان حين غلا في الشك فاطَّرح كل شيء، وشك في كل شئ مما تلقاه في تلك الكلية، شاباً لم يكد يتجاوز العشرين ولم يكد يغادر باب الكلية إلى ميدان الحياة، فشكه ذلك كان شك الفتى الغرير لا العالم الخبير، ومن الظلم أن يحتجّ به أو أن يشتدّ في محاسبته. غير أنه لم يكن هناك بدّ بالطبع من أن تتفرع حياة ديكارت الكهل عن حياة ديكارت الشاب، وأن يكون في تلك الرسالة الصغيرة التي أخرجها للناس حوالي الأربعين صدى لذلك الشك الذي استحوذ عليه حوالي العشرين، الذي أدّى تطلب المخرج منه إلى تلك الطريقة المعروفة في التاريخ بطريقة ديكارت، أو بمنهج ديكارت، كما تشاء أن تسميها. لكن الدكتور طه خلط بين الشك وبين المخرج من الشك فجعل الشك القاعدة الأساسية للمنهج الذي ابتغى ديكارت أن يتخلَّص به من الشك، والذي أدَّاه في بعض ميادين البحث إلى نتائج عظيمة، وفي بعض الميادين الأخرى إلى نتائج بعيدة عن العظمة لأنها بعيدة عن الصحة"[٢].

---

(١) النقد التحليلي لكتاب في الأدب الجاهلي، محمد أحمد الغمراوي، ص١٢٩ وما بعدها.

(٢) نفسه، ص١٢٢.

وفي الحقيقة أن طه حسين لم يطبّق منهج ديكارت بطريقة صحيحة حين نسب إليه تجرّد الباحث من القومية ومن الدين حينما يستقبل بحثه؛ فليست هذه من قواعد ديكارت في منهجه حيث ذكر كل من إستايلي جفونز وويليام وليص - وهما من كبار العلماء - خلاف ذلك.

أما جفونز فقد كتب في كتابه (دروس أولية في المنطق الاستقرائي والقياسي) درساً عنوانه (رأي باسكال وديكارت في الطريقة).

حيث يقول: "وهنا أريد أيضاً أن أذكر القواعد التي اقترحها ديكارت المشهور ليهتدي بها العقل في الوصول إلى الحق. تلك هي:

أولاً: ألا نقبل قط شيئاً على أنه حق من غير أن نكون على بينةٍ من أنه كذلك. أي أن نتجنب العجلة والهوى، وألا نُضمِّن قضايانا من الحكم أكثر مما يتمثّل للعقل تمثلاً هو من التميز والوضوح بحيث لا يبقى لدينا للشك فيه مجال.

ثانياً: أن نجزئ كل مشكلة نمتحنها إلى أكبر ما يمكن أو إلى ما يتطلبه حل المشكلة من الأجزاء.

ثالثاً: أن نسير في تفكيرنا على ترتيب ونظام مبتدئين بأبسط الأشياء معرفة لنرتقي بالتدريج إلى علم مُقعِّدها.

رابعاً: أن نقوم في كل حالة بتعداد هو من الكمال، وباستعراض هو من السعة، بحيث نكون على ثقة من أننا لم نفلت شيئاً.

هذه القواعد قد ذكرها ديكارت أول مرة في رسالته المعجبة (مقال في الطريقة) التي أورد فيها تأملاته في الكيفية المثلى لهداية العقل والبحث عن الحق في أي العلوم"[1].

هذا ما ذكره جفونز عن طريقة ديكارت في كتابه، ومما يؤكد أن القاعدة التي زعمها طه حسين لم تسقط من جفونز سهواً ولا خطأً ما ورد في دائرة المعارف في

---

(١) المرجع السابق، ص١٢٢ وما بعدها.

الصفحة الرابعة والثمانين في المجلد الثامن تحت عنوان (طريقة ديكارت) حيث ترجم الدكتور الغمراوي ملخصه الذي ذكره وليام وليص - كاتب ذلك المقال - حيث يقول الغمراوي في كتابه النقد التحليلي: "تلك هي النقط الأربع لطريقة ديكارت:

أولاً: تتطلّب الحقيقة تصور غرضها تصوراً واضحاً متميزاً خالياً من كل شك.

ثانياً: الأشياء الممكن عرفانها موجودة بطبيعتها على صورة سلسلات أو مجاميع.

ثالثاً: في تلك المجاميع ينبغي أن يبدأ البحث بالعنصر البسيط الذي لا يمكن تحليله إلى أبسط منه، متنقلاً منه إلى العناصر الأكثر نسبية وتعقيداً.

رابعا: لابد لحصول المعرفة في أكمل صورها من تقسيم الصلات والارتباطات الموجودة بين هذه العناصر وبعض؛ تقسيماً بحيث لا يكون هناك فجوات بينهما".(1)

"ومن المقارنة بين هذه النقط الأربع التي ذكرها وليام وليص وبين تلك القواعد الأربع التي ذكرها جفونز نتبيّن أن كلاً منهما لم يرد أن يعطي القارئ إلا ملخص منهج ديكارت لا نصه، ونتبيّن أيضاً أنهما مع اختلافهما في صورة الوضع متفقان في الفهم، وأنهما يشهدان على صاحب الأدب الجاهلي بما لا يمكن أن يسمى إلا جهلاً بديكارت وافتراءً عليه".(2)

مع العلم أن ديكارت ليس أول من استحدث هذا القواعد، "فقد ثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن هذا المنهج كان معروفاً ومعتمداً لدى قدماء المفكرين العرب والمسلمين من رواة ومحدثين، وفقهاء وفلاسفة ومؤرخين... ولكن بمفهوم آخر غير ما ذهب إليه طه حسين... ولقد ثبت أيضاً أن (ديكارت) قرأ رسالة (المنقذ من الضلال) للإمام الغزالي، وأشار أمام بعض النصوص عبارة (تنقل إلى بحثنا مقال عن المنهج!!).

وقد تعرّف بعض الكتاب المسلمين إلى هذا النص وقرأه في مكتبة (ديكارت) في جامعة (السوربون) وكان معهم المؤرخ الكبير عثمان الكعّاك الذي روى هذه الواقعة

(1) المرجع السابق، ص١٢٤.

(2) نفسه، ص١٢٥.

والتي سجّلها الدكتور محمود زقزوق في كتابه عن (الغزالي وديكارت) فما معنى هذا؟.... معناه أن طه حسين لم يكن قد اطّلع على الفكر الإسلامي، أو أحاط بملامحه الأساسية... وإلا لما وقع في هذا المأزق الخطير الذي يؤكد عدم إلمامه بأبعاد الفكر الإسلامي... ولو أنه كان قد اطّلع على بعض ما اطّلع عليه ديكارت الغربي وهي رسالة (المنقذ من الضلال)، وكتاب (محك النظر ومعيار العلم) ما كان قد وقع في هذا الادعاء الباطل الذي استعلى وهو ليس على الحق بأنه قدّم شيئاً لم يكن يعرفه المسلمون...

ولو علم لعرف أن كل من قرأ بعض جوانب الفكر الإسلامي يعرف ذلك... وقد أكدّ كذلك الدكتور الخضيري حين ترجم (مقال عن المنهج) لديكارت، وطبعه السيد محب الدين الخطيب ليثبت أن طه حسين (لم يكن صادقاً) في أمرين:

الأول: فيما نقله عن ديكارت، والثاني: في ادّعائه بأن المسلمين لم يكونوا يعرفون هذا المنهج.

و لقد انبرى طه حسين... يقول لعلماء الأزهر: هذا علم لا تعرفونه...

فردّ عليه الدكتور محمد أحمد الغمراوي قائلاً: نحن نعرفه وأنت لم تقل الحقيقة... فما هكذا عرض ديكارت لفكرة الشك حين جعلها مقدمة للإيمان!!" [(١)].

و سواءٌ أكان ديكارت أول من استحدث هذه القواعد أم كان غيره، وسواءٌ أكانت هذه القواعد ممكن اتباعها كلها في كل بحث أم غير ممكن؛ فإن القاعدة الأساسية التي زعمها طه حسين من وجوب تجرّد الباحث من كل شيء كان يعلمه عن موضوع بحثه من قبل لم تكن ضمن القواعد التي ذكرها ديكارت؛ فإن كل الذي في القاعدة الأولى من معنى هو أنه يجب علينا ألا نقول عن شيء إنه حق إلا إذا قام البرهان على أنه كذلك. [(٢)]

"وشتان بين هذا المعنى وبين المعنى الذي زعم الدكتور من وجوب التجرّد من كل

---

(١) مجلة الاعتصام، العدد السابع، ربيع الأول، ١٤١٠هـ – السنة ٥١، أكتوبر، ١٩٨٩م، مقال للأستاذ أنور الجندي بعنوان: بعد مائة عام.. ماذا بقي من طه حسين؟! بتصرف.

(٢) يراجع: النقد التحليلي، ص١٢٣ وما بعدها.

ما قيل في موضوع البحث من قبل؛ إذ من الجائز أن يكون ما قيل قد قام البرهان على صحته. ثم بديهيٌ أن تلك القاعدة ليس من معناها أن يتولى كل إنسان إثبات كل شيء لنفسه بنفسه كما تقتضيه القاعدة الأساسية التي زعم الدكتور لأن ذلك سخفٌ لا ينتج عنه إلا التأخر والخطأ والفوضى(١).

"وقد أخرج طه حسين الدكتور (علي العناني) ~ من الجامعة لأنه عارضه في رأيه وأخذ عليه القول بوجوب تخلي الأديب عن العاطفة الدينية والقومية، وقال: إنه رأيٌ فاسد لأن الأديب إذا خلا من هاتين العاطفتين يفقد كل معانيه ومميزاته، وتصبح الأمة التي يوجد فيها هذا النوع مقفرةً من الأدب كل الإقفار"(٢).

"إن طه حسين ذهب إلى أنَّ نسيان القومية والدين شرط أساسي من شروط البحث العلمي. إن كان أراد بذلك أن على الباحث ألا يخفي بعض الحق أو يتراخى في استيفاء الدليل العلمي محاباةً لقوميته أو إرضاءً لعاطفته الدينية فقد أصاب، أما إذا كان أراد أنَّ الإنسان لا يستطيع أن يكون ذا عاطفة قومية أو دينيةٍ قوية من أن يحابي أو يداجي في العلم فقد أخطأ ولم يصب. إن الإنسان يستطيع أن يراعي الدقة العلمية التامة في البحث وهو متذكر دينه كل التذكر، ومعتقد صحته كل الاعتقاد، غير مجوِّز على قرآنه خطأً أو على توراته. بل إن التدين الصحيح يزيد الباحث المخلص إن أمكن حرصاً على الحق واستمساكاً به إذا وصل إليه.

إن الباحث المتديِّن بين محبَّبين في الحق: دينه وعلمه، ومبغَّضين في الباطل: دينه وعلمه كذلك. فهو يحب الحق مرتين مرةً لدينه ومرةً لعلمه. ويبغض الباطل مرتين كذلك ولا خوف عليه مطلقاً أن يخفي بعض الحق أو يدلّس في البحث محاباةً لدينه، إذ ليس الحق يخاف على دينه و لكن الباطل، ويعلم أن دينه حق، يعلم ذلك علم مستيقن، ويعلم أن العلم قائمٌ على قاعدة استحالة التنافي بين أجزاء الحق، يعلم ذلك علم مستيقنٍ أيضاً فهو لا يخشى أبداً أن يكشف البحث الصحيح عن حقيقةٍ تنافي دينه ولذلك يمضي

(١) المرجع السابق، ص١٢٤.

(٢) طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام، ص٢٠٦. وراجع: النهضة الفكرية، ٩ مايو ١٩٣٢م.

في أبحاثه آمنا مطمئناً متَّبعاً أقوم الطرق في البحث و التفكير، لا لأن هذا هو الطريق الوحيد للوصول إلى نتائج صحيحة فحسب، ولكن لأن هذا باعتقاده هو أيضاً الطريق الوحيد الذي لا يؤدي إلى تخالف بين العلم الذي يبحث فيه والدين الذي يؤمن به. فالتدين الصحيح والتفكير العلمي الصحيح ممكن اجتماعهما إذن، وكثيراً ما اجتمعا، كما أن العاطفة العلمية القوية والعاطفة الدينية القوية لا تتعارضان بل تتضافران على خدمة العلم وتبعثان على الإخلاص في البحث"[١].

يقول الغمراوي:

"ومن أكبر العقوق للشرق أن يأتي شرقيٌّ أوتي شيئاً من الفصاحة وقسطاً من الثقافة، لا يعرف عن التربية العلمية إلا ما قرأ أو سمع من غير أن يشاهد بنفسه ويمارس بحسِّه، يأتي فيملأ فاه فخراً على أهل فنه باسم العلم، ويحارب الشرق في أعز ما لديه من حيث يدرى أو لا يدري باسم العلم، ويطبِّق على التاريخ الشرقي باسم العلم مبدأ يحرّمه العلم. ذلك هو العقوق الكبير، وذلك هو الضلال البعيد"[٢].

و لعلّ هذا يظهر بوضوح في مقال طه حسين الذي كتبه عن ديكارت ساخراً من شيوخ الأزهر ومن جهلهم – على حد زعمه – بديكارت وفلسفته قائلاً: "... لا يعرفون اسمه ولا مذهبه، ولا يدركون كيف يُؤكل، وإن دَروْ كيف تؤكل الكتف، ولا يعرفون كيف يُشرب، وإن عرفوا كيف تشرب القهوة والشاي، وكيف يشرب الخرّوب والعرقسوس. وإذا أراد الله أمراً فلا مردّ له. وليس لنا أن نذعن للقضاء ونصبر لجهل شيوخ الأدب العربي اسم ديكارت وفلسفة ديكارت في العصر الذي يحرص الإنسان فيه على أن يعلم كلما استطاع أن يعلم"[٣].

(١) النقد التحليلي، ص١٢٨ وما بعدها.

(٢) المرجع السابق، ص١٣٧.

(٣) من بعيد، طه حسين، ص٢٠٩، دار الكتاب اللبناني، بدون.

٢) **فولتير** (١٦٩٤-١٧٧٨م) Voltaire[1]:

- **أثره على طه حسين:**

يخص طه حسين أديبين فيلسوفين فرنسيين بالحب والإعجاب، ويذكر أنهما أثَّرا في تفكيره تأثيراً كبيرا وملكا عليه حياته العقلية وقتاً ما وهما فولتير وديدرو[٢].

وقد ذكر كمال قلته اتفاق كل من فولتير وطه حسين في الأمور الآتية:

- "كلاهما حاول الابتعاد عن الخوض في الدراسات الميتافيزيقية.

- كلاهما لا يؤمن إلا بالعقل وقوة العقل، وأما ما بعد الطبيعة (الأمور الغيبية) وما يفوق هذه القوى فأمر لا يعرفه العقل، فالعقل عندهما بمثابة السيد المطاع الذي لا يُخدع.

يقول طه حسين: "... ومن الغرور والكبرياء أن أحكم في هذه القضايا وإنما يجب أن أنتظر لعلي أستكشف أنا، أو لعل غيري أن يكتشف لهذا الوجود حكمة وغاية وغرضاً...." [٣]

- هاجم فولتير المسيحية كما عرفها في فرنسا، كما هاجم في عنف رجال الدين المسيحي؛ وذلك لأنهم عطّلوا عمل العقل عند الناس، ووقفوا سداً منيعاً إزاء انطلاق

---

(١) اسمه فرنسوا ماريه أروبه، اشتهر باسم فولتير. ولد في باريس، وهو من أبناء الطبقة المتوسطة. كان أبوه محامياً. تعلم في الكلية اليسوعية، وترك دراسة القانون إلى الأدب.

اكتسب شهرة واسعة بأنه شاب ساخر حاضر البديهة لاذع النقد، مما سبّب له الكثير من المتاعب؛ حيث لم يتقبَّل (النظام القديم) - قبل الثورة الفرنسية سلاطة لسانه -. ولذلك اعتقل ودخل السجن، وأمضى أكثر من سنة في سجن الباستيل، نظم خلالها ملحمةً شعرية أسماها (هنرياد) أصبحت عملاً أدبياً شهيراً بعد ذلك.

توفي في باريس، وبسبب هجومه العنيف على رجال الدين لم يقيموا له جنازة مسيحية .

(٢) يراجع: ألوان، طه حسين، ص٤٥٨.

(٣) طه حسين وأثر الثقافة الفرنسية في أدبه، كمال قلته، ص٨٤. وراجع: (ألوان، طه حسين، ص٣٥٦).

الفكر والحرية العقلية، وأثار الشك في كل شيء مستنداً إلى التاريخ، أثار الشك في حقيقة الكتاب المقدس، أو قل كل الكتب المقدسة الموحاة، وخاصة الإنجيل.

وهنا يظهر أثر هذا الكاتب على طه حسين واضحاً، حيث شكَّك طه حسين في كثير من الحقائق بدون مستند علمي فقط لمجرَّد الشك كما فعل في قصة بناء الكعبة، ووجود إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وتشكيكه في وجود الشعر الجاهلي، وتشكيكه في حقيقة وجود عبدالله بن سبأ – كما سيأتي إن شاء الله – وغيرها...

– نادى فولتير إلى الحَدْس البشري، كما اعتمد على التاريخ وعلى الصراع الممتد عبر السنين في المسيحية كما كانت الوثنية من قبلها.

– رفض فولتير علم الميتافيزيقا لأنه لن يفيد الإنسان في شيء أن يعرف جهنم أو السماء -على حد زعمه- واعتبر أن هذه وسائل اتخذها الأحبار والقساوسة للتضليل والتحكم في عقول الناس وقلوبهم، واعتبرها نوعاً من الاستعباد أو الرق، وعلى الإنسانية أن تتحرر منه.

ووافقه طه حسين في موقفه من الميتافيزيقا لكنه كان أقل جرأةً منه، واعتمد كلاهما على التاريخ والعقل، ورفضا كل التقاليد دون غربلة أو منطق، كما رفضا أن يُستعبد العقل لرجال الدين والأزهر...يرى فولتير باستحالة التوفيق بين الدين والعلم؛ فالدين في نظره جمود، وعبودية ورق، وكذلك طه حسين يؤمن باستحالة التوافق بين الدين والعلم إلا في حالات شاذة، بيد أن هناك فرقاً يسيراً بينهما، وهو أن فولتير مؤمن بأن الدين هو الذي خلق التعصب والحروب، في حين أن طه حسين يقول بالصراع بين العلم والدين، فقد نشأت الخصومة بين الدين والعلم مع سقراط ثم بين الوثنية والمسيحية، ثم بين مذاهب المسيحية المختلفة والمسيحية واليهودية، ثم بين المسيحية والإسلام، ثم بين مذاهب الإسلام المختلفة... وقد هاجم فولتير رجال الكهنوت، وسلطان الكنيسة هجوماً عنيفاً لا هوادة فيه، وأعلن سخطه واحتقاره الشديد للكنيسة ورجالها.

ويبدو أن طه حسين كان في وقت ما عنده نفس الشعور من جهة الأزهر والأزهريين، يقول طه حسين في نقده للأزهر والأزهريين:".... وبهذا تقدم الأزهر

خطوة أخرى في سبيل السيطرة والسلطان وأحسَّ الأزهريون أنهم يستطيعون أن يخيفوا الحكومات ويكرهوها على أن تذعن لهم وتتنزل عندما يريدون"[1].

ولئن كان كمال قلته مصيباً في استشهاده بنص طه حسين السابق "....ومن الغرور والكبرياء....." القوي الدلالة على عدم إقراره إلا بسلطان العقل وعدم إقراره بالأمور الغيبية ومنها الحكمة التي من أجلها خلق الله ﷻ الكون يقول سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[2] ويقول: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[3].

فإن النص الثاني "وبهذا تقدم الأزهر خطوة أخرى..." الذي استشهد به كمال قلته لا يدل على التساوي بين موقف فولتير من الدين، وموقف طه حسين منه، لأن الأول كان صريحاً في مهاجمة الدين، أما طه حسين فلم يكن نصه صريح الدلالة على بغض الدين ومهاجمته؛ لأن الأزهر لا يمثل الدين فليس في الإسلام كهنوت ورجال دين كما في النصرانية، ويؤيد هذا قول طه حسين: "اتخذت مشيخة الأزهر لنفسها منذ ذلك الوقت اسم الرياسة الدينية العليا، وهو اسم مبتدأ لا يعرفه الإسلام ولا يؤمن له مسلم يعرف واجباته الدينية حقاً..." [4] كما أن طه حسين قد يكون يقصد طريقة التعليم في الأزهر أو مناهج التعليم فيه أو غير ذلك... فقول قلته هنا فيه بعض المبالغة.

-كما نادى كلٌ منهما بوجوب الفصل بين الدين والدولة، أي: العلمانية، فقد أعلن طه حسين أنه غير راضٍ على ما نص عليه الدستور بأن الإسلام دين الدولة. يقول:".... وكان هذا النص مصدر فرقةٍ لا نقول بين المسلمين وغير المسلمين من أهل مصر... وإنما نقول إنه كان مصدر فرقة بين المسلمين أنفسهم...." [5]

(١) المرجع السابق، ص٩٠. وراجع: (من بعيد، طه حسين، ص٢٣٩).

(٢) سورة الذاريات: ٥٦.

(٣) سورة ص: ٢٧.

(٤) من بعيد طه حسين، ص٤٢٤.

(٥) نفسه، ص٢٣٢.

هذا مجمل ما يتفق عليه كلٌ من طه حسين وفولتير، إذا اعتبرنا أن اتفاقهما على كل هذا ما هو إلا دليل على تأثر طه حسين بفكر فولتير. ولو تتبعنا كتابات طه حسين عن قصص فولتير لظهر لنا الإعجاب الكبير به وبفكره... من ذلك قوله: "... وإنما يأخذ من هذا كله ما يريد، ويرتب هذا كله كما يريد، ويقدم لنا منه مزاجاً رائعاً نعجب به أشد الإعجاب ولا نستطيع أن ننكر منه شيئاً...." [1]

وبهذا يظهر لنا جلياً موقف طه حسين من فولتير، حيث إن كل ما عارض به طه حسين عقيدة المسلمين وحقائق التاريخ كان تحت شعار حرية الرأي أو حرية التفكير، كما هو الحال تماماً عند فولتير أو صاحب الفكر الحر كما يطيب للفرنسيين أ ن يصفوه.

٣) جان جاك روسو (١٧١٢-١٧٧٨م) Jean Jacques Rousseau:

التعريف به:

"صاحب الشهرة العريضة في الفكر الفلسفي، وأشهر الكاتبين في القرن الثامن عشر. ولد في جنيف، ومات في باريس، لم يتلق سوى تعليم بسيط، وابتداءً من السادسة عشرة من عمره ترك جنيف، وارتدّ عن البروتستنتية إلى الكاثوليكية، جاب المدن والأقطار، وعلّم نفسه، وتعرّف إلى فلاسفة وعلماء عصره، وكتب كثيراً.

ومن مؤلفاته: (خطاب إلى دالمبير)، (إلواز الجديدة)، (إميل والعقد الاجتماعي)، (مقال في العلوم والفنون)، (مقال في أصل اللامساواة)، (نظرات في حكومة بولندا)"[2].

ومن صفاته الخُلُقية: سوء الظن بالناس، شدة الكبرياء، ومع ذلك فقد ارتبط بعلاقة مع خادمة أنجب منها خمسة أطفال، جميعهم دخلوا ملجأ اللقطاء. بالرغم من

---

(١) ألوان، ص٤٥٨.

(٢) موسوعة الفلاسفة، ص٦٦٨.

نظريته الشهيرة في تربية الأطفال. [1]

فلسفته:

"تقوم فلسفة روسو على النقد الشديد للمدنية الأوروبية، بما تفرضه على الإنسان من حاجات وأهداف مزيفة تنسيه واجباته كإنسان وحاجاته الطبيعية.

ويصف روسو الفنون: بأنها وسائل له لا تعبّر عن حاجات الإنسان وعلاقاته الحقيقية، مبعثها الفراغ الذي يعيش فيه، والغرور الذي أفسد عليه طبيعته. ويقترح، كعلاج، نظريته في التربية التي تقوم على تربية الأطفال في الريف بعيداً عن التأثيرات الحضارية الزائفة. والمجتمع الصالح هو الذي يهيئ ظروف التربية ليعيش الطفل وفق طبيعته الخيّرة، ثم لينمو كإنسان اجتماعي فاضل، ولذلك تتلازم الأخلاق مع السياسة، فلكي يكون الإنسان أخلاقياً ينبغي أن يكون اجتماعياً، ولكي يكون اجتماعياً ينبغي أن يكون سياسياً، ولا يبلغ الإنسان نضج الشخصية إلا عندما يُسهم مع الآخرين في النفع العام.

والناس في المجتمع الصالح متساوون، لكن بعضهم سيحاول دائماً الافتئات على حقوق غيره والاستبداد بالسلطة والثروة، والإنسان لا يمكن أن يكون إنساناً إلا في الحرية، ونزع الحرية عن الإنسان هو إلغاء المسئولية عن أفعاله.

- **أثره على طه حسين:**

ذكر الأب كمال قِلته: "ميل طه حسين ميلاً خاصاً إلى مفكري القرن الثامن عشر، وأدباء الثورة ديدرو وفولتير وروسو. حيث إن اعترافات روسو أثارت إعجاب طه حسين مع أمثالها في الأدب الفرنسي فكانت دافعاً لكتابة اعترافات (الأيام)، وإن تباين الأديبان في اعترافاتهما تبايناً عظيماً. كتب روسو اعترافاته دفاعاً عن نفسه، وبدأت في الظهور عام ١٧٦٥م، وكان مضطهداً من جميع الفئات الاجتماعية....

(١) يراجع: المرجع السابق، الصفحة نفسها وما بعدها.

ولم تُجمع الاعترافات إلا بعد وفاته نظراً لأنه ذكر شخصيات معاصرة سبّب لها ظهور الكتاب كثيراً من العنت. وقد واصل روسو الكتابة عن نفسه في كتاب آخر هو: (أحلام رحَّالة).

وتتشابه الظروف التي كتب فيها طه حسين (الأيام) مع تلك التي كتب فيها روسو الاعترافات؛ فكلاهما كان مضطهداً أشد الاضطهاد من الحكومة ورجال الدين...كما رسم صوراً لمجتمعه وللشخصيات التي احتكَّ بها في حياته"[1].

و لئن كان روسو مضطهداً من قبل الحكومة ورجال الدين فطه حسين- في رأيي - لم يكن مضطهداً من رجال الدين الذين يمثلهم الأزهر بل كان بغضه لهم نتيجة مواقف مرّت به سبق الحديث عنها. وأما الحكومة فقد كان بالنسبة لها الابن المدلّل - إن صح التعبير - كيف لا وقد كان يفعل ما يحلو له على مرأى ومسمع بل وتأييد أحياناً من بعض الشخصيات السياسية مثل عبدالخالق ثروت، سعد زغلول، مصطفى النحاس وغيرهم... "ويتفق كل من طه حسين وروسو في "أن الرذيلة الأساسية في المجتمع هي عدم المساواة الاجتماعية، أو الطبقية في المجتمع الواحد، البعض يملكون كل شيء، ويجدون ما لا ينفقون، والبعض الآخر لا يملك شيئاً ولا يجدون ما ينفقون، غنىً فاحش وفقرٌ مدقع....روسو يُرجع هذا إلى الملكية الفردية أساس البلاء والتفرقة، وطه حسين يُرجع هذا إلى احتقار الفرد وإهماله"[2].

هذا أبرز ما يتفق عليه المفكران، بيد أن هناك اتفاقات أدبية تجمع بينهما لا داعي لذكرها.

(١) طه حسين وأثر الثقافة الفرنسية في أدبه، كمال قلته، ص١٩٢.

(٢) المرجع السابق، ص١٩٣ بتصرف يسير.

ثانياً: المفكرون الفرنسيّون المعاصرون له:

١) سانت بيف (١٨٠٤-١٨٦٩م) Saint Beuve:

التعريف به:

"أديب وناقد فرنسي، اتّسمت دراساته النقدية بأنها على غير أسس علمية قوية، كما اتخذ من منهج التأمل لكل ما حوله مبدأً له - وهو المعروف بالمنهج التأثري - حيث انطلقت أبحاثه من حياة الفرد وتصرفاته وأخلاقه، ثم يتأملها بعقله وبصيرته ليحكم على الشعراء والمفكرين، وهو في كتاباته يوجز ترجمة الشخص الذي سينقده، ولا يعطي أهميةً كبرى لتفاصيل حياته، وإنما يعرضها في سطور قليلة مختصرة...ويبدأ بعد ذلك في تصوير دقيق لأعمال هذا الشخص وآثاره الأدبية والفكرية، ويتتبع (سانت بيف) التطور الفكري للأديب"[1].

◈ أثره على طه حسين:

يتفق طه حسين مع (سانت بيف) في المنهج التأثري الذي يعتمد على التأمل، فهو مثله أبحاثه تصوير لحياة فرد أو جماعة تصويراً دقيقاً يعتمد أساساً على تصرفات الفرد، وخُلقه، وعلى تأملات المؤلف واستنباطاته الشخصية....

ومثال ذلك كتاب (المتنبي) و(أبي العلاء المعري) و(حديث الأربعاء) كلها تسير في هذا الطريق، وتخضع لهذا المقياس، وتعبّر عن نظرة المؤلف وتأملاته وانطباعاته.وبالنسبة للتوافق بين ما كتبه (سانت بيف) في (حديث الاثنين) وما كتبه طه حسين في (حديث الأربعاء) فإن التوافق بينهما يبدو كبيراً إلى حد ما حيث "كتب كلا الكاتبين الأحاديث في فترات متشابهة من تاريخ فرنسا ومصر في صحف سيارة أو مجلات أدبية، ثم جمعت بعد ذلك، كما يتفقان في منهج النقد وأسلوبه، وفي الغاية التي يرميان إليها...فسانت بيف كتب مقالاته النقدية في مجلة (الدستور) سنة ١٨٤٩ إلى سنة ١٨٥٢... ثم في مجلة الرائد من سنة ١٨٥٢ إلى سنة ١٨٥٥.ثم جمعت هذه المقالات سنة ١٨٦٢ ثم سنة ١٨٧٢

(١) نفسه، ص١٤٧- ١٥٤ بتصرف.

حيث طبعت في كتب.أما طه حسين فقد نشر حديث الأربعاء في جريدة السياسة خلال سنة ١٩٢٤م ثم تابع ذلك في جريدة الجهاد سنة ١٩٣٥م... ومن ثم جمعت هذه المقالات في كتب طبعت سنة ١٩٢٥ ثم سنة ١٩٢٦ وطبع الجزء الثالث سنة ١٩٥٧م(١).

"كما تتفق طريقة طه حسين في النقد مع طريقة سانت بيف، فكلاهما يعطي أهمية كبرى لترجمة الفرد ليس كفرد، وإنما ينظران إليه كظاهرة اجتماعية، وثمرة من ثمار البيئة، والتفكير عندهما ظاهرة اجتماعية لا فردية.

يتتبعان الفرد في كل مراحل حياته، ومن خلال تصرفاته وأقواله يصدران الحكم عليه بعد دراسة يعمل فيها العقل والاستنباط كل العمل...فالفرد لا يفكر ولا يقدر ولا يتروَّى إلا من حيث هو عضو من أعضاء الجماعة التي يعيش فيها، والتي يستحضرها في نفسه استحضاراً ملحوظاً أو غير ملحوظ، حين يفكر أو يقدر أو يروي، فالإنتاج الفني في مختلف أشكاله ظاهرة اجتماعية لا يمكن أن تكون إلا في الجماعة التي تسمع أو ترى الأثر الأدبي فتتأثر به...." (٢).

وهنا نرى التوافق الكبير بين فكر سانت بيف ودور كايم الذي من ثَمَّ أثَّر على فكر طه حسين."كما يتفق طه حسين مع سانت بيف أيضاً في أنه يسعى إلى دراسة الأدب حراً خالصاً من كل قيد، غير مرتبط بالدين أو بالسياسة، وإنما يدرسه في حرية تامة"(٣).

يقول طه حسين: ".... إن الأديب متعمد حين ينتج آثاره الأدبية أن يمضى إلى الشمال ولو أراد لمضى إلى الجنوب مخير فيما يكتب مخير فيما يقول، يصوغ صوره الأدبية صوغاً كما يصوغ الصانع آثاره الصناعية عن رؤية وتفكير وحرية تامة. وربما كان الأديب أشد حرية من الصانع الذي يجب أن يخضع لقوانين الصنعة ولا يجد فيها إلا بمقدار،

---

(١) يراجع: المرجع السابق، ص١٥٥.

(٢) المرجع السابق، ص١٥٩ وما بعدها.

(٣) نفسه، ص١٦٢.

على حين نرى الأديب حراً مطلق الحرية لا تقيده إلا إرادته وهواه"[(١)].

و لا تخفى خطورة هذا الأمر – وهو تجريد الأدب من كل قيد – حيث أنتج هذا الأمر لنا أدباً ماجناً رخيصاً وهو ما يسمى بالأدب المكشوف، لا يتورّع كاتبه عن وصف الرذيلة وكأنها أمر بطولي أو على الأقل يعتذر لمرتكبها ولا يلومه على فعلها....

وقد أشار الغمراوي في نقده طه حسين إلى هذه القصص الماجنة حين قال: "خذ إليك مثلاً تلك القصص الفرنسية التي يترجمها صاحب الكتاب[(٢)] من آن لآن، يلهي بها كثيراً من النشء ويضل بها كثيراً. وهل ترى بينها وبين روح هذه الأمة صلة؟ أو بينها وبين روح هذه اللغة صلة؟ وإذا لم يكن، فهل فيها شيء يجدِّد من عناصر الفضيلة والطهارة الروحية في هذه الأمة، ويعينها على سبيل العزة التي تريد؟ إنا لا نظن أحداً دخل تلك القصص وخرج منه وهو أقرب إلى الفضيلة والعفاف منه قبل بدئها. وهذا أهون ما يمكن أن يقال عنها. ولو كنا ضاربين مثلاً لضربنا (الزنبقة الحمراء) التي ألّفها أناتول فرانس ولخَّصها صاحب الكتاب لمجلة الهلال، فإن فيها من المعاني ما كنا نظن أن أستاذاً يستحي أن ينقله للناس، أو أن مجلة مثل الهلال تتنزه عن نشره عليهم. ولكنا نأبى أن نشير بأكثر من هذا إلى تلك القصص عامة، وإلى هذه القصة خاصة، وإلا كنا شركاء في إثم النشر وإثم التلخيص".

ثم انتقل الغمراوي إلى الأدب الماجن عامة فقال:"فإذا ما تركنا ميدان المنقول عن الأدب الفرنسي إلى المكتوب في الأدب العربي، وجدنا صاحب الكتاب يخبّ في الميادين خبباً واحداً، ويصدر عن نزعة واحدة. فقد فتش في طول الأدب العربي وعرضه، فلم يجد فيه ما يستحق أن يُبعث ويُنشر إلا أخبار المجونيين الذين ابتلي بهم الأدب العربي، كما ابتلي الإفرنجي بأمثال أوسكار وايلد، نعني أبا نواس ووالبة والخليع ومن إليهم ممن نبش صاحب الكتاب أخبارهم في حديث الأربعاء، الذي نشره في السياسة مفرّقاً، وأهداه إلى الأستاذ مدير الجامعة مجموعاً. ومن الغريب أن تلك الأخبار الماجنة قد عرضها صاحب

(١) المجلة الجديدة، يناير سنة ١٩٣٠، مقال بعنوان (رمز وتصريح) للدكتور طه حسين.

(٢) يقصد طه حسين.

الكتاب في ثوب البحث الأدبي باسم التجديد، كأن البحث والتجديد في الأدب ستار تحارب الفضيلة من ورائه، ووسيلة في هذا الشرق للدخول على النفوس بما لم يكن لولا تلك الوسيلة بداخل عليها"[١].

"و الواقع أن الأدب، شعره ونثره، كانت تجتاحه في ذلك الوقت – ولا تزال – موجة من الانحلال، التي لا تعدم أنصاراً من كبار الأساتذة الجامعيين، يدافعون عنها باسم الدفاع عن حرية الفن والفنانين، وهذا هو طه حسين يدافع عن الأدب الهدّام الذي يتحدَّى العرف والقانون والخلق والدين فيقول:

"فالأدباء عندنا ليسوا أحراراً، لا بالقياس إلى الدولة ولا بالقياس إلى القراء. وما أكثر النبوغ الذي يضيع ويذهب هدراً، لأنه يكظم نفسه، ويكرهها على الإعراض عن الإنتاج خوفاً من الدولة، أو خوفاً من القراء. فليس كل موضوع يعرض للأديب عندنا تسيغه القوانين ويحتمله النظام ويرضى عنه ذوق الجمهور".

ثم يقول: "ما أكثر ما يعاب أدباؤنا لأنهم لا يُعنون إلا بظواهر النفوس، ولا يصورون دخائلها، ولا يتعمقون ظواهرها، ولا يرسمون شيئاً من ذلك فيما ينتجون. ولكن دعهم يفعلوا ما يلامون على إهماله، ودعهم يظهروا النفس الإنسانية العارية كما يفعل زملاؤهم الأوروبيون، وثق بأنهم قادرون على ذلك، خليقون أن يبرعوا فيه ويبهروا به إن حاولوه. دعهم يفعلوا ذلك، ثم انتظروا ما يصب عليهم الجمهور ورجال الدين وإدارة الأمن العام والنيابة من المكروه، ويجب أن يحرّر الأدب والأدباء، وأن يتاح لهم القول في كل ما يشعرون به ويجدون الحاجة إلى القول فيه. ويجب أن تكون قوانيننا سمحة، وأن يكون تطبيقها سمحاً، وأن يكون ذوق الجمهور عندنا سمحاً كذلك".[٢]

وبهذا يظهر لنا المنهج الأدبي الذي كان يتبعه طه حسين في كتاباته، وخاصة القصة التي سار في كتابتها مساراً غربياً، لابد أن تقوم فيه القصة على الجريمة أو الفضيحة أو

---

(١) النقد التحليلي لكتاب في الأدب الجاهلي، محمد أحمد الغمراوي، ص٥٦ وما بعدها.

(٢) مستقبل الثقافة في مصر، طه حسين، ص٤٧٣ وما بعدها).

الخيانـة أو المطـاردة أو الاغتـصاب، وإلا فقـدت القـصة عقـدتها وكيانهـا حـسبما يقـول (هاملتون جب) في تقريره عن القصة: "مادامت الحياة الإسلامية محافظة على تقاليدها الموروثة فلا يُنتظر أن يكون للقصة مستقبل"[١].

ويفسر هذا محمد عبدالله عثمان بقوله: "إن المجتمع الإسلامي لا يمكن متى بقي تطوره محصوراً في المبادئ الإسلامية الخالدة أو في التقاليد التي كانت أثراً لهذه المبادئ أن يظفر كتَّاب القصص العربي فيه يوماً بمادة واسعة أو غزيرة كالتي تقدمها المجتمعات الغربية إلى كتَّاب الغرب". ولا شك أن كثيراً من قصص وروايات طه حسين المؤلفة والمترجمة ملتزمةً بهذا الانفلات الغربي إلى حد كبير[٢].

هذا أبرز ما اتفق فيه كل من سانت بيف وطه حسين، إضافة إلى اتفاقات أخرى أدبية تجمع بينهما...

٢) هيبوليت أدولف تين (١٨٢٨-١٨٩٣م) Hippolyte Adolphe Taine:

التعريف به:

ناقد فرنسي، عيّن أستاذاً للتاريخ في كلية الفنون الجميلة، وكتب كتاب (فلسفة الفن) سنة ١٨٦٩، ويعد كتابه (في الذكاء) من أشهر كتبه سنة ١٨٧٠م[٣]. "كان هو وزميله إرنست رينان أشهر فلاسفة الوضعية الفرنسية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ولد في ڤوزييه من إقليم الأَرْدَن، وتعلم بكلية دار المعلمين، واشتغل بالصحافة، وعلَّم بمدرسة الفنون الجميلة وجامعة أكسفورد، وتوفي في باريس، وكان قد أوصى قبل وفاته بالطريقة البروتستنتية، واتّسم بعقلية استقلالية عانى بسببها الاضطهاد من

(١) راجع: مجلة منار الإسلام، العدد العاشر، السنة الثانية عشرة، شوال ١٤٠٧هـ - يونيو ١٩٨٧م، مقال بعنوان (هزيمة القصة الغربية المكتوبة بالعربية)، أنور الجندي.

(٢) ومن الأمثلة على ذلك قصته المعنونة بـ دعاء الكروان، الحب البائس وغيرها...، ومن القصص المترجمة أرض الجحيم، قانون الرجل، القيد وغيرها....

(٣) يراجع: طه حسين وأثر الثقافة الفرنسية في أدبه، ص١٢٧.

البونابرتيين والليبراليين والكنيسة الكاثوليكية، فقد كان ضد الاستبداد والتسلطية، ومع المسئولية الجمعية، وله من الكتب (لافونتين وخرافاته)، و(تاريخ الأدب الإنجليزي)، وكتابه الرئيسي في الفلسفة (في العقل)، وله في النقد الأدبي (أبحاث في النقد والتاريخ)"[1].

فلسفته:

"تقوم فلسفة تين على اعتبار أن الإنسان حيوان من نوع أرقى، له القدرة على أن ينشيء الفلسفات وينظم القصائد على نحو شبيه بدود القزّ حينما يصنع شرانق الحرير، والنحل حينما يصنع العسل. وعنده أن دراسة الإنسان تكون في التاريخ، ودراسة التاريخ تكون عن طريق الأدب، والأدب عن طريق دراسة كبار الأدباء والفنانين.

وتين وضعي حسّي يحاول تطبيق منهج العلوم الوضعية - الفيزياء مثلاً - على العلوم الروحية كعلم النفس والتاريخ والأدب، ويرى أن الإيديولوجية الفرنسية، وهي نزعة حسية فاعلة، هي الأنسب للروح الفرنسية، ويقول إن الحقيقي هو الحسيّ، ولا يؤمن بأي سلطة إلا سلطة العقل، وعنده أن الواقع لا يمكن أن يدرك إلا عن طريق التجريب، والعالَم ليس فيه الذات باعتبار أن ما هو ذاتي مرجعه إلى الأحاسيس. ولا يرفض الميتافيزيقا مع ذلك، فالعالم عنده كلٌ واحد تسيطر عليه علّيَّة محكمة. والمعرفة إنما هي العلم بهذه العلّيّة وأيّ علّيّة، أو هي العلم بالأسباب، وبذلك تكون الميتافيزيقا هي علم البحث في العلل الأولى، والكون لا يوجد فيه شيء عارض، وإنما كل شيء بسبب، وفي ارتباط مع غيره، والشأن مع الأفكار كالشأن مع الأشياء. فالفكرة تستدعي الفكرة، وتقتضي الفكرة، وكذلك الأشياء، والكل يحتاج إلى الكل، ويكمل بعضه البعض، والصفة الباطنة في الجميع التطور والنمو. وهذه النظرة الارتباطية الحسية التجريبية هي التي جعلت النقاد يعتبرونه البداية لعلم النفس التجريبي في فرنسا"[2].

---

(١) موسوعة الفلسفة، ص٤٢٥.

(٢) نفسه، ص٤٢٥، بتصرف يسير.

فهو كما يبدو مؤمن بالجبر التاريخي المطلق مثل زميله رينان."لقد حاول تين في كتابه التاريخي المعروف (جذور فرنسا المعاصرة) الذي كتبه سنة ١٨٧٠م، أن يفسر الظواهر النفسية من خلال التصرفات، أو بمعنى أصح حكم على الشخصيات التاريخية حكماً نفسياً، كان يعتمد على كل ما صدر منها من قول أو عمل ليكوّن رأياً فيها، والأعمال الصغيرة عنده قد تعطي دلالات كبيرة، كان يلقي أضواء كثيرة حول الأفراد في كتابته للتاريخ، وبهذا الأسلوب، وهذا المنهج درس الثورة الفرنسية وشخصية نابليون وغيره....

وألغى الحرية الفردية إلغاءً مطلقاً...." [(١)]. "وبالطبع فإن تين لابد أن ينكر وجود الله – تعالى – ويرفض الاعتقاد في الدين، ويقرر أن الدين ليس سوى كلام شعري، وأنه يتحدث عن مخلوقات ميتافيزيقية نؤمن بها نفسياً ولكننا لا يمكن أن نتثبت من وجودها علمياً[(٢)]، وعلى ذلك فلا ينبغي الخلط بين الدين والعلم. وذاك هو كل جهده، فأبلس وأفلس واستحق أن يسقط اسمه من ذاكرة التاريخ!" [(٣)].

- **أثره على طه حسين:**

يشترك كل من تين ورينان مع طه حسين في اعتقادهم جميعاً بالجبرية التاريخية المطلقة – وقد ذكرت نص طه حسين السابق الذي يقرر فيه الجبرية التاريخية عند الحديث عن أبي العلاء المعري – ومما يؤكد إيمان تين بالجبرية قوله: "... كل حدث إنما هو معلول لحدث آخر، كما أنه علة لحدث غيره"[(٤)]. "كما يعتقد تين أن ليس للعقل أي حرية، فما

---

(١) طه حسين وأثر الثقافة الفرنسية في أدبه، ص١٢٧ وما بعدها.

(٢) وهذا القول قوي الشبه بقول طه حسين: "إن الدين حيث يثبت وجود الله ونبوة الأنبياء ويأخذ الناس بالإيمان بهما يثبت أمرين لم يستطع العلم إلى الآن أن يثبتهما، فالعلم لم يصل بعد إلى إثبات وجود الله ولم يصل بعد إلى إثبات نبوة الأنبياء وإذن فبين العلم والدين خصومة في هذين الأمرين يثبتهما الدين ولا يعترف بهما العلم"، طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام، أنور الجندي، ص٢٤١.

(٣) موسوعة الفلسفة، ص٤٢٦.

(٤) طه حسين وأثر الثقافة الفرنسية في أدبه، ص٩٨، نقلاً عن: (أصول فرنسا المعاصرة)، تين، سنة ١٨٩٤م، =

العبقرية إلا نتاج الظروف والأقدار.

ولا يرى في الوجود المادي والمعنوي إلا سلسلة من الظواهر التي يسبب بعضها البعض.... وكل الظواهر النفسية عنده مرتبطة بالظواهر الفيزيولوجية أي العضوية أو الخارجية"[1].

كما يتفق طه حسين مع تين في عدة نقاط:

أولاً: "كلاهما يؤمن بأن الظواهر المادية والمعنوية تسير وفق نظام معين، وتحديد سابق، وقانون لا يتغيّر، حتى التاريخ إنما يمضي في خطة معينة، فليس في الكون مجال للمصادفات أو الترجيح، وإنما هي علل ومعلولات...

حتى في الظواهر النفسية والعقلية هناك ارتباط بالظواهر المادية، بمعنى أنها تخضع أيضاً لقانون الزمان والمكان، والعادات والوراثة...

ثانياً: كلاهما يؤمن بأن ليس للإنسان حرية في الحياة إنما هو صنيع الزمن كما هو صنيع البيئة والعادات، فنحن مسيّرون.

ثالثاً: كلاهما يؤمن بأن الظواهر المادية والمعنوية ليس فيها تدخّل إلهي، أو بمعنى أوضح ليس هناك أثر (ميتافيزيقي)، وليس هناك ارتباط بين الله والإنسان فيما يتم في الكون، فعلم الله مطلق، وقدرته شاملة مطلقة، والإنسان مسيّر إلى مصير محتوم سبّبته علل مسبقة، وسينتج عنها هذا المصير ما في ذلك أدنى شك"[2].

هذا القول - والله أعلم - فيه مبالغة من كمال قلته فلا أظن أن طه حسين وصل إلى هذا الحد، ثم ماهو دليله على ذلك؟!

رابعاً: عندما حاول طه حسين أن يكتب في التاريخ وجد اتفاقاً كبيراً بينه وبين تين

باريس، وكتابه (في الذكاء) سنة ١٩٧٠م.

(١) نفسه، الصفحة نفسها.

(٢) طه حسين وأثر الثقافة الفرنسية في أدبه، ص١٠٠.

وأسسه الثلاثة التي اعتمد عليها وهي: الجنس، البيئة، الزمن، حيث وضع تين هذه الأسس لدراسة التاريخ سواءٌ كان حوادث أم شخصيات.

كما اتفق كل من تين وطه حسين في الطريق التي سلكاها في دراسة الشخصيات – أي التتبع للأعمال الكبيرة والصغيرة، ثم التصرفات التي تصدر عنها – حيث اعتمد تين على التأمل إضافة إلى المصادر العلمية، وهكذا فعل طه حسين في كتابة التاريخ، وكذلك حين أرّخ لبعض الشخصيات كما فعل مع أبي العلاء المعري، والمتنبي، وعثمان وعلي في الفتنة الكبرى. وهكذا فعل في (مرآة الإسلام) و(الشيخان) و(على هامش السيرة) [1].

خامسا: كلاهما نادى بتطبيق الديمقراطية واعتبرها حلاً لكثير من المشاكل السياسية والاجتماعية. ومما يؤكد دعوة طه حسين إلى الديمقراطية قوله: "إن من الجائز أن يكون الرق الفردي قد ذهب وانقضى عصره، وإن كنت لا أثق بذلك ولا أطمئن إليه، ولكن الرق الاجتماعي لم يذهب بعد ولم ينقض عصره، فهناك شعوب تسترق شعوباً، وهناك طبقات من الناس تسترق طبقات من الناس"[2].ويقول في مقام آخر: "لا رقي للشعوب ولا استقرار للعروش إلا إذا كانت الديمقراطية الصحيحة الواسعة أساس الصلة بين الشعوب والعروش..." [3].

يقول الأستاذ أنور الجندي معلقاً على موقف طه حسين من تين: ".... وهكذا يتابع طه حسين تين في رأيه ومفهومه الذي استمده من المذهب المادي الذي لا يرى الإنسان إلا جسماً ومادة، ولا يرى في إطار حياته إلا البيئة والعصر وحدهما، ويتجاهل تجاهلاً تاماً أن الإنسان روح ومادة، وأن هناك بعداً ثالثاً للحياة هو: العقائد التي تربط الإنسان بالله وبالوجود كله من أزله إلى أبده، وتربط الحياة الدنيا بالآخرة، وتجعل الإنسان المريد مسئولاً وملتزماً أخلاقياً ومبعوثاً للجزاء والحساب بعد الموت، هذا المفهوم الإسلامي أنكره طه حسين في نظريته في نقد الأدب، متابعةً لصديقه تين".

---

(١) يراجع: نفسه، ص١٢٨.

(٢) نفسه، ص١٣٠، وراجع: ألوان، طه حسين، ص١٦٤.

(٣) المرجع السابق، الصفحة نفسها، وراجع: (من بعيد، طه حسين، ص٧٣).

إلى أن يقول عن تين:"و هو حين يفهم شيئاً من الأشياء فهو لا يعتمد في فهم هذا الشيء إلا على الحس، يرى أو يسمع أو يلمس. فهو إذن من أنصار مذهب الحس، وهو معرض عما بعد الطبيعة لا يرى لإنسانيته وسيلة إلا بالحس، وهو لا يؤمن بما بعد الطبيعة ولكنه لا يجحده، وإنما يقول: لا أراه فلا أعرفه، وهذا رأيه في الإله، فإذا انتقل إلى دراسة الإنسان فرأيه في الإنسان رديء وهو يعتقد أننا إذا درسنا نفس الإنسان وجدناها تنحل إلى شيئين اثنين:

الإنسان قبل كل شيء حيوان متوحش، وهو بطبيعته كغيره من الحيوانات الضارة المفترسة تهذبه الحضارة شيئاً؛ فهو إذن يحتقر الإنسان، ومادام مؤمناً بالجبر منكراً للإرادة مؤمناً بأن الإنسان شرير بطبعه وأن عقل الإنسان شيء مكتسب فهو غير متفائل بالحياة وهو ساخط منكر للناس منكر لحياتهم على اختلافها، ومادام تين يؤمن بأن الإنسان كغيره من الأشياء خاضع لقوانين العلم فليس من سبيل إلى دراسة الفرد من حيث هو فرد ولا سبيل إلى أن يدرس على أنه فرد جزء من الأمة، والأمة جزء من جنس، والأمة متأثرة بالإقليم، متأثرة بالزمان، متأثرة بكل ما يتصل بها من مظاهر الكون والحياة".

ويقول: "إن تين فرض حرية الرأي على نفسه وخصومه وأنصاره فرضاً، وهو بهذا يدفع الفرنسيين والشباب إلى أن يفكروا في كل شيء، وأباح لهم أن يعرضوا كل شريف للإنكار والشك والرفض"[1]. وهذا ما فعله طه حسين تماماً في كتابه (في الشعر الجاهلي) حين شكّك في حقيقة بعض الأنبياء الذين ذكرهم الله ﷻ، وسنرجئ الحديث عن هذا لحينه.

هذا ما ظهر من اتفاق بين كلٍ من تين وطه حسين .

---

(١) طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام، أنور الجندي، ص٤٣ وما بعدها.

٣) دوركايم (١٨٥٨-١٩١٧م) Dur Kheim:

التعريف به:

يهودي فرنسي، من أسرة متدينة، تخرّج من مدرسة المعلمين العليا، واشتغل أستاذاً للفلسفة ولعلم الاجتماع والتربية. مؤسس علم الاجتماع الحديث، وكان أول فرنسي يدرّس علم الاجتماع بالجامعة الفرنسية.

فلسفته:

"حرص دور كايم على أن يجعل من الاجتماع علماً باستخدام المنهج العلمي الذي يقوم على الملاحظة والاستقراء، بهدف اكتشاف القوانين التي تربط الظواهر الاجتماعية بعضها ببعض، مثلما ترتبط ظاهرة ازدياد الانتحار بظاهرة ازدياد عدد السكان، وكان عليه أن يعدّل في المنهج العلمي تعديلاً يلائم علم الاجتماع، فجعل الملاحظة تمتد من ملاحظة الحاضر إلى ملاحظة الماضي، والاستقراء إحصائياً، والظواهر الاجتماعية فكرية وانفعالية وعملية، وألا تدرس من خلال أفكار وانفعالات الأفراد، وإنما تُدرس من خلال الأنظمة السياسية والقوانين والتقاليد القومية والأخلاق والأديان والآداب والفنون، ونحو ذلك من مظاهر الحياة في المجتمعات الإنسانية، ويتمثّل فيها جميعاً الضمير الجماعي الذي يفعل فعله في الأفراد ويضغط عليهم إلى حد قسرهم على اتخاذ مواقف قد تختلف مع آرائهم الخاصة. ومعنى أن الاستقراء إحصائي هو أن دارسة الانتحار مثلاً كواقعة اجتماعية تعني دراسة المعدل الإحصائي للانتحار في المجتمع والضمير أو الشعور أو الوجدان الجماعي الذي يقصده هو مجموع ضمائر الأفراد، ومع ذلك فهو كل مغاير لها مثلما يغاير التركيب الكيميائي العناصر الداخلة فيه.

وتتطور الحياة الاجتماعية في الأفراد، لكنها ليست من نتاج الأفراد، كذلك فهو يقول: إن الظواهر أو التصورات أو المقولات ذات أصل اجتماعي، وتتوقف على الطريقة التي تتكون بها الجماعة، وعلى تنظيمها وتركيبها ودياناتها وأخلاقها واقتصادها...

إلخ"[1]. "ولم يقتصر إسهام دور كايم على تأسيس المنهج الاجتماعي، بل جعله منهجاً تطبيقياً عينياً، بأن حاول تطبيقه على ظواهر، منها الانتحار، والطلاق، وتحريم الزواج من المحارم. والانتحار عنده ظاهرة اجتماعية، بمعنى أن ارتباط حدوثه بين الرجال أكثر من النساء والشيوخ والأطفال، وهو يقع أكثر في شهور الربيع عن بقية السنة، إذ الرجال أكثر اندماجاً في مجتمعاتهم، وشهور الربيع أكثر اقتراناً بالنشاط الاجتماعي، ومن ثم لا يكون هناك تفسير لزيادة معدل الانتحار إلا التفسير الاجتماعي، ويكون الانتحار هو التعبير الخارجي للتركيب الاجتماعي الداخلي، وبناءً عليه فلكي نعالج الانتحار ينبغي أن نعمل على تغيير أحوال الوسط الاجتماعي، وخاصة المستوى الأخلاقي، ومن هنا يرتبط علم الاجتماع بعلم التربية. وهو يرى أن كل مجتمع له نظامه التربوي الذي يفرض نفسه بقوة على أفراده، وهو في أغلبه من عمل الأجيال السابقة، ومن ثم فالتربية هي تأثير الأجيال البالغة، على الأجيال التي لم تنضج بعد للحياة التي يتطلبها المجتمع السياسي ككل، والطبقة المفروض أن ينتسب إليها بشكل خاص. والتربية في الطور الوضعي الذي نعيش فيه علمانية عقلية، حيث إن الأخلاق في المجتمعات الدنيا دينية، لكنها في الطور الوضعي اجتماعية تستهدف مصلحة الجماعة"[2].

وهكذا يرى دور كايم أن السبب وراء ظاهرة الانتحار ما هو إلا نتيجة النشاط الاجتماعي والاندماج في المجتمعات، ونحن ندرك تماماً أن الإنسان لا يلجأ إلى الانتحار إلا إذا كان ساخطاً على حياته وعلى قدره كل السخط - نتيجة الفراغ الروحي الذي يعيشه - ولذلك يحاول إنهاء ذلك بإنهاء حياته؛ ظناً منه أن الانتحار هو الحل الوحيد له في حين أنه بداية جديدة لشقاء جديد.

كما يرى دور كايم أن الحل يكون بالتربية، ولكن في ظل الوضعية التي يُعدّ كايم أحد أنصارها، والتي يزعم أنها تستهدف مصلحة الجماعة. وهو مذهب كما هو معروف

---

(١) موسوعة الفلسفة والفلاسفة، ص٥٨٥، بتصرف يسير، وأيضاً طه حسين وأثر الثقافة الفرنسية في أدبه، ص١١٩.

(٢) المرجع السابق، ص٥٨٦.

مادي إلحادي.

- **أثره على طه حسين:**

قام دور كايم بتدريس طه حسين في جامعة السوربون علم الاجتماع، وحضّر طه حسين تحت إشرافه رسالته التي أسماها (فلسفة ابن خلدون الاجتماعية) وبعد وفاة دور كايم حضّرها على سلستان بوجليه تلميذ دور كايم، وهو الذي اشترك في المناقشة مكان دور كايم.[1]

ومما يدل على شدة تعلقه بأستاذه (دور كايم) قوله في (الأيام) متحدثاً عن نفسه: "ولكنه لم يلبث أن رُوِّع بوفاة الأستاذ دور كايم المشرف الفلسفيّ على رسالته. وكان الفتى لأستاذه محباً وبه معجباً إعجاباً يوشك أن يبلغ الفتون، فأدركه للخطب فيه حزنٌ عميق"[2] ولهذا كان لدور كايم أكثر من أثر في أكثر من جانب على فكر طه حسين.

ويرى كمال قلته أن أثر دمر كايم على فكر طه حسين في كونه اعتمد نظرية تقديس الجماعة التي مثّلها دور كايم بالإله بالنسبة للمؤمنين به[3] ويستدل كمال على ذلك بقول طه حسين:

"فليس من الحق في شيء أن تنسى الجماعة التي هي المؤثر الأول في ظهور الآداب والآراء الفلسفية، وتقصر عنايتك على الفرد الذي كان مظهراً لهذه الآداب أو لهذه الآراء..." إلى أن يقول: "فمن الناس من يغلو في إكبار الجماعة والبيئة وإضافة كل شيء إليها واستنباط كل شيء منها، حتى ينسى الفرد نسياناً تاماً، فإن ذكره فإنما يذكره على أنه أداة من الأدوات ومظهر من المظاهر ليس له قوة ولا عمل ولا إرادة. ومنهم من يغلو في إكبار الفرد، فيضيف إليه كل شيء ويقصر عليه كل عناية، ويفني الجماعة فيه كما يفنيه السابقون في الجماعة أولئك يمحون الفرد محواً وهؤلاء يمحون الجماعة محواً، أولئك

(١) يراجع: طه حسين وأثر الثقافة الفرنسية في أدبه، ص١١٨.

(٢) الأيام، طه حسين، جـ٣، ص٦٢١.

(٣) يراجع: طه حسين وأثر الثقافة الفرنسية في أدبه، ص١١٩.

وهؤلاء مخطئون فيما أعتقد. فلست أجهل أن الفرد قوة تختلف عظماً وضآلة ولكنها قوة على كل حال، قوة لها أثرها في تكوين القوة الاجتماعية، بل لها أثرها العظيم في تكوين هذه القوة. وإذن، فليس من البحث العلمي القيم في شيء أن تعتبر هذا الفرد كمّاً مهملاً كما يقولون.

ولست أجهل أن الفرد لم ينشئ نفسه، وليس من سبيل إلى تصوره مستقلاً، وإنما هو في وجوده المادي والمعنوي أثرٌ اجتماعي وظاهرة من ظواهر الاجتماع، لا يوجد إلا إذا التقى الحسّان، فإذا وجد فالجماعة كلها متعاونة متظاهرة على تنشئته وتربية جسمه وعقله وشعوره وعواطفه، وهل التربية المادية والمعنوية إلا قالب يُصاغ فيه الفرد على صورة الجماعة التي ينشأ فيها؟ يتعلم الفرد بهذه التربية اللغة التي يتكلمها، وليس هو الذي يحدث هذه اللغة، وليس من الممكن أن تعرف الفرد الذي أحدث لغة من اللغات، بل ليس من الممكن أن توجد اللغة إلا إذا كانت هناك جماعة تحدثها، لأنها محتاجة إليها، ثم يتعلم الفرد الدين الذي ينظم حياته الروحية، وليس هو الذي أحدث هذا الدين، بل ما من سبيل إلى وجود الدين إذا لم تكن هناك جماعة تحتاج إليه. وقل مثل هذا في الأخلاق، وقل مثله في النظم الاجتماعية والسياسية، وقل مثله في جميع الأوضاع والآداب"[1].

فطه حسين في هذا النص لم يصل إلى مرحلة تقديس الجماعة، كما هو الحال عند دور كايم، وإنما عقد مقارنة بين مكانة الفرد ومكانة الجماعة فقدم الجماعة على الفرد.

ويتفق طه حسين مع دور كايم في اعتباره الجماعة مصدراً لعلم الاجتماع لا الفرد، ويعتقد أن علم الاجتماع لا يقوم على الملاحظة فقط، وإنما الملاحظة هي نقطة ابتداء فقط[2].

ومما يؤيد هذا من أقوال طه حسين قوله: "نعم إن موضوع علم الاجتماع الذي يحتوي كل المظاهر الاجتماعية وما يعتورها من شديد التعقيد، أوسع نطاقاً من أن نقصر

---

(١) قادة الفكر، طه حسين، ص١٩١.

(٢) يراجع: طه حسين وأثر الثقافة الفرنسية في أدبه، ص١١٩.

صفة التبحّر فيه على عالم يدرسه كله، إنما العالم الاجتماعي هو الذي يدرس، طبقاً لمنهج معين، واحداً أو طائفة من هذه المظاهر، مع كونه يعرف تمام المعرفة أنها ليست إلا جزءاً من العلم الذي يدرسه. أما بحث ابن خلدون فلا يمكن إطلاقاً أن يعتبر تخصيصاً، إذ إنه لم يشعر بأهمية المظاهر الاجتماعية التي لم يدرسها، ولا يمكن أيضاً أن يعتبر المظهر الاجتماعي الذي اقتصر على ملاحظة مبدأ بحث اجتماعي؛ وذلك لشدة تعقيده، فهو لا يمكن أن يكون نقطة ابتداء للعالم الاجتماعي، بل هو نقطة انتهاء له، كما يقول الأستاذ دور كايم"[1].

ومما يؤيد تأثر طه حسين بأستاذه دور كايم قوله: "على أن لابن خلدون طرافة أخرى في هذا الفصل تستدعي النظر أكثر من سواها، وهي أنه استطاع مع عقليته الإسلامية أن يجعل من النبوءة ظاهرة بشرية فهي ليست ظاهرة خارقة إذ هي مستمدة من الروح البشري ذاته. وليس معنى هذا أن ابن خلدون يكاد يعتبر الدين ظاهرة اجتماعية فهو بالعكس يرى أنه مستقل عن المجتمع بشكل ما. ولكن أليس شرح الدين بدرس الروح البشري خطوة نحو الفكرة الحديثة التي ترى الأديان ظاهرة اجتماعية؟ ولو أن ابن خلدون شرح هذه النظرية بطريقة أبعد عن التحيز وأغضَّ لحظة عن إيمانه الخاص كما يفعل المحدثون، ولو أن السذاجة لم تضطره إلى بعض المبالغات، فأي فرق يكون بينه وبين كثير من الفلاسفة المحدثين الذين اجتهدوا في أن يشرحوا أصول الأفكار الدينية؟"[2].

فهذا النص كما يظهر يوجد فيه أكثر من مخالفة عقدية، إضافة إلى أنه دليل آخر على تأثر طه حسين بدور كايم في نظريته الاجتماعية.

ومما يؤكد هذا التأثر أيضاً ما كتبه طه حسين من مقال في "السياسة" الأسبوعية[3] حيث جاء فيه: "العالِم الحقيقي ينظر الآن إلى الدين كما ينظر إلى اللغة، وكما ينظر إلى

(١) فلسفة ابن خلدون، طه حسين، ص٦٦.

(٢) نفسه، ص٨٣.

(٣) العدد ٩٩.

الفقه، وكما ينظر إلى اللغات، من حيث إن هذه الأشياء كلها ظواهر اجتماعية يحدثها وجود الجماعة.... وإذن نصل إلى أن الدين في نظر العلم لم ينزل من السماء ولم يهبط به الوحي. وإنما خرج من الأرض كما خرجت الجماعة نفسها"[1]. فهذا النص يؤكد تأثر طه حسين بفكر دور كايم حول الدين وأنه ما هو إلا ظاهرة اجتماعية يحدثها وجود الجماعة.

فدعوة دور كايم تقوم على الجبرية المطلقة للفرد في إطار المجمتع، وإقراره لعجز الإنسان عن تغير المجتمع وضرورة خضوعه له.

ثالثا: الأدباء الفرنسيون المعاصرون له:

رأينا إلى أي حد تأثر طه حسين بالفلاسفة والمفكرين الفرنسيين، وكما تأثر طه حسين بالكثير من مفكري فرنسا كذلك كان تأثره بأدبائها كبيراً أيضاً، حيث ظهر ذلك جلياً في كتاباته وترجماته للكثير من القصص الفرنسي، ولعلَّ من أبرز هؤلاء الأدباء:

١) بودلير (١٨٢١-١٨٦٧م) Baudelaire:

التعريف به:

شاعر فرنسي، "من أسرة متوسطة مات عنه أبوه ولما يتجاوز السادسة من عمره، وقد تزوجت أمه من ضابط في الجيش ظل يرتقي حتى انتهى إلى أعلى المراتب العسكرية، ونشأ بودلير نشأة لم تخل من القهر والعنف والضيق...." [2]

وما كاد ينهي دراسته الثانوية حتى اعتزل أسرته التي كانت تسعى جاهدة إلى أن تجعل منه فرداً عاملاً منتجاً، لكنه كره حياة المحافظة واتجه إلى التطرف وعاش حياة حرة بلا قيد؛ فعاشر الشعراء والمصورين والمثَّالين وكتَّاب القصص، وتكلَّف من الأزياء والأطوار ما جعله موضع نظر الناس ودهشتهم.

---

(١) نقد مطاعن في القرآن في الكريم، محمد أحمد عرفة، ص١١٤، ط: الأولى، ١٣٥١هـ، مطبعة المنار، وأيضاً محاكمة فكر طه حسين، أنور الجندي، ص٢٣٣.

(٢) حافظ وشوقي، طه حسين، ص٤٠ وما بعدها.

وقام هو وجماعة من أصدقائه بصناعة الأفيون والحشيش، ونتيجة لبعثرة أمواله فيما لا جدوى منه اضطرَّت أسرته إلى أن تحجر عليه، واضّطر هو إلى أن يشتغل بالصحافة الأدبية ليوسِّع على نفسه، وبدأ يعرض مقطوعات شعرية لا تمتُّ إلى الأخلاق بأية صلة مما جعل القضاء الفرنسي يحكم عليه بغرامة مالية، وحُكم على ديوانه بأن يحذف منه كل ما يخالف الأخلاق.

ونتيجة صراعه مع الناس والمجتمع أصبح مريض الأعصاب، وأخيراً مات في بلجيكا وقد ترجم طه حسين له مقطوعة (خلوة إلى النفس) و(النافورة) (١).

◈ إعجاب طه حسين به:

عرض طه حسين لبودلير ولبعض مقطوعاته الشعرية بعد أن كتب نبذة مختصرة عن حياته، ويظهر من حديث طه عنه إعجابه به وبشعره بالرغم من فظاعة ما كان يكتب، ولكن ثمة أمر يدعو إلى العجب حقاً وهو نفور الفرنسيين، علمائهم وعوامِّهم وشعرائهم، من هذا الشعر الرخيص الذي جاء نشازاً تنفر منه الطباع وتمجُّه الأذواق، وفي الوقت نفسه نجد - للأسف - عميد الأدب العربي وابن البيئة العربية المسلمة يقبل هذا الشعر ويصفه بالروعة يقول:

"إن الديوان الذي أثار مسألة الحرية والفن، ووقف من أجله الشاعر أمام القضاء كان يحمل هذا العنوان الغريب (أزهار الشر) وهو يتألف من مقطوعات شعرية قصار، عرض فيها الشاعر لضروب من الشر المادي والمعنوي ففصّلها وحللّها، واستخرج منها قوةً وفناً بديعاً وصوراً شعرية رائعة"!!(٢).

ثم يتساءل قائلاً: "هل يملك الفتى هذه الحرية التي تبيح له ألا يحفل إلا بنفسه وبالجمال من حيث هو جمال، سواء أوافق في ذلك ما أَلِف الناس من أخلاق ونظام ودين أو لم يوافقه؟

---

(١) يراجع: المرجع السابق، ص٤٠٢ - ٤٠٤.

(٢) المرجع السابق، ص٤٠٥.

أما بودلير فكان فيما بينه وبين نفسه، وفيما بينه وبين الخاصة من الأدباء يجيب: نعم! وأما خصومه وهي الجماعة كلها ومعها نظمها الدينية والخلقية والسياسية فكانوا يجيبون: لا!

وسجّل القضاء هذا الجواب. ولكن الأدباء الفرنسيين، وعلى رأسهم زعيمهم يومئذ وهو (فكتور هوجو) أنكروا حكم القضاء واتهموه بالظلم.

ولا ننسى أن هذا الحكم صدر في ظل الإمبراطورية الثانية، أي في جو لم يكن جو حرية إنما كان جو عسف وجور"[1].

ثم يلتمس له الأعذار في هذا الشعر المنكر بقوله:

"على أن من الحق أن نلاحظ أن بودلير حاول في إثر هذا الحكم أن يصانع الجمهور والجماعة والقضاء فكان يقول: إن هذه الصور الشعرية لا تعبّر عن آرائه وأغراضه في الحياة، وإنه لا يخالف الناس فيما يرون وما يعتقدون فيما يتصل بحياته العملية والعقلية والشعورية، وإنما هذا الديوان صور فنية قصد إلى إظهارها، كصانع يجرّب نوعاً من الصناعات لا أكثر ولا أقل، وكان يقول هذا مصانعة وتقيَّة، ولكنك رأيت أن هذه الصور كانت في حقيقة الأمر مثلاً لحياته الشخصية الداخلية، فنحن نستطيع الآن أن نقطع بأن الشاعر لم يعمد إلى هذه الموضوعات ولا إلى هذه الصور ليعالجها معالجة موضوعية صرفة كما يقولون، وإنما هي قطع من نفسه تمثل شخصيته اليائسة البائسة المتألمة المحبة، الراغبة في الموت، المشفقة منه في وقت واحد"[2]

ويضطرب رأي طه حسين في الحكم على ديوان بودلير الذي أطلق عليه (أزهار الشر) اضطراباً عجيباً يتأرجح بين الحمد والذم؛ فها هو ذا يقول:"و(أزهار الشر) هذه التي يشتمل عليها ديوانه أزهار فيها جمال قوي رائع، ولكنه في الوقت نفسه بشع مخيف

(١) نفسه، الصفحة نفسها.

(٢) المرجع السابق، ص٤٠٦.

تضطرب له النفس وتشمئز في كثير من الأحيان"[١]

يقول الأستاذ أنور الجندي معلقاً على موقف طه حسين من هذا الشاعر: "ويتأثر طه حسين ببودلير وبول فاليري وأندريه جيد في إطلاق الفن من قيود الأخلاق ويدعو إلى ذلك في حرارة، ويترجم أسوأ قصائد ديوان بودلير (أزهار الشر) ويشيد بها ويقول: إنه استطاع أن يتخذ من الرذيلة والضعف البشري موضوعاً للفن"[٢].

٢) بول فاليري (١٨٧١-١٩٤٥م) Paul Valéry:

التعريف به:

أديب وناقد فرنسي، ولد في مدينة (ست) ونشأ فيها وبدأ درسه حتى إذا بلغ الرابعة عشرة من عمره انتقل إلى مونبلييه ليتم فيها درسه الثانوي، وكان في أثناء هذا الدرس مزدرياً لنظام الدراسة، معرضاً عن درس المعلمين، ناقداً لأساتذته، ساخراً مما يقولون، مؤثراً الاعتماد على نفسه في تحصيل ما يحتاج إليه أو ما يميل إليه من العلم، وكان طموحاً إلى العمل في الأسطول ضابطاً بحرياً، ولكنه لم يظفر في العلوم الرياضية بما كان في حاجة إليه ليدخل المدرسة البحرية.

ولذلك أعرض عن البحر وعن الأسطول وعن الرياضيات واكتفى بدراسة الحقوق. وفي هذا الوقت عرف شابين فرنسيين كان لهما حظ من البحر عظيم: أحدهما (بيير لويس)، والآخر (أندريه جيد). ولما فرغ من الخدمة العسكرية اتجه إلى دراسة الفلسفة، ثم عاد مرة أخرى إلى دراسة الأدب وكتب كتابه (مسيوتست). وفي سنة ١٩٠٠ نشر ديوانه الأول، وبعدها أصبح عضواً في المجمع اللغوي الفرنسي في سنة ١٩٢٧م.

ثم أصبح حامل لواء الأدب والشعر في فرنسا، وتوفي بول فاليري ودفن جثمانه

---

(١) نفسه، الصفحة نفسها.

(٢) طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام، أنور الجندي، ص٤٦.

بالمقبرة البحرية[1].

◈ إعجاب طه حسين به:

ربطت بين كل من طه حسيين وبول فاليري صداقة قوية، وعلاقات أدبية وثقافية، وكانت بينهما عدة لقاءات في فرنسا وغيرها؛ ونتيجة لهذا فقد أعجب طه حسين بفاليري إعجابا كبيراً وأطلق عليه لقب عقل الشعر الفرنسي[2]، حيث يقول متحدثاً عنه: "يسميه الفرنسيون شاعر العقل، ونستطيع أن نسميه عقل الشعر، فهذان الوصفان يصورانه أصدق تصوير، وكلا الوصفين يطابق صاحبه مطابقة دقيقة صادقة"[3].

ويقول في موضع آخر: "... إن هذه الملكات التي يأتلف منها شخص بول فاليري قد كانت قوية إلى أبعد غايات القوة، معتدلة مع ذلك إلى أقصى حدود الاعتدال. وكانت إرادة بول فاليري متسلطة على هذه الكلمات تسلطاً قوامه الحزم والعدل، فهي تلائم بينهما في صرامة، وتقيم الأمر بينهما بالقسطاس، وتمنع بعضها أن يبغي على بعض. وما أعرف أني قرأت لكاتب أو شاعر في لغة من اللغات التي استطعت أن أقرأ فيها، فوجدت هذا الاعتدال والاستواء والتناسق كما أجدها فيما أقرأ لهذا الكاتب الشاعر العظيم، لا أستثني من ذلك إلا حوار سقراط.

وما أظن أن شيئاً قد أثر في التكوين العقلي لفاليري كما أثر فيه حوار سقراط"[4].

ويقول: "... فهو لم يلتمس قط ثروة ولم يسع قط ليبلغ هذا المأرب أو ذاك من مآرب الحياة. ولما أدركته الشهرة لم يستغلها ولم يستثمرها ولم يتخذ أدبه وسيلة إلى فتنة القرّاء ورضا الجمهور وتحقيق الثراء العريض، وإنما ظل مزدرياً للشهرة معرضاً عن

---

(١) يراجع: ألوان، طه حسين، ص٤٣٣- ٤٤٦، بتصرف.

(٢) يراجع: طه حسين وأثر الثقافة الفرنسية في أدبه، كمال قلته، ص١١٢.

(٣) ألوان، طه حسين، ص٤٣٣.

(٤) نفسه، ص٤٣٦.

المجد..." [١].

ويشتد إعجابه به فيقول:

"وقد عرفت بول فاليري من بعيد حين فجأ الناس بأدبه الرفيع في أعقاب الحرب الماضية[٢]، فأعجبت به كما كان يعجب به الناس إعجاباً يقوم على التقليد أكثر مما يقوم على الدراية الصحيحة. ثم أقبلت على آثاره أقرؤها المرة والمرة والمرات وإذا أنا أحبه عن فهم له. ولكن أي فهم؟! فهم ليس بالقريب وبالمقارب ولا باليسير، وإنما هو نتيجة الجهد المكرر والقراءة المرددة والتفكير المتصل...." [٣].

ويختم طه حسين كلمته في بول فاليري بهذا القول الجريء: "فحسبي أن أعلّل النفس بأني إن زرت فرنسا فسأسعى إلى قبر بول فاليري في تلك المقبرة البحرية التي رآها صبياً، وغنَّاها رجلاً، واطمأن فيها الآن إلى آخر الدهر"[٤].

٣) أندريه جيد (١٨٦٩-١٩٤٩م) Andre Gide:

التعريف به:

أديب وناقد فرنسي، ولد في (نورمنديا) إحدى قرى باريس، نشأ بروتستنتياً، ولكنه لم يلبث أن عرض لشؤون الدين بالنقد، كما عرض لغيرها من الشؤون، كان كثير السفر والتجوال، محباً للقراءة في كتب الأدب، وخاصة الأدب الانجليزي والألماني والروسي، أما الفرنسي فقد أخذ منه بحظ وافر.

كما عُني بالأدب القديم وبالأدب اللاتيني خاصة، شغوفاً بسماع الموسيقا، والنقد الشديد لكل ما يقع تحت عينيه، وقد كتب عدة كتب أدبية ومن أشهرها يومياته التي بدأ

---

(١) نفسه، ص٤٣٩.

(٢) أي الحرب العالمية الثانية.

(٣) المرجع السابق، ص٤٤٠.

(٤) نفسه، ص٤٤٦.

الكتابة فيها عام ١٨٨٩م، وتوقف عن ذلك في عام ١٩٢٨م.

وتتكون من ألف وثلاثمائة صفحة، لم يتورّع فيها عن ذكر علاقاته الشاذة، وقصصه الغرامية المخجلة، التي نفَّرت الكثير من القُرّاء من شخصيته ومؤلفاته نتيجة جراءتها الشديدة، كما نفّرت منه زوجه التي لم تستطع أن توفّق بين حبِّها له وبين قبول فظاعة ما يفعل وما يتردّد على الألسنة كثيراً، ويخالف الخُلق والدين والعرف والأدب!![1].

◈ إعجاب طه حسين به:

قرأ طه حسين كثيراً لأندريه جيد وقرأ عنه كثيراً، ولقيه في مصر وفي فرنسا، وكانت بينهما رسائل واتصالات، وأعجب طه حسين بيوميات أندريه جيد التي ترتسم فيها شخصية الكاتب كأوضح ما يمكن أن تكون.

وتظهر شدة إعجابه به تسويغه له فيما كان يفعل من أمور تنافي الخلق والعرف، والتماس الأعذار الواهية لأفعاله المشينة، يقول طه حسين: "...وقد صارح الناس من أمره بالعظيم! فليصارحهم بما بقي من أمره، فلن يستطيعوا له ضراً ولن يستطيعوا له نفعاً؛ وقد عوّد نفسه الاستقلال التام، فهو لا ينتظر من الناس شيئاً، كما أنه لا يخاف منهم شيئاً، وشخصية أندريه جيد متمردة بأوسع معاني هذه الكلمة وأدقها، فهي متمردة على العرف الأدبي، وعلى القوانين الخلقية، وعلى النظام الاجتماعي، على النظام السياسي، وعلى أصول الدين نفسها، متمردة على كل شيء حتى على نفسها في أكثر الأحيان، وفي كل إنسان حر، أو مؤمن بحريته، حظ من التمرد على هذا النظام أو ذاك من نظم الحياة الاجتماعية. ولكنه يصانع ويداجي ويحتال ليلائم بين شخصيته وبين البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها؛ ففي حياته شيء من الكذب قليل أو كثير، وفيها حظ من النفاق عظيم أو ضئيل، يظهر للنظم الاجتماعية طاعة لها ورضا بها، وهو لها كلها أو بعضها كاره، وعليها ساخط وبها متبرّم؛ ولكنه محتاج إلى أن يعيش، فلا بد له من الكذب والنفاق وخداع الجماعات وسرقة لذَّاته ما وجد إلى سرقتها سبيلاً؛ والناس قد عرفوا ذلك وأقرُّوه

(١) يراجع: فصول في الأدب والنقد، طه حسين، ص٤٧٤- ٤٨٤.

وتواضعوا عليه، وأصبح الكذب والنفاق وسرقة اللذات وإخفاء السيئات أوضاعاً اجتماعية يألفها الناس، ينكرونها في ألفاظهم ويقرونها في سريرتهم وفي أعماق نفوسهم. أما أندريه جيد فإنه ينفرد بالملاءمة بين تمرده الداخلي وسيرته الخارجية إن صح هذا التعبير؛ يرى الرأي فيعلنه مهما تكن نتيجة ذلك، ويشتهي الشيء فيسعى إليه ويحققه مهما تكن نتيجة ذلك؛ ويحس هذا الحس أو ذاك، ويشعر هذا الشعور أو ذاك، ويجد القدرة على تصوير حسه وشعوره فلا يتردد في تصوير حسه وشعوره، يقسو في هذا كله على الناس، ويقسو في هذا كله على نفسه، ولا يقبل في هذه القسوة هوادة ولا موادعة"[(١)].

وهكذا يطلق طه حسين وصف الصراحة والصدق على الفحش من القول والخلق، والجرأة الواضحة بل الفاضحة على وصف علاقات هذا الأديب المنحلّ، المتجرّد من أسمى صفات الأديب الحق.

ونحن لا نعجب من هذا الكاتب البذيء – فليس بعد الكفر ذنب – بقدر تعجبنا من الآخر الذي تربّى في بيئة عربية مسلمة ثم يقول هذا القول المليء بالرضا والإعجاب....

إنه يقول في موضع آخر: "قلت إن شخصية أندريه جيد متمردة، وإن تمرده صريح صادق، وإن هذا التمرد الصريح الصادق هو الذي يميزه من غيره من الكتّاب والأدباء والمفكرين"[(٢)].

وهكذا أصبحت الجريمة – في نظر طه حسين – تميزاً يتميز به المجرم عمن سواه من الناس. ويضطرب رأي طه حسين – كالمعتاد – في صديقه أندريه جيد فمرةً يُعجب به، ومرةً يعجب منه ومن خُلقه المنكر يقول: "وقد نشأ أندريه جيد بروتستنتياً، ولكنه لم يلبث أن عرض لشؤون الدين بالنقد، كما عرض لغيرها من الشؤون، فلم يبق له من مذهبه الديني الموروث إلا شدته على نفسه وأخذه إياها بالحزم والعنف والدقة في بعض سيرته وفي تفكيره وحياته العقلية بوجه خاص. وإذا هو يفرق بين الدين والأوضاع

---

(١) المرجع السابق، ص٤٧٧.

(٢) المرجع السابق، ص٤٧٨.

الدينية والاجتماعية، فينفي هذه ويستبقي ذاك.

وإذا هو مؤمن أشد الإيمان وأقواه حتى يُظن به التصوف، منكر للكنيسة أشد الإنكار، ثائر عليها أعظم الثورة، ولكنه لا يؤمن إيمان المقلِّد، وإنما يؤمن إيمان المجتهد، فيعرض له الشك ويؤذيه الريب. ثم هو ينظر في غرائزه في الأوضاع الاجتماعية، وفيما يأخذ الدين والعرف والأخلاق والقوانين هذه الغرائز به من النظام. وإذا هو ينحرف عن هذا النظام انحرافاً منكراً في سيرته، فيألف لوناً من اللذة تنكره النظم الدينية والاجتماعية إنكاراً شديداً. ولكنه لا يتحرج من إرضاء غرائزه على هذا النحو البغيض، ثم لا يداجي في ذلك ولا يصانع ولا يخفي منه شيئاً.

بل يجهر بآرائه فيبثها في كتبه، ثم يؤلف في الدفاع عنها كتاباً وأي كتاب. وقد أحبّ فتاة تجمعها به صلة القرابة أشد الحب فاتخذها له زوجاً، وكان أسعد الناس بحبها، كما كانت أسعد الناس بحبه، ولكن ذلك لم يمنعه من المضي في طريقه تلك، في غير تردد وفي أيسر تحفظ واحتياط. وأكبر الظن أنه شقي بحبه وأشقى به أيضاً، فهو ينبئنا في يومياته بأنه لا يريد أن يودع هذه اليوميات شيئاً مما يمس زوجه، ثم ينبئنا في آخر الكتاب بأنه نادم على هذه الخطة، لأنه انتزع من هذا الكتاب نفسه"[(١)].

وطه حسين وإن كان إعجابه بهذا الأديب لا يعدو أن يكون إعجاباً أدبياً - مع مخالفته له في خُلقه وشذوذه - إلا أنه يُلام على هذا الإعجاب؛ لأنه وصف وقاحته بالصراحة والصدق وغير ذلك...وقد ذكر كمال قلته عدة أمور يتفق فيها طه حسين مع أندريه جيد ومنها:

- "كلاهما كتب يومياته أو مذكراته، فأندريه بدأ الكتابة لها عام ١٨٨٩، وطه حسين بدأها عام ١٩٢٨م.

- نشأ أندريه جيد بروتستانتياً ولكنه لم يلبث أن عرض لشئون الدين بالنقد كما عرض لغيرها من الشئون، ونشأ طه حسين أزهرياً ولكنه لم يلبث أن عرض لشئون

---

(١) المرجع السابق، ص٤٧٩ وما بعدها.

الأزهر بالنقد كما عرض لغيرها من الشئون......." [1].

وهناك فرق بين نقد الاثنين فنقد أندريه جيد للبروتستانتية يعد كفراً بمذهب ديني نصراني – وإن كان هذا الدين محرفاً– فهو عدو للدين ومهاجم له....

أما نقد طه حسين للأزهر فلا يعد هجوماً على الدين لأنه لا يعدو أن يكون نقداً لمؤسسة تعليمية، ربما يكون نقده منصباً على مناهج التعليم بالأزهر أو طريقة التدريس فيه، وهذا في حد ذاته لا يعد هجوماً على الدين إلا إذا اعتبر ستاراً لما يخفيه من بغضه للدين ومهاجمته له – والله تعالى أعلم–.

– "كلاهما جعل من الملاحظة والمراقبة والنقد قواماً لشخصيته الفنية.

– كلاهما لا يقرأ كتاباً ولا مقالاً ولا فصلاً في صحيفة ولا يسمع حديثاً من أديب ناشئ مثله أو أديب متقدم في السن ممتاز في المكانة؛ إلا مسّه بالنقد والتحليل وردّه إلى أصله، واستخلص منه ما يلائم مزاجه وطبعه، ونفى منه ما يجافي هذا الطبع أو ينافي ذلك المزاج.

– كلاهما أحب القراءة وأعجب بالأدب القديم وبالأدب اللاتيني خاصة"[2].

وقد ترجم طه حسين لأندريه جيد بعض أعماله مثل (الباب الضيّق) وغيرها....

وبهذا تبين لنا موقف طه حسين من رموز الانحلال الخُلقي في الغرب وكيف أصبحوا – في نظره – من الأدباء المتميزين!!

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على الانتماء الكامل، والرضا الكامل بفرنسا وحضارة فرنسا، حلوها ومرها خيرها وشرها، ما يُحمد منها وما يُعاب.

كما ترجم طه حسين الكثير من القصص التمثيلية لطائفة أخرى من الأدباء الفرنسيين أمثال: جان بول سارتر، حيث عرض بعض أعماله وفسّر وجهة نظره وفلسفته

---

(١) طه حسين وأثر الثقافة الفرنسية في أدبه، كمال قلته، ص٧١ وما بعدها، بتصرف.

(٢) المرجع السابق، الصفحة نفسها، بتصرف يسير.

فيما يكتب من قصص مثل: (من وراء السور)، (الأنوف المستعارة)، وكتب أيضاً عن (ألبير كامو) و(بول هرفيو) الذي ترجم له قصة (التّيه) و(شوط القبس)، و(القيد)، و(قانون الرجل)، و(اعرف نفسك)، والكاتب: (فرنسوا دي كوريل) حيث ترجم له (أرض الجحيم) و(الدمية الجديدة) و(نشوة الحكيم) وترجم قصة (الأستاذ كلينوف) للكاتبة: (كارن براجسون) كما ترجم للكاتب الفرنسي (الفريد كابو) قصة (الحظ) و(شبيبتنا) و(المذهبان) وترجم كلاً من (السارق)، و(البطولة)، و(السِّر) وجميعها للكاتب الفرنسي: (هنري برنستين). وترجم لـ (موريس دونيه) قصة (السَّيل)، و(السَّلام الحيَّ)، ولـ (ربول رينيه) و(الإغواء) لـ (شارل ميري) وغيرها كثير....

وهكذا كتب طه حسين الكثير والكثير عن أدباء فرنسا وكما كتب عنهم ترجم لهم أيضاً الكثير من قصصهم - كما أسلفت - وإن دلّ هذا على شيء فإنما يدل على شدة الإعجاب والانبهار بهؤلاء الكتاب المنتمين إلى بلده الثاني فرنسا....

ولم يتوقف نشاطه الأدبي عند الكتابة عن هؤلاء الكتاب فقط، بل كتب أيضاً عن بعض الممثلات، فها هو ذا يكتب فصلاً عن الممثلة الفرنسية - ذات الأصل اليهودي - سارة برنار وعن إعجاب الباريسيين بها وحزنهم على موتها، يقول واصفاً لها:

"يقف الناس منها موقف الحائرين الدهشين الذين يعجبون ويعجبون إلى غير حد، وهم لا يدرون بم يعجبون؟ بالذكاء النادر؟ بالجمال الباهر؟ بالصوت الساحر؟ بالقوة التي لا حد لها؟ بالأمل الذي لا يخشى اليأس ولا يحسب له حسابٌ؟ بالنفس التي ليس لها مثيل....؟

وبهذا كله كان الناس يعجبون سواء منهم من أحبها، وسواء منهم من أبغضها. كل بها معجب. وكل لها مكبر في كل وقت وفي كل طور"[1].

ثم يصف حزنهم على موتها وجزعهم على ذلك بقوله: "بهذا كله كان الناس يتحدثون يوم نعيت إليهم (سارة برنار). من قبل ذلك أنبأتهم الصحف بأن (سارة برنار)

(١) من بعيد، طه حسين، ص٢١.

مشرفة على الموت فجزعوا وهلعوا وأسرعت جماعاتهم المختلفة إلى بيت المريضة، فازدحمت حوله وامتلأ بها الشارع، وكان من هذه الجماعات من يتاح له الدخول إلى بيت المريضة فيسأل ويستعلم ويكتب اسمه ثم ينصرف. وكان من هذه الجماعات من لا يتاح له هذا الحظ فيرابط في الشارع يتنسم الأنباء ويتصيد الأخبار، يرى الصحفي فيسأله، ويلمح الطبيب فيستنبئه، كذلك قضى جمهور ضخم من أهل باريس يوم احتضار (سارة برنار)، فلما كان الموت لم يخل الشارع ولا البيت من هذا الجمهور، وإنما ازداد به امتلاءً وازدحاماً، وما هي إلا أن جهزت الميتة بجهازها الأخير حتى أُذن للناس فأقبلوا على البيت أفواجاً، وأخذوا يمرون أمام هذه الجثة الهامدة - التي طالما بعثت فيهم الحياة - يوماً كاملاً تمّ فيه تشييع الجنازة..." [1].

إلى أن يقول:"ولهذا فتن الممثلون بهذه الممثلة التي كانت أحسن سفير، نشر الدعوة الفرنسية في أقطار الأرض، وأحسن تمثيل للعقل الفرنسي والفن الفرنسي والأدب الفرنسي، حتى قرنها كثير من الكتّاب بنابليون، ولست أدري إلى أي حد تصح هذه المقارنة، ولكني لا أشك في أن (سارة برنار) خدمت فرنسا ورفعت ذكرها إلى حد لم يبلغه كثير من قوادها الفاتحين"[2].

ثم يتحدث عن بعض ما كانت تفعله في أدوارها التمثيلية مما يعفُّ القلم عن تسطيره ويتنزّه اللسان عن ذكره!!

وهكذا يتحدث بإعجاب ويحلّل شخصية ممثلة يهودية نزعت ثوب الحياء باسم الفن، وهتكت خلق الفضيلة باسم التمثيل، فلا يشجبها ولا ينكر عليها بل يمجّدها ويثني عليها!!

وهكذا انتهى المصدر الثاني من مصادر فكر طه حسين وهو الثقافة الفرنسية. فإلى المصدر الثالث (الثقافة اللاتينية القديمة المتمثلة في حضارة الرومان واليونان).

---

(١) المرجع السابق، ص٢٢.

(٢) نفسه، ص٢٣.

❖ المبحث الثاني: التراث الروماني واليوناني.

يعد التراث التقليدي القديم الروماني واليوناني، المصدر الثالث لثقافة (طه حسين) حيث بدأ درس اللاتينية في باريس سنة ١٩١٦م، على يد طالبة كانت تدرس بمدرسة المعلمات وهي ابنة العائلة التي أقام عندها طه حسين في بداية دراسته[(١)].

"كذلك درس اللاتينية مع (شارل بران) الأستاذ بمدرسة (لوي لوكراند) وأتمّها في عامين. وفي عام ١٩١٩م أعدّ رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، واختار موضوعاً من التاريخ الروماني هو: (القانون في العصر الإمبراطوري إبان حكم طيباريوس كما رآه تاسيت). واضطر من أجل ذلك إلى قراءة كتاب القانون المدني الروماني في ثمانية أجزا، وكتاب القانون الجنائي الروماني في ثلاثة أجزاء، وكلاهما من تأليف (مومسن) العالم الشهير المختص في التاريخ الروماني"[(٢)].

وعندما عاد طه حسين إلى مصر عام ١٩١٩م عين أستاذا للتاريخ اليوناني والروماني القديم، واستمر في هذا المنصب حتى عام ١٩٢٥م[(٣)].

وقد ثار جدل عنيف في الجامعة المصرية حول تدريس التاريخ اليوناني والروماني، ووجِّه إلى طه حسين النقد الشديد حول اختياره تدريس هذا التاريخ حيث كان الأجدر به أن يبذل جهده في تدريس التاريخ الإسلامي لا اليوناني والروماني، وبالرغم من ذلك فقد أصرّ على رأيه، ودرّس هذا التاريخ في الجامعة، ولم يكتف بذلك بل ذهب إلى حد أن طالب بتدريس اللاتينية واليونانية في المدارس الثانوية يقول: "وأنا مع ذلك مؤمن أشد الإيمان وأعمقه وأقواه بأن مصر لن تظفر بالتعليم الجامعي الصحيح، ولن تفلح في تدبير بعض مرافقها الثقافية الهامة إلا إذا عُنيت بهاتين اللغتين لا في الجامعة وحدها بل في

---

(١) طه حسين وأثر الثقافة الفرنسية في أدبه، كمال قلته، ص٤٣.

(٢) نفسه، ص٤٤.

(٣) يراجع: نفسه، ص٤٥.

التعليم العام قبل كل شيء"[1].

ويقول في موضع آخر: "...أعلم علم يقين أن الأدب اليوناني سيء الحظ في مصر، وأن سوء حظه قد بلغ من الشدة إلى حيث لا نستطيع تقديره أو تقدير عواقبه السيئة، نجهل الأدب اليوناني – لا أقول جهلاً تاماً – بل أقول جهلاً فاحشاً مخزياً لا يليق بقوم يحبّون الحياة أو يطمعون فيها....." [2].

يقول الدكتور (محمد الغمراوي) معلقاً:"وتلك اللاتينية واليونانية اللتان يشترط إتقانهما لدراسة الأدب العربي على وجهه هما مثل واضح لذلك التقليد البحت الذي به يأخذ وإليه يدعو.

فقد رآهما يُعنى بهما في فرنسا عناية كبرى، وسمع أنَّهما في غير فرنسا يُعنى بهما مثل ذلك، فأدَّاه منطقه إلى أنَّ اللاتينية واليونانية يجب أن يعنى بهما في الأدب العربي لأنهما معنيٌّ بهما في الأدب الإفرنجي، وكان من التجديد عنده أن يدرسهما طالب الأدب العربي حتى يتقنهما، وكان من التقريع الشديد عنده أن يُسائل شيوخ الأدب في مصر ماذا يفقهان منهما.

وكان الأولى أن يُسائل نفسه، لماذا عُني الفرنسيون والإنجليز مثلاً بهاتين اللغتين القديمتين وما مقدار تلك العناية، حتى إذا عرف الصواب من ذلك رجع على نفسه إذ نازعته إلى تقليدهم فسألها هل موقف الأدب العربي من هاتين اللغتين كموقف الأدب الإفرنجي فيعنى الأول بهما كما عني الثاني؟ وإذا لم يكن فما هو ذلك الموقف؟ وما مقدار ما يستلزمه من عناية بتينك اللغتين إن استلزم منها شيئاً؟

لو أصاب صاحب الكتاب[3] الجواب عن هذه الأسئلة ما دعا في الأدب العربي إلى لاتينية ولا يونانية، ولا عيَّر بجهلهما، فإن موقف العربية بالنسبة إليهما مخالف كل

---

(١) مستقبل الثقافة في مصر، طه حسين، ص٢٦٧.

(٢) من بعيد، طه حسين، ص٣١.

(٣) يقصد طه حسين.

المخالفة لموقف الفرنسية أو الانجليزية. فالفرنسية لغة لاتينية نشأت عن اللاتينية كما نشأت العامية عندنا عن العربية. فلو أن العامية كانت لغة تدرس لكان فقهها لا يستقيم لدارسه حتى تدرس العربية كما أن فقه الفرنسية وأدبها لا يستقيم لدارسه أو يعرف اللاتينية.

أما الانجليزية - وإن لم تكن لغة لاتينية - فقد دخلتها اللاتينية عن طرق ثلاثة: عن الفتح الروماني والفتح النُرماني، وانبعاث الأدب القديم بالنهضة التي جاءت بعد فتح القسطنطينية.

فأما الفتح الروماني فكانت فترته نحو أربعة قرون غلبت فيها اللاتينية على لغة البلاد الأصلية. وأما الفتح النُرماني فكانت فترته نحو قرن ونصف غلبت فيهما الفرنسية حتى صارت لغة الخاصة ولغة المحاكم ولغة الأدب. فهذان طريقان صبّت اللاتينية منهما في الإنجليزية على وجه الإجمال.

ثم انبعثت اللغتان القديمتان إبَّان النهضة فدخلت الكلمات اللاتينية في كل من الإنجليزية والفرنسية أفواجاً، ودخلت الكلمات اليونانية فيهما أفواجاً كذلك، كما دخلت في الإنجليزية عن طريق اللاتينية أيضاً.

فالصلة بين اللاتينية واليونانية من جهة والفرنسية والإنجليزية من جهة أخرى، هي من المتانة بحيث تسوغ عند فريق كبير من الناس تلك العناية التي يُعناها الفرنسيون والإنجليز بتينك اللغتين.

وينبغي ألا ننسى أن للتقاليد أيضاً يداً في هذه العناية، فقد فُتن الناس في أوروبا بعد النهضة وإبانها بالأدب اللاتيني واليوناني أيام لم يكن للغرب نفسه أدب يذكر، فكان بهما التأليف، وكانا هما عنوان الثقافة. ثم خفَّ ذلك الافتتان وبدأت اللغات الأوربية نفسها تنهض وتتحرَّر من رق الأدب القديم ليكون لكل منها أدبه الخاص، ولا تزال حركة التحرير هذه في استمرار.

لكن أستاذ الأدب في الجامعة يريد أن يلبسنا ما خلعت أوروبا، ويفتننا بما صحت

عنه أوروبا، ويشغلنا عن أدبنا العربي الضخم الواسع بالأدب اللاتيني واليوناني. ولم هذا؟

لأن أوروبا تُعنى بهذين الأدبين الآن! أو بالأحرى لأنه لا يزال بأوروبا بقية من عناية القرن الخامس عشر بهما! وإذا كان لأوروبا في هذا عذر واضح من التقاليد، ومن الاتصال القوي بالأدب القديم، فما عذر الأستاذ في محاولته تقييد الأدب العربي بالأدب اللاتيني واليوناني القديم، والتقاليد تخذله، والصلة منقطعة أو كالمنقطعة بين العربية وبين اللاتينية واليونانية؟

إن هذه العربية التي ندرسها، والتي هي لنا لغة الكتابة كما ينبغي أن تكون لغة الكلام، لم تغزها اليونانية واللاتينية كما غزتا اللغات الأوربية، لأن جزيرة العرب عزَّت على اللاتين واليونان أن يخضعوها. والمحاولة التاريخية التي حاولت فيها روما أن تخضع جزيرة العرب كانت هلاكاً على الجيش الغازي وقائده.

أما اتصال العربية واليونانية في العصر العباسي على أيدي التراجمة من السريان فلم يكن أثره أدبياً ولكن علمياً، ولم يكن من أثره أن تعلَّم اليونانية أحد من علماء أدب اللغة في ذلك العصر. فقد عرف فلسفة اليونان وعلمهم كثيرون من أدباء ذلك العصر وعلمائه، ولكنهم عرفوه عن التراجم لا عن اليونانية نفسها. فالجاحظ الذي ضربه صاحب الكتاب مثلاً كان يعرف الفلسفة اليونانية، ولكن هل كان يعرف اللغة اليونانية؟ وهل قرأ (هوميروس)[1] و(أرستوفان)[2] و(سوفوكل)[3] الذين يفتأ صاحب الكتاب يُسائل أدباء هذا العصر عنهم؟ وهل قام جهله وجهل علماء اللغة باليونانية في عصره

(١) هوميروس: شاعر ملحمي يوناني، ولد في آسيا الصغرى، قيل إنه كان أعمى، نسب إليه المؤلفون اليونان أشعار (الإلياذة) و(الأوديسا) و(الأغاني الهوميريَّة) التي أثرت تأثيراً عميقاً على مستقبل الشعر اليوناني. يراجع: المنجد في اللغة والأعلام، ص٦٠٣.

(٢) أرستوفان: (٤٤٥-٣٨٧ ق.م) أكبر شعراء اليونان الهزليين، ولد في أثينا، له مسرحيات هزلية، منها: الغمام، الزنانير، العصافير، الضفادع. المرجع: المنجد في اللغة والأعلام، ص٣٧.

(٣) سوفوكل: (٤٩٦-٤٠٥ ق.م) شاعر مسرحيٌّ يوناني، من مؤلفاته: (أوديب الملك)، (اليكزا) وغيرها. يراجع: المنجد في اللغة والأعلام، ص٣١٥.

وغير عصره فحال بينهم وبين أن يورثونا في اللغة أدباً فخماً، وعلماً ضخماً، لا يزال الغرب يكبره، ولا يزال متشدقوه يفنون أعمارهم فيه؟ وهل رجال الأدب وطلابه في هذا العصر أقرب إلى اليونانية من رجال الأدب وطلابه في العصر العباسي فيكلّفوا ما لم يتكلّف أولئك من علم باليونانية نفسها كضرورة من ضروريات التمكن في الأدب العربي؟ ألا إن اليونانية أبعد جداً عن العربية من أن تكون ضرورية لها أو متصلة اتصالاً قوياً بها، وإن التقليد الصرف وحده هو الذي يحمل على القول بدراسة اليونانية واللاتينية كوسيلة من وسائل تعلم الأدب العربي والتمكن فيه.

ومن الغريب أن يكون من أحدث ما تشرّعه جامعة عظمى كجامعة لندن إعفاء طالب درجتها الأدبية من اللاتينية واليونانية إذا كان شرقياً من أبوين شرقيين، بشرط أن يختار لغة شرقية قديمة مكان اللغة التي يتحتَّم على الطالب الغربي اختيارها من اللاتينية واليونانية، ثم يأتي أستاذ الأدب العربي في جامعتنا فيزعم أنهما ضروريتان لمن يريد أن يتخصص في الأدب العربي، وتأتي جامعتنا فتحتِّمها أو إحداهما على من يريد أن ينال درجتها في الآداب"(1).

ويزعم طه حسين أن الإسلام هو الذي مدّ سلطان العقل اليوناني إذ يقول: "إن انتشار الإسلام في الشرق البعيد وفي الشرق الأقصى قد مدّ سلطان العقل اليوناني وبسطه على بلاد لم يكن قد زارها إلا لماماً، ولم يستطع أن يستقرَّ فيها استقراراً متصلاً إلا بعد أن استقرَّ فيها الإسلام، وما كان الأوروبيون يجادلون في ذلك أو ينكرونه لو أن المسيحية انتشرت في الشرق البعيد والشرق الأقصى منذ العصور الأولى كما انتشر الإسلام"(2).

ويعلّق الدكتور يوسف نور عوض على هذا بقوله:

"ولعلّ طه حسين يُسرف إسرافاً خطيراً بمحاولته التقليل من دور الإسلام حين

---

(1) النقد التحليلي لكتاب في الأدب الجاهلي، محمد أحمد الغمراوي، ص٥٠ - ٥٣.

(2) مستقبل الثقافة في مصر، طه حسين، ص٣٢.

يقول إنَّ الإسلام مدَّ لانتشار الثقافة اليونانية في بلاد الشرق البعيد وكأنه لم يكن لديه شيء يقدِّمه حتى انتظر ليستعين بالثقافة اليونانية.

نحن لا نشك في أن الإسلام، كدعوة قائمة على الحرية قد مدّت للثقافة اليونانية وغيرها من الثقافات للانتشار تحت مظلة الإسلام ولكن الإسلام قد سبق كل تلك الثقافات في تلك البلدان بما عنده من قيم ومبادئ حتَّمتها دعوته الخيرة التي أكملت نظريات المعرفة ووحدتها في نظرية مركبة وشاملة"[١].

إلى أن يقول:"ويسوق طه حسين مذهباً مضطرباً ومعوجّاً يحاول به أن يقحم الفكر اليوناني في المبادئ الإسلامية؛ لا لشيء سوى أنَّه يريد أن يثبت الغلبة للثقافة اليونانية ليجعل من مصر تابعة للغرب وليس للشرق دون انتباه؛ لأنه يناقض بذلك نفسه مناقضة تامة فيما يقول، إنه لم ير للمسيحية تأثيراً في العقل الأوربي ولكنه حين أيقن أن تأثير الإسلام في العقل العربي لا مفرَّ من الاعتراف به أثبت للمسيحية دوراً في العقل الأوربي بعد أن مازج بينها وبين الثقافة اليونانية وحاول أن يشبِّه تأثير الإسلام في العقل المسلم على نفس النحو الذي أثّرت به المسيحية في العقل الأوربي تحت تأثير الثقافة اليونانية"[٢].

يقول طه حسين: "وأغرب من هذا أن بين الإسلام والمسيحية تشابهاً في التاريخ عظيماً فقد اتصلت المسيحية بالفلسفة اليونانية قبل ظهور الإسلام فأثَّرت فيها وتأثَّرت بها. وتنصَّرت الفلسفة، وتفلسفت النصرانية. ثم اتصل الإسلام بهذه الفلسفة اليونانية فأثَّر فيها وتأثَّر بها. وأسلمت الفلسفة اليونانية وتفلسف الإسلام. وتاريخ الديانتين واحد بالقياس إلى هذه الظاهرة. فما بال اتصال المسيحية بالفلسفة يجعلها مقوماً من مقومات العقل الأوروبي، وما بال اتصال الإسلام بهذه الفلسفة نفسها لا يجعله مقوماً من مقومات هذا العقل؟"[٣].

---

(١) الرؤية الحضارية والنقدية في أدب طه حسين، د/ يوسف نور عوض، ص٦٠.

(٢) نفسه، الصفحة نفسها.

(٣) المرجع السابق، الصفحة نفسها. وراجع: مستقبل الثقافة في مصر، طه حسين، ص٣٢.

ويقول يوسف نور معلقاً: "ولعلّ طه حسين يخلط في حديثه السابق خلطاً عظيماً بين الإسلام والمسلمين؛ فالذين تعاملوا مع الفلسفة اليونانية وتأثروا بها هم الفلاسفة من المسلمين، وأما الإسلام فهو قائم بشخصيته المستقلة ولا مجال لتأثره بالفلسفات الوضعية"[1].

وهكذا رأينا إلى أي حد تأثر طه حسين بالثقافة اللاتينية القديمة المتمثلة في ثقافة الرومان واليونان.

ومما يدلّ على اهتمامه بهذه الثقافة ما كتبه في كتابه (قادة الفكر) حيث أرَّخ لأهم الاتجاهات الفكرية في المجتمع اليوناني القديم واعتمد على الشخصيات الفلسفية والسياسية في تلك الحضارة.

ومما يؤكد إعجابه بحضارة اليونان قوله: "بداوة العرب أثَّرت في العرب وفي حضارة الإسلام ولم تتجاوز الحضارة الإسلامية إلا قليلاً، وإذن فشعراء الجاهلية عرب لا أكثر ولا أقل، أما بداوة اليونان فقد أثَّرت في اليونان وأثرت في الرومان وأثرت في العرب وأثَّرت في الإنسانية القديمة والمتوسطة، وهي تؤثر الآن في الإنسانية الحديثة، وستؤثر فيها إلى ما شاء الله؛ وإذن فشعراء البداوة اليونانية يونان ولكنهم مِلك للإنسانية كلها"[2].

وبعد أن ذكر طه حسين في كتابه (قادة الفكر) التطور الفكري لحضارة اليونان تحدّث عن هؤلاء القادة والمفكرين باختصار، ولم يُحلِّل أفكارهم وفلسفاتهم بل عرضها عرضاً سريعاً وهم: هوميروس، سقراط، أفلاطون، أرسطا طاليس، الإسكندر، يوليوس قيصر[3].

كما ترجم كذلك كتاب (نظام الأثينيين) الذي اكتشف في مصر عام ١٨٩١م،

---

(١) نفسه، الصفحة نفسها.

(٢) قادة الفكر، طه حسين، ص١٩٣ وما بعدها.

(٣) يراجع: قادة الفكر، طه حسين، ص١٨٩ - ١٩٢.

الذي وضعه أرسطو، ثم نُقل إلى المتحف البريطاني في لندن، وترجم إلى اللغات الأوربية، حتى جاء طه حسين ونقله إلى اللغة العربية[1].

تحدّث طه حسين في هذا الكتاب عن حياة أرسطو، ثم حياته العلمية في أثينا، بعد ذلك تحدَّث عن النظام السياسي والاجتماعي والاقتصادي والديمقراطي في أثينا قلب حضارة اليونان، وتحدّث كذلك عن الأسر الحاكمة التي تولَّت الحكم في أثينا على مرَّ العصور.

وقد قدَّم طه حسين إلى قرَّائه نماذج مختارة من الشعر التمثيلي، ثم من الأدب التمثيلي عند اليونان، كذلك ألقى بعض المحاضرات التاريخية التي نُشرت في صحيفة الجامعة المصرية[2].

وبهذا اتضح شدة تعلّق طه حسين بالثقافة القديمة المتمثلة في حضارة اليونان والرومان وباللغة اللاتينية القديمة؛ ولهذا اعتبرت إحدى مصادر ثقافته.



(١) يراجع: طه حسين وأثر الثقافة الفرنسية في أدبه، كمال قلته، ص٤٦. وراجع: نظام الأثينيين، المقدمة، طه حسين، ص٢٩٥.

(٢) يراجع: المرجع السابق، ص٤٦.

الباب الثاني

الباب الثاني

آراء طـه حسيـن عرض ونقد

ويحتوي على فصليـن :

- **الفصل الأول : الآراء العقديـة عرض ونقد .**
- **الفصل الثاني : الآراء الشرعيـة عرض ونقد .**

الفصل الأول

آراء طه حسين العقدية عرض ونقد

وفيه أربعة مباحث: -

- المبحث الأول: مخالفات في بعض أركان الإيمان الستة.
- المبحث الثاني: المخالفات المتعلقة بعقيدة الولاء والبراء.
- المبحث الثالث: مخالفات طه حسين في القضايا السياسية والاقتصادية.



الفصل الأول:
آراء طه حسين العقدية عرض ونقد

لا شك أن طه حسين قد خالف بعض أصول الإيمان الأساسية، سواءٌ في كتابه: (في الشعر الجاهلي)، أو في غيره من الكتب، ويمكن تصنيف المخالفات العقدية التي وقع فيها إلى:

المبحث الأول: مخالفات في بعض أركان الإيمان الستة.

المبحث الثاني: المخالفات المتعلقة بعقيدة الولاء والبراء.

المبحث الثالث: مخالفات طه حسين في القضايا السياسية والاقتصادية.



المبحث الأول:
مخالفات في بعض أركان الإيمان الستة

۞ المطلب الأول: المخالفات المتعلقة بالإيمان بالله ﷻ:

الإيمان بالله ﷻ يقتضي الإقرار بتوحيد الربوبية وما يتضمنه من تعظيم الرب وإجلاله وتقديره، كما يقتضي الإيمان به سبحانه الإقرار بتوحيد الإلهية المبني على إخلاص التأله لله تعالى، من المحبة والخوف، والرجاء والتوكل، والرغبة والرهبة، والدعاء لله وحده. وينبني على ذلك إخلاص العبادات كلها ظاهرها وباطنها لله وحده لا شريك له، لا يجعل منها شيئاً لغيره، لا لملك مقرَّب، ولا لنبي مرسل، فضلاً عن غيرهما. وهذا التوحيد هو الذي تضمنه قوله تعالى: (إياك نعبد وإياك نستعين) وقوله تعالى: (فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون).

وقد تنوعت مخالفات طه حسين في هذا الأصل العظيم (التوحيد) إلى:

- السخرية بالخالق جلَّ وعزّ.
- نسبة التحايل إلى الله تعالى.
- نسبة الظلم إلى الله تعالى.
- الشرك في عبادة الله ﷻ.

◈ أ) السخرية بالخالق جلَّ وعزّ:

من المعلوم شرعاً أن الإيمان بالله ﷻ يقوم على تعظيمه وإجلاله وتقديره، فمتى كان المؤمن معظِّماً لربه ومجلاً لشعائره كان ذلك دلالة قوية على صدق إيمانه وتقواه قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾[1].

وأحكام الشرع الحنيف كلها قائمة على تعظيم الله جلَّ وعزَّ، وإن من أعظم ما ينافي

(1) سورة الحج: ٢٣.

هذا التعظيم والإجلال هو السخرية والاستهزاء بالله تعالى أو بشرعه أو بشيء جاء به سبحانه. كيف لا ومقام الألوهية مقام عظيم لا يجاريه مقام.

وقد عدَّ الشرع العظيم مجرَّد السخرية والاستهزاء بهذا المقام أو بشيء يتعلَّق به ناقضاً من نواقض الإسلام العشرة المخرجة عن الملة. وحكم الله ﷻ بالكفر على نفر جعلوا من سيرة السخرية بالرسول ﷺ مادةً يقطعون بها طريقهم فكيف بمن سخر بخالقه تعالى وبصنعه.

وقد ظهر من طه حسين بعض الأقوال التي تدل على السخرية بالخالق جلَّ وعلا، حيث كانت السخرية اللاذعة من أبرز صفاته السيئة فهو لا يكاد يسلم من سخريته أحد، بدءاً بأهله ومشايخه، ثم ما لبث أن سخر بالكثير ممن عارضوه وخالفوا رأيه، وانتهى به الأمر أن سخر بالدين والنبي ﷺ ثم بربه الكريم الذي خلقه فسوّاه فعدله.

وأبْين دليل على ذلك قوله واصفاً خَلْق أحد أصدقائه:

"كان قبيح الشكل، نابي الصورة، تقتحمه العين ولا تكاد تثبت فيه، وكان إلى القصر أقرب منه إلى الطول. وكان على قصره عريضاً ضخم الأطراف مرتبكها كأنّما سُوّي على عجل، فزادت بعض أطرافه حيث كان يجب أن تنقص، ونقصت حيث كان يحسن أن تزيد. وكان وجهه جهماً غليظاً يُخيَّل إلى من رآه أن في خديه ورماً فاحشاً. وكان له على ذلك أنف دقيق مسرف في الدقة، منبطح غالٍ في الانبطاح، قد اتصل بجبهة دقيقة ضيقة لا يكاد يبين عنها شعره الغزير الجعد الفاحم"[(1)].

فهذا النص تظهر فيه السخرية بالخالق ﷻ وخاصة في قوله: (كأنّما سُوي على عجل) والاعتراض على خِلقة هذا الصديق بما لا يليق مع الرب ﷻ، من سوء الأدب والاستهزاء بصنعه تعالى، وهو من أعظم الذنوب بل من أعظم نواقض الإسلام العشرة حيث إن العبد ليتكلم بالكلمة -كما ورد في الحديث- من سخط الله لا يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله بها عليه سخطه

(1) أديب، طه حسين، ص٥٢٤.

إلى يوم يلقاه" وقال ﷺ: "**إن العبد ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالاً تهوى به في جهنم سبعين خريفاً**"[1].

وقد حكم الله ﷻ على المستهزئين بالكفر المبين قال تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾[2]. وما كفّرهم إلا لاستخفافهم بجناب الربوبية والرسالة، ولهذا أجمع العلماء على كفر من فعل شيئاً من ذلك. "فمن استهزأ بالله أو بكتابه أو برسوله، أو بدينه كفر ولو هازلاً لم يقصد حقيقة الاستهزاء إجماعاً"[3]. وقد توعّد الله ﷻ المستهزئين بالوعيد الشديد قال تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾[4].

◈ ب) نسبة التحايل إلى الله تعالى:

لم يتورّع طه حسين أن ينسب التحايل إلى القرآن الكريم الذي هو كلام الله ﷻ وذلك في قوله: "للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل، وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضاً، ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي، فضلاً عن إثبات هذه القصة التي تحدثنا بهجرة إسماعيل بن إبراهيم إلى مكة ونشأة العرب المستعربة فيها. ونحن مضطرون إلى أن نرى في هذه القصة نوعاً من الحيلة في إثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة، وبين الإسلام واليهودية والقرآن والتوراة من جهة أخرى"[5].

ففي هذا النص الخطير يلاحظ فيه نسبة الحيلة إلى الله ﷻ في إثبات الصلة بين

---

(١) أخرجه البخاري، في كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، رقم الحديث ٦٤٧٧، وحديث ٦٤٧٨، ص١٣٦٨، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، تحقيق محب الدين الخطيب.

(٢) سورة التوبة: ٦٥ – ٦٦.

(٣) تيسير العزيز الحميد، ص٦١٧، المكتب الإسلامي، بدون.

(٤) سورة الحجر: ٩٥.

(٥) الشعر الجاهلي، طه حسين، ص٢٦.

اليهود والعرب من جهة، وبين الإسلام واليهودية والقرآن والتوراة من جهة أخرى. وهذا وصف معيب يتنزّه المولى - جلّ وعلا - عنه لكمال قدرته ومشيئته النافذة قال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[1] فلا حاجة إذن إلى هذه الحيلة المزعومة التي توهّمها عقل هذا الكاتب المريض.

وهي تنافي تعظيم الرب - جل وعزّ - حيث ينسب إليه ما يتنزّه عنه الكُمَّل من البشر فضلاً عن الواحد الأحد. الذي اتصف بصفات الكمال والجلال والجمال.

◈ جـ) الشرك في عبادة الله ﷻ:

تنوعت مخالفات طه حسين في هذا الأصل العظيم (التوحيد) ما بين إقراره للشرك وممارسته له، فأما إقراره به فهو باعتقاده وجود آلهة تستحق أن تصرف لها العبادة من دون الله ﷻ كما يقول في مقال بعنوان (باريس): - وقد سبق ذكره - "فما أكثر ما أريد أن أقول، وما أشد عجزي عن تسطير ما أريد القول. وماذا تريد أن أفعل؟ ولست من الغنى ورقة القلب بحيث كان الكاتب الفرنسي (رينان) الذي زار عاصمة العالم القديم فقدّم إلى آلهتها هذه الآية الفنية الخالدة التي هي صلاته، إلى آلهة الحكمة في أثينا.

ماذا تريد أن أفعل وليس لي حظ (رينان) من الفن ولا من رقة القلب، وقد حرمني الله كل خيال أو قدرة على التصرف في الخيال. ومع ذلك ففي باريس آلهة يستحقون أن يتقدم إليهم الإنسان بالصلاة كما تقدّم (رينان) إلى آلهة الحكمة في مدينة أثينا"[2].

فقوله هذا يُعدّ ناقضاً من نواقض الإسلام حيث اعتقد استحقاق غير الله ﷻ بالصلاة وهي نوع من أنواع العبادة التي لا تُصرف إلا له - سبحانه -. قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾[3].

ولم يكتف طه حسين بهذا القول الناقض لأصل الإيمان، بل اعترف بممارسته

(١) سورة النحل: ٤٠.

(٢) من بعيد، طه حسين، ص١٢٩، دعت الحاجة إلى إعادة هذا النص لشدة ارتباطه بهذا المبحث.

(٣) سورة النساء: ٣٦.

للشرك وذلك بصرفه شيئاً من العبادة لغير الله ﷻ، ويتمثّل ذلك في ركوعه أمام صورة زوجته التي غابت عنه فترة من الزمن يقول مخاطباً إياها: - كما سبق ذكره - "وهكذا يا حِبّي عندما رجعت إلى البيت ذهبت مباشرة إلى الصورة، وركعت أمامها، وقصصت عليها الأمر بصوت عالٍ يا سوزان وبالتفصيل.." [(١)] ولا أدري هل قصد بهذا الركوع العبادة أم التحية!.

ويقول أيضاً: "أوحي لي يا ملهمتي! فأنت تمنحيني كل شيء، كل شيء، هل تسمعين؟ كل شيء بدون استثناء؟!

لقد رحلت فلحق بك ذكائي، كل قلبي، كل نفسي، كل شيء في هذه الرسالة..." [(٢)] وفي هذا النص - وإن لم يصرّح فيه بلفظ الشرك - يظهر فيه قمة التعلّق بغير الله تعالى... فمن الذي يهب للإنسان كل شيء بدون استثناء غير الله تعالى؟!

وكثيراً ما أقرأ لهذا الكاتب بعض النصوص التي ينقل فيها كفراً بواحاً وشركاً واضحاً، لبعض الشخصيات التي يتحدّث عنها في بعض قصصه ومؤلفاته، ثم لا ينكر هذا الكفر، ولا يستقبح ذاك الشرك، ولا يُشير مجرّد إشارة إلى نقده أو شجبه.

وإن فعل كان نقده ضعيفاً وشجبه لا يكاد يُشعر به. الأمر الذي يدل على رقة دينه وضعف إيمانه. كما يدل - والله أعلم - إلى شيء من الرضا تجاه هؤلاء، ومن ذلك إعجابه الشديد بالفيلسوف (أوجست كونت)[(٣)] وبدينه الجديد (الوضعية) وبتأليهه لمتيّمته

---

(١) معك، سوزان طه حسين، ص٣٨.

(٢) نفسه، ص٣٩.

(٣) أوجست كونت: (١٢١٣هـ/ ١٧٩٨-١٨٥٧م)، فيلسوف وضعي فرنسي، ولد لأسرة شديدة التعلق بالكاثوليكية، والملكية، كان عصبي المزاج، ووقع ضحية مرض عقلي عام ١٨٢٥م، كفر بالله تعالى وبجميع الأديان في الرابعة عشرة من عمره، أحب امرأة تدعى (كلوثيلد دي فو) حتى عبدها، يُعد رائد علم الاجتماع المعاصر، ورائد المدرسة الوضعية، أنشأ دينه المسمّى (الإنسانية) الذي ساعد تلميذه دور كايم على إظهاره ووضع له قواعده وأسسه. يراجع: الإنحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها، ص٢١٠٢.

(كلوتلد دي فو) يقول:

"لذلك كان أمر هذا الفيلسوف الذي أحدثك عنه عجباً من العجب، وفنّاً من هذه الفنون النادرة التي لا يظفر بها المؤرخون والقصاص إلا في مشقة وعسر، وإلا على أن تفرق بينها القرون الطويلة والعصور البعيدة. والذي أعرفه أن التاريخ لم يظفر قبل فيلسوفي هذا العظيم بعاشق قد ذهلته الحكمة، وعبث بلبه جمال إلهتها العليا؛ ولكنه على ذلك استطاع أن يشغف بإلهة أخرى، يشركها مع هذه الإلهة التي كان يصورها اليونان في صورة أثينا، تلك التي خرجت من رأس أبيها زوس، تامة الخلق، مكتملة الشباب، فيها جمال فتان، ولكن فتنة تخلب بقوتها لا برقتها!

لم يعرف التاريخ عاشقاً من عشاق أثينا استطاع كما استطاع فيلسوفي العظيم، أن يشرك معها امرأة من النساء في حبّه وهيامه، وأن يختصها من هذا الحب والهيام بمثل ما اختص به إلهة الحكمة نفسها، وأن ينتهي به الأمر إلى أن يخلط ابنة زوس بابنة باييس، ويتخذ منهما شخصاً واحداً يحبه ويقدسه، ويصوغ له ديناً قويّاً خصباً، ويحاول أن يبسط سلطان هذا الدين على الإنسانية كلها، أو على الإنسانية المسيحية على أقل تقدير.

أظنك قد عرفت هذا الفيلسوف، فهو (أوجست كونت) مؤسس الفلسفة الوضعية، وواضع علم الاجتماع، وصاحب السلطان العظيم على العقل الفرنسي، ثم الأوربي ثم الأمريكي، عصراً طويلاً من القرن التاسع عشر. وأظنك قد عرفت هذه المرأة التي زاحمت الفلسفة في قلب (أوجست كونت) فكادت تغلبها عليه، أو غلبتها عليه بالفعل، ثم أصبحت إلهة للفيلسوف يعبدها كما يعبدالنصارى المسيح، وكما كان الوثنيون من اليونان يعبدون أثينا أو أورتميس. ثم أصبحت إلهة الجماعة من تلاميذ الفيلسوف المتفرقين في أطراف الأرض، ثم أقيم لها معبد لا يزال يُحجُّ إليه إلى الآن في باريس، وأقيمت لها معابد متفرقة في أمريكا الجنوبية، حيث لا يزال للفيلسوف أتباع يشايعونه في القسم المتطرف من فلسفته.

هذه المرأة هي (كلو تلد دي فو) وأظنك تطمئن الآن وقد سمعت هذين الاسمين، إلى أني لا اخترع ولا أتبع الخيال، ولا أضع قصة! وإنما أكتب فصلاً من فصول التاريخ.

وليس من الضروري أن يلجأ الكاتب إلى الخيال والاختراع، ليستطيع أن يمتّع

قرّاءه، وأن يؤثّر في نفوسهم ويثير فيها هذه العواطف الحادة المختلفة التي تعبث بها حين تحس لذةً أو ألماً، وحين تجد حبّاً أو بغضاً، وحين تشعر بحزن أو سرور. فقد تكون الحقائق الواقعة أبرع وأروع من أحسن القصص الخيالية وأبدعها، ولكن في حاجة إلى أن أقدم إليك شخص هذين العاشقين قبل أن أحدثك عن عشقهما، وأقص عليك ما كان بينهما من غرام"(١).

وهكذا يبدو وكأنه يمجّد الشرك وصاحبه وينظر إليه من منظار الأدب فقط متغاضياً عن الدين والشرع؛ وكيف لا وقد سبق أن دعا إلى نسيان هذا الدين والتجرّد منه عند مناقشة أي بحث علمي، وكأن البحث والموضوعية لن تجدي وتؤتي ثمارها إلا بالتجرّد من الدين!!

وأحياناً يهتز فكره ويضطرب فلا يفرّق بين الإيمان والإلحاد، وكأن الفرق بينهما كالفرق بين الطول والقصر أو السواد والبياض الذي لا يُلام عليه الإنسان ولا يد له فيه؛ يقول في مقال بعنوان (السفينة) وقد كتبه بعد أن هاجت به الأمواج وماجت واضطرب البحر اضطراباً شديداً:

"في مثل هذا الوقت يذكر المؤمن ربه ويلجأ إليه، ويتقرّب إليه بضروب العبادة وفنون التقوى، وفي هذا الوقت يؤمن الملحد إن كان ضعيفاً. ويزداد عتوّاً إن كان ممعناً في الإلحاد، فيسخر من الحياة كما يسخر من الموت، يهزأ بما اشتملت عليه هذه، ويزدري ما عسى أن يخفيه هذا. وأعترف بأني في هذا الوقت أحسست شيئاً قد ينكره عليّ المؤمنون والملحدون جميعاً، أحسست أن إيمان المؤمن وإلحاد الملحد ضرب من الكبرياء وغلو الإنسان في تقدير نفسه وإكبار منزلتها،...

إلى أن يقول:"بهذا شعرت وفي هذا فكرت، وأعترف بأني لم أَلُم المؤمن على إيمانه، ولا الملحد على إلحاده. وإنما أحسست شيئاً من الإشفاق على هذا وذاك..." (٢)

وهكذا يضطرب من يقرأ هذه السطور في نظرته إلى هذا الكاتب، ولا يدري أمحبٌّ

---

(١) ألوان، طه حسين، ص٥٣٠ وما بعدها.

(٢) من بعيد، طه حسين، ص١٣ وما بعدها.

هو للإيمان أم محبٌّ للإلحاد؟! فمرةً يثني على المؤمن، ومرةً يتعاطف مع الملحد!!

◈ القسم بغير الله تعالى:

الحلف نوع من أنواع العبادة لا يجوز صرفه لغيره - تعالى - فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: "**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**"[1].

وقال ابن مسعود: "لأن أحلف بالله كاذباً أحبُّ إليّ من أن أحلف بغيره صادقاً"[2]. قال الشيخ ابن عثيمين ~ : والحلف بغير الله شرك أكبر، إن اعتقد أن المحلوف به مساوٍ لله تعالى في التعظيم والعظمة، وإلا، فهو شرك أصغر"[3].

وقد وقع طه حسين في هذا المحذور الشرعي عندما أقسم باللغة وبالوطن يقول: "وأنا أسأل المحافظين عامة والأزهريين خاصة، وأرجو منهم أن يُجيبوا مخلصين، أقسم عليهم في ذلك باللغة التي يؤثرونها، والدين الذي يحبونه، والوطن الذي يريدون أن ينصحوا له...." [4]. فوجب على المسلم ألا يُقسم إلا بربه لأنه حق لله تعالى لا يجوز صرفه لغيره.

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الأيمان والنذور، باب اليمين بغير الله، حديث رقم ٣٢٥١، ص٥٨٥، وأخرجه الترمذي، كتاب النذور والأيمان، باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله، حديث رقم ١٥٣٥، ص٣٦٣، وأخرجه الإمام أحمد من مسند ابن عمر برقم ٥٣٧٥، جـ ٢، ص٦٩، وأخرجه أيضاً برقم ٥٥٩٣، جـ ٢، ص٨٦، وأخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب الأيمان، حديث رقم ٤٥، جـ ١، ص٦٥، وبرقم ١٦٩، جـ ١، ص١١٧، وبرقم ٧٨١٤، جـ ٤، ص٣٣٠.

(٢) أخرجه بن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الأيمان والنذور، باب الرجل يحلف بغير الله أو بأبيه، برقم ١٢٢٨١، جـ٣، ص٧٩، وأخرجه عبدالرزاق، برقم ١٥٩٢٩، جـ٨، ص٤٦٩.

(٣) القول المفيد على كتاب التوحيد، الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جـ٢، ص٧٩٧، دار الثريا للنشر، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

(٤) مستقبل الثقافة في مصر، طه حسين، ص٣٠٧.

۞ المطلب الثاني: المخالفات المتعلقة بالكتب السماوية:

وفيــــه:

أ - التشكيك في بعض نصوص القرآن الكريم.

ب - نقده للقرآن الكريم، ويشمل:

- السور المكية والمدنية. - الضمائر في القرآن الكريم. - إنكاره للقراءات السبع.

◈ أ) التشكيك في بعض نصوص القرآن الكريم:

الإيمان بكتب الله ﷻ هو الركن الثالث من أركان الإيمان الستة، ومن هذه الكتب ما سمّاه الله - تعالى - لنا في القرآن الكريم، ومنها لم يُسمّ. والذي أخبرنا به ﷻ منها:

التوراة، والإنجيل، والزبور، والصحف التي أنزلها الله ﷻ على إبراهيم وموسى، عليهما السلام، وأما الكتب الأخرى التي نزلت على سائر الرسل، فلم يخبرنا الله تعالى عن أسمائها، وإنما أخبرنا سبحانه أن لكل نبيّ أرسله الله، رسالة بلَّغها قومه، فقال عزّ من قائل: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[1].

ويجب علينا أن نؤمن بهذه الكتب جميعاً ما سُمِّي منها وما لم يُسمّ، كما يجب أن نؤمن بأن هذه الكتب نزلت بالحق والنور والهدى، كيف لا وقد أنزلها الله - تعالى - فكل ما فيها حق - قبل أن تصل إليها أيدي البشر بالتحريف والتبديل - والقرآن الكريم هو آخرها نزولاً، وقد خصّه المولى - تعالى - بميزات عظيمة ومنها: أنه الكتاب الرباني الوحيد الذي تعهّد الله بحفظه، فقال عز من قائل: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ

(١) سورة البقرة: ٢١٣.

﴿لَحَٰفِظُونَ﴾[1].

وقال أيضاً: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾[2].

ولذا وجب علينا الإيمان بأنه كلام الله الخالص، وهو الحق، وأن كل لفظ فيه محفوظ، ويجب اتِّباع أمره، واجتناب نهيه، وتصديق خبره، ورفض ما يخالفه.[3] وقد وقع طه حسين فيما يخالف هذه العقيدة عندما ذكر في كتابه (في الشعر الجاهلي) ما يضادها في غير ما موضع، ومن ذلك قوله: "للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل، وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضاً، ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي، فضلاً عن إثبات هذه القصة التي تحدثنا بهجرة إسماعيل بن إبراهيم إلى مكة، ونشأة العرب المستعربة فيها"[4].

ولم يكتف بهذا بل أتبع ذلك بقوله: "ونحن مضطرون إلى أن نرى في هذه القصة نوعاً من الحيلة في إثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة، وبين الإسلام واليهودية، والقرآن والتوراة من جهة أخرى".[5]

بل ويسوّغ لنفسه أن يسمّي قصص القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، حول إبراهيم عليه السلام وابنه إسماعيل عليه السلام أسطورة وهو يعلم تماماً أن الأسطورة ما هي إلا خرافة رددها الناس كثيراً ولا حقيقة لوجودها يقول: "وقد كانت قريش مستعدة كل الاستعداد لقبول مثل هذه الأسطورة في القرن السابع للمسيح".[6]

---

(١) سورة الحجر: ٩.

(٢) سورة فصلت:٤١ - ٤٢.

(٣) يراجع: الإيمان، أركانه وحقيقته، نواقضه، د/ محمد ياسين، ص٨٣-٩٣، دار الفرقان، ط: الخامسة، ١٤٠٧ - ١٩٨٧.

(٤) الشعر الجاهلي، طه حسين، ص٢٦.

(٥) نفسه، الصفحة نفسها.

(٦) نفسه، ص٢٧.

ويقول أيضاً: "...فنحن نلمح في الأساطير أن شيئاً من المنافسة الدينية كان قائماً بين مكة ونجران، ونحن نلمح في الأساطير أيضاً أن هذه المنافسة الدينية بين مكة وبين الكنيسة التي أنشأها الحبشة في صنعاء هي التي دعت إلى حرب الفيل التي ذكرت في القرآن"(1)

وقوله: "وإذن فليس ما يمنع قريشاً من أن تقبل هذه الأسطورة التي تفيد أن الكعبة من تأسيس إسماعيل وإبراهيم، كما قبلت روما قبل ذلك، ولأسباب مشابهة، أسطورة أخرى صنعها لها اليونان تثبت أن روما متصلة بإينياس ابن بريام صاحب طروادة.

أمر هذه القصة إذن واضح. فهي حديثة العهد ظهرت قبيل الإسلام، واستغلّها الإسلام لسبب ديني، وقبلتها مكة لسبب ديني وسياسي أيضاً"(2)

ويتابع بقوله: "وإذن فيستطيع التاريخ الأدبي واللغوي ألا يحفل بها عند ما يريد أن يتعرّف اللغة العربية الفصحى، وإذن فنستطيع أن نقول: إن الصلة بين اللغة العربية الفصحى التي كانت تتكلمها العدنانية، واللغة التي كانت تتكلمها القحطانية في اليمن إنما هي كالصلة بين اللغة العربية وأي لغة أخرى من اللغات السّامية المعروفة، وإن قصة (العاربة) و(المستعربة) وتعلّم إسماعيل العربية من جرهم، كل ذلك حديث أساطير لا خطر له ولا غناء فيه"(3)

وهكذا طاب لعميد الأدب - كما زعموا - أن يردّ كل نص ورد فيه ذكر إبراهيم وإسماعيل، عليهما السلام، حتى وإن ورد هذا النص في أحقِّ كتاب وأصدق قول؛ قال ﷻ: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾(4)، ولكن طه حسين ينكر هذا كله بجرّة قلم!!

(1) المرجع السابق، ص٢٨.

(2) نفسه، ص٢٩.

(3) نفسه، الصفحة نفسها.

(4) سورة الأنعام: ١١٥.

يقول الدكتور محمد محمد حسين[1] متحدثاً عن كتاب طه حسين السابق وما فيه من كفر صراح: "وقد كان أخطر ما ظهر في هذه الفترة ممّا يدعو إلى هدم التدين، كتاب أثار عند ظهوره ضجة هائلة في الصحف وفي المجلس النيابي، وتناولت السلطات القضائية مؤلفه بالتحقيق، وجمعت نسخه من الأسواق حتى لا يتداولها الناس، وذلك هو كتاب (في الشعر الجاهلي) لطه حسين، الذي ظهر سنة ١٩٢٦م، بعد أن ألقاه صاحبه على طلبة السنة الأولى في كلية الآداب خلال العام الدراسي المنصرم"[2]

ويقول في موضع آخر: "هاج هذا الكتاب الرأي العام، فثار الناس، وتوالت المقالات في نقد الكتاب ومهاجمة مؤلفه، وثار الأزهر، وأرسلت معاهده المختلفة برقيات للحكومة يطالبون بطرد مؤلفه من الجامعة. ثم لم يلبث الأمر أن تفاقم حين اشترك المجلس النيابي في المعركة، فأخذ بعض أعضائه يستجوب وزير المعارف، محاولاً تحديد المسئولية في إفساد شباب الجامعة، ومطالباً بمحاكمة المؤلف، ومعاقبة المسئولين عن توظفيه في الجامعة.

وشغل الكتاب الرأي العام والصحافة والقضاء وممثلي الشعب والبيئات المثقفة، كما لم يشغلها كتاب آخر في العصر الحديث، وتخلّف عن هذه المعركة سبعة كتب، ستة منها في الرد على الكتاب ونقد ما جاء فيه، وهي:

(المعركة بين القديم والجديد) أو (تحت راية القرآن) لمصطفى صادق الرافعي، و(نقد كتاب الشعر الجاهلي) لمحمد فريد وجدي، و(نقض كتاب في الشعر الجاهلي) لمحمد الخضر حسين، و(النقد التحليلي لكتاب في الأدب الجاهلي) لمحمد أحمد

(١) محمد محمد حسين: أديب إسلامي مصري، غير مكثر في ميدان الكتابة، رصين الأداء، مقتدر في استيفاء جوانب ما يطرقه، أبرز مؤلفاته: (الإتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر)، (الروحية الحديثة... حقيقتها وأهدافها)، و(حصوننا مهددة من داخلها) وغيرها، ولد في (سوهاج) من مدن الصعيد سن ١٩١٢م، حصل على الليسانس سنة ١٩٣٧م من قسم اللغة العربية في الجامعة المصرية، وحصل على الماجستير والدكتوراه، وانتدب للتدريس في كلية الآداب بالإسكندرية سنة ١٩٤٠م، درَّس في عدة عواصم عربية، توفي سنة ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م وهو يبلغ من العمر سبعين سنة. يراجع: موقع الموسوعة الحرة الإلكتروني.

(٢) الاتجاهات الوطنية، ص٢٩٦.

الغمراوي، و(الشهاب الراصد) لمحمد لطفي جمعة، و(محاضرات في بيان الأخطاء العلمية والتاريخية التي اشتمل عليها كتاب في الشعر الجاهلي) للشيخ محمد الخضري. والكتاب السابع في الرد على مزاعم أخرى هدامة للمؤلف، ألقاها على طلبته بعد ذلك، وهو (نقض مطاعن في القرآن الكريم) لمحمد عرفة"[1]

ويتابع الدكتور محمد حسين قوله: "ويستطرد المؤلف إلى ذكر إبراهيم وإسماعيل – عليهما السلام – دون أن تدعو إلى ذلك حاجة ظاهرة، أو ضرورة ملزمة، فيتناولهما بكلام لا يوصف بأقل من أنه كفر بكتب الله ورسله يؤذي إيمان المؤمنين، ويفسد عقائد صغار الطلاب الذين أُلقي عليهم فيقول مثلاً: "للتوراة أن تحدثنا...".

ثم يقول الدكتور محمد معلقاً:"و واضح من كلام طه حسين الذي قدمناه أمثلة من جرأته على الدين، وخطره على الناشئين، واستخفافه بما قرره القرآن من صلة إبراهيم عليه الصلاة والسلام بالعرب وبنائه الكعبة، مما لا يرتفع عنده إلى أكبر من مرتبة الأساطير التي خلّفها اليونان والرومان.

وتكمن خطورة هذا الكلام ما ينطوي عليه من أنه يرضي نزوات الشباب وغروره الذي يستجيب لما يصوّره له؛ أنه قد أصبح من الذكاء ومن النضج العقلي بحيث يستطيع أن يناقش كل شيء، وأن يخضع كل دقيق وجليل لتفكيره"[2].

إلى أن يقول مبيناً فساد منهج طه حسين في كتابه (في الشعر الجاهلي):"...إن منهج مؤلفه في الاستدلال على ما يذهب إليه فاسد من الناحية المنطقية، فهو يبدأ تفكيره في أغلب الأحيان بفرض هو من محض تخيّل مبني على الحَدْس والظن، ولكنه لا يلبث أن ينسى أنه لم يثبت هذا الفرض، فيضعه موضع القضية المفروغ من صحتها والمسلّم بها، ويمضي في الاستنتاج.....فهو مثلاً يفترض أن ما رُوي عن ابن عباس من حفظ الشعر القديم والاستشهاد به في معرض تفسير القرآن؛ إنما اخترع اختراعاً لإثبات أن ألفاظ

---

(١) المرجع السابق، ص٣٠١.

(٢) نفسه، ص٢٩٩.

القرآن كلها مطابقة للفصيح من لغة العرب (وهو كلام بيّن الفساد والتفاهة)، أو أنه قد اخترع لإثبات أن عبدالله بن عباس كان من أحفظ الناس لكلام العرب الجاهليين، وهو يبدأ كلامه هذا بقوله: "أليس من الممكن أن تكون قصة ابن عباس قد اخترعت لكذا وكذا من الأسباب.؟" ولكنه لا يلبث أن يستنتج من هذا الفرض الذي هو محض تخيّل وادعاء أن إثبات قوة الذاكرة لابن عباس يخدم أهداف الشيعة السياسية. لأن ابن عباس كان يشهد بأن علياً أقوى منه ذاكرة. واعجب معي لأن تنفق كل هذه الجهود في اختراع الشعر لتثبت قوة ذاكرة علي رضي الله عنه، وهو يمضي في سوق فروض يبدأ بـ "أليس من الممكن أن" أو "لعلّ" أو "أكاد أعتقد أن..." ثم يخيّل إليه أن تراكم هذه (اللّعلاَّت) والـ (أليس ممكنات) قد رفعت قيمة هذه الفروض وأثبتت صحتها. فهو مثلاً يتساءل: أليس من الممكن أن تكون قصة ابن عباس قد وضعت لغرض تعليمي يسير؟ ثم يقول: "لعلّ نافعاً سأل ابن عباس عن مسائل قليلة فزاد فيها العالِم ومدّها" ثم يقول: "أكاد اعتقد أن هذا النوع من الانتحال هو أصل المقامات وما يشبهها" ويتمم هذه الفروض ويختم معها هذا الفصل الأول من كتابه بقوله: "إن من الحق علينا لأنفسنا وللعلم أن نسأل: أليس هذا الشعر الجاهلي الذي ثبت (؟!) أنه لا يمثل حياة العرب الجاهليين ولا عقليتهم ولا ديانتهم ولا حضارتهم، بل ولا يمثل لغتهم، أليس هذا الشعر قد وضع وضعاً وحمل على أصحابه حملاً بعد الإسلام؟!"[1].

ثم يتابع الدكتور محمد: "وهو كما ترى لم يثبت شيئاً حتى الآن، ولم يخرج عن دائرة (أليس من الممكن) ولكنه لا يلبث أن يقول: "ولكنا محتاجون بعد أن ثبتت هذه النظرية (؟!) أن نتبيّن الأسباب المختلفة التي حملت الناس على وضع الشعر وانتحاله بعد الإسلام"[2].

هكذا يثبت طه حسين نظرياته الواهية!! وهذه الأدلة والبراهين التي يعتمد عليها في سوق هذه النظريات!

---

(١) المرجع السابق، ص٣٠٠، (و راجع: الشعر الجاهلي، طه حسين، ص٤٠).

(٢) نفسه، ص٣٠١، (وراجع: في الشعر الجاهلي، ص٤١).

إن كتاب طه حسين السابق "مملوء بروح الإلحاد والزندقة، وفيه مغامز عديدة ضد الدين مبثوثة فيه، لا يجوز بحال أن تُلقى إلى تلامذة لم يكن عندهم من المعلومات الدينية ما يتقون به هذا التضليل المفسد لعقائدهم، والموجب للخلف والشقاق في الأمة، وإثارة فتنة عنيفة ودينية ضد دين الدولة ودين الأمة"[1] "والكتاب وإن وضع في ظاهره لإنكار الشعر الجاهلي، ولكن المتأمل قليلاً يجده دعامة من دعائم الكفر ومعولاً لهدم الأديان، وكأنه ما وضع إلا ليأتي عليها من أصولها وبخاصة الدين الإسلامي، فإنه تذرّع بهذا البحث إلى إنكار أصل كبير من أصول اللغة العربية من الشعر والنثر قبل الإسلام مما يُرجع إليه في فهم القرآن والحديث، هذا ما يرمي إليه الكتاب في جملته"[2].

وبهذا كذّب طه حسين كثيراً من الآيات التي ورد فيها ذكر نبي الله إبراهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾[4].

و قوله تعالى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾[5] إلى غير ذلك من الآيات.....

وقد ذكر (محمد نور) رئيس نيابة مصر لعام ١٩٢٧م، الذي حقّق مع طه حسين عقب إصدار كتابه (في الشعر الجاهلي) ما نصه:

"إذا كان الأستاذ المؤلف يرى أن ظهور الإسلام قد اقتضى أن تثبت الصلة بينه وبين ديانتي اليهود والنصارى، وأن القرابة المادية الملفقة بين العرب وبين اليهود لازمة

---

(١) تحت راية القرآن، مصطفى صادق الرافعي، ص١٦٧، ط: الثامنة، ١٤٠٣-١٩٨٣.

(٢) الاتجاهات الوطنية، ص٣٠١.

(٣) سورة البقرة: ١٢٧.

(٤) سورة الحج: ٢٦ - ٢٧.

(٥) سورة البقرة: ١٢٥.

لإثبات الصلة بين الإسلام وبين اليهودية فاستغلّها لهذا الغرض، فهل له أن يبين السبب في عدم اهتمامه أيضاً بمثل هذه الحيلة لتوثيق الصلة بين الإسلام وبين النصرانية؟وهل عدم اهتمامه هذا معناه عجزه أو استهانته بأمر النصرانية؟

وهل من يريد توثيق الصلة مع اليهود بأي ثمن، حتى باستغلال التلفيق هو الذي يقول عنهم في القرآن: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ﴾[(١)].

إن الأستاذ ليعجز حقاً عن تقديم هذا البيان؛ إذ إن كل ما ذكره في هذه المسألة ما هو إلا خيال في خيال وكل ما استند إليه من الأدلة هو: فليس يبعد أن يكون.... فما الذي يمنع... ونحن نعتقد... وإذن فليس ما يمنع قريشاً من أن تقبل هذه الأسطورة... وإذن فنستطيع أن نقول!!

فالأستاذ المؤلف في بحثه إذا رأى إنكار شيء يقول لا دليل عليه من الأدلة التي تتطلبها الطرق الحديثة للبحث حسب الخطة التي رسمها في منهج البحث، وإذا رأى تقرير أمر لا يدلل عليه بغير الأدلة التي أحصيناها له وكفى بقوله حجة"[(٢)]

ويتابع رئيس النيابة قوله:"سئل الأستاذ في التحقيق عن أصل هذه المسألة (أي تلفيق القصة) وهل هي من استنتاجه أو نقلها. فقال: "فرض فرضته أنا دون أن أطلع عليه في كتاب آخر، وقد أُخبرت بعد أن ظهر الكتاب أن شيئاً مثل هذا الفرض يوجد في بعض كتب المبشرين، ولكن لم أفكر فيه حتى بعد ظهور كتابي". على أنه سواء كان هذا الفرض من تخيله، كما يقول، أو من نقله عن ذلك المبشّر الذي يستتر تحت اسم (هاشم العربي)[(٣)] فإنه كلام لا يستند إلى دليل ولا قيمة له؛ على أننا نلاحظ أن ذلك المبشّر، مع

---

(١) سورة المائدة: ٨٢.

(٢) مجلة الفكر والفن المعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، قرار النيابة في قضية كتاب (في الشعر الجاهلي) محمد نور، ص٨٨، العدد (١٤٩) أبريل ١٩٩٥.

(٣) قال الأستاذ أنور الجندي في مقال بعنوان: الشبهات المُثارة في كتاب (في الشعر الجاهلي) معلقاً على زعم طه حسين كونه لم يطّلع على ما ذكره من شبهة:

"وهذه ليست الحقيقة، فإن طه حسين كان يعلم أمرين:

أولاً: أن مرجليوت نشر بحثه في المجلة الآسيوية عام ١٩٢٤م وأن الشعر الجاهلي صدر عام ١٩٢٦.

=

ما هو ظاهر من مقاله من غرض الطعن على الإسلام، كان في عباراته أظرف من مؤلف كتاب الشعر الجاهلي لأنه لم يتعرض للشك في وجود إبراهيم وإسماعيل بالذات، وإنما اكتفى بأن أنكر أن إسماعيل أبو العرب العدنانيين، وقال إن حقيقة الأمر في قصة إسماعيل أنها دسيسة لفّقها قدماء اليهود للعرب تزلفاً إليهم....الخ. كما نلاحظ أيضاً أن ذلك المبشّر قد يكون له عذره في سلوك هذا السبيل؛ لأن وظيفته التبشير لدينه، وهذا غرضه الذي يتكلم فيه، ولكن ما عذر الأستاذ المؤلف في طريق هذا الباب، وما هي الضرورة التي ألجأته إلى أن يرى في هذه القصة نوعاً من الحيلة.....الخ"[1]

ويتابع رئيس النيابة قوله: "يقول الأستاذ: إنه إن صحّ افتراضه فإن القصة كانت شائعة بين العرب قبل الإسلام، فلما جاء الإسلام استغلّها، وليس ما يمنع أن يتخذها الله في القرآن وسيلة لإقامة الحجة على خصوم المسلمين كما اتخذ غيرها من القصص التي كانت معروفة وسيلة إلى الاحتجاج أو إلى الهداية، وهاشم العربي يقول في مثل هذا: ولما ظهر محمد رأى المصلحة في إقرارها فأقرها، وقال للعرب: إنه إنما يدعوهم إلى ملة جدهم هذا الذي يعظمونه من غير أن يعرفوه، فسبحان من أوجد هذا التوافق بين الخواطر...

إن الأستاذ المؤلف أخطأ فيما كتب وأخطا في تفسير ما كتب وهو في هذه النقطة قد تعرض بغير شك لنصوص القرآن، وليس في وسعه الهرب بادعائه البحث العلمي منفصلاً عن الدين، فليفسر لنا إذن قوله تعالى في سورة النساء: ﴿۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ﴾[2] وقوله في سورة مريم: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي

ثانياً: أن هناك كتاب (مقالة في الإسلام) لجرجيس المبشّر الإنجليزي عرّبه عن الإنجليزية هاشم العربي وطبع عام ١٨٩١م في مصر. ولا بد أن المبشرين الذين ألهموا طه حسين مواد البحث قد هدوه إلى هذا البحث الذي اعتمدوا عليه، في إنكار حديث القرآن والتوراة عن إبراهيم عليه السلام". منار الإسلام، العدد التاسع، السنة الثامنة، رمضان ١٤٠٣هـ - يونيو - يوليو ١٩٨٣م، ص٧٠.

(١) نفسه، الصفحة نفسها.

(٢) آية:١٦٣.

ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾[1] ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾[2] وفي سورة آل عمران: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾[3].

و غير ذلك من الآيات القرآنية الكثيرة التي ورد فيها ذكر إبراهيم وإسماعيل، لا على سبيل المثال كما يدعي حضرته، وهل عقل الأستاذ سلّم بأن الله سبحانه وتعالى يذكر في كتابه أن إبراهيم نبي وأن إسماعيل رسول نبي مع أن القصة ملفقة، وماذا يقول حضرته في موسى وعيسى وقد ذكرهما الله ﷻ في الآية الأخيرة مع إبراهيم وإسماعيل وقال في حقّهم جميعاً:

(لا نفرّق بين أحد منهم) وهل يرى حضرته أن قصة موسى وعيسى من الأساطير أيضاً قد ذكرها الله وسيلة للاحتجاج أو للهداية كما فعل في قصة إبراهيم وإسماعيل مادامت الآية تقضي بألاّ نفرّق بين أحد منهم، الحق أن المؤلف في هذه المسألة يتخبط تخبط الطائش، ويكاد يعترف بخطئه، لأن جوابه يشعر بهذا عندما سألناه في التحقيق عن السبب الذي دعاه أخيراً لأن يقرر بطريقة تفيد الجزم بأن القصة حديثة العهد ظهرت قبل الإسلام؛ فقال في ص ٣٧ من محضر التحقيق: "هذه العبارة إذا كانت تفيد الجزم فهي إنما تفيده إن صح الفرض الذي قامت عليه، وربما كان فيها شيء من الغلو، ولكن أعتقد أن العلماء جميعاً عندما يفترضون فروضاً علمية يبيحون لأنفسهم مثل هذا النحو من التعبير، فالواقع أنهم مقتنعون فيما بينهم وبين أنفسهم بأن فروضهم راجحة".

ويستمر في قوله: "حقاً إن الأستاذ المؤلف قد تورَّط في هذا الموقف الذي لا صلة بينه وبين العلم بغير ضرورة يقتضيها بحثه ولا فائدة يرجوها، لأن النتيجة التي وصل إليها من بحثه وهي قوله:

---

(١) آية: ٤١.

(٢) آية: ٥٤.

(٣) آية: ٨٤.

"إن الصلة بين اللغة العدنانية وبين اللغة القحطانية كالصلة بين اللغة العربية وأي لغة أخرى من اللغات السامية المعروفة، وإن قصة العاربة والمستعربة وتعلّم إسماعيل العربية من جرهم كل ذلك حديث أساطير لا خطر له ولا غناء فيه" ما كانت تستدعي التشكك في صحة إخبار القرآن عن إبراهيم وإسماعيل وبنائهما الكعبة، ثم الحكم بعدم وجود القصة، وباستغلال الإسلام لها لسبب ديني.

ونحن لا نفهم كيف أباح المؤلف لنفسه أن يخلط بين الدين وبين العلم وهو القائل بأن الدين يجب أن يكون بمعزل عن هذا النوع من البحث الذي هو بطبيعته قابل للتغيير والنقض والشك والإنكار (ص٢٢ من محضر التحقيق) وإننا حين نفصل بين العلم والدين نضع الكتب السماوية موضع التقديس ونعصمها من إنكار المنكرين وطعن الطاعنين (ص ٢٤ من محضر التحقيق) ولا ندري لم يفعل غير ما يقول في هذا الموضوع. لقد سئل في التحقيق عن هذا فقال: "إن الداعي أني أناقش طائفة من العلماء والأدباء والقدماء والمحدثين وكلهم يقرون أن العرب المستعربة قد أخذوا لغتهم عن العرب العاربة بواسطة أبيهم إسماعيل بعد أن هاجر، وهم جميعاً يستدلون على آرائهم بنصوص من القرآن ومن الحديث فليس لي بد من أن أقول لهم: إن هذه النصوص لا تلزمني من الوجهة العلمية"

أما الثابت من نصوص القرآن فقصة الهجرة وقصة بناء الكعبة، وليس في القرآن نصوص يستدل بها على تقسيم العرب إلى عاربة ومستعربة، وعلى أن إسماعيل أو العرب العدنانيين، ولا على تعلّم إسماعيل العربية من جرهم، ونص الآية التي أثبتت الهجرة ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾[1] لا يفيد غير إسكان ذرية إبراهيم في وادي مكة، أي أن إسماعيل هو جرهم صغير(كنص الحديث) إلى هذا الوادي فنشأ فيه بين أهله وهم من العرب وتعلم هو وأبناؤه لغة من نشئوا بينهم وهي العربية؛ لأن اللغة لا تولد مع الإنسان وإنما تكتسب اكتساباً، وقد اندمجوا في العرب

(١) سورة إبراهيم: ٣٧.

فصاروا منهم، وهذا الاندماج لا يترتب عليه أن يكون جميع العرب العدنانيين من ذريته، إذ الحكم بهذا يقتضي ألاّ يكون مع إسماعيل أحد منهم حتى لا يوجد غير ذريته وهو ما لم يقل به أحد"[1].

إلى أن يقول: "أما مسألة بناء الكعبة فلم يفهم الحكمة في نفيها واعتبارها أسطورة من الأساطير، اللهم إلا إذا كان مراده إزالة كل أثر لإبراهيم وإسماعيل، ولكن ما مصلحة المؤلف من هذا؟ الله أعلم بمراده"[2].

وهكذا يتبين من هذا التحقيق الذي أُجري مع طه حسين ما يردُّ به من ردود هي أوهن من بيت العنكبوت؛ وما ذاك إلا لأنه يقف على أرضٍ هشة هزيلة، وقليل الحق يغلب كثير الباطل فكيف والحال خلاف ذلك!

وقد فنّد الدكتور محمد أحمد عرفة ما ذكرته سابقاً عن أخذ طه حسين شبهة نفي وجود إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام من كتاب (ذيل مقالة في الإسلام) للمبشّر (هاشم العربي) حيث يقول هذا المبشّر: "وحقيقة الأمر في قصة إسماعيل أنها دسيسة لفّقها قدماء اليهود، تزلفاً إليهم وتذرعاً بهم إلى دفع الروم عن بيت المقدس، أو إلى تأسيس مملكة جديدة لهم في بلاد العرب يلجؤون إليها، فقالوا لهم: نحن وأنتم إخوة وذرية أب واحد، وهذا سنن مألوف لليهود فإنهم متى رأوا المصلحة في التودد إلى قوم قالوا لهم: أنتم إخوتنا، ونحن وأنتم صنوان، وقد حاولوا مرة أن يخدعوا اليونان بهذه الحيلة ليتعصبوا لهم فخابوا، ثم استأنفوها مع العرب لما زحف عليهم طيتس بجيش الروم ليقمع عصيانهم فتذرعوا إليهم برحم القرابة وقالوا لهم: نحن وأنتم ذرية إبراهيم وعده الله، ولن يخلف وعده، ليقيمنّ من سلالتهم ملكاً على الأرض حتى الانقضاء، وطمعوا أن يجروهم بذلك إلى قتال الروم فلم يظفروا بمرادهم، ثم نكبوا فهاجر كثير منهم إلى جزيرة العرب وتوطّد فيها أمرهم كما ذكر المصنف، ولم يألوا جهداً إذ ذاك إلى ظهور الإسلام في أشراف العرب أن بينهم وبينهم قرابة من النسب حتى نجحت فيهم

(١) المرجع السابق، ص٩٠.

(٢) نفسه، الصفحة نفسها.

هذه الأكذوبة آخر الأمر؛ لأنهم كانوا أجهل من أن يردوها، ولأن الوثنيين منهم، لما رأوا اليهود والنصارى على ما بينهم من الاختلاف متفقين على تعظيم إبراهيم، لم يشق عليهم أن يكونوا هم أيضاً فرعاً من هذا الأصل، إذ كان سواء عليهم أن ينتموا إلى هذا الأب القديم أو إلى غيره، أو لعلهم كانوا قبل ذلك يجهلون اسمه البتة، فأقبلوا هم أيضاً يعظمونه، وتناقلت ذريتهم أمر هذا النسب بينهم وبين ابنه إسماعيل، الذي قالت لهم اليهود إنه جدهم، حتى رسخت هذه القصة في أذهانهم بتمادي الزمان. فلما ظهر محمد رأى المصلحة في إقرارها فأقرها، وقال للعرب إنه إنما يدعوهم إلى ملة جدهم هذا الذي يعظمونه من غير أن يعرفوه، إلا أن قدماء مؤرخيهم لم يتنبهوا لما تبطنه هذه الدسيسة من الخداع اليهودي فصدقوها وأثبتوها في تواريخهم، ثم تداولها الخلف عن السلف، حتى صارت عندهم أخيراً من الحقائق التاريخية الراهنة التي لا يسع أحداً إنكارها. وأنت قد رأيت مع ذلك أن للكلام في ردها مجالاً متسعاً لم يبق اليوم أحد من جهابذة العصر ومحققيه إلا ويجزم بأنها خرافة، وبأن التصديق بها حماقة، فإن أبى المسلمون بعدها إلا أن يكون نبيهم وأمته منتمين إلى ذلك المحتد الكريم فهم وما اختاروه لأنفسهم"[(١)].

فيتابعه طه حسين في كتابه (في الشعر الجاهلي) ويقول:

"و الأمر لا يقف عند هذا الحد، فواضح جداً لكل من له إلمام بالبحث التاريخي، وبدرس الأساطير والأقاصيص خاصة، أن هذه النظرية متكلفة، مصطنعة في عصور متأخرة دعت إليها حاجة دينية، أو اقتصادية، أو سياسية. إلى أن يقول: "للتوراة......". "يقول صاحب الذيل: وحقيقة الأمر في قصة إسماعيل. أنها دسيسة لفَّقها قدماء اليهود للعرب تزلفاً إليهم"فيأبى ذلك الحاكي المقلّد إلا أن يقول مثله، فيقول في كتاب (في الشعر الجاهلي): "ونحن مضطرون إلى أن نرى في هذه القصة نوعاً من الحيلة في إثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة، وبين الإسلام واليهودية والقرآن والتوراة من جهة أخرى، وأقدم عصر يمكن أن تكون قد نشأت فيه هذه الفكرة إنما هو هذا العصر الذي

---

(١) ذيل مقالة في الإسلام، هاشم العربي، النيل المسيحية، ط: السادسة، ص٣٥٢، نقلاً عن: نقض مطاعن في القرآن الكريم، د/ محمد أحمد عرفه، ص١٠٢-١٠٤، مطبعة المنار، ط: الأولى، ١٣٥١هـ.

أخذ اليهود يستوطنون شمال البلاد العربية، ويبنون فيه المستعمرات، فنحن نعلم أن حروباً عنيفة شبّت بين هؤلاء اليهود المستعمرين وبين العرب الذين كانوا يقيمون في هذه البلاد، وانتهت إلى شيء من الملاينة والمسالمة، ونوع من المحالفة والمهادنة، فليس يبعد أن يكون هذا الصلح الذي استقرّ بين المغيرين وأصحاب البلاد منشأ هذه القصة التي تجعل العرب واليهود أبناء أعمام"[1].

ويقول صاحب الذيل: "ولما ظهر محمد رأى المصلحة في إقرار القصة فأقرها، وقال للعرب إنه إنما يدعوهم إلى ملة جدهم هذا الذي يعظمونه من غير أن يعرفوه" فيأبى ذلك الصدى إلا أن يقول مثله أيضاً فيقول: "ولكن الشيء الذي لا شك فيه هو أن ظهور الإسلام وما كان من الخصومة العنيفة بينه وبين وثنية العرب من غير أهل الكتاب؛ قد اقتضى أن تثبت الصلة الوثيقة المتينة بين الدين الجديد وبين الديانتين القديمتين ديانة النصارى وديانة اليهود. فما الذي يمنع أن تستغل هذه القصة قصة القرابة المادية بن العرب العدنانية واليهود"[2].

و يتابع الدكتور عرفة قوله:"لم يدع ذلك المقلّد فكرة من أفكار صاحب الذيل في هذه المسألة إلا انتحلها حتى قوله: "إن الوثنيين قبلوا هذه الفكرة لأنهم رأوا اليهود والنصارى متفقين على تعظيم هذا الأصل".

فيقول في كتاب الشعر الجاهلي: "وقد كانت قريش مستعدة كل الاستعداد لقبول مثل هذه الأسطورة في القرن السابع للمسيح؛ "فمن المعقول جداً أن تبحث هذه المدينة الجديدة لنفسها عن أصل تاريخي قديم يتصل بالأصول التاريخية الماجدة التي تتحدث عنها الأساطير"، ثم قال في ص ٢٩ من الشعر الجاهلي:"أمر هذه القصة إذن واضح فهي حديثة العهد ظهرت قبيل الإسلام واستغلّها الإسلام لسبب ديني، وقبلتها مكة لسبب ديني وسياسي أيضاً، وإذن فيستطيع التاريخ الأدبي و اللغوي ألا يحفل بها عندما يريد أن يتعرف أصل اللغة العربية الفصحى".

---

(١) الشعر الجاهلي، ص٢٦.

(٢) نفسه، ص٢٧.

ثم يقارن الدكتور محمد عرفة بين ما كتبه صاحب الذيل وما كتبه طه حسين فيقول: "......يجعل صاحب الذيل التوراة هي الأصل ويعرض عليها القرآن، فإن خالفها طعن فيه، أما الدكتور فيكذب بالتوراة والقرآن جميعاً، فلا يكون بيديه شبه دليل إلا قوله – كل من له علم بالأقاصيص يعلم – ونستطيع أن نقول: وهذه دعاوى مجردة.

و يؤمن صاحب الذيل بوجود إبراهيم وإسماعيل، ويكذب أبوة إسماعيل للعرب، فيأتي المقلّد فلا يفهم عنه هذا، فيكذب بوجود إبراهيم وإسماعيل فضلاً عن أبوتهما للعرب، ويرى أن تلك حيلة اخترعها اليهود.

كان صاحب الذيل فطناً محترساً، وكان حاكيه قليل الفطنة، وقليل الاحتراس، فاصطدم بالنقض الآتي: إن التوراة قد انتشرت في البلاد قبل نزوح اليهود إلى يثرب وما حولها، في جزيرة العرب، وكان فيها ذكر إبراهيم وإسماعيل، فلم يكن ذلك من صنع اليهود الذين كانوا بين ظهراني العرب حيلة منهم للتقرب إليهم.

ولنتنازل عن ذلك، ونسلم جدلاً أنها نشأت بعد نزوح اليهود إلى يثرب وما حولها، فيبقى أنه لو كان يهود يثرب هم الذين اخترعوها حيلة، فما السر في أن كان ذكر إبراهيم وإسماعيل في جميع نسخ التوراة التي في البلدان المختلفة؟ أكان يهود يثرب هم كل يهود العالم؟ أم كان يهود يثرب لهم السلطة على جميع يهود العالم؟ فأي زيادة يزيدونها في التوراة عندما حكموا على جميع اليهود أن يزيدوها في نسخهم؟ إنه ليس هذا ولا ذاك وما أتى ذلك كله إلا من هذه الدعوى.

أما صاحب "ذيل مقالة في الإسلام" صاحب الفكرة الأصلية فقد كان مع سخفه أفطن لهذه الاعتراضات التي ذكرناها من حاكيه المقلد، فصدق بوجود إبراهيم وإسماعيل وكذب بأبوتهما للعرب فقط، وزعم أنها حيلة اخترعها اليهود، وهو حين يذهب إلى هذا يكون أفطن من حاكيه، ولا يُرد عليه ما يرد على الدكتور"[1].

(١) نقض مطاعن في القرآن الكريم، ص١٠٧ – ١١١.

◈ ب) **نقده للقرآن الكريم**، ويشمل:

- نقده للسور المكية والمدنية.
- زعمه اضطراب الضمائر في القرآن.

لم يتورّع طه حسين عن نقده القرآن الكريم ووصفه لآياته بالقوة حيناً وبالضعف حيناً آخر، وليس هذا بمستغرب عليه فهو فيما سبق ذكره ردّ كثيراً من نصوص القرآن الكريم.

وممّا يؤكد نقده للقرآن الكريم قوله بعد أن تحدّث عن الكتب الدينية: "بقيت خطوة يجب أن نخطوها؛ ولست أدري أيتاح لنا أن نخطوها في هذا العصر الذي نحن فيه؟ أم يحول بيننا وبينها الجهل والجمود؟ إذا كان من حق الناس جميعاً أن يقرأوا الكتب الدينية ويدرسوها ويتذوقوا جمالها الفني، فلم لا يكون من حقهم أن يعلنوا نتائج هذا التذوق والدرس والفهم؛ مادام هذا الإعلان لا يمسّ مكانة هذه الكتب المقدسة من حيث هي كتب مقدسة، فلا يغضّ منها، ولا يضعها موضع الاستهزاء والسخرية والنقد؟ وبعبارة أوضح: لم لا يكون من حق الناس أن يعلنوا آراءهم في هذه الكتب من حيث هي موضوع للبحث الفني والعلمي بقطع النظر عن مكانتها الدينية؟"[(١)].

وهو في هذا القول يزعم أن هذا النقد منه لا يمسّ مكانة القرآن ولا يقدح في تعظيمه وإجلاله!! وسيتضح لنا من خلال نقده للسور المكية والمدنية بألفاظ غاية في السخف والجرأة على نصوص الوحي كذب ما ادعاه وزعمه لنفسه من تعظيم لهذه النصوص!!

(١) رحلة الربيع والصيف، طه حسين، ص٢١٨.

◊ الطعن في القرآن الكريم:

ألقى النائب الدكتور عبدالحميد سعيد بياناً في مجلس النواب في دورة سنة ١٩٣٢م عن موقف الدكتور طه حسين جاء فيه أن هذا الأستاذ أملى على التلاميذ في سنة ١٩٢٧م نقداً للقرآن وقد ذكره بنصه وهو:

"وصلنا في المحاضرة الماضية إلى موضوع اختلاف الأساليب في القرآن. وقررنا أنه ليس على نسق واحد، واليوم نوضح هذه الفكرة فنقول: لا شك أن الباحث الناقد، والمفكر الجريء، الذي لا يفرق في نقده بين القرآن وبين أي كتاب أدبي آخر، يلاحظ أن في القرآن أسلوبين متعارضين لا تربط الأول بالثاني صلة ولا علاقة، مما يدفعنا إلى الاعتقاد بأن هذا الكتاب قد خضع لظروف مختلفة، أو تأثر ببيئات متباينة. فمثلاً نرى القسم المكي منه يمتاز بكل مميزات الأوساط المنحطة، كما نشاهد أن القسم المدني أو اليثربي تلوح عليه أمارة الثقافة والاستنارة. [1]

فأنتم إذا دققتم النظر وجدتم القسم المكي ينفرد بالعنف والشدة والقسوة والحدة، والغضب والسباب والوعيد والتهديد مثل: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤﴾[2] ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢﴾[3] ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ۝١٤﴾[4] ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦﴾[5].

ويمتاز هذا القسم أيضاً بالهروب من المناقشة، وبالخلو من المنطق فيقول: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ إلى قوله ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾[6].

---

(١) وهذا القول من طه حسين يلزم منه أن القرآن الكريم كلام الرسول ﷺ وليس كلام الله تعالى، ولذلك هو متأثر بالبيئة.

(٢) سورة المسد: ١– ٤.

(٣) سورة العصر: ١– ٢.

(٤) سورة الفجر: ١٣– ١٤.

(٥) سورة التكاثر: ٥–٦.

(٦) سورة الكافرون: ١،٢،٦.

و يمتاز كذلك بتقطع الفكرة واقتضاب المعاني وقصر الآيات، والخلو التام من التشريع و القوانين، كما يكثر فيه القسم بالشمس والقمر والنجوم والفجر والضحى والعصر والليل والنهار والتين والزيتون... إلى آخر ما هو جدير بالبيئات الجاهلة الساذجة التي تشبه بيئة مكة تأخراً وانحطاطاً.

أما القسم المدني فهو هادئ لين وديع مسالم، يقابل السوء بالحسنى، ويناقش الخصوم بالحجة الهادئة، والبرهان الساكن الرزين، فيقول: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[1] ويهجر مع أعدائه الترهيب والقسوة ويسلك سبيل الترغيب والتطميع في المكافأة، فيقول: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾[2] ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[3].

كما أن هذا القسم ينفرد بالتشريعات الإسلامية كالمواريث والوصايا والزواج والطلاق و البيوع وسائر المعاملات، ولا شك أن هذا أثر واضح من آثار التوراة والبيئة اليهودية التي ثقفت المهاجرين إلى يثرب ثقافة واضحة، يشهد بها هذا التغيير الفجائي الذي ظهر على أسلوب القرآن [وفي هذا تأكيد لما ذكر سابقاً في قول طه حسين وما يلزم منه من نسبة القرآن إلى الرسول ﷺ] .

أما طول الآيات في هذا القسم فهذا أمر جلي ظاهر؛ لأن إحدى آياته قد تزيد على عدة سور بتمامها من القسم المكي، أما أفكاره فهي منسجمة متسلسلة ترمي أحياناً إلى غايات اجتماعية وأخلاقية. وعلى الجملة فإن ما في هذا القسم المدني من هدوء ومنطق وتشريع وقصص وتاريخ يدل دلالة صريحة على أن الظروف التي أحاطت بهذا الكتاب إبان نشأته قد تطورت تطوراً قوياً.

---

(١) سورة الأنبياء: ٢٢، وهذه الآية مكية وليست مدنية كما زعم طه حسين.

(٢) سورة آل عمران:٣١.

(٣) سورة الطلاق:٢ – ٣.

هناك موضوع آخر يجب أن أنبهكم إليه وهو مسألة هذه الحروف العربية غير المفهومة التي تبتدئ بها بعض السور مثل: ألم، ألر، طس، كهيعص، حم، عسق....إلخ فهذه كلمات ربما قصد منها التعمية أو التهويل، أو إظهار القرآن في مظهر عميق مخيف، أو هي رموز وضعت للتمييز بين المصاحف المختلفة التي كانت موضوعة عند العرب. فمثلاً (كهيعص) رمزاً لمصحف ابن مسعود (حم عسق) رمزاً لمصحف ابن عباس (طس) رمزاً لمصحف ابن عمر، وهلم جراً، ثم ألحقها مرور الزمن بالقرآن فصارت قرآناً"[1] أ.هـ. أثبت هذا النقد أكثر من مصدر ومنها كتاب (طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام) للأستاذ أنور الجندي، ص٢٤٢، كتاب الاتجاهات الوطنية، ص٣٠٤، وهذا الكتاب الذي نحن بصدده، وبخصوص الأستاذ أنور الجندي فقد ألحقت هذه الدراسة بملحق خاص عرفت فيه بالأستاذ وما قاله العلماء والمفكرون في تزكيته ونظراً لكثرة هذه المقولات فقد جعلتها في ختام هذه الدراسة.

وقد فنّد الدكتور محمد عرفة مزاعم طه حسين السابقة تفنيداً علمياً، وردّ عليه ردوداً مقنعة تدحض ما ألقاه من شبه هزيلة على ناشئة ليس لديهم من العلم ما يدفعون به غثاءه، وفي هذا الصدد يقول الدكتور محمد عرفة: "إن الشبهة قد ألقيت إلى التلاميذ وهم لم يدرسوا القرآن دراسة تمكنهم من دحضها، ولا تزال عالقة بعقولهم تشككهم في دينهم، ولم يجدوا أحداً من رجال العلم ولا من رجال الدين من ينقض هذه المزاعم بالحجة البالغة، والبرهان المنطقي، ويناقشها مناقشة علمية هادئة. نعم إنهم قد وجدوا أولي الأمر قد فصلوا هذا الأستاذ من كلية الآداب بالجامعة، لكن ليس ذلك في قليل ولا كثير من نقض طعنه وخدش مذهبه. بل ربما وقع في نفوس بعض التلاميذ أن أولي الأمر لم يقدروا على هدم رأيه بالحجة فعمدوا إلى القوة، وما كانت القوة يوماً من الأيام بنافعة

(١) نقض مطاعن في القرآن الكريم، د/ محمد عرفة، ص٤-٨، نقلاً عن: كراسة أحد طلبة طه حسين في كلية الآداب بالجامعة المصرية، سنة ١٩٢٧م. وقد اضطررت إلى نقله كاملاً نظراً لأهميته حيث يظهر بجلاء عقيدة طه حسين في الوحي، وطه حسين لم يدوّن هذا النقد في كتبه المطبوعة، ربما لخطورة هذا عليه.

في هدم رأي ودحض مذهب"[1].

ثم بدأ الدكتور محمد عرفة بتفنيد شبه طه حسين على النحو الآتي:"يتضمن هذا الطعن في القرآن أموراً: "أن القسم المكي يمتاز بالهروب من المناقشة وبالخلو من المنطق فيقول: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢﴾ إلى قوله: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾ أما القسم المدني فيناقش الخصوم بالحجة الهادئة، والبرهان الساكن الرزين، فيقول: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ إن القسم المكي منه يمتاز بكل مميزات الأوساط المنحطة كالعنف والشدة، والقسوة والحدة، والغضب والسباب والوعيد والتهديد، مثل: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾، ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢﴾، ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣﴾، ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦﴾ أما القسم المدني فهادئ، لين، وديع، مسالم، يقابل السوء بالحسنى، ويناقش الخصوم بالحجة الهادئة.

إن القسم المكي يمتاز بتقطع الفكرة واقتضاب المعاني، وقصر الآيات، والخلو التام من التشريع والقوانين، كما يكثر فيه القسم بالشمس والقمر والنجوم. أما القسم المدني فأفكاره منسجمة، متسلسلة، ترمي أحياناً إلى غايات اجتماعية وأخلاقية، وفيه هدوء، ومنطق، وتشريع وقصص، وتاريخ، وفيه التشريعات الإسلامية كالمواريث، والوصايا، والزواج، والطلاق، والبيوع، والمعاملات.

لا شك أن هذا الرقي الذي حدث للقرآن في القسم المدني أثر واضح من آثار التوراة والبيئة اليهودية التي ثقّفت المهاجرين إلى يثرب ثقافة واضحة؛ يشهد بها هذا التطور الفجائي الذي ظهر على أسلوب القرآن، وهذا يتضمن أن النبي تعلم من اليهود وأن القرآن من عمله، فلما اكتسب ثقافة من اليهود ظهر ذلك في أسلوب القرآن المدني.

إن الحروف العربية غير المفهومة المفتتحة بها أوائل بعض السور، إما أن يكون قصد منها التعمية، أو التهويل، أو إظهار القرآن في مظهر عميق حزين، أو هي رموز

(١) نفسه، ص٨ وما بعدها.

لتميز بين المصاحف المختلفة ثم ألحقها مرور الزمن بالقرآن فصارت قرآناً".

ثم رد الدكتور عرفة عليه في ردود طويلة جداً لا يتسع المقام لذكرها، أذكر أبرزها: زعم طه حسين أن الآيات المكية خالية من المنطق، تهرب من المناقشة، وأن القسم المدني هو الذي كان فيه الحجة والبرهان! ثم استدلّ على ذلك بآية مكية زعم أنها مدنية وهي قوله تعالى: (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) ومعلوم أن هذه الآية من سورة الأنبياء، وسورة الأنبياء مكية، وهكذا ظهر ضعف معلومات طه حسين حتى في القرآن الذي حفظه في سن مبكرة!

وبطبيعة الحال فهذه الآية التي استدلّ بها تنطق بالبرهان والمنطق. وكثير من الآيات المكية تتصف بهذه الصفة وهي مقارعتها بالبرهان الواضح. ثم يزعم طه حسين أن "محمداً تعلم من اليهود بالمدينة الحجة والمناقشة، وأن القرآن من وضع محمد" لم يصرِّح طه حسيه بهذا مباشرة، لكن قوله السابق يلزم هذا القول ولهذا سلك تلك الطريق العوجاء الملتوية، وزعم أن القرآن بمكة كان يهرب من المناقشة، وكان خالياً من المنطق....إلخ ما قال. أما بالمدينة فقد كان على الضد من ذلك. وهذا من أثر تثقيف اليهود الذين ثقّفوا المهاجرين ومنهم محمد، ولو استقرأنا آيات القرآن في اليهود لم نجد فيها مدحاً وثناءً عليهم بل وجدنا فيها أكثر من سبعين صفة سيئة نعتهم بها القرآن الذي يزعم طه حسين أنه متأثر بثقافة ورقي اليهود، فكيف يذمّهم وهم مصدر رقيّه وثقافته على حد زعم طه حسين، ألا ساء ما يحكمون؟![1].

و مما سبق يظهر – والله أعلم – أن طه حسين كان يعتقد ببشرية القرآن الكريم التي أشرت إليها عند الحديث عن تأثره بالمستشرق (جب)، وإن قال بهذا حقيقة فقد وقع في أمر خطير يخرج صاحبه عن دائرة الإسلام، لما فيه من التكذيب الصريح لكثير من نصوص القرآن الكريم القاطعة بأنه كلام الله ﷻ ومنها: قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[2]، وقوله عزّ من قائل: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ

---

(١) يراجع: المرجع السابق، ص١٥-١٨، ٧١ - ٧٢.

(٢) سورة الحجر: ٩.

يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ [1].

فجحد كون القرآن الكريم كلام الله تعالى، تكذيب لله ﷻ، وتكذيب الله ﷻ كفر مخرج عن الملة، وإذا كان الشك في نصٍ واحد من نصوص القرآن الكريم يوجب الكفر، فكيف الحال بالشك في القرآن كله أنه كلام الله ﷻ ، وقد توعّد الله ﷻ الوليد بن المغيرة في سورة المدّثر بعذاب شاق لا يطيقه نظير كفره وزعمه أن القرآن قول البشر، قال تعالى: ﴿ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [2].

هذا ما يظهر من عقيدة طه حسين في القرآن الكريم - والله تعالى أعلم - .

◊ تشكيكه في بعض المعجزات:

ذكر طه حسين كلاماً عن معجزة الإسراء والمعراج يوحي بشيء من التشكيك في حقيقتها حيث قال معلقاً على ما كتبه أبو العلاء المعري حول مدائن الجن في رسالة الغفران: "والقول المفصّل في رسالة الغفران يحتاج إلى كتاب خاص، نرجو أن نوفق إليه.

وحسبنا أن نقرر الآن أن هذه الرسالة هي أول قصة خيالية عند العرب والفرنج يشبهونها بكتاب (دانتي) الطلياني (الكوميديا الإلهية) وكتاب(ملتن) الإنجليزي الذي سمّاه (الجنة الضائعة) وعندنا أن لقصة المعراج صلة بهذه الأقاصيص"[3]

يقول السيّد تقيّ الدين: معلقاً على قول طه حسين السابق: "....فإننا نتساءل عن نوع الصلة بين قصة المعراج وهذه الأقاصيص أهو الخيال؟ وهذه ثالثة الأثافي لأن قصص المعري ودانتي وملتن خيالية، أما قصة المعراج فواقعية حقيقية بلا جدال؛ لأن الله

---

(١) سورة التوبة: ٦.

(٢) سورة المدّثر: ١٦- ٢٨.

(٣) أبو العلاء المعري، طه حسين، ص٢٤٢.

أخبرنا بذلك في قرآنه الحكيم كما جاء في سورة النجم، حيث يقول سبحانه: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣﴾[1]... فطه حسين يعد رسالة الغفران والكوميديا الإلهية والجنة الضائعة والمعراج يعدها أقاصيص، والأقاصيص جمع أقصوصة، وثمة فرق بين القصة والأقصوصة فهي قصص وليست بأقاصيص، وهذا خطأ فني لأن الأقصوصة، وإن اشتركت مع القصة في الخصائص الفنية، تميل إلى الإيجاز والتركيز على عنصر من عناصرها كالفكرة أو الشخصية أو ما إلى ذلك"[2].

---

(١) آية: ١ – ٣.

(٢) طه حسين آثاره وأفكاره، ص٧٨، بدون، نهضة مصر، بدون.

المطلب الثالث: المخالفات المتعلقة بالقضاء والقدر:

إن من لوازم عقيدة الإيمان بالله ﷻ أن يؤمن المرء بما قضاه الله ﷻ وقدّره من خير وشر، وهذا الإيمان يقتضي أن يعلم المرء علم اليقين أن كل سكنات وحركات هذا الكون وما فيه من مخلوقات يدور في دائرة القضاء والقدر، المتضمّن حكمة الله ﷻ العظيمة التي قد تظهر لنا في بعض المواقف، وكثيراً ما تغيب عن فكرنا القاصر، لكننا وإن لم نعلمها نؤمن ونتيقن وجودها وحقيقتها قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[1].

كما يقتضي الإيمان بهذا الركن العظيم أن للإنسان إرادة واختياراً لكل ما يفعله؛ فهو ليس مجبراً على أفعاله قسراً، وليس كالهاوي من أعلى إلى أسفل، ولا كريشة في مهبّ الريح، تقلّبها الرياح ظهراً لبطن، ولذلك يقول تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾[2].

"والذين يزعمون أن الإنسان ليس له إرادة يفعل بها ألغوا عقولهم، فضلوا وأضلوا، وإلا فإننا نعلم من أنفسنا أن حركتنا ليست كحركة الجماد، الذي لا يملك شيئاً لذاته في تحركه وسكونه. بل إننا نفرق بين الحركات غير الإرادية التي تجري في أجسادنا وبين الحركات الإرادية، فحركة القلب وحركة الرئتين، وجريان الدم في دورته في عروق الإنسان، وآلاف العمليات المعقدة التي تجري في أجسادنا من غير أن نعرفها ونعلم بها ليس لنا فيها خيار، بل هي حركات اضطرارية ليس للإنسان إرادة في إيجادها وتحقيقها، ومثل ذلك حركة المرعوش الذي لا يملك إيقاف اهتزاز يده.

أما أكل الإنسان وشربه وركوبه، وبيعه وشراؤه وقعوده وقيامه، وزواجه وطلاقه، ونحو ذلك فهو يتم بإرادة وقدرة ومشيئة، والذين يسلبون الإنسان هذه القدرة ضلَّت عقولهم، واختلَّت عندهم الموازين"[3].

---

(١) سورة القمر: ٤٩.

(٢) سورة البلد: ١٠.

(٣) القضاء والقدر، د/ عمر سليمان الأشقر، ص٨٠ وما بعدها، دار النفائس ط: السادسة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

ولقد وقع طه حسين في هذا المنزلق العقديّ الخطير، حينما آمن بالجبر ونفى الاختيار. يقول في رسالته عن أبي العلاء: "الجبر قديم عند الفلاسفة، وكثير من أهل الديانات، ومصدر الإيمان به شيئان: أحدهما أن الاختيار لا يتفق مع القول بأن هذا العالم مبني في حركاته الاجتماعية والفردية للإنسان وغير الإنسان على العلل والأسباب، وأن كل شيء في هذه الحياة إنما هو نتيجة لشيء كان قبله ومقدمة لشيء يجيء بعده.

فإذا صحّت هذه القضية (وقد فرغت الفلسفة من إثباتها منذ أمد بعيد، لم يكن للاختيار موضع في هذا العالم ذلك أن هذا الاختيار إما أن يكون متصلاً بما قبله وما بعده اتصال العلة بمعلولها، والنتيجة بمقدمتها، أو لا.

فإن تكن الأولى فهو الجبر؛ إذ لا يمكن أن يتخلَّف المعلول عن علته، ولا أن تحول النتيجة عن مقدمتها، وإذاً فادعاء الاختيار ليس إلا غروراً. وإن تكن الثانية فقد بطلت القضية التي قدمناها وأصبح العالم ملعباً تختلف فيه المصادفات، وهو ما لا شك في بطلانه. إذن فليس من الجبر محيد ولا عن الاضطرار من حل.

المصدر الثاني من مصادر الجبر الإيمان بشمول القدرة والعلم الإلهيين، فإن شمول القدرة يقتضي ألا يكون في هذا العالم شيء إلا إذا تعلقت به قدرة الله، فإذا فعل الإنسان شيئاً فإما أن يكون مختاراً فيه، أو غير مختار، فإن يكن مختاراً فهذا الفعل واجب، وإن لم تتعلق به قدرة الله، وهو باطل؛ لأنه يهدم أصل القدرة. وإن يكن غير مختار فهو الجبر الذي لا شك فيه. إذن فالدين و الفلسفة يتظاهران على إثبات الجبر وإقامة الأدلة عليه. فإذا بحثنا عن الحياة العملية، ولاسيما بالقياس إلى أبي العلاء، عرفنا أنها تنتج الجبر أيضاً، فإن الرجل يلقى في هذه الحياة ألواناً من الخير والشر ليس له في اكتسابها يد. وإنما ساقها إليه أحوال لا يملكها. ومن هنا لهج العامة بالركون إلى الله، والاعتماد عليه، وهم لا يفهمون من هذا اللفظ ما يفهم الفقيه في الدين، إنما يريدون أن هذه الحياة مسيرة ليس لعمل الناس فيها تأثير. فالمرء لاقٍ فيها حظه، سواء أعمل أم لم يعمل. وفي الحق أنَّا لو حلَّلنا قوى الإنسان النفسية لم نجد عن الجبر مندوحة. فإن هذه القوة متأثرة في نفسها بأشياء لا يملكها الفرد، ولا الجماعة. فالرجل لم يوجد نفسه، وإنما أوجده غيره، وهو لم

يكوّن قواه، وإنما كوّنت له. وللزمان والإقليم فيها تأثير عظيم، وللبيئة والحوادث الطارئة تصرفها كما تريد، وتصوغها كما تشتهي. فمن أين يأتي للإنسان حظه من الاختيار، إلا أن الاختيار وهم قد ملك الناس منذ كانوا وهم على الخضوع له مجبورون"[1].

ويقول أيضاً على لسان إحدى شخصيات قصصه: "فأنا مدفوع إلى الشر ما في ذلك شك، وأنا عاجز عن المقاومة، وأنا أسأل نفسي دون أن ألح عليها في السؤال: أليس يمكن أن تكون هناك قوة خفية ماكرة قد دفعتني إلى ما وراء البحر لألقي في هذه الأرض الغربية كيداً يُدبّر وأمراً يراد، ولأكون نهباً لشياطين الإثم، والغواية والفساد؟

أنا ألقي على نفسي هذا السؤال منذ رأيت وأن أرد إلى الصواب من أمري، وأن أتبيّن ما أنا مقدم عليه. ولست أريد أن أتبيّن ما أنا مقدم عليه الآن، وإنما أريد أن أتبيّن الشر إن كان هناك شر بعد أن أتورط فيه. لماذا؟

لست أدري. ولكني لست أستطيع أن أقف ولا أن أتأخر، إنما أنا شيء قذفت به قوة عنيفة من قمة الجبل فهو يتدحرج على السفح لا يستطيع أن يمسك نفسه ولن يستطيع أن يمسك نفسه، حتى يبلغ الحضيض فتمسكه الأرض السهلة المستوية..."[2].

فمن هذه النصوص ندرك أن طه حسين - بحسب ما ظهر من كلامه - جبري محض لا يؤمن بأن للإنسان اختياراً فيما يفعل؛ بل إنه مجبور على كل ما يفعل ويترك، ولا شك أن في هذا نسبة الظلم إلى الله ﷻ فكيف يجبر الله ﷻ العبد على فعل المعصية ثم يحاسبه عليها؟!

وقد أثبت الله - جلا وعلا - الاختيار في آيات كثيرة ومنها قوله: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾[3] وقوله: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾[4] وقوله: ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ

---

(١) أبو العلاء المعري، طه حسين، ص٢٨٨ وما بعدها.

(٢) أديب، طه حسين، ص٦١٩ وما بعدها.

(٣) سورة التكوير: ٢٨.

(٤) سورة البلد: ١٠.

فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾[1].

ولم يكتف باعتقاده هذا بل ضمّن بعض مقالاته وقصصه ورواياته عبارات مستهجنة لا يليق إطلاقها على قدر الله - جل وعزّ - وأورد بعض الاعتراضات على قدر الله - سبحانه - في بعض نصوصه، ومن ذلك قوله على لسان إحدى شخصيات قصة (أديب): "ولعلك تنكر أيها الصديق إقبالي على الشراب، وعلى الشراب خالياً، وعلى الشراب بعد أن كذب الظن وخاب الأمل. ولكن ما رأيك في أن كذب الظن وخيبة الأمل، هما اللذان دفعاني إلى الشراب دفعاً؛ فقد وجدت على الحظ وسخطت على الزمان، وأبيت أن أذعن لمكر الأقدار وغدر الظروف...." [2]

ويقول معلقاً على بعض قصصه المترجمة (قصة أوديب):"القضاء صارم قاسٍ لأنه قد كُتِب في غير حكمة بيّنة للإنسان، على (لايوس) أن يموت مقتولاً بيد ابنه، وكتب على (جو كاست) أن تقتل نفسها بعد أن تتورط في إثمها ذاك، البشع الشنيع، وكتب على (أوديب) أن يكون قاتلاً لأبيه متزوجاً لأمه مسبباً لموتها فاقئاً عينيه بيديه. ومن البيّن أن أحداً من هؤلاء الأبطال لم يكن حاضراً حين كتب القضاء ما كتب، ولم يقترف قبل وجوده إثماً يغري به القضاء ويسلط عليه قسوة الأقدار. فهناك إذن علة خفية لا يدركها الإنسان تدفع القضاء إلى أن يدبر أمر الناس والآلهة كما يشاء. ومن يدري! لعل هذه العلة الخفية لا وجود لها، ولعل القضاء يمضي كما يريد لا يخضع لقانون، ولكنه على كل حال صارم قاس بالقياس إلى الآلهة والناس جميعاً"[3].

ويظهر من النصوص السابقة غضبه على القضاء وعدم رضاه به، ويظهر ذلك في قالب النقد الأدبي الذي ينقد به قصصه، سواءٌ كانت مؤلفة أو مترجمة. كما أن النص السابق لا يخلو من محذور آخر وهو جريان القضاء على الآلهة، فهو وإن كان ينقد قصة مترجمة أدبياً إلا أنه لا يُعلّق على ما تحتويه من شركيات وكفريات، ولا ينكرها - كعادته

---

(١) سورة الإسراء: ١٥.

(٢) نفسه، ص٦١٨.

(٣) القدر، طه حسين، ص٤٦٤ وما بعدها.

- مما يدل على الرضا أو على الأقل على ضعف إيمانه ورقّته.

فمع افتراض وجود آلهة غير الله جدلاً، فمن الذي يجري القضاء والقدر؟!

وعلى من يجري؟! وإذا كان القضاء يجري على الآلهة، فبم استحقّت أن تكون آلهة؟! كما أن طه حسين يصف القضاء والقدر بالقسوة وما شابهها في أكثر من موضع، وهذا لا ينبغي لما فيه من مظنة الاعتراض، كما أنه لفظ مستهجن لا يليق إطلاقه على قدر الله تعالى.



المبحث الثاني:
المخالفات المتعلقة بعقيدة الولاء والبراء

لا شك أن عقيدة الولاء والبراء أصلٌ من أصول العقيدة الإسلامية، فيجب على كل مسلم أن يوالي أهلها ويعادي أعداءها، فيحب أهل التوحيد والإخلاص ويواليهم، ويبغض أهل الإشراك ويعاديهم، وذلك من ملة نبيّ الله إبراهيم عليه السلام والذين معه، الذين أمرنا بالاقتداء بهم، حيث يقول سبحانه: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ (١)

وهو من دين نبيّنا محمد ﷺ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾(٢).

بل لقد حرّم الله تعالى على المؤمن موالاة الكفار ولو كانوا من أقرب الناس إليه نسباً، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾(٣) وقال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾(٤) وقد ظهر من طه حسين مخالفات في هذا الأصل من العقيدة الإسلامية تظهر في بعض كتبه وقصصه بجلاء ولعلّ أخطرها كتابه (مستقبل الثقافة في مصر)، حيث ملأه بنصوص كثيرة تناقض هذه العقيدة الصافية.

وقد ذكر الشيخ: صالح الفوزان – حفظه الله – عدة مظاهر لموالاة الكفار وجدت طه حسين قد تلبّس بمعظمها فعلاً أو قولاً ومن ذلك:

---

(١) سورة الممتحنة: ٤.

(٢) سورة المائدة: ٥١.

(٣) سورة التوبة: ٢٣.

(٤) سورة المجادلة: ٢٢.

أ) مدحهم والإشادة بما هم عليه من المدنية والحضارة:

والإعجاب بأخلاقهم ومهاراتهم دون نظر إلى عقائدهم الباطلة ودينهم الفاسد، ولا شك أن أخطر ما ردّده طه حسين في هذا الصدد قوله – السابق –: "... علينا أن نسير سيرة الأوربيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أنداداً، ولنكون لهم شركاء في الحضارة، خيرها وشرها، حلوها ومرّها، وما يحب منها وما يكره، وما يُحمد منها وما يُعاب. ومن زعم لنا غير ذلك فهو خادع أو مخدوع"(١)

وماذا علينا لو شاركنا الأوربيين في حضارتهم وأخذنا خيرها وتركنا شرها، وأخذنا حلوها وتركنا مرّها، وأخذنا ما يحب منها وتركنا ما يكره، وأخذنا ما يحمد وتركنا ما يُعاب.

إن قول طه حسين السابق ليدل دلالة واضحة على أنه يريد من المسلمين أن يُذيبوا هويتهم الإسلامية وينصهروا داخل بوتقة الحضارة الأوربية حتى يصل بهم الأمر إلى أن يتنفسوا برئتيها؛ وبهذا يكونون قد وصلوا إلى الحضارة المزعومة ولحقوا بالركب!!

وكثيراً ما يردّد طه حسين إعجابه الشديد بالحضارة الأوربية، وخاصة فرنسا، ويتمنّى لو يصل المسلمون في يومٍ من الأيام إلى ما وصلت إليه هذه الدول المتحضرة يقول:"فإذا كنا نريد هذا الاستقلال العقلي والنفسي الذي لا يكون إلا بالاستقلال العلمي والأدبي والفني فنحن نريد وسائله بالطبع. ووسائله أن نتعلّم كما يتعلم الأوروبي، ثم لنشعر كما يشعر الأوروبي، ولنحكم كما يحكم الأوربي، ثم لنعمل كما يعمل الأوروبي، ونصرف الحياة كما يصرفها"(٢)

ويقول في موضع آخر:"كل هذا يدل على أننا، في هذا العصر الحديث، نريد أن نتصل بأوروبا اتصالاً يزداد قوة من يوم إلى يوم حتى نصبح جزءاً منها لفظاً ومعنى

---

(١) مستقبل الثقافة في مصر، طه حسين، ص٥٤.

(٢) نفسه، ص٥٨.

وحقيقة وشكلاً"[1].

ويقول أيضاً: "ولم يقف أمرنا عند هذا الحد. بل نحن قد خطونا خطوات أبعد جداً مما ذكرت، فالتزمنا أمام أوروبا أن نذهب مذهبها في الحكم، ونسير سيرتها في الإدارة، ونسلك طريقها في التشريع. التزمنا هذا كله أمام أوروبا.

وهل كان إمضاء معاهدة الاستقلال ومعاهدة إلغاء الامتيازات إلا التزاماً صريحاً قاطعاً أمام العالم المتحضّر بأننا سنسير سيرة الأوربيين في الحكم والإدارة والتشريع؟"[2]

وهكذا يُصرّح طه حسين بوجوب الأخذ بسيرة الأوربيين في الحكم والتشريع وهما حقٌّ من حقوق الله تعالى.

"ولقد دعا الإسلام إلى اتخاذ أسباب القوة من تعلّم الصناعات ومقومات الاقتصاد المباح، والأساليب العسكرية، بل ذلك مطلوب قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[3].

فالواجب أن يكون المسلمون سبّاقين إلى استغلال هذه المنافع وهذه الطاقات، ولا يستجدون الكفار في الحصول عليها، بل أن يكون لهم مصانع وتقنيات"[4].

---

(١) المرجع السابق، ص٤٤.

(٢) نفسه، ص٤٦.

(٣) سورة الأنفال: ٦٠.

(٤) الولاء والبراء في الإسلام، الشيخ صالح بن فوزان الفوزان، ص١٥، دار الوطن للنشر، ١٤١٢هـ.

ب) الاستعانة بهم والثقة بهم وتوليتهم المناصب التي فيها أسرار المسلمين واتخاذهم بطانة ومستشارين:

قال تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَـٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ﴾[1].

"فهذه الآيات الكريمة تشرح دخائل الكفار وما يكنونه نحو المسلمين من بغض، وما يدبرونه ضدهم من مكر وخيانة، وما يحبونه من مضرة المسلين وإيصال الأذى إليهم بكل وسيلة، وأنهم يستغلون ثقة المسلمين بهم فيخططون للإضرار بهم والنيل منهم.

روى الإمام أحمد عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قلت لعمر رضي الله عنه: لي كاتب نصراني، قال: مالك قاتلك الله! أما سمعت قول الله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [2]، ألا اتخذت حنيفياً، قلت: يا أمير المؤمنين، لي كتابته وله دينه، قال: لا أكرمهم إذ أهانهم الله، ولا أعزهم إذ أذلهم الله، ولا أدنيهم وقد أقصاهم الله"[3] وروى الإمام أحمد ومسلم: "أن النبيّ ﷺ خرج إلى بدر فتبعه رجل من المشركين فلحقه عند الحرة، فقال: إني أردت أن أتبعك وأصيب معك، قال: تؤمن بالله ورسوله؟ قال: لا. قال: ارجع فلن أستعين بمشرك"[4].

---

(١) سورة آل عمران: ١١٨ – ١٢٠.

(٢) سورة المائدة: ٥١.

(٣) أورده ابن كثير عند تفسير قوله تعالى: (يأيها الذين أمنوا لا تتخذوا) من سورة المائدة الآية ٥، وأورده الثعلبي عند تفسير قوله: (ها أنتم أولاء) من سورة العمران الآية ١١٩، وأخرجه في كتاب تخريج الأحاديث والآثار، حديث ٤١٧.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب كراهة الاستعانة في الغزو بكافر، حديث رقم ١٨١٧، ص١٠١٠.

ومن هذه النصوص يتبين تحريم تولية الكفار أعمال المسلمين التي يتمكنون بواسطتها من الاطلاع على أحوال المسلمين وأسرارهم ويكيدون لهم بإلحاق الضرر بهم"[1].

والمتتبع لحياة طه حسين وأعماله لا يخفى عليه مدى صلته وثقته بالعلماء الأوربيين من مفكرين ومستشرقين وغيرهم...

ولم يكتف طه حسين بالإشادة بهؤلاء الكفار ومدحهم في كل محفل احتيج إلى ذلك أم لم يحتج إليه، بل وصل به الأمر أن دعا المستشرق (كازانوفا) وغيره إلى الجامعة المصرية لإلقاء أبحاثهم تلك المسمومة على شباب المسلمين؛ ممّا دعا الشيخ محمود أبو العيون[2] وغيره من الغيورين إلى الاعتراض على هذا الإجراء، فما كان من طه حسين إلا أن ردّ عليهم في عنف وحماسة بقوله: "أريد أن يعلم الناس جميعاً أن الجامعة المصرية حين تدعو أساتذة من أوروبا لإلقاء الدروس فيها لا تأتي بدعاً من الأمر، وإنما تتبع في ذلك نهج الجامعات الأوربية الأمريكية، وهذا الرجل الذي دعته الجامعة ليس رجلاً عادياً وإنما هو أستاذ حقاً ولقد أريد أن يعلم الناس أني سمعت هذا الأستاذ يفسّر القرآن الكريم تفسيراً لغوياً خالصاً فتمنيت لو أتيح لمنهجه أن يتجاوز باب الرواق العباسي ولو خلسة ليستطيع علماء الأزهر الشريف أن يدرسوا على طريقة جديدة نصوص القرآن الكريم من الوجهة الخالصة على نحو مفيد حقاً"[3].

---

(١) الولاء والبراء، الشيخ صالح الفوزان، ص١٠- ١٢.

(٢) محمود أبو العيون: (١٣٠٠- ١٣٧١هـ = ١٨٨٢- ١٩٥١م)، فاضل أزهري مصري، اشتهر بكتاباته الكثيرة في محاربة التهتك والبغاء. ولد في (دشلوط) من قرى ديروط بأسيوط، عُيّن مدرساً في الأزهر فمفتشاً فشيخاً وأخيراً سكرتيراً عاماً للأزهر والمعاهد الدينية الإسلامية، كان من خطباء الحركة الوطنية وكتابها، من مؤلفاته: تاريخ العرب، صفحة ذهبية، مذابح الأعراض، غيرها...، الأعلام، جـ ٧، ص١٢٩.

(٣) طه حسين، حياته وفكره في ميزان الإسلام، أنور الجندي، ص٦٠.

كما أقام طه حسين حفلاً لتكريم رينان (الفيلسوف الفرنسي) الذي هاجم الإسلام أعنف هجوم، ورمى المسلمين العرب بكل نقيصة في أدبهم وفكرهم"[1].

وكما أشاد طه حسين بالنصارى أشاد باليهود أيضاً حيث نشرت مجلة المكشوف في ٢ كانون ثاني ١٩٤٤ ما نصه: "ألقى الدكتور مراقب الثقافة في وزارة التربية الوطنية في المدرسة الإسرائيلية بالإسكندرية يوم ٢٤ كانون الأول ١٩٤٢ محاضرة عن اليهود والأدب العربي فذكر العلاقات بين اليهود والعرب منذ الجاهلية، وأي أثر كان لليهود في تحضير سكان الجزيرة، ثم تكلّم عن انتشارهم في إفريقية الشمالية وإسبانيا حيث كانت لهم خدمات في سبيل الثقافة، وكيف نافسوا العرب أنفسهم على أكثر المناصب في الدولة، إلى أن قال: إن المسيحيين واليهود كانوا خير عون للعرب في نقلهم العلوم والفنون والآداب عن اليونان والهنود والفرس، وختم الدكتور حديثه داعياً يهود مصر إلى توثيق صلاتهم بالمصريين من أهل الثقافة العربية والاندماج في سوادهم اندماجاً روحياً وتدارس أدبهم شعراً ونثراً – قالت المجلة: فقوبل كلام المحاضر بعاصفة من التصفيق وقرر المجلس المِلّي الإسرائيلي إنشاء جائزتين باسم طه حسين يمنحان لألمع طالبين في المدرسة الإسرائيلية"[2].

كذلك فقد احتضن طه حسين في كلية الآداب طالبه الأثير (إسرائيل ولفونسون) الذي "وصف بأنه رجل استقدمه الدكتور طه حسين إلى الجامعة وأحاطه بعنايته ورعايته ومكّنه من الحصول على إجازة الدكتوراه برسالة عن (اليهود في جزيرة العرب) قدمها بنفسه في الحفل وفي الطبع، وقد أطلق على نفسه (أبو ذؤيب) وقد عمل أستاذاً فترة من الزمن في دار العلوم وقد وجد فيما نقله من أخبار وأحاديث تحريفاً وبتراً واقتطاعاً من نصوص محفوظة معروفة"[3].

وقد أشرف طه حسين على هذه الرسالة المزعومة وقدّم لها بقوله:"الموضوع في

---

(١) المرجع السابق، ص٦٤.

(٢) نفسه، ص١٢٦، نقلا عن: مجلة المكشوف.

(٣) نفسه، الصفحة نفسها، نقلا عن: السياسة اليومية، مقال للأستاذ عباس فضلي، ١٣ يناير ١٩٢٦.

نفسه قيم جليل الخطر بعيد الأثر جداً في التاريخ الأدبي والسياسي والديني للأمة العربية؛ فليس من شك أن هذه المستعمرات اليهودية قد أثرت تأثيراً قوياً في الحياة العقلية والأدبية للجاهليين من أهل الحجاز، وليس من شك أن الخصومة كانت عنيفة أشد العنف بين الإسلام ويهودية هؤلاء اليهود، وفي أنها استحالت من المحاججة والمجادلة إلى حرب بالسيف انتهت بإجلاء اليهود عن البلاد العربية"[1].

يقول الدكتور فؤاد حسنين معلقاً على ما قاله طه حسين وتلميذه اليهودي: "... إن هذا البحث حلقة من كتب الدعاية الصهيونية التي كانت الشعبة الثقافية للمؤتمر الصهيوني بإشراف (مارتن بوبر) تدعو إلى نشرها. وما نقله إسرائيل ولفونسون في رسالته من آراء كان القصد منها إطلاع اليهود الشرقيين وقراء العربية على ما جاء في المصادر الأجنبية التي يجهلها القارئ العام في الشرق. وهذه الرسالة التي أشرف عليها مشحونة بالأخطاء التي لا تصدر من طالب مبتدئ في البحث، وهو صدى لهذه الآراء التي كثيراً ما أوردها الدكتور في الجامعة، فضلاً عن أن المراجع العبرية لا تمتّ إلى البحث بصلة، والسيد المشرف لا يعرف العبرية، وأخذ بالنتائج التي ينسبها الباحث إلى هذه المراجع العبرية دون التحقق منها، ودون الاستنارة ببعض الذين يجيدون هذا النوع من الدارسات. والأمانة العلمية كانت تقتضي غير هذا. إن البحث العلمي يجب ألا يصبغ بصبغة القومية المتعصبة، كما لا يتخذ وسيلة من وسائل الدعاية السياسية أو الكسب المادي الرخيص، ويجب أن يسمو عن كل هذا وينظر إليه كقضية عالمية. ويتابع الدكتور بقوله: إن الحانقين على العرب والإسلام والناسبين التراث العربي إلى اليونان واليهود يضللون أنفسهم وغيرهم، والعكس هو الصحيح؛ فإن العرب هم أصحاب الفضل على اليونان واليهود. ولست وحدي الذي يقرر هذا بل يشاركني نفر من الأوروبيين المنصفين، مسيحيين كانوا أو يهوداً، والتاريخ اليهودي يحدثنا أن العرب أحسنوا معاملة اليهود عندما كانوا يهربون من وجهة الطغاة من حكامهم في فلسطين أوزاعاً من اضطهاد اليونان والروم؛ فقد نزل أولئك اليهود الجزيرة العربية فوجدوا أهلاً وسهلاً، وقد

(١) طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام، ص١٢٨.

أفقدتهم القرون التي مرّت بهم منذ زوال دولتهم ولغتهم المقدسة تذوّق اللغة العبرية؛ حتى أصبح من المألوف لدى اليهودي أن يعبّر عن أفكاره وشعوره في لغة ركيكة، هي خليط من العبرانية والكلدانية واليونانية، فمالت ظروفه هذه دون خلق آداب عبرية، فما كان هؤلاء اليهود بمستطيعين قول الشعر أو إجادة النثر، فغيّر نزولهم بين العرب هذه الأوضاع وبخاصة إن العربي معجب بلغته مُعنى بها نثراً وشعراً حريص على المحافظة عليها فصيحة نقية. وأخذ اليهود من جيرانهم العرب من الكلام والنطق الصحيح وفصاحة التعبير، فلما رحل بنو قينقاع والنضير ويهود خيبر وغيرهم إلى العراق والشام وفلسطين، كانوا يتكلمون لغة عربية ويتأدبون بأدب عربي ويتطبعون بطباع عربية، نزل أولئك اليهود في أوطانهم الجديدة فأثروا في أبناء ملتهم تأثيراً قوياً ولم يمضِ نصف قرن من الزمان على تحرير العرب ليهود فلسطين والعراق وغيرهما حتى أصبح في استطاعتهم التحدث باللغة العربية، ويحدثنا التاريخ اليهودي أن الإسلام أحسن معاملة اليهود أولئك الذين اضطر النبي والخلفاء الراشدون إلى إجلائهم عن قلب الجزيرة العربية تأميناً لرسالة الإسلام وأتباعه، حيث اقطعهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب والإمام علي { الأراضي الواسعة بالقرب من الكوفة وعلى ضفاف الفرات؛ ممّا دفع المؤرخ اليهودي الشهير (جريبتز) إلى الإشادة بعدالة العرب وإنسانيتهم وقال: إن سيادة الإسلام نهضت باليهودية من كبوتها.

هذه هي الحقيقة العلمية أسوقها للدكتور طه وتلميذه الدكتور إسرائيل ولفونسون"(1).

---

(1) المرجع السابق: ص١٢٨ وما بعدها.

۞ ج) مشاركتهم في أعيادهم أو تهنئتهم بمناسبتها أو حضور إقامتها :

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ ﴾ [1] "قال مجاهد في تفسيرها أنها أعياد المشركين، وكذلك قال مثله الربيع بن أنس والقاضي أبو يعلى، والضحاك"[2].

"أما تهنئتهم بشعائر الكفر المختصة بهم فحرام بالاتفاق، وذلك مثل أن يهنئهم بأعيادهم فيقول: عيدك مبارك، أو يُهنأ بهذا العيد، فهذا إن سلم قائله من الكفر فهو من المحرمات، وهو بمنزلة أن يهنئه بسجوده للصليب، بل ذلك أعظم إثماً عند الله، وأشد مقتاً من التهنئة بشرب الخمر وقتل النفس وارتكاب الفرج الحرام ونحوه. وكثير ممَّن لا قدر للدين عنده يقع في ذلك، ولا يدري قبح ما فعل؛ فمن هنَّأ عبداً بمعصية، أو بدعة أو كفر فقد تعرَّض لمقت الله، وسخطه، وقد كان أهل الورع من أهل العلم يتجنبون تهنئة الظلمة بالولايات، وتهنئة الجهال بمنصب القضاء والتدريس والإفتاء تجنباً لمقت الله وسقوطهم من عينه"[3].

وقد وقع من طه حسين ما يدخل تحت هذا النوع من الولاء للكفار، حيث ذكرت زوجته في مذكراتها حضورها برفقة زوجها العديد من أعياد القديسين من المسيحيين والمشاركة فيها، كما صرّح هو بذلك في قوله:

"ولا بد من أن أصارح المثقفين من الأقباط بأنهم مقصرون أشد التقصير في ذات تعليمهم الديني، وبأن كل شيء يمكن أن يفهم إلا هذا الفرق الشنيع بينهم وبين قسيسيهم ورهبانهم في الثقافة. ولقد دعتني الظروف الحسنة والسيئة كما تدعو غيري من المصريين إلى مشاركة بعض الأصدقاء من الأقباط فيما يلم من الخير والشر وشهود بعض حفلاتهم الدينية في الكنائس وفي الفنادق وفي الدور. فلست أدري كيف أصف هذا الألم الذي يثيره في نفسي الاستماع لصلواتهم يتلونها في لغة عربية محطمة أقل ما توصف به أنها

---

(١) سورة الفرقان: ٧٢.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم، شيخ الإسلام ابن تيمية، ص١٨١.

(٣) أحكام أهل الذمة لابن القيّم، جـ١، ص٢٠٥ وما بعدها.

لا تُلائم كرامة الدين مهما يكن، ولا تلائم ما ينبغي للمصريين جميعاً من الثقافة اللغوية"(١).

ويقول في موضع آخر: "وأذكر أني شهدت في بريطانيا منذ سنين حفلاً دينياً اجتمع له الشعب، رجالاً ونساءً وشباناً وأطفالاً، وأقبلوا إلى كنيستهم بعد أن طافوا المدينة يتغنون بأغاني دينية ووطنية محلية. فكان لهذا المشهد في نفسي أثر قوي تركه هذا الغناء، تمتزج فيه الأصوات الحلوة، أصوات النساء والأطفال بهذه الأصوات الغلاظ الشداد؛ أصوات الرجال والشبان، وهذه المعاني الساذجة البسيطة التي تقدّس الله والوطن الخاص في غير تكلف ولا إسراف".

إلى أن يقول: "ثم شهدت في الألزاس حين وصلت إلى هذا الدير حفلاً كهذا الحفل البريطاني، فقد اجتمع فيه الحجيج من أهل هذا الإقليم رجالاً ونساءً، وشباناً وأطفالاً، وأقبلوا إلى ديرهم يتغنون باللاتينية مرة وبالألمانية مرة أخرى وبالفرنسية قليلاً جداً، يقدسون ربهم ووليتهم ووطنهم الصغير. حتى إذا طافوا بالدير وانتهوا إلى الكنيسة وقفوا خاشعين، وقام القسيس باسمهم يتوسل إلى القديسة في لغة ألمانية قوية عذبة، فيتوسل وأطال التوسل. وما كنت تشك وأنت تراه وتسمعه وترى خشوع الشعب من حوله في أن نفوس هذا الشعب كله متصلة به، تنطق بلسانه، وتخفق مع قلبه حين يخفق رغبة ورهبة"(٢).

وهكذا يتضح من أقوال طه حسين السابقة شهوده لحفلات وأعياد الكفار الدينية مع ما يصاحب ذلك من محرمات كتهنئتهم بعيدهم وسعادته وإعجابه بذلك، وهذا أمر في غاية الخطورة.

والأعظم من ذلك هو ما فعله طه حسين في إحدى الكنائس حيث رضي بأن يُقلّد صليباً من ملك اليونان (بول) كما حكت ذلك زوجته سوزان في مذكراتها تقول:

---

(١) مستقبل الثقافة في مصر، طه حسين، ص٤٤٨.

(٢) رحلة الربيع والصيف، طه حسين، ص٢٧٣.

"وببساطة متناهية، بل أكاد أقول بطيبة متناهية، إذ كانت ثمة طيبة في سلوك هذا الإنسان، قلّد الملك طه صليب العنقاء الأكبر"[(١)].

وخطورة هذا الأمر لا تخفى. والظلم إذا أطلق يراد به الشرك الأكبر..."وفيه أيضاً إظهار لموافقة النصارى على ما زعموه من قتل عسى عليه الصلاة والسلام والله سبحانه قد نفى ذلك وأبطله في كتابه الكريم حيث قال ﷻ: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [(٢)].

وقد ظهرت من طه حسين عدة سلوكيات - إضافة إلى ما ذكرت - تؤكد ولاءه للغرب واعتزازه بهم إلى حدٍ كبير من ذلك:

- زيارته العديد من الكنائس برفقة أسرته داخل فرنسا وخارجها[(٣)].

- حضوره العديد من مؤتمراتهم العلمية غير مظهر لعزة الإسلام أو مدافع عنه.[(٤)]

- ترجمته للكم الهائل من قصصهم ورواياتهم إلى العربية مع نقدها والتعليق عليها تعليقاً يشعر بقمة الإعجاب والانبهار بها.

- الصداقة الحميمة التي كانت تربطه بكثير من الشخصيات النصرانية، وتبادل الزيارات الودية والتحية التي تصل أحياناً إلى حد المعانقة للرجال أو النساء على حد سواء.

- ثناؤه على فرنسا المتكرّر في كل مظهر من مظاهرها حتى على الجانب الكالح والقاتم منها. وغير ذلك....

هذه أبرز المخالفات العقدية لدى طه حسين، كما أن هناك بعض الأقوال التي صدرت عنه تدل على شدة ضعف إيمانه - والله أعلم - ومن ذلك: وصفه الإسلام بالسذاجة، وهذا أسلوب مستهجن وفيه سوء أدب لا يتفق مع تعظيم الدين وإجلاله،

---

(١) معك، سوزان، ص١٠٧.

(٢) اللجنة الدائمة، جـ٢، ص٧٨. الآية من سورة النساء: ١٥٧.

(٣) يراجع: معك، سوزان طه حسين، ص١٥٢.

(٤) كمؤتمر المستشرقين وغيره.

يقول: "في هذه الرقعة السحيقة من الصحراء تعيش مصر القديمة بوثنيتها الفرعونية واليونانية والرومانية، كما تعيش مصر القرون الوسطى بإسلامها الساذج ومسيحيتها الساذجة..." [1].

بغضه لإلقاء الدروس في الوعظ والإرشاد وتنبيه الغافلين حيث يقول: "لست أبغض شيئاً كما أبغض إلقاء الدروس في الوعظ والإرشاد وتنبيه الغافلين"[2] إلى غير ذلك من المخالفات...

---

(١) علم الأدب، طه حسين، ص٧٢٩.

(٢) المرجع السابق، ص٨٦٦.

المبحث الثالث: مخالفات طه حسين في القضايا السياسية والاقتصادية

تعتبر القضايا السياسية والاقتصادية تطبيقاً عملياً للعقيدة، وتنفيذاً واقعياً للأفكار التي يؤمن بها الإنسان.

"ومن المعلوم بداهةً، أن لكل أمة من أمم الأرض عقيدة، آمنت بها ورضيت بأن تكون قاعدتها الفكرية، تبني عليها أفكار حياتها، وعلى أساس هذه العقيدة، تعالج كل مشكلاتها، وتحل على أساسها قضاياها، وتسن بموجبها أنظمتها وقوانينها، وتحدد بها وجهة نظرها في الحياة، وتعيّن غايتها في الدنيا فقط.

وبعبارة أخرى: إن جميع أنظمة الحياة، وجميع حلول مشكلاتها ومعالجة قضاياها، تنبثق عن عقيدة تلك الأمة، وتبني عليها، وتسير بتوجيهها، فكان بذلك لكل نظام عقيدة.

وهذه العقيدة هي الضمانة الحقيقية لحسن تطبيق الأنظمة في المجتمع، وهي الحارس الأمين من الإساءة في التطبيق والتنفيذ، كما هي الدافع الذاتي الذي يوجد الإخلاص الخالص والولاء الصادق لكل الأنظمة ومعالجة المشكلات.

وبقدر صحة وصلاح العقيدة، تكون صحة وصلاحية النظام المنبثق عنها، وبذلك تسعد الأمة سعادة حقه، يسيطر عليها الاطمئنان الروحي والارتياح النفسي الدائمان، وترفل الأمة بالرفاهية المتبقية في حياتها وتأخذها بالعروج نحو سلّم المجد والرقي.

أمّا إذا كانت العقيدة فاسدة أو خاطئة، فإن ما انبثق عنها من أنظمة، وما بني عليها من أفكار تكون فاسدة وخاطئة؛ لأن ما قام على الفاسد فاسد"[1]. وعلى هذا الأساس يتضح ما تتضمنه النظم السياسية والاقتصادية من فساد نتيجة فساد العقيدة، وقد دعا طه حسين إلى بعض هذه النظم ومنها:

---

(١) الأنحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها، جـ٣، ص٢١٣٨.

۞ ١) الديمقراطيــة:

نظام يعني حكم الشعب لنفسه، أو على الأصح حكم الفقراء، ويتميز عن النظام الديكتاتوري أو الثيوقراطي (الحكومة الدينية) بأنه حكم الأغلبية وليس حكم الصفوة أو الأقلية العسكرية أو الدينية أو الأغنياء. وهي حكم الطبقة العاملة[١].

سبب نشأتها: نشأت الديمقراطية أوّل ما نشأت في الغرب طبعاً، وكان أهم سبب لمنشئها هو سيطرة الإمبراطورية الرومانية والقانون الروماني المتسم بالإقطاعية والظلم الذي تؤيده الكنيسة، ويحميه رجال الدين، إذ لم يكن للناس مع الإقطاعيين الذين يسمون النبلاء والأشراف ورجال الدين أي وجود إنساني إلا كونهم مجموعة من القطع الآدمية اللاصقة بالتراب حيث لا حقوق لهم ولا كرامة، ولا منزلة، وعليهم كل الواجبات والعقوبات[٢].

"وفي أجواء هذه المظالم انفجرت الثورة الفرنسية، التي قامت على فلسفة وتراث الإغريق والرومان، حيث ارتدت إلى الوراء تبحث عن شيء يحل مشكلاتها وينظم حياتها بديلاً عن الإقطاع والدين، فوقع اختيارهم على (الديمقراطية)، حيث تكون الطبقة المسحوقة (طبقة الشعب) هي الطبقة الثائرة التي تسعى إلى المشاركة في الحكم والسلطان، ويتحول المال من الإقطاعيين ليصبح رأس مال في أيدي الطبقة الجديدة، (الطبقة الرأسمالية) التي بدأت تزدهر بعد تحول الإنتاج من القطاع الزراعي إلى القطاع الصناعي بعد اختراع الآلة، وكانت هذه الطبقة الجديدة هي الأداة المناسبة في الثورة الجديدة التي بدأت بالثورة الفرنسية تحت الشعارات التي وضعتها الماسونية اليهودية لهذه الثورة وهي (الحرية والإخاء والمساواة) ليتحقق لليهود ما يطمحون إليه من مآرب"[٣]. والحكم الديمقراطي بمقتضي تعريف الديمقراطيين له وبمقتضى ما سبق يلاحظ فيه أمران:

---

(١) يراجع: موسوعة الفلسفة، جـ١، ص٦٠٥.

(٢) يراجع: الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها، جـ٣، ص٢١٦٥.

(٣) نفسه، ص٢١١٦.

الأول: "استبعاده حقّ الله - تعالى - الذي له الحكم كله أصلاً، وبأمره تأتي سلطة كل من له سلطة من بعده. وبسبب هذا يكون الحكم الديمقراطي مبايناً للحكم الإسلامي، لأن الحكم الإسلامي قائم على أن الأصل في الحكم إنما هو لله وحده.

الثاني: عدم إقرار الحكم الديمقراطي بأحكام الشرع ووجوب تنفيذها أولاً. وهي الأحكام الشاملة لأحكام الله وأحكام رسوله ﷺ واستنباطات المجتهدين من فقهاء المسلمين الذين يستنبطون أحكام الشرع بالاجتهاد الذي أذن الله لهم به.

وبسبب هذا أيضاً يكون الحكم الديمقراطي مبايناً للحكم الإسلامي، فالحكم الإسلامي يفرض أولاً العمل بكل حكم شرعيّ ثابت بدليل قطعي، أو بدليل ظنّي اتفق عليه معظم فقهاء العصر الذين هم أهل للاجتهاد أو الترجيح، بالاستناد إلى الأدلة الشرعية. ثم يعطى لجماعة المسلمين المؤهلين أن يضعوا النظم الإدارية التي يرونها أصلح وأنفع وأكثر خيراً للناس، بشرط ألا يعارض شيء منها حكماً شرعياً ثابتاً، ولو كان حكم إباحة ورد فيه عن الشارع بيان.

إذن: فالحكم الديمقراطي، بموجب تعريفه وتطبيقاته، حكم يعزل الدين عزلاً كلياً عن شؤون الحكم، ويستبعده عنها استبعاداً تاماً، فهو بهذا شبيه بالعلمانية"[1].

وقد تبنّى طه حسين مبدأ الديمقراطية، حيث قرّر - مغتبطاً- "أن الله ﷻ قد منّ على المصريين بالنظام الديمقراطي، وبالحياة النيابية التي يحبها المصريون ويفتدونها بالمهج والنفوس"[2].

كما حثّ الدولة على تطبيق النظام الديمقراطي ودعاها إليه، يقول:

"ونحن إذا فكرنا قليلاً انتهينا إلى أن من أوجب واجبات الدولة المصرية في عشرات الأعوام المقبلة أن تحوط الاستقلال الخارجي، وأن تقر النظام الديمقراطي في

---

(١) كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ص٧١٨ وما بعدها، دار القلم، ط: الثالثة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

(٢) مستقبل الثقافة في مصر، ص٢٠٥.

داخل الحدود المصرية، ومهما يكن جهد الأفراد في حياة الاستقلال وتثبيت الديمقراطية، فإن هذا الجهد ليس شيئاً بالقياس إلى الجهد الذي يجب أن تبذله الدولة، لأن الدولة أقدر على ذلك وأنفذ إليه وهي لم تقم بعد إلا له"[1]

ويقول أيضاً: "والديمقراطية جادة في أداء واجبها، فهي تمحو الفروق بين الطبقات، وتجعل الناس سواسية ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً"[2].

ولم يكتف طه حسين بدعوة الحكومة والأفراد للعمل الجاد من أجل تطبيق هذا النظام والأخذ به، بل دعا إلى تطبيق مبدأ الديمقراطية في التعليم أيضاً، يقول: "لست في حاجة إلى الإطالة في إثبات أن التعليم الأولي والإلزامي ركن أساسي من أركان الحياة الديمقراطية الصحيحة"[3].

و مع أن النظام الديمقراطي لا يخلو من بعض نقاط القوة؛ إلا أن هذا لا يعني جواز الأخذ به والدعوة إليه فهو مبدأ مصادم للإسلام - كما أسلفت -.

۞ ٢) العلمانية:

لفظ العلمانية: "ترجمة اصطلاحية مهذبة فيها تعديل لما حقّه أن يترجم بـ (اللادينية) أو بالاتجاه الذي لا يعتبر الدين، ولا يهتم به، ولا يقيم له وزناً في شؤون الحياة الدنيا وهي لا تؤمن بشيء وراء الحياة الدنيا"[4].

إن العلمانية ليست مذهباً محدد المعالم، واضح الأركان، لكنها عنوان لاتجاه هدفه النظر بعين واحدة، هي عين البحث العلمي بالوسائل الإنسانية، وطمس عين العلم الأخرى التي تقتبس المعرفة من الدين والوحي طمساً كلياً، وفي هذه الحالة تكون

(١) المرجع السابق، ص١٠٣.

(٢) رحلة الربيع والصيف، جـ ١٤، ص٢٤٢.

(٣) مستقبل الثقافة في مصر، ص١٠١.

(٤) كواشف زيوف، ص١٦٠.

العلمانية إلحاداً بصورة إيجابية، أو إهمالاً للدين وعدم التفات إليه، أو طمساً جزئياً، وفي هذه الحالة تكون العلمانية إلغاءً للدين، مع بعض أحكام ومراسم أخرى، وسلوك فردي خاص بمستلزمات الحرية الشخصية"[(١)]. وقد تقّنعت العلمانية بقناعين:

أحدهما: "يتظاهر بالحياد تجاه عقائد الدين وعباداته المحصنة، وما أرادوا حصر الدين فيه واعتبروه من دائرة تخصصه، ويتظاهر بأنه لا يريد إلغاء الدين إلغاءً كلياً، إنما يريد حصره في مجالات تخصصه.أما تدخله في شؤون الحياة الدنيا فهو تدخل يفسدها، ويعوّق مسيرتها وتقدمها وارتقاءها.

ويزعم لابسو هذا القناع - كذباً وافتراءً على الدين الحق - أن تعاليم الدين في شؤون الحياة غير صالحة، لأنها غير علمية ولا عقلية.

وثانيهما: يُعلن حربه وعداءه للدين كله، ويسعى بكل ما أوتي من حيلة وقوة لإلغائه إلغاءً كلياً، وجعل المادية ومفاهيم التطور الذاتي للكون، والإلحاد بالله ﷻ، والكفر بكل القيم الدينية، هي العقيدة السائدة في كل المجتمعات الإنسانية"[(٢)].

فالعلمانية شعار يتستر بالعلم، وبالتزام ما تبثه الحقائق العلمية، ويوحي ضمناً أو يعلن صراحة أن الدين يتناقض مع العلم. وقد كتب طه حسين عدة فصول تحت عنوان (بين العلم والدين) بيّن فيها أن هناك خصومة بين العلم والدين، وبين السياسة والدين، ومن ذلك قوله:

"والخصومة بين العلم والدين أساسية جوهرية لأن الدين يرى لنفسه الثبات والاستقرار، ولأن العلم يرى لنفسه التغيّر والتجدّد، فلا يمكن أن يتفقا إلا أن ينزل أحدهما عن شخصيته.

والخصومة بين العلم والدين أساسية جوهرية؛ لأن أحدهما عظيم جليل واسع المدى بعيد الأمد لا حد له ولا انتهاء لموضوعه، ولأن الآخر متواضع ضئيل محدود

---

(١) المرجع السابق، ص١٦٢ وما بعدها، بتصرف يسير.

(٢) نفسه، ص١٦٣ وما بعدها. بتصرف يسير.

المطامع بطيء الخطا يقدم ثم لا يكره أن يحجم، ويمضي ثم لا يكره أن يرتد، ويبنى ثم لا يتحرّج من الهدم؛ فلا يمكن أن يتفقا إلا أن ينزل أحدهما عن شخصيته.

فالخصومة بينهما أمر لا بد منه، ولكن المسألة في حقيقة الأمر ليست في أن الخصومة واقعة أو غير واقعة، وإنما هي في أن الخصومة ضارة أو نافعة أو بعبارة أدق: المسألة هي أن نعرف هل كتب على الإنسانية أن تشقى بالعلم والدين أو هل كتب على الإنسانية أن تسعد بالعلم والدين؟ أما نحن فنعتقد أن الإنسانية تستطيع أن تسعد بالعلم والدين جميعاً...." [1].

وزعم طه حسين بوجود خصومة بين الدين والعلم ليس صحيحاً ولا دقيقاً أيضاً؛ أولاً: "لأن الدين الحق ليس قسيماً مغايراً للعلم، بل هو علم عن طريق الوحي، فما جاءت به طرق الدين اليقينية هو من قبيل الحقائق العلمية"[2].

ثانياً: لعدم وجود خصومة بين الدين والعلم أصلاً في الإسلام، لأن الإسلام لا يحجر العقل عن طلب العلم، ولا يمنع الإنسان المسلم من العلم والتفكير؛ ولذلك فلا خصومة بينهما، بل الدين يدعو إلى العلم في آيات كثيرة من القرآن الكريم والسنة النبوية كذلك، ويرفع من قدر العلم، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[3].

ويقول تبارك اسمه: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[4] إلى غير ذلك من الآيات، ويقول ﷺ: **"من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهلّ الله له به طريقاً إلى الجنة"**[5].

---

(١) من بعيد، طه حسين، ص٢٢٨.

(٢) كواشف زيوف، ص١٧٤.

(٣) سورة الزمر: ٩.

(٤) سورة المجادلة: ١١.

(٥) سنن ابن ماجة، (جـ١/ ص٨١)، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، دار الفكر-بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي.

ويقـول ﷺ أيـضاً: **"إن الله وملائكتـه وأهـل الـسماوات والأرض، حتـى النملـة في جحرها، وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير"**[1].

ولعلّ طه حسين في هذا القول قد تأثر بما حدث في الكنيسة النصرانية من خصومة وعداء بينها وبين العلم والعلماء، وحجر على العقل والعلم، بل وقتل وتعذيب الكثير من العلماء لوصولهم إلى بعض النظريات العلمية التي تناقض ما تدعو إليه الكنيسة.

ولهذا وجدت الخصومة بينهما في الدين النصراني المحرفّ فقط. ونتيجة لـذلك قـال طه حسين بهذا القول، وإن كنّا نوافقه على أن البشرية تسعد بالعلم والدين معاً فهذا كلام صحيح، ولكن ثمة فرق يسير بينهما، وهو أن العلم سبب لـسعادة الـدنيا، والـدين سـبب لسعادة الدارين.

كذلك كتب طه حسين فصلاً حول الدستور المصري الـذي يـنص صراحـة أن الإسلام دين الدولة يقول: "وكان هذا النص مصدر فرقة لا نقول بـين المـسلمين وغـير المسلمين من أهل مصر، فقد رضيت القلة المسيحية وغير المسيحية هـذا الـنص ولم تحـاور فيـه، ولم تـر فيـه عـلى نفسها مـضاضة أو خطـراً، وإنـما نقول: إنـه كـان مـصدر فرقـة بـين المسلمين أنفسهم.

إلى أن يقول: ومعنى ذلك أن العدالة مكلفة أن تمحو حرية الرأي محواً في كل ما من شـأنه أن يمـس الإسـلام مـن قريـب أو بعيـد، سـواء أصـدر ذلـك عـن علـم أو عـن غيرعلم"[2].

وهكذا يبدو من قوله أن حرية الرأي التي يؤمن بها تتنافى مع ما نص عليه الدستور وهـو أن الـدين الرسـمي للدولـة هـو الإسـلام، ثـم لا يلبـث أن يُعـبّر عـن هـذا المعنـى في وضوح تام حينما يقول: "فالمسلمون إذن قد فطنـوا منـذ عهـد بعيـد إلى أصـل مـن أصـول

---

(١) سنن أبي داود، (جـ٢/ ص١٣٤١)، سليمان بن الأشعث أبـو داود الأزدي، دار الفكـر، تحقيـق: محمـد محيـي الدين عبدالحميد.

(٢) من بعيد، طه حسين، ص١٧٣-١٧٥.

الحياة الحديثة وهو أن السياسة شيء والدين شيء آخر، وأن نظام الحكم وتكوين الدولة إنما يقومان على المنافع العملية قبل أن يقوما على أي شيء آخر. وهذا التصور هو الذي تقوم عليه الحياة الحديثة في أوروبا"[1].

ويقول: "من المحقق أن تطور الحياة الإنسانية قد قضى منذ عهد بعيد بأن وحدة الدين ووحدة اللغة لا تصلحان أساساً للوحدة السياسية ولا قواماً لتكوين الدول"[2].

ولا شك أن الدين الإسلامي نظام شامل ومتكامل يشمل جميع نواحي الحياة من عقائد وعبادات ومعاملات وسياسة واجتماع وأخلاق وغير ذلك....

وكلها تكوّن حلقة واحدة لا يكاد يُعرف لها طرف وما ذاك إلا لأنه صنع الله الذي أتقن كل شيء، والمسلم حينما يتخذ من الإسلام ديناً له عليه بعد ذلك أن يُعلن بصراحة انتهاجه لكل جانب من جوانبه، صغيراً كان أم كبيراً. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[3]. وقال ﷺ: **"تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك"**[4].

---

(١) مستقبل الثقافة في مصر، طه حسين، ص٢٧.

(٢) نفسه، ص٢٥.

(٣) سورة الأنعام:١٦٢.

(٤) رواه ابن أبي عاصم في كتاب السنة بإسناد حسن، صحيح الترغيب والترهيب، الألباني، (جـ١/ ص١٣)، مكتبة المعارف-الرياض.

۳) الليبراليـــة:

مذهب رأسمالي ينادي بالحرية المطلقة في السياسة والاقتصاد، وينادي بالقبول بأفكار الغير وأفعاله حتى ولو كانت متعارضة مع أفكار المذهب وأفعاله شرط المعاملة بالمثل، والليبرالية السياسية تقوم على التعددية الإيديولوجية الفكرية والتنظيمية الحزبية، والليبرالية الفكرية تقوم على حرية الاعتقاد (أي حرية الإلحاد) وحرية السلوك (حرية الدعارة والفجور)، وعلى الرغم من مناداة الغرب بالليبرالية والديمقراطية إلا أنهم يتصرفون ضد حريات الأفراد والشعوب في علاقاتهم الدولية والفكرية، وما موقفهم من الكيان اليهودي في فلسطين، وموقفهم من قيام دولة إسلامية تحكم بالشريعة الإسلامية، وموقفهم من حقوق المسلمين إلا بعض الأدلة على كذب دعواهم(١).

وقد ظهرت الحرية المطلقة، وهي من أبرز سمات الليبرالية الحديثة، في ظروف الاستبداد الدكتاتوري الذي كان سائداً في أوروبا قبل الثورة الفرنسية، وإبان مصادرة حرّيات الطبقات الضعيفة في المجتمع، وحريـاّت الأفراد الذين لا يملكون انتزاع حقوقهم في معظم المجتمعات الغربية، ونتيجة لهذا انطلق دعاة الحرية ينادون بها مبدأً إنسانياً، وأخذت فئات كثيرة تروّجها(٢).

لكن الليبرالية بهذا المصطلح لم تظهر إلا حديثاً وبعد ظهور مبدأ الحرية بزمن. لكن بالرغم من ذلك فمضامين الحرية والليبرالية واحدة تقريباً فهما وجهان لعملة واحدة؛ فكلتاهما تدعوان إلى الحرية المطلقة في كل شيء، في السياسة والاقتصاد والثقافة والفكر السلوك وغير ذلك....

"وعند قيام شعار الحرية اندفعت الجماهير مفتونة به، وهي لا ترى من معاني الحرية إلا مساحة محدودة مقبولة معقولة، يتحقّق لها بها الخلاص من الظلم الاجتماعي الذي تعاني منه، والخلاص من الاستبداد الضاغط عليها، والقاهر لإرادتها بقوى ظالمة

---

(١) يراجع الموسوعة السياسية، جـ٥، ص٥٦٦.

(٢) يراجع: كواشف زيوف، ص٢٢٣.

آثمة، طاغية غاشمة"[1].

وأخذ أعداء الإسلام والفضيلة "يوسّعون من مساحة دلالة الحرية شيئاً فشيئاً، حتى تشمل كل سلوك فردي أو جماعي يحقق أهداف الإفساد في الأرض، وتدمير كلّ القيم الدينية والخُلقية، وإماتة الوازع الديني والخلقي في الأفراد، وتحطيم النظم الاجتماعية والإدارية والسياسية والاقتصادية وغيرها.....

إن الحرية مثل النار لا تستخدم إلا ضمن حدود وضوابط، وبحذر شديد، ومراقبة تامة، وإلا أكلت الأخضر واليابس، وابتلعت كل شيء أتت عليه.

إن الحرية المقبولة المعقولة في واقع الناس ذات مجال محدود، وهذا المجال المحدود لا يجوز تجاوزه ولا تعدّيه، لا في منطق العقل، ولا في منطق مصلحة الإنسان في ذاته، ولا في منطق المجتمع البشري.

فإذا تجاوزت حدودها كانت وحشاً مفترساً، أو ناراً هائجة ثائرة محرقة، أو سيلاً عرماً مدمراً، وكانت نذير شؤم وخراب، وفوضى واضطراب، وصراعات بشرية تدمّر الحضارات، وتمهّد لأن تُحلّ بهم سنة الله في الذين خلوا من قبلهم، إهلاك عام وعذاب أليم"[2].

وقد صدر من طه حسين بعض الأقوال والنصوص، سواء في كتبه أو مقالاته الصحفية، توحي بتأييده لهذا المبدأ الغربيّ الهدّام وإن لم يرد فيها لفظ الليبرالية صريحاً؛ لأن هذا المصطلح حديث - كما أسلفت - لكن على كل حال فمضمون مصطلح الليبرالية يتوافق كثيراً مع شعار الحرية.

ومن ذلك قوله في أحد مقالاته الذي عنونه بـ (تحرير العقل): "فمصر لا تحتاج إلى شيء بمقدار ما تحتاج إلى أن تحرّر عقول أبنائها... والعقل الحر هو الذي لا يقبل أن يفرض السلطان السياسي عليه رأياً من الآراء ومذهباً من المذاهب........والعقل الحر

(١) المرجع السابق، ص٢٢٤.

(٢) نفسه، ص٢٢٢ وما بعدها.

هو الذي لا يقبل ديكتاتورية مهما يكن غرضها ومهما يكن أسلوبها في الحكم. لن نرضى من الثورة إلا بأن يتسع سلطان العقل حتى يغزو بالمعرفة نفوس المواطنين جميعاً، وبأن تتسع آفاق العقل حتى يتلقى المعرفة من أقطار الأرض جميعاً، وبأن يعظم سلطان العقل حتى لا يخشى رقيباً حين يعلن ما يرى خطأ كان أم صواباً"[1].

ويبدو في هذا النص ميل طه حسين إلى التحرر المطلق من كل قيد فلا قيود ولا حدود تحدّه عن الإعلان عمّا يراه، خطأً كان أم صواباً كما يقول.

وهذا النص شبيه جداً بنص طه حسين - السابق- الذي يدعو فيه إلى الأخذ بحضارة أوروبا خيرها وشرها، حلوها ومرها، ما يحمد منها وما يعاب....

وقد سبق ذكر نص طه حسين الذي يقرّر فيه حرية الأديب حيث يقول: "....إن الأديب متعمّد حين ينتج آثاره الأدبية أن يمضي إلى الشمال ولو أراد لمضى إلى الجنوب مخيّر فيما يكتب، مخيّر فيما يقول، يصوغ صوره الأدبية صوغاً كما يصوغ الصانع آثاره الصناعية عن رؤية وتفكير وحرية تامة. وربما كان الأديب أشد حرية من الصانع الذي يجب أن يخضع لقوانين الصنعة ولا يجدد فيها إلا بمقدار؛ على حين نرى الأديب حراً مطلق الحرية لا تقيده إلا إرادته وهواه"[2].

وهكذا دعا طه حسين إلى حرية الرأي وكافح من أجلها كثيراً، وما أزمة الشعر الجاهلي التي مرّ بها إلا دليل على هذا وعلى النهج الذي انتهجه في حياته، حرية بلا حدود....

ومن المعلوم أن الإسلام لا يحجر على الحريّات، لكنه يهذبها، ويحدّ منها إذا كانت ستغير على الدين والأخلاق والفضيلة وستضيع الحقوق والواجبات؛ فالإسلام قد أباح "حريّة تعبير الإنسان عن أفكاره وآرائه، ما لم يكن مضللاً بباطل واضح، أو داعياً إلى

(١) مجلة الكاتب، الذي رأس تحريرها طه حسين، يناير (كانون الثاني) ١٩٥٣م، نقلاً عن: طه حسين رائد العقلانية الليبرالية العربية، د/ عبد الرازق، ص٨ وما بعدها، رؤية للنشر، ط: الأولى، ٢٠٠٨م.

(٢) المجلة الجريدة، يناير سنة ١٩٣٠، مقال بعنوان (رمز وتصريح) للدكتور طه حسين.

ضرٍ أو شرٍ أو أذى، أو مشجعاً على إدحاض الحق ونصرة الباطل، ونشر الظلم والعدوان والفساد في الأرض"[1].

"ولا حرية لمسلم ولا لذمّي ولا لمعاهد ولا لمستأمن في دار الإسلام، في الطعن بالعقائد والشرائع والأحكام الإسلامية، المجمع عليها، أو التشكيك فيها، أو تشويهها أو تحريفها، أو القيام بما يسيء لنظام الإسلام، أو لدولته أو لجماعة المسلمين. لأن في ذلك نقضاً لما التزم به كلٌ منهم"[2].

٤) الشعوبية:

مذهب قديم مشتق من لفظ الشعب، ونسبته غير قياسية إلى (الشعوب)، وسموا بذلك لأنهم ينتصرون للشعوب الأخرى على قبائل العرب، وهم جماعة من الناس لا يرون للعرب فضلاً عن غيرهم، وهم على قسمين:

الأول: من يرى تسوية العرب بغيرهم، وأن لا تفاضل بين الأجناس والشعوب.

الثاني: من يذهب إلى استنقاص العرب، والحط من قدرهم، والتصغير لشأنهم، والبحث عن مثالبهم وعيوبهم.[3]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وذهبت فرقة من الناس إلى أن لا فضل لجنس العرب على جنس العجم، وهؤلاء يسمون الشعوبية، لانتصارهم للشعوب التي هي مغايرة للقبائل، كما قيل: القبائل للعرب، والشعوب للعجم، ومن الناس من قد يفضّل بعض أنواع العجم على العرب. والغالب أن مثل هذا الكلام لا يصدر إلا عن نوع نفاق إمّا في الاعتقاد، وإمّا في العمل المنبعث عن هوى النفس، مع شبهات اقتضت

(١) كواشف زيوف، ص٢٢٧.

(٢) نفسه، ص٢٣٠.

(٣) يراجع: القاموس المحيط، ١/ ٩٠، فصل الشين- باب الراء، ولسان العرب ١/ ٥٠٠.

ذلك...."[1].

والمتتبّع لموضوع الشعوبية يجد أن من رفع راياتها من الفرس والعرب هم من المنحرفين كما يتضح له أبرز سمات الشعوبية ومنها:

- بغض العرب، والاستخفاف بهم، والتحقير من شأنهم.

- إلغاء معيار العقيدة والدين أو التقليل من شأنها، والاعتماد على معيار العرق واللغة والوطن.

- قيامها على جوانب فكرية وسياسية وأدبية تستهدف الكيد للعرب ومنعهم من تحقيق ازدهارهم.

- تشويه تاريخ العرب وتصغير شأنهم وإنكار أي دور حضاري لهم.

- التنقيص من قدر اللغة العربية والتهوين من شأنها والسعي في إضعافها وتدميرها، وإلصاق شتى التهم بها كالتخلف والبربرية، والجفاء والجمود وغير ذلك...

- اتخاذ الشعوبية طريقاً، لمضادة الإسلام ومحاربة أهله.

- إحياء تراث الملل والنحل للشعوب غير العربية التي كانت قبل الإسلام وغير ذلك... [2] "والمتأمل في كتابات المستغربين العلمانيين والحداثيين يرى أنهم الامتداد الحقيقي للفكرة الشعوبية، والصورة الأكثر خبثاً أيضاً؛ ذلك أنهم أو أكثرهم أضاف إلى شعوبيته وبغضه للعرب، أمة وجنساً ولغة، بغضه للدين وإلحاده المكشوف وشركه بالله تعالى، وغير ذلك من أنواع الانحراف الاعتقادي والخلقي والعملي"[3]

وقد شحن طه حسين كتاباته بالتحامل على العرب والإسلام، ومن ذلك قوله في مقال بعنوان (دائرة): "..... وهم - يريد المصريين - قد خضعوا لضروب من البغي،

(١) المرجع السابق، ٢/ ٣٧٢.

(٢) يراجع: الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها، جـ٢، ص٧٠٦.

(٣) نفسه، ص٧٠٧.

وألوان من العدوان، جاءتهم من الفرس واليونان، وجاءتهم من العرب والترك والفرنسيين، وجاءتهم الآن من الإنجليز وهم قد صبروا لهذا كله، وانتصروا على هذا كله، فردوا من ردوا من المعتدين وأفنوا في أنفسهم من أفنوا من هؤلاء المعتدين"[(١)].

يقول أكرم زعيتر معلقاً: "إن حدود كلمة (العرب) في عداد الذين بغوا على المصريين أثارت نقمة البلاد العربية ولاسيّما بلاد الشام، من الدكتور طه، ومع أن كباراً من كتاب مصر بادروا إلى الرد عليه، فإن مما يقتضيه هذا البحث أن أتحدث عن بعض تأثيرها في دمشق، وقد لمست هذا بنفسي حين كنت أزورها لمهمة قومية تتصل بتأسيس عصبة العمل القومي. فقد عقد شباب متحمّسون لعروبتهم في دمشق - التي كانت تجيش وطنية، وتغلي عروبة - اجتماعات، وأصدروا بيانات ساخطة على الدكتور طه، ثم أقبل بعضهم في موكب على ساحة الشهداء يحملون بعض كتب طه حسين، حيث أحرقوها، ودعوا إلى مقاطعة مؤلفاته".

ثم يقول:"إن دمشق ما لبثت حتى احتفلت بطه حسين بعد عشر سنوات في مناسبة ذكرى أبي العلاء ثم بعد سنوات في مؤتمر الأدباء، ذلك لأن الدكتور أخذ فيما يكتب ينزع نزعة يرضى عنها دعاة العربية"[(٢)].

وقد دعا طه حسين إلى الفرعونية - التي هي إحدى ثمار الشعوبية - دعوة صريحة - وذلك في النص الذي سبق ذكره[(٣)] - يقول:"إن الفرعونية متأصلة في نفوس المصريين وستبقى كذلك، بل يجب أن تبقى وتقوى، والمصري فرعوني قبل أن يكون عربياً، ولا يطلب من مصر أن تتخلى عن فرعونيتها، وإلا كان معنى ذلك: اهدمي يا مصر أبا الهول والأهرام، وانسي نفسك واتبعينا، لا تطلبوا من مصر أكثر مما تستطيع أن تعطي، مصر لن تدخل في وحدة عربية، سواء كانت العاصمة القاهرة أم دمشق أم بغداد، وأؤكد قول

---

(١) العربي - العدد ٢٥٧- ابريل ١٩٨٠م، مقال بعنوان: مصر بين الإشراق والتحدي، بقلم: أكرم زعيتر، ص٢٦، نقلا عن: جريدة كوكب الشرق.

(٢) المرجع السابق، ص٢٧.

(٣) راجع ص٧٩.

أحد الطلبة القائل: لو وقف الدين الإسلامي حاجزاً بيننا وبين فرعونيتنا لنبذناه"[1].

"كذلك جعل الشعار الفرعوني هو شعار الجامعة وقد لقي من ذلك كله معارضة وخصومة واسعة وصلت إلى كل مكان في البلاد العربية، وأرسل الأستاذ توفيق الفكيكي من العراق إلى طه حسين برقية قال فيها: "إن شعاركم الفرعوني سيكسبكم الشنار، وستبقى أرض الكنانة وطن الإسلام والعروبة برغم الفرعونية المندحرة"[2] -كما سبق ذكره-.

۞ ٥) القوميـــة :

"هي شعور جميع أبناء الأصل الواحد والعرق المشترك بالولاء والانتماء لأصلهم الذي جاءوا منه، وعرقهم الذي انفصلوا عنه، مهما تعددت الأوطان التي يعيشون فيها، والأرض التي يزاولون حياتهم عليها"[3].

وهي شعار معاصر، ظهر في أوروبا منذ أوائل القرن التاسع عشر الميلادي، وكان ظهورها بديلاً للرابط الديني، في أعقاب سيادة الاتجاه العلماني، وضعف الرابط الديني شعبياً، وبتره سياسياً.

ونظراً لما خططه أعداء الإسلام من مكائد ضد الإسلام والمسلمين فقد قامت دعوات قومية بين المسلمين، كالقومية العربية بين العرب، والقومية الطورانية بين الأتراك، والقومية الكردية بين الأكراد، والقومية الفارسية بين الفرس ونحو ذلك.....

وكان من أكبر أهداف الأعداء لهذه القومية هو القضاء على الخلافة الإسلامية في تركيا، وتمكين الدول الاستعمارية من الاستيلاء على معظم البلدان العربية وشعوبها.

ثم قامت التكتلات القومية، كالأحزاب والمنظمات القومية، وإقامة الرابط القومي

---

(١) طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام، أنور الجندي، ص١٤ وما بعدها.

(٢) سبق ذكر هذا النص وأعدته مرة أخرى لارتباطه بهذا المبحث، ص٧٢.

(٣) مذاهب فكرية معاصرة، د/ محمود مزروعة – حفظه الله –، ص٥١٣، دار الرضا، ط: الأولى، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

بدل الرابط الديني الإسلامي، الذي كان سائداً في الشعوب العربية[1].

◊ موقف الإسلام من العصبية القومية:

لا شك أن الإسلام قد قاوم العصبية القومية، أشد مقاومة واعتبرها نزعة منتنة، وجعل الرباط الذي يربط بين المسلمين هو رباط الأخوة الإيمانية الإسلامية. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[2].

وعن ابن عمر، أن النبي ﷺ طاف يوم الفتح على راحلته يستلم الأركان بمحجنه[3]، فلما خرج لم يجد مناخاً، فنزل على أيدي الرجال، فخطبهم، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: "**الحمد لله الذي أذهب عنكم عصبية الجاهلية، وتكبرها بآبائها، الناس رجلان: برٌ تقيٌ كريم على الله، وفاجر شقي هين على الله، والناس بنو آدم، وخلق الله آدم من تراب،** قال الله في سورة الحجرات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[4].

ثم قال: "أقول قولي هذا واستغفروا الله لي ولكم"[5] فأعلن الرسول ﷺ في خطبته هذه يوم الفتح ذهاب العصبية الجاهلية وتكبرها بآبائها.

وعن جابر بن عبدالله قال: خطبنا رسول الله ﷺ في وسط أيام التشريق خطبة الوداع قال: "**يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، ألا إن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأعجمي على عربي، ولا لأسود على أحمر، ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، ألا هل بلغت؟**" قالوا: بلى يا رسول الله. قال:

---

(١) يراجع: كواشف زيوف، ص٢٦٣ وما بعدها.

(٢) سورة الحجرات: ١٠.

(٣) المحجن: عصا معقفة الرأس.

(٤) سورة الحجرات: ١٣.

(٥) أخرجه الترمذي، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في شعب الإيمان.

"فليبلغ الشاهد الغائب"[1].

وقد دعا طه حسين إلى تبنِّي الدعوة إلى القومية العربية في الفترة التي تلت انفصال سورية عن مصر بعد الوحدة، وذلك بعد أن هوجم من قبل الشعب السوري نتيجة تصريحاته السابقة التي أعلن فيها صراحة فرعونية مصر، وانتقص العرب- كما سلف ذكره -.

"وكان من أخطر ردود الفعل لأرائه المسمومة: أن حرق الشباب العربي في الشام كتب طه حسين في ميدان عام في قلب العاصمة دمشق وقد نشرت جريدة المقطّم في ٦ سبتمبر ١٩٣٣م أنه جاء من دمشق أن أعضاء اللجان الأدبية والجمعيات الثقافية فيها اجتمعوا ودرسوا مقال الدكتور طه حسين (دائرة) وقد جاء فيه: "خضع المصريون لضروب من البغى...." -السالف ذكره- وأن عصبة العمل القومي قرّرت إحراق كتب طه حسين في ميدان عام، لأنه أحد الذين يهوِّنون من أمر العرب ويصغِّرون من شأنهم ويرفعون الصوت بالدعوة التي يكرهونها مرّ الكراهية ألا وهي الفرعونية، ونتيجة لهذا فقد نحا طه حسين منحىً جديداً حيث يقول: "من أجل هذا لا أعرف أبلغ من السخف ولا أدنى إلى هذيان المحمومين من هذا الكلام الفارغ الذي تردده الفئة الباغية في سورية من أن مصر فرعونية حريصة على فرعونيتها، معرضة عن العروبة متنكرة لها"[2].

فبعد السنوات الطويلة التي نادى فيها طه حسين بالفرعونية يتناقض مع نفسه - كعادته - فيدعو إلى القومية العربية بحرارة، "ففي الدورة الثالثة لمؤتمر أدباء العرب المنعقد في القاهرة عام ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م أكّد إيمانه بالقومية العربية في العبارات الآتية:

"سمعت الآن من السيد الأستاذ الذي يدير هذه الجلسة، سمعت أن الشعر أداة للقومية العربية، وإني استأذن الأستاذ في أن ألاحظ أن الشعر ليس أداة لشيء، وأن الشعر

---

(١) أخرجه البيهقي وابن مردويه، يراجع: كواشف زيوف، ص٢٧٣ وما بعدها.

(٢) طه حسين مفكراً، عبد المجيد المحتسب، ص٢٣١، نقلاً عن: تربية المرأة بين المودودي وطه حسين، منيرة القاسم، ص٦٥.

هو منشئ القومية العربية أولاً، وهو الذي شارك في تكوينها وتقوميها بعد أن كوّنها القرآن، وأن الأدب هو الذي أتاح لهذه القومية العربية أن تنمو وتزكو، وتملأ الأرض علماً وثقافة ونوراً..." (1)

ومن خلال هذه العبارات تظهر مناداة طه حسين بالقومية العربية، ولا يكتفي بذلك بل إنه يوجِد لها سنداً من كتاب الله ﷻ الذي يؤكد خلاف ما دعا إليه طه حسين.

(1) المرجع السابق، ص٢٤٦.

الفصل الثاني

آراء طه حسين الشرعية عرض ونقد

وفيه أربعة مباحث: -

- المبحث الأول: المخالفات المتعلقة بالمرأة.
- المبحث الثاني: المخالفات المتعلقة بالموسيقا والغناء والرقص.
- المبحث الثالث: المخالفات المتعلقة ببعض العادات الغربية.
- المبحث الرابع: المخالفات المتعلقة بالفحش في القول والبذاءة في الوصف.



المبحث الأول: المخالفات المتعلقة بالمرأة

١- الاختـــلاط:

مع انتشار المدنية الحديثة والانفتاح على الغرب بدأت تظهر في المجتمعات الإسلامية بعض العادات الدخيلة على الإسلام، ومنها الاختلاط بين الجنسين في مختلف الميادين، وما نتج عنه من فساد. وقد نادى طه حسين بوجوب تربية المرأة والعناية بأمرها، ولكنه لم ينظر إلى تلك الأمور بمنظار إسلامي، حيث لم يكن يمانع في اختلاط الجنسين، بل تدل الشواهد على أنه أول المشجِّعين لذلك، وأول من أتاح الفرصة لدخول الفتاة الجامعة المصرية.

والواقع أن طه حسين ينظر إلى الفصل بين الجنسين على أنه نوع من التقاليد والعادات، ففي كتابه (مستقبل الثقافة في مصر) يتهكَّم من عزل الطالبات عن الطلبة عند الدراسة في معهد التربية للمعلمين بحجة أن الجنسين كانوا يدرسون سوياً في الجامعة. (1)

يقول:"وهناك أمر لا يخلو من فكاهة فقد شعرت وزارة المعارف بأنها محتاجة إلى المعلمات كما هي محتاجة إلى المعلمين، وكان الطبيعي أن يقبل الفتيات الجامعيات مع زملائهم في المعهد أثناء الدرس على أن تكون لهن دارهن الخاصة التي يأوين إليها بالطبع، ولكن صاحب المعالي حلمي عيسى باشا رأى أن من الخطر على الأخلاق فيما يظهر، أن يختلف الفتيات والفتيان معاً إلى الدروس في المعهد فأنشأ لهن معهداً خاصاً ونسيت الوزارة أو جهلت أن هؤلاء الفتيات والفتيان قد اختلفوا معاً إلى الدروس في الجامعة أربعة أعوام كاملة على الأقل قبل أن يدخلوا المعهد، وقد ترك حلمي باشا وزارة المعارف وضعف بعدهم سلطان التقاليد، ولكن هذا المعهد الخاص بالفتيات مازال قائماً، وسيظلّ قائماً فيما يظهر حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً"(٢).

---

(١) يراجع: تربية المرأة بين المودودي وطه حسين، منيرة القاسم، ص١٤٠.

(٢) مستقبل الثقافة، طه حسين، ص٣٣٣.

وفي موضع آخر يقول: "وفكَّر وزير المعارف أن يُنشئ للفتيات معهداً خالصاً، غلواً منه في المحافظة، وإصراراً منه على التقليد، وأنكرنا عليه تلك الخطة لأن فيها عبثاً وإسرافاً، ولأن فيها تناقضاً واضطراباً، فما دامت التقاليد أذنت أن يختلف الطلاب والطالبات إلى دروس العلم في الجامعة فإنها تأذن - من غير شك - في أن يختلف الطلاب والطالبات إلى دروس العلم في معهد التربية"[(١)].

ويقول الدكتور محمد قطب عن الجامعة المصرية: "إنها لم تكن قد أنشئت لترعى القيم الإسلامية، ولا لترعى تنشئة الشبان والفتيات تنشئة إسلامية، فقد دخلت المرأة الجامعة لا لتتعلم فقط ولكن (لتتحرَّر)، لتتحرَّر من الدين والأخلاق والتقاليد، فقد قيل لها: إن التعليم والاختلاط و (التجربة) كلها حقوق للمرأة، كأن الدين والأخلاق والتقاليد تمنعها عن مزاولتها"[(٢)].

تقول الأستاذة منيرة القاسم: "وكان من المفروض على طه حسين كرجل تربية أن يعمل جاهداً من أجل فصل الجنسين في الجامعة، بدل أن يكتب تلك المقالات التي تُعلي من شأن الاختلاط وتُقلِّل من أهمية المحافظة على قيم ومبادئ الدين الحنيف والاستخفاف بها، وطه حسين وذاك رأيه لم يكن يحس بالحرج منذ البداية عند اختلاطه بالنساء وفي المجالس العامة، فبفضل لطفي السيد عرف طه حسين صالون ميّ زيادة[(٣)] الأدبي. الذي كان يعقد إبان الحرب العالمية الأولى، وصار يتردد عليه مساء الثلاثاء من كل أسبوع، ويصوِّر لنا طه حسين شعوره في أول يوم يذهب فيه إلى ذلك الصالون،

(١) تربية المرأة بين المودودي وطه حسين، ص١٤١، نقلاً عن: جريدة كوكب الشرق، ١٦/ ٢/ ١٩٣٣م، طه حسين، ص٦٥، نقلاً عن: تربية المرأة بين المودودي وطه حسين، ص١٤١.

(٢) واقعنا المعاصر، محمد قطب، ص٢٧٦.

(٣) أديبة وشاعرة لبنانية مسيحية اسمها (ماري زيادة)، التفّ حولها مجموعة كبيرة من أدباء مصر من بينهم طه حسين، والعقاد، والرافعي وغيرهم...، وكانت تقابل الرجال سافرة في صالونها الأدبي فكان ذلك فتنة لهم، زيادة على ما اتصفت به من ظرف وجمال، ولطف في الحديث، وحسن استقبال، وثقافة ولباقة.....، يراجع: واقعنا المعاصر، ص٣٠٩ وما بعدها.

فيقول: "وفي مساء الثلاثاء رأى الفتى نفسه لأول مرة في حياته في صالون فتاة تستقبل الزائرين من الرجال، حفية بهم معاتبة لهم في رشاقة أي رشاقة، وفي ظرف أي ظرف، وفي حديث عذب يخلب القلوب ويستأثر بالألباب"(١).

"كذلك تحدثت زوجه طه حسين في مذكراتها عن كثير من سيرة زوجها وممارساته خلال حياتها الزوجية؛ فقد كان يخالط النساء ويحادثهن ولا ينكر ذلك على نفسه ولا على زوجه التي كانت تذهب معه إلى كل مكان، وتحضر معه جلساته في مصر التي كانت في الغالب كلها من الرجال، وفي إحدى المناسبات التي أقيمت إحياء لذكرى الشيخ محمد عبده أسهمت الجامعة في ذلك الاحتفال وقد سأل طه حسين سؤالاً خبيثاً – على حد تعبير زوجته – في أحد الاجتماعات التي أقيمت للإعداد للحفل، فقد سأل: هل ستشارك النساء في هذا الاحتفال؟"(٢).

"هذا ما ذكرته زوجته، وهي تعلم جيداً ما كان وراء هذا السؤال!

وعند تأسيس الجامعة المصرية عام ١٣٤٤هـ – ١٩٢٥م بدأ طه حسين يعقد في بيته جلسات أسبوعية مساء كل أحد، وكان طه حسين وزوجه يستقبلان الضيوف رجالاً ونساءً معظمهم من الأجانب، تقول زوجته: "كان طه خلال تلك الجلسات قطباً حقيقياً من الجاذبية، إذ ما كان الأساتذة الأجانب الذين كانوا يؤلفون أول فريق يصلون إلى مصر، حتى يأتون بالطبع إلى بيتنا لقضاء ساعة أو ساعتين برفقة زوجاتهم، كان منهم العميد (جرايجور) والفيلسوف (إميل برهييه) وعالم الآثار الانجليزي (جويدور) وغيرهم..." (٣).

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل إنّ طه حسين حضر حفلة الاستقبال الكبرى التي أقامتها صحيفة السياسة التي كان يعمل بها آنذاك على شرف سيمون التي كانت

---

(١) (الأيام)، طه حسين، ص٢٨.

(٢) المرجع السابق، ص١٤٧، وراجع: معك، سوزان، ص٤٤.

(٣) نفسه، الصفحة نفسها.

تمثل في الأوبرا وكتب عنها مقالاً شكرته عليه بحرارة.[1]

وهكذا تبيَّن أن طه حسين كان يحضر الحفلات المختلفة والاحتفالات التي تُقام على شرف النساء، وخاصة نساء الفن، ويكتب حول ذلك المقالات التي يمتدحهن فيها ويؤيدهن ويشجعهن.

كما استقبل الكثير منهن ورحَّب بهنَّ في منزله، وقد استقبل ذات مرة وفداً من مدرسة داخلية مكوناً من اثنتي عشرة فتاةً بصحبة مديرتهن ومعلماتهن، صعدن إلى الطابق الأعلى من بيته لتحيته وهن يحملن الأزهار ثم أخذن يغنين له، ووصفت زوجته هذا بقولها: كان في منتهى الجمال"[2].

"وممن استقبلهن طه حسين في بيته أيضاً سهير القلماوي ابنة طه حسين الروحية - على حد تعبير زوجته - وهي إحدى أوائل الفتيات اللواتي قُبلن في الجامعة، بصحبة زوجها، كما كان يقابل صديقات زوجته مثل ماري التي كانت تزوره وتعانقه وتتناقش معه ومع الحاضرين"[3].

وكذلك جان التي تعتبرها سوزان سكرتيرة وقارئة لطه، وخاصة لتلك الكتب الدينية الفرنسية[4].

أما ما يتعلق باختلاط الطلبة والطالبات لأول مرة في الجامعة المصرية التي كان لطه حسين الدور البارز في ذلك، فقد عقدت جلسات خاصة في مجلس النواب آنذاك حيث قدَّم الدكتور عبدالحميد سعيد استجواباً نُوقش فيه أمر طه حسين حول هذه القضية وقد طالب فيها بمعاقبة طه حسين وإبعاده عن الجامعة بسبب ما يقوم به من الأعمال فهو يُحرِّض الشباب والشابات على الاختلاط ويتجاوز حدود الآداب والتقاليد

---

(١) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٢) نفسه، ص٢٥٨.

(٣) نفسه، ص٢٦٨.

(٤) نفسه، ص٢٦٩.

العامة، ففي ١٣٥٠هـ - ١٩٣٢م أشار المجلس إلى الأخطار التي اتصلت بإنشاء معهد التمثيل والرقص، وهو المعهد الذي أنشأه طه حسين وقد طلب المجلس من وزير المعارف إيجاد حل لهذا الموقف مراعاة لتعاليم الدين وتقاليد البلاد، وقد قام الوزير بإغلاق هذا المعهد، ولكن ظهور الدكتور طه حسين في صورة نشرت في جريدة الأهرام عدد (١٦٩٥٩) وقد جلس حوله طلبة كلية الآداب وظهرت كل شابة إلى جانب شاب، أثار حميَّة الغيورين على الدين وأعربوا عن دهشتهم من موقف وزير المعارف الذي صرَّح في موقف سابق بأنه لا يسمح باختلاط الجنسين في معاهد التعليم[(١)].

وكان من نتائج الاستجواب السابق والتحقيقات حول هذه القضية صدور قرار مجلس الوزراء في ذي القعدة ١٣٥٥هـ - ٣١/ ٣ / ١٩٣٢م، بفصل طه حسين من خدمة الحكومة[(٢)].

وقد عبّرت زوجة طه حسين عن ذلك بقولها: "ثم وقعت المحنة في مارس ١٩٣٢م حيث كان طه يدفع ثمن جريمته أن يكون إنساناً حُراً"[(٣)].

وقد ردَّ طه حسين على علماء الأزهر في شأن ذلك الاتجاه الخطر الذي دعا إليه وشجّعه في الجامعة بقوله: "لا أعلم نصاً من كتاب الله وسنة نبيّه يمنع اختلاط الشباب بالشابات لطلب العلم"[(٤)]

ومع أنَّ طه حسين أُعيد إلى الجامعة عام ١٣٣٥هـ الموافق ديسمبر ١٩٣٤م عندما تغيّر رئيس الوزراء إلا أن موضوع طه حسين لم يُطوَ، فقد وقف الدكتور عبدالحميد سعيد مرة أخرى في مجلس النواب عام ١٣٥٨م وتحدَّث عن طه حسين قائلاً:

---

(١) الوقائع المصرية، العدد (٢١)، السنة ١٠٢، ٢٩شوال ١٣٥٠هـ - ٧ مارس ١٩٣٢م، نقلاً عن: تربية المرأة بين المودودي وطه حسين، ص١٥٠.

(٢) يراجع: طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام، ص٢٣.

(٣) معك، سوزان طه حسين، ص٩٨.

(٤) طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام، أنور الجندي، ص٦٩.

"إني أتكلَّم في الموضوع لأن صاحب هذا التاريخ لا يزال يُلقي على أبناء الجامعة تعاليمه الخبيثة، في ظل الإباحية، وتحت ستار حرية التفكير تنشر المبادئ الضارة المخزية، ويحبذِّون ما يسمُّونه بحرية المرأة واختلاط الجنسين، وما من شك في أن اختلاط الجنسين خصوصاً الطلبة والطالبات مهما تفلسف المتفلسفون في تبريره، ليس إلا ناشراً للفساد ومشجِّعاً عليه، باعثاً على الإباحية مدمراً للأخلاق والفضيلة"(١).

"وقد انتقد بشدة طالبات القسم الفرنسي بكلية الآداب لتبرجهن وتمثيلهن للروايات الغرامية في دار الأوبرا الملكية مع الطلبة، حيث يقوم بدور الحبيب والحبيبة طالب وطالبة"(٢).

وهكذا يتضح بجلاء تبنِّي طه حسين الدعوة إلى الاختلاط وذلك تقليداً للغرب بدون النظر إلى مساوئه – على المجتمع – التي حذَّر منها الدين الإسلامي الحنيف، وبدأ يشهد أضرارها بعض عقلاء ومفكري الغرب المنصفين(٣).

ولقد حارب الإسلام الاختلاط اشد محاربة وليس أدلّ على ذلك من حكم صلاة الجماعة بالنسبة للمرأة؛ ففي الوقت الذي حثّ على حضور المساجد مع الجماعة للرجال، إلا أنه أمر النساء بعكس ما أمر به الرجال، فحيث إن أفضل صلاة للرجل هي صلاة الجماعة، فإن أفضل صلاة للمرأة هي صلاتها في أقصى مكان في بيتها، والحكمة من ذلك هو منع الاختلاط بين الجنسين في جماعة المسجد، إلا أنها لم تُمنع من حضور المساجد(٤).

وقد حثَّ الرسول ﷺ في أحاديث كثيرة على منع الاختلاط، ومن ذلك ما روته أم سلمة < ، قالت: "وكان رسول الله ﷺ إذا سلَّم قام النساء حين يقضي تسليمه وهو يمكث في مقامه يسيراً قبل أن يقوم، قالت: نرى والله أعلم أنَّ ذلك كان لكي ينصرف

(١) الوقائع المصرية، العدد (٦٥)، ١٥ جمادي الأولى ١٣٥٨هـ – ٥ يونيه ١٩٣٩م، نقلاً عن: تربية المرأة بين المودودي وطه حسين، ص١٥١.

(٢) نفسه، الصفحة نفسها.

(٣) يراجع: نفسه، ص١٥١.

(٤) الحجاب، أبو الأعلى المودودي، ص٣٣٨ وما بعدها، نقلاً عن: المرجع السابق، ص٨٣.

النساء قبل أن يدركهنَّ الرجال"[1].

وفي هذا دلالة على ضرورة تجنُّب النساء مخالطة الرجال عند الصلاة كما أنَّ تعيين صفوف النساء خلف صفوف الرجال يدلُّ على وجوب فصل النساء عن الرجال عند أداء الصلاة مع الجماعة، وكما أنَّ خير صفوف الرجال أوَّلها فإنَّ خير صفوف النساء آخرها، قال ﷺ: **"خير صفوف الرجال أوَّلها وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها وشرها أوَّلها"**[2].

وليس هذا المنع خاصاً بالصلاة فقط بل بسائر شعائر الإسلام كصلاة العيدين والحج والطواف وغير ذلك...

فإذا كان هذا حكم الإسلام في العبادات، وهي مواضع تزكية النفوس، فما دونها من أمور أخرى كالاختلاط في مجال التعليم والعمل والنوادي والمكاتب والمناسبات وغير ذلك من باب الأولى!! [3]

۞ ٢- الحجاب والسفور:

شغلت مسألة السفور والحجاب حيِّزاً كبيراً في قضية تحرير المرأة التي ابتدعها من أطلقوا على أنفسهم أنصار المرأة، فقد كانت المطالبة بنزع حجاب المرأة المسلمة بداية الطريق لإخراجها من بيتها الحصين ثم من عقيدتها، حيث إنَّ أعداء الإسلام علموا أهمية المرأة في البيت المسلم والدور العظيم الذي تقوم به في تربية الأبناء وتنشئة الأجيال، لذا حاولوا هدم الإسلام وإبعاد المسلمين عن دينهم عن طريق تحرير المرأة أو بالأحرى عبوديتها وإفسادها[4].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، صلاة النساء خلف الرسول ﷺ، حديث رقم ٨٧٠- ٨٧٥، ص١٧٢- ١٧٣.

(٢) أخرجه مسلم كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها... حديث رقم ٤٣٢، ص٢٣٠.

(٣) يراجع: تربية المرأة، ص٨٧.

(٤) يراجع: واقعنا المعاصر، محمد قطب، ص٢٥٠-٢٨٠، وأيضاً تربية المرأة بين المودودي وطه حسين، ص١٥٢.

وكان طه حسين ممَّن أدلى بدلوه في هذا التحرير، وذلك عن طريق بعض كتبه ومقالاته التي نشرت في مجلة الهداية سنة ١٣٢٩هـ - ١٩١١م. تحت عنوان (كلمات في المرأة) بيّن فيها آراءه في سفور المرأة وتعليمها وغير ذلك....

يقول طه حسين في مقال كتبه في سنٍ مبكرة حيث كان في الثانية والعشرين من عمره:

"مالذي تريده المرأة إذا أباح الله لها أن تظهر من زينتها مثل ما يظهره الرجل؟ لم يأخذ الإسلام بحجاب ولا نقاب، ولئن سألت الذين ينتحلون ذلك على الإسلام من أيِّ آية في كتاب الله أو أيِّ حديث في سنة نبيه أخذتم حكم الحجاب والنقاب لنالهم الإعياء والقصور"[(١)].

وفي موضع آخر يقول:

"ليس في كتاب الله ولا في سنة نبيِّه نص ظاهر أو مؤول يوجب على المرأة الحجاب أو النقاب"[(٢)].

فطه حسين في النصَّين السابقين ينكر فريضة الحجاب على المرأة، وهو أمر في شدة الغرابة، فهو حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة جداً، وظلَّ يحفظ الكثير من آياته بعد ذلك، فكيف ينسى أية الحجاب التي ذكرها المولى - جلّ وعزّ - في سورة النور حيث يقول سبحانه:

﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ﴾[(٣)].

---

(١) مجلة الهداية، لصاحبها عبدالعزيز جاويش، نقلاً عن: طه حسين الشاعر الكاتب، محمد سيد كيلاني، ص١٣٨.

(٢) نفسه، ص١٤٠.

(٣) سورة النور: ٣١.

كما يقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[(١)].

وكانت النساء قبل الحجاب يخرجن بلا جلباب، يرى الرجل وجه وكفي المرأة، وكان إذ ذاك يجوز لها أن تظهر الوجه والكفين، كما يجوز النظر إليها؛ لأنه يجوز لها إظهارها، لكن لمّا نزلت هذه الآية، حُجب النساء عن الرجال، والجلباب هو الملاءة أو الإزار أو الرداء يغطي الرأس وسائر البدن فلا يظهر إلا العين وقد كانت النساء ينتقبن بعد نزول آية الحجاب[(٢)].

كما حثَّت السنة النبوية على الحجاب فعن عائشة < قالت:

"يرحم الله نساء المهاجرات الأُول لما أنزل الله: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ﴾ شققن مروطهن فاختمرن بها"[(٣)].

وعن صفية بنت شيبة < : أنَّ عائشة < كانت تقول: لما نزلت هذه الآية ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ﴾، أخذن أُزرهن فشققنها من قبل الحواشي فاختمرن بها"[(٤)].

وبالرغم من أنَّ طه حسين لا يرى فرضية الحجاب، إلا أنه استحسن حرص الإسلام على حماية المرأة وحرصه عليها في حظر الخلوة بين الرجل والمرأة، كما استحسن حظر الإسلام على المرأة سفرها بلا محرم؛ لما في ذلك من عناية بأمرها ورفعة من شأنها، إلا أنه وفي الوقت نفسه لا يقرُّ بالحجاب ووجوبه يقول:

"لا فرق بين المرأة والرجل في الحرية، وكلاهما مأمور بمكارم الأخلاق منهيٌّ عن مساوئها، محظور عليه أن يتعرَّض لمظانِّ الشبه، فالمرأة لا تخلو بالأجنبي ولا تسافر

---

(١) سورة الأحزاب: ٥٩.

(٢) يراجع، مجموع الفتاوي، لابن تيمية، جـ٢٢، ص١١٠وما بعدها.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، تفسير سورة النور، باب ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ﴾، حديث رقم ٤٧٥٨– ٤٧٥٩، ص١٠١٠. والآية من سورة النور: ٣١.

(٤) المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة.

وحدها، ولا تتبرج تبرُّج الجاهلية الأولى، ولها بعد ذلك أن تفعل ما تشاء في غير إثم ولا لغو، لها أن تطرح النقاب وترفع الحجاب، وتتمتّع بلذات الحياة كما يتمتّع الرجل، وليس عليها إلا أن تقوم بما أخذت به من الواجب لنفسها وزوجها والنوع الإنساني كافة"[1].

تقول الأستاذة منيرة القاسم:"إن الله ﷻ عالم بطبيعة مخلوقاته، فقد أوجب الحجاب درءاً للفتنة والفساد، لكن يباح للمرأة أن تظهر زينتها وجمالها في محيط النساء وبين المحارم وباعتدال أيضاً - لأن الإسراف ممقوت في كل الأحوال - والمتتبع لأحوال النساء يلاحظ أن السفور والتبرج متلازمان فمتى سارت المرأة سافرة، فإنها ولا بد ستتخذ أشكالاً شتى من الزينة، سواء في ملبسها، أو شعرها وأصباغ وجهها وأظافرها، أو الروائح المختلفة التي تتعطَّر بها، إلى غير ذلك من هذه الأمور"[2]

ولم يكتف طه حسين بقوله السابق الذي ينكر فيه فرضية الحجاب، بل أكَّده في مقالة أخرى محاولاً إثبات ذلك عن طريق الجدل العقيم لا الحجة والبرهان، يقول راداً على من قال بأن السفور مفسدة لأنه سبيل إلى الخلوة بالأجنبي:

"ولنا في ردِّ ذلك سبل ثلاث:

الأولى: أنَّ الحجاب لا يدرأ المفسدة.

الثانية: أنَّه سبيل إليها.

الثالثة: أنَّه آية فساد الأخلاق في الرجل والمرأة".

ومن هذا يتضح موقف طه حسين من الحجاب والغريب أنه يرى منه وسيلة إلى الفساد!!

"وهذا طعن صريح وواضح لسنَّة من سنَّ هذه الشريعة، وإنكار ورفض لحكم من أحكام الله، فمنذ متى كان الحجاب طريقاً إلى المفسدة، وأي مفسدة تلك التي تحاول

---

(١) سلسلة مقالات في مجلة الهداية، سنة ١٣٢٩هـ - ١٩١١م، لصاحبها: عبدالعزيز جاويش، مقال بعنوان (كلمات في المرأة) لطه حسين، نقلاً عن: طه حسين الشاعر الكاتب، ص١٣٩.

(٢) تربية المرأة بين المودودي وطه حسين، ص١٥٦.

المرأة أن تحجب نفسها، وجمالها، وعفتها، عن أعين وأسماع الرجال، أي مفسدة تلك التي تحفظ فيها المرأة كرامتها وعفتها وحياءها من أي خدش، ومنذ متى كانت المفاسد تأتي عن طريق التمسك بأحكام الله وتطبيقها؟

والبدهي الذي لا يخفى على أحد أن المفسدة لم تأت إلا عن طريق العرض السخيّ الذي تعرضه الفتيات والنساء ممن لا يربطهن بالفضيلة والحياء رباط، عرض للمفاتن، واستفزاز للشهوات عن طريق التبرج والسفور، والنتائج التي وصلت إليها تلك المجتمعات التي انحلَّت فيها قيود الآداب والأخلاق مقرونة بتلك العروض الرخيصة من قبل النساء، هي أكبر دليل على أن المفاسد لم تكن إلا نتيجة الابتعاد عن حكم الله ونقض أحد أركانه والحجاب أحدها"[1].

أما قوله بأن الحجاب آية فساد الأخلاق في الرجل والمرأة: فهو قول شاذ لا يقبله عقل ولا منطق، فإن الحجاب دليل على عفة المرأة وتقاها وصلاحها، وتمسكها به دليل على وعيها وفهمها لأمور الدين وتعاليمه، فالمرأة الصالحة لا ترتضي لنفسها بالسفور والتبرج، كما أنَّ الرجل الصالح يحرص على أهل بيته، فهو يحثُّهم على مكارم الأخلاق وفضائل الآداب فمن المغالطة قلب الأوضاع والادِّعاء بعكسها؛ فالحجاب آية للصلاح والهداية للمرأة والرجل، ونقيض ذلك هو علامة الفساد والانحراف"[2].

بل إنَّ طه حسين يشطح به فكره كثيراً عندما يزعم أنَّ الحجاب وسيلة صناعية لاتقاء الشر، وأنه لا يصلح إلا للشَّواذ من الأفراد"[3].

والحجاب ليس كذلك كما يزعم بل هو حكم شرعي من أحكام الله تعالى، ما شرعه المولى -سبحانه- إلا حصناً منيعاً لحفظ المرأة، وأداة لدفع الأذى عنها، وتكريماً لقدرها، ورفعة لمكانتها.....

---

(١) المرجع السابق، ص١٥٧.

(٢) يراجع: نفسه، ص١٥٧وما بعدها.

(٣) مجلة الهداية سنة ١٣٢٩هـ-١٩١١م، نقلاً عن: طه حسين الشاعر الكاتب، ص٢٤٢.

ثم من هم هؤلاء الشواذ في نظر طه حسين؟!

هل هنَّ العفيفات الشريفات؟ وهنَّ في الحقيقة لسن شواذًّ، أم هنَّ الفاسدات الفاجرات؟ اللاتي لم يردعهنَّ حياءهنَّ وخوفهنَّ من الله عن الانحراف، فكيف بالحجاب يتخذ وسيلة لإصلاحهنَّ وتهذيبهنَّ؟![1]

ويعتقد طه حسين أنَّ الحجاب وسيلة لأعمال الشر يقول: "إنَّ الحجاب سبيل من سبل النفاق، وأنه يجري تحته من السيئات والآثام ما لو ظهر لنا لاستطعنا علاجه"[2].

ويقول في موضع آخر: "لاشك في أنَّ الحجاب بطبيعته مبغض إلى نفس المرأة ممقوت منها؛ لأنه تقييد لحريتها الفطرية التي لم تستند إلى حجة من عقل أو دين، ومما لا شك فيه أنَّ عوامل السوء التي تدفع المرأة إلى اقتراف الإثم أقوى من الحجاب، لأنها صادرة عن النفس بعد إتقان الحيلة وتمهيد السبيل، فإذا كان للحجاب عمل ظاهر فإنما هو إخفاء الشر، وإسدال الستر عليه"[3].

وطه حسين في أقواله يستند إلى مسلَّمات ثلاث وهي:

- أنَّ الحجاب يتعارض مع حرية المرأة.

- أنَّ هناك دوافع شريرة عند المرأة أقوى من الحجاب.

- أنَّ الإسلام يأتي بالحجاب دون أن يسبقه أو يصاحبه إعداد وتربية خاصة ولمناقشة هذا نود أن نقول:

- إنَّ من الخطأ أن يربط المرء بين حرية المرأة وبين حجابها، لأنَّ الحجاب إن لم يكن هو طريق حريتها ونهضتها فإنه لن يكون تقييداً لها، فالحرية التي أعطيت للمرأة في الإسلام مستمدة من نظرة الإسلام إلى الإنسان باعتباره خليفة.

---

(١) يراجع: تربية المرأة بين المودودي وطه حسين، ص١٥٨.

(٢) طه حسين الشاعر الكاتب، ص١٤١، مجلة الهداية، نقلاً عن: طه حسين الشاعر الكاتب، ص١٤١.

(٣) نفسه، الصفحة نفسها.

ويشير القرآن الكريم في آيات عديدة إلى حرية الإنسان، ومن ضمنها حرية المرأة، ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾[1].

فالحجاب ليس جزءاً من الطبيعة الإنسانية لكنه وسيلة تربوية هادفة تعين المرأة على اختيار السلوك الصحيح، لذا يعجب المرء من ربط طه حسين بين طرح الحجاب وبين حرية المرأة، فالمرأة متى تركت حجابها ومن ثم طهرها وحياءها وعفتها فإنها لا شك تتهاوى في الرذيلة والفساد.

أما فيما يتعلق بدوافع الشر لدى المرأة، فنقول إن الإنسان مفطور على الخير مصداقاً لقوله عليه الصلاة والسلام: **"ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه"**[2].

فنفسية المرأة نقيَّة في الأصل، أمَّا الانحراف في مسلكها فأمر طارئ يحدث لأسباب شتى، وقد فرض الله الحجاب من أجل دفع الإثم والسوء، فالإسلام قبل أن يأمر بالحجاب طهَّر النفس وحصنَّها بقوة الإيمان وصفاء العقيدة، وغذَّى العقل والروح بالعلم والإيمان، فالأصل في الحجاب أن يصون المرأة وأن يجنِّبها مواطن الريبة. من هذا يتضح خطأ قول طه حسين: إن الحجاب يمهد السبيل أمام اقتراف الآثام، قد تقدم بعض النساء الشواذِّ باتخاذ الحجاب وسيلة لتحقيق غايات لا تتفق مع تعاليم الإسلام، لكن هذا لا يُغيِّر من صحة القاعدة الأساسية، ولو صحَّ ما يقوله طه حسين لوجب تحريم شرب الماء أو ما شابهه، لأن بعض الناس يشرقون من شربه فيموتون"[3].

وممَّا يؤكد صحة ما يدعو إليه الإسلام أن غالبية المجتمعات الوضعية لا تلتزم نساؤها بالحجاب، وتستطيع المرأة فيها أن تمارس الرذيلة بدون حرج، فهل أدّى ترك الحجاب إلى الحشمة وإلى العفة؟!

---

(١) سورة البلد: ١٠.

(٢) صحيح مسلم، جـ٨، ص٥٢.

(٣) يراجع، تربية المرأة، ص١٦١-١٦٣.

وطه حسين يعتقد أنَّ آثار الحجاب السيئة لا تقف عند حدود المرأة بل تتعداها وتصل إلى الرجل، فالعلاقة الزوجية في بيت تلتزم فيه المرأة بالحجاب متوترة يسودها الشك والريبة، ويصوِّر تلك العلاقة فيقول: "إنَّ الحجاب مجلبة لسوء ظن الرجل بزوجته، والمرأة بقرينها إذا كان لأحدهما حظ من علم أو نصيب من معرفة، فليس مصدر الحجاب من الرجل إلا الأثرة واحتقار المرأة بسوء السيرة نفسها، وليس مصدر خضوع المرأة للحجاب إلا سوء ظنها بنفسها، وضعف عزيمتها وغلوها في الخوف من الرجل، ولا شك في أن هذا كله لا ينتج أقل من البغض والنفور بين الزوجين"[(١)].

وهذا والله نَكْسٌ للحقائق وقلب للموازين، فمتى كان الحجاب مجلبة لسوء الظنَّ بين الزوجين، والواقع خلاف ذلك، إذ كيف يسيء الرجل الظنَّ بزوجته وهي تحجب نفسها عن أعين الغرباء؟ كيف يسيء الظنَّ بزوجته وهي تحفظ نفسها وعفتها وطهرها وكرامتها ابتغاء مرضاة الله ثم مرضاة زوجها؟ إنَّ سوء الظنَّ أولى بالرجل الذي تخرج زوجته متبرجة بتبرج الجاهلية الأولى، وتخلو بالرجال وتختلط بهم.

إنَّ طه حسين ينظر إلى الحجاب نظرة جاهلية تشاؤمية، فالحجاب في نظره امتهان للمرأة واحتقار لها وأنانية من الرجل، ومصدر سوء في سيرتها، والمرأة متى خضعت للحجاب، فذلك نتيجة لسوء ظنها بنفسها وخضوعها وخوفها من الرجل، وذلك كله لا ينتج إلا التباغض والنفور بين الزوجين.

ولكنَّ الله ﷻ وهو خالق عباده، العالم بنفوسهم وطبائعهم، وما يضرُّهم وينفعهم، وقد جعل منهم الأزواج وأوجد بينهم المودة والرحمة، ولو كان في الحجاب مضرة للمرأة أو الرجل - كما يزعم طه حسين - لما أمر الله به أصلاً[(٢)].



(١) مجلة الهداية العدد السابق، نقلاً عن: طه حسين الشاعر الكاتب، ص١٤٢.

(٢) المرجع السابق، ص١٦٣ وما بعدها.

المبحث الثاني: المخالفات المتعلقة بالموسيقا والغناء والرقص

دعوته إلى سماع الموسيقا والغناء والرقص والتمثيل:

من المخالفات الشرعية التي وقع فيها طه حسين وشجَّعها الموسيقا وما يتبعها من سماع الغناء والرقص، وكذلك التمثيل؛ فطه حسين مغرم بالموسيقا إلى حد كبير، وطالما ذكرها في مؤلفاته ومقالاته، وخاصة عندما يكون الحديث عن حبيبته (فرنسا) يقول عن أحد الملاهي في باريس:

"أريد الليلة أن أضحك، وأن أضحك في انتفاع واستفادة. فما هي إلا أن أقصد إلى أحد الملاعب، أو إلى أحد هذه الملاهي التي لا توجد إلا في فرنسا، بل لا توجد إلا في باريس، وإذا أنا أمام طائفة من الأغاني الهجائية فيها ألذ ما يُسمع ويُضحك، ويدعو إلى التفكير والعبرة والعظة"[(1)].

وفي موضع آخر يقول: "بالقرب من السوربون يقوم ملهى يسمى Les لا أستطيع أن أذهب إلى باريس دون أن أزوره، وقد زرته هذه السنة، فمهما أقل فلن أستطيع أن أصف لك ما وجدت فيه من لذة مضحكة باعثة على التفكير، وليس في هذا الملهى شيء غريب.

وإنما هم جماعة من المغنيين الهازلين يتعاقبون أمامك، يسمعك كل منهم طائفة من الأغاني لا جدّ فيها، أو قل كلها جد، ولكنها صيغت في صيغة الهزل، وقد أرادت المصادفة أن أصل إلى باريس هذه السنة بعد انتهاء الانتخابات البرلمانية، وأن تكون الأغاني التي تسمع في هذا الملهى كلها متصلة بالحياة الفرنسية السياسية"[(2)].

كما يقول واصفاً بعض القطع الموسيقية: "ولقد كانت القصة الموسيقية التي

---

(1) القصر المسحور، طه حسين، ص٢٤٥.

(2) نفسه، نفس الجزء والصفحة.

شهدتها أمس أثراً من آثار (الأودسا) اجتمع فيه جمال الشعر وجمال الموسيقا وجمال الغناء وجمال الفن الآلي في التمثيل، فكنت تجد لذة لا تعدلها لذة حين تسمع أصوات الآلات الموسيقية وألحانها واختلاف نغمها الذي كان يرق حتى لا يكاد يسمع وكان يغلظ حتى يكاد يصم السامعين. وكنت تجد لذة لا تعدلها لذة حين تسمع هذه الأصوات الإنسانية العذبة الرخيمة تمازج نغم الموسيقا متغنية بهذا الشعر الجميل الرقيق الذي يمثل أرق العواطف الإنسانية وأصدقها وأدناها من الوفاء والحب والإخلاص. وكنت تجد لذة لا تعدلها لذة حين تسمع هذا كله وتنظر إلى مسرح التمثيل فترى هذه الجزيرة اليونانية القديمة كما وصفتها (الأودسا) في جمالها القديم الرائع الذي يزيده بهجة وسحراً ما اتخذ الممثلون من أزياء وما اصطنعوا من آنية ومتاع. كنت تجد لذة لا تعدلها لذة حين كنت تسمع ما تسمع وترى ما ترى، ولم يكن ينغص عليك هذه اللذة إلا أنها كغيرها من جميع لذات الحياة قصيرة محدودة المدى لن تتجاوز ساعة أو ساعتين.

ذلك فيما أعتقد أخص ما تمتاز به اللذة الحقيقية التي تملك عليك نفسك وعواطفك وتسحرك السحر كله"[1].

ويقول أيضاً: "عزيز عليّ أن أجهل الموسيقا، وأن يضطرني هذا الجهل إلى أن أتحدث إليك بجمال هذه القصة من الوجهة الموسيقية. ولكني إذا جهلت الموسيقا وعجزت عن الحديث فيها، فإني أحسها وأشعر بها وأستطيع أن أعلم أني سمعت شيئاً طربت له، أو سمعت شيئاً نفرت منه، وأشهد أني لم أنفر أمس بل إني لم أطرب أمس، وإنما سحرت سحراً ليس فوقه سحر...

إلى أن يقول:"كنت لا أشك في أن هذه القطعة الأخرى تمثل الضعف الذي ليس بعده ضعف، تمثل هذا الضعف الذي يسلبك كل قوة على المقاومة ويجعلك غير قادر إلا على أن تفتح جفنيك لتسقط منهما قطرات الدمع متتابعة منهمرة"[2].

---

(١) من بعيد، طه حسين، ص٣٢.

(٢) نفسه، ص٣٤.

بل يصل به هيامه إلى أن يسرح بعيداً مع الموسيقا حتى لا يكاد يشعر بمن حوله يقول:

"فأما إذا شهدت القطعة الموسيقية في (الأوبرا كوميك) لست أدري ماذا أضمن لك، وإنما أحدثك صادقاً بأني قضيت ليلة سعيدة كنت أحسبني أثناءها في عالم آخر، ولم أتنبه إلى أني في الأرض إلا حين سمعت ابنتي تتغنّى وتصيح، ورأيت ابني يعبث بمن حوله، وسمعت أمه تزجره وتنهاه"[(1)].

ها هو يصف المغنية الأمريكية هاريان أندرسون فيقول:"....إنها تغني في باريس، وإنها لا تمنح الباريسيين إلا ليلتين اثنتين، وإنها تغني في قصر شايو، وإن باريس كلها، من أقام فيها ومن طرأ عليها، تريد أن تسمعها، وإن الأماكن كلها قد احتجزت فلم يبق فيها مطمع لطامع ولا أمل لمشتاق. وكنت قد سمعت صوتها في الراديو وكنت به معجباً وأكثر من المعجب إن استطعت أن تجد لفظاً يؤدي ما فوق الإعجاب. فأزمعت أن أسمع لها مهما يكلفني ذلك من الجهد ومهما يحملني من المشقة ومهما يفرض عليّ من العناء"[(2)].

وفي موضع آخر يقول عنها: "... ولكنها على ذلك لا تكاد ترفع صوتها بالغناء حتى تنشر من حولها ضياءً باهراً وجمالاً ساحراً وفتوناً يختطف القلوب ويستهوي النفوس ويعبث بالألباب"[(3)].

ويقول أيضاً وقد أحاطها بهالة من الصفات الجليلة والسمات الجميلة:"وهي إلى ذلك كريمة النفس وسخية الطبع، سمحة الخلق، حلوة الشمائل، عذبة الروح، لا تعرف البخل ولا تتعلل على السائلين، وإنما تعرف أن الله قد منحها الفن لتملأ به قلوب الناس حباً وعطفاً ورفقاً وحناناً وطموحاً إلى المثل العليا وسمواً إلى الجمال، ورغبة في التنزه عن أوضار الحياة والتخفف من أثقالها والترفع عن نقائصها والتبرؤ من سفاسفها، فهي

---

(١) المرجع السابق، ص٣٧.

(٢) من لغو الصيف إلى جد الشتاء، طه حسين، ص٣٩٩.

(٣) نفسه، ص٣٩٨.

تمنحهم من هذا النعيم ما وسعها المنح ولا تصد عن السائلين إلا حين لا تجد إلى الإقبال عليهم سبيلاً"[1].

وهكذا ينظر طه حسين إلى الغناء والفن أنه من المثل العليا والمبادئ السامية، وأنه ترفع عن نقائص الحياة وتبرؤ من سفاسفها؛ فليت شعري إذا كان الفن بهذه السمات العالية، وإذا كان الغناء في نظر طه حسين بهذه الرفعة والعلوّ فأين سفاسف الأمور، وأين نقائص الحياة؟!

و من فرط إعجابه بهذه المغنية الأمريكية وهي تغنِّي يقول: "وما أحب أن يطيش بي الإعجاب فأندفع إلى حماسة لا قصد فيها ولو قد فعلت لما أخطأت القصد، وما زلت أغبط ذلك الفرنسيِّ الذي استخفَّه الطرب حين انتهى الشطر الأول من الغناء، فوثب من كرسيِّه وسعى في تؤدة متكلفة حتى بلغ المغنيَّة فقدَّم إليها باقة من الزهر، وانحنى على يدها فقبَّلها في خشوع"[2].

كما يقول في موضع آخر:"والشيء المهم هو أن إقبال الفرنسيين والباريسيين منهم خاصة على شهود التمثيل والسينما وما يعرض في الملاهي من أنواع الرقص والغناء والموسيقى؛ ينشئ لهم جواً حراً طليقاً، يتيح لهم أن يرتفعوا عن كثير من الصغائر، وأن يتنزهوا عن كثير من النقائص، وأن يستمتعوا بمزاج متعدد يعصمهم من الشطط في تقدير الأشياء والحكم عليها، ويحول بينهم وبين هذا الفراغ الذي يورث الأثرة ويدفع إلى الغرور، ويورط في كثير من الرذائل والآثام. فالرجل الذي يعمل وجه النهار ليرضي حاجته إلى العمل، ويقرأ آخر النهار، وكلما يسّرت له القراءة، ليرضي حاجته إلى المعرفة، ويشهد التمثيل ومعارض الفن ويسمع للغناء والموسيقا ليرفه على نفسه ويرضي ذوقه؛ هذا الرجل خليق ألا يفرغ لنفسه هذا الفراغ المنكر، وألا يؤثر نفسه هذا الإيثار البغيض، وألا يهدر حق غيره كما لا يحب أن يهدر أحد حقه، وأن يكون رأيه في الناس وفي الحياة معتدلاً مستقيماً غير ذي عوج ولا التواء. وكل ذلك ينشئ بيئة سمحة قوامها الأدب

(١) المرجع السابق، ص٣٩٩.

(٢) نفسه، ص٤٠١.

والمجاملة وحسن العشرة وكرم المخالطة"[1].

وهكذا يصبح الرقص والتمثيل والغناء والموسيقا في نظر طه حسين من معالي الأمور، ويصبح الاشتغال بمثل هذه التوافه يهيئ للمرء مزاجاً معتدلاً يستطيع معه تقدير الأمور والحكم عليها.... فليت شعري إذا كانت هذه الخلاعة والمجون من معالي الأمور فأين سفاسفها، إن هذا ليذكرني بقول الرسول ﷺ: **"تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً، فأيُّما قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء، وأيُّما قلب أُشربها نكتت فيه نكتة سوداء حتى تكون القلوب على قلبين قلب أبيض كالصفا لا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض، وقلب أسود كالكوز مجخِّياً مرباداً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أُشرب من هواه"**[2].

وقد أشاد طه حسين بالفن وأهله كثيراً، سواء أكانوا ممثلين أم مغنيين أم غير ذلك، كما قال عن الممثلة اليهودية (سارة برنار) - وقد سبق ذكر هذا النص -: "...كنت أذكر مصر وأسأل نفسي: متى يتاح لمصر نابغة كـ (سارة برنار)، أو على أقل تقدير، متى يبلغ أهل مصر من الرقي العلمي والخلقي ما يمكنهم من أن يقدروا نابغة كـ (سارة برنار)؟ لم تنبغ في السياسة، ولا في الدين ولا في العلم، وإنما نبغت في التمثيل الذي يزدريه أكثر المصريين، ويفهمه قليل من المصريين على غير وجهه، ولا يفهمه حقاً بين المصريين إلا نفر يكادون يحصون"[3].

وكثيراً ما كان يستمع إلى الغناء والموسيقا في بلده وخارجها، وخاصة في فرنسا، برفقة أسرته، وقد ذكرت زوجته ذلك في أكثر من موضع في مذكراتها، ومن ذلك قولها: "كان بوسعنا الاستماع للموسيقا على نحو خاص، وكان ذلك نعمة، فقد استمعنا من فرقة ألمانية إلى (دون جوان) وإلى (فيدليو)؛ وقد دهش من سلوك طه الذي كان

---

(١) رحلة الربيع والصيف، طه حسين، ص١٨٤.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً....، حديث رقم ١٤٤، ص٨٦.

(٣) من بعيد، ص٢٣.

مفتوناً، غائباً كلياً عن القاعة وعن كل ما كان يحيط به، منفعلاً حتى النهاية بحيث إنه لم يحاول أن يفهم كلمة واحدة من النص، مستسلماً بكليته لهذه الموسيقا القوية العذبة"(١).

وفي موضع آخر تقول:"واستمعنا ذات مساء في رواق كنيسة سانتا كروتشه إلى السيمفونية الرابعة لبراهمز بقيادة د/ ميتروبولوس، هل يجب عليّ أن أقول إن ذلك كان خارق الجمال؟!

وفي الليل أيضاً عزفت موسيقا أخرى في ساحة أنونتسياتا. وكنا نسمع من وقت لآخر صوت قطرات المياه الرقيق...موسيقا، في مكان آخر أقل قداسة أيضاً: في المسرح البلدي وفي إطار احتفالات (شهر مايو الفلورنسي)....."

وهناك الكثير والكثير من الأمثلة على شهوده بعض الحفلات الغنائية كما تحكي عنه زوجه في مذكراتها. ناهيك عن خطورة الدور الذي قام به في بلده حيث أنشأ – بحكم منصبه – معهداً للتمثيل والرقص، – كما أسفلت – عند الحديث عن الاختلاط(٢).

والغريب أن يسعى طه حسين إلى مثل هذه الأمور التي تنافي الخلق القويم والعقل السليم؛ وهو الذي نشأ في بيئة مسلمة ريفية أبعد ما تكون عن هذه الترَّهات، ودرس في الأزهر، ولا يبعد أن يكون قد عرف الحكم الشرعي للغناء والموسيقا وما شابه ذلك....والآيات على حرمة الغناء كثيرة ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾(٣).

وقد سئل ابن مسعود ﷺ عن ذلك فقال: "الغناء والذي لا إله غيره"(٤).

---

(١) معك، سوزان طه حسين، ص١١٣ وما بعدها.

(٢) عند الحديث عن الاختلاط. وراجع: ص٣٨٥.

(٣) سورة لقمان: ٦.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه عند تفسير قوله تعالى: (ومن الناس من يتخذ لهو الحديث ليضل عن سبيل الله...) الآية ٦ من سورة لقمان، جـ٤، ص٣٦٨، وأورده الشوكاني في كتاب الجهاد والسير أبواب السبق والرمي، باب ما جاء في آلة اللهو، جـ٨، ص٢٦١.

كما نهت السنة المطهرة عن الغناء والمعازف فعن عبدالرحمن بن غنم قال: حدثني أبو عامر، أو أبو مالك الأشعري، أنه سمع النبي ﷺ يقول: **"ليكوننّ من أمتي قوم يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف"**[1].

وغيرها من الأحاديث الواردة في هذا الشأن.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأشربة، باب ما جاء في من يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه، حديث رقم ٥٥٩٠، ص١٢٠٥.

المبحث الثالث: المخالفات المتعلقة ببعض العادات الغربية المحرمة

مثـــــال:

حفلات عيد الميلاد:

نظراً لاحتكاك طه حسين بالكثير من الغربيين وعلى رأسهم زوجه (سوزان) وبعض أصدقائه من المفكرين والفلاسفة؛ فقد أثمر هذا لديه بعض العادات والسلوكيات الغربية المحرمة، ومن ذلك قيامه بحفلات عيد الميلاد إذ كان يقوم بهذه الحفلات إما له أو لأولاده، ومن ذلك ما حكته زوجه في مذكراتها كقولها:

"اليوم عيد ميلاد ابننا. سرعان ما أحب طه حتى العبادة هذا الصبي الذي منحه الكثير من الأفراح وفخراً يبقى رصيناً على الدوام، ثم لم يستطع أحد أن يجعل طه يضحك من أعماق قلبه مثلما عرف هذا الصغير..." (1)

تربية الكلاب:

كذلك من العادات الغربية المحرمة التي ورثها طه حسين عن المجتمع الأوربي تربية الكلاب حيث كان له كلب يدعى (عنتر)، تقول زوجه في مذكراتها:

"وفي هذه الاجتماعات كان ثمة شخصية تدعي لها حقوقاً، وأعني بها عنتر، كلب ابنتي الضخم، كان عندما يتوصل إلى دفع باب بقوة يدخل مبعثراً كل شيء في طريقه، وكان دريتون يقول: "هو ذا الأسد" كان هذا الأسد يحب الكاهن لكنه كان يخص مع ذلك بحنانه العظيم طه...." وفي موضع آخر تقول واصفة مراسم التحية ومشاعر الحب المتبادلة بين طه وهذا الكلب: "وكان كل صباح يصعد إلى غرفة طه، وبعد أن يبذل كل جهوده في تحيته والتعبير عن عاطفته، فإنه يقاسم طه فطوره بدقة رياضية: قطعة خبز لطه وقطعة أخرى له، فإذا أخذ طه قطعتين، فإن عنتر كان يتناول أيضاً قطعتين. ولم يكن

---

(1) معك، سوزان، ص١١٧.

يطلب زيادة على الإطلاق، وقد قام ذات يوم بفاصل عاطفي فيما أظن، فقد اختفى اختفاءً كلياً خلال أربعة أيام لم نره فيها، وظننا أنه ضاع وكانت ابنتي تبكي كما غدا طه كئيباً، في حين لم يرضخ محمد الطباخ للأمر الواقع. وها نحن نجد ذات صباح على سور الحديقة كلب شارع مسكين يرافق بحنان عنتراً مثيراً للرثاء، قذراً، مسلوخاً، مخبولاً. فأخذناه وأصلحنا من حالته، وعدنا للاهتمام به"[1].

من هذا يتبين إلى أي حد ذابت شخصية طه حسين في هذا المجتمع الغربي إلى درجة تربية الكلاب التي بيّن الشرع الحنيف خطورتها على دين المسلم حيث يقول الرسول ﷺ في هذا الشأن: "**لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا تصاوير**"[2]. ويقول ﷺ أيضاً: "**من أمسك كلباً فإنه ينقص كل يوم من عمله قيراط إلا كلب حرث أو ماشية**"[3]. وليس أغلى وأثمن على الإنسان المسلم من حسناته التي سيترتب عليها نجاته في الآخرة أو هلاكه؛ ولكن من يدرك هذا ومن يستشعره؟!

التسمية بأسماء الكفار:

كان لطه حسين بعض السلوكيات الخاطئة التي تدل على شدة تعلّقه بأوروبا، ومن ذلك تسمية ابنيه بأسماء أجنبية إلى جانب أسمائهم العربية، حيث كان يدعو أمينة بـ (مارجريت) وابنه مؤنس بـ (كلود) [4] وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على عمق أثر زوجته الفرنسية على أسرتها حتى إن كان الأب عربياً مسلماً!!

يقول الدكتور البهيتي واصفاً البيت الذي عاش فيه طه حسين: "وقد قضى طه

(١) معك، سوزان، ص١٢٨.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء... الخ، برقم ٣٢٢٥، ص٦٦٠، وأخرجه بألفاظ متقاربة برقم ٣٢٢٤، ص٦٥٩، وبرقم ٣٢٢٦، ورقم ٣٢٢٧، ص٦٦٠.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب إذا وقع الذباب في شراب أحدكم......إلخ، حديث رقم ٣٣٢٤، ص٦٧٦، وفي كتاب الحرث والمزارعة برقم ٢٣٢٢، ص٤٥٨، وأخرجه مسلم، كتاب المساقاة والمزارعة، باب الأمر بقتل الكلاب وبيان نسخه...، رقم ١٥٧٤، ص٨٤٨ وما بعدها.

(٤) يراجع: طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام، أنور الجندي، ص٦٥.

حسين عمره الطويل في هذا القالب الحديدي: بين امرأة نصرانية، وسكرتير مسيحي لا يغيب طه حسين عن عينه، وولدين هما (كلود)و (مارجيت) لا يناديهما الأب أو الأم أو السكرتير أو الخادم إلا بهذين الاسمين. وأشهد ما سمعت شخصاً ينادى باسم إسلامي في هذا البيت إلا طه حسين ومحمد الخادم الأسود!!" (١)

۞ التدخين:

ومن السلوكيات الخاطئة التي كان يمارسها عادة التدخين وكثيراً ما التقطت له بعض الصور التي شوهد فيها وهو يدخّن وبجانبه بعض الشخصيات رجالاً كانوا أم نساءً!!

(١) طه حسين الجريمة والإدانة، جابر رزق، ص١٠٣، ط: بدون، دار الاعتصام، بدون.

المبحث الرابع: المخالفات المتعلقة بالفحش في القول والبذاءة في الوصف

لا تخلو كتابات طه حسين وخاصة في قصصه المترجمة من فحش في القول وبذاءة في الوصف، ولقد أكثر من هذا في كتابه (حديث الأربعاء) ولولا شدة الحاجة إلى إثبات ذلك من كتاباته لما طاوعني قلمي على تسطير هذا الكلام الفاحش، ومن ذلك قوله: في قصة الفيلسوف العاشق:"وزارها الفيلسوف ذات يوم فإذا هي متعبة تلقى من الآلام جهداً شديداً فتحدَّث إليها وأطال الحديث، واطمأنت هي إليه اطمئناناً شديداً، فلما نهض لينصرف اختلس قبلة من فمها،...."[1]

وقوله: "وزارته ذات يوم وهي مكدودة قد أجهدها المرض، واشتدت بها الحمّى فلما انتهت إلى البيت استلقت على وسادة ونظر إليها هو وإن في عينيه لحبّاً لا حد له، وشهوة لا حد لها......" [2]

ويقول في: (صور من المرأة في قصص فولتير):"وقد نشأ (كانديد) في نفس القصر الذي نشأت فيه (كونيجوند)، وأحبَّها وأحبَّته، والتقيا ذات يوم فأسقطت (كونيجوند) منديلها، والتقطه (كانديد) فردّه إليها، ثم التقت الشفاه واضطرمت الأعين واصطكَّت الركب وضلَّت الأيدي"[3].

و في قصته (أحلام شهرزاد) التي احتوت على الكثير من التعبيرات المخلة بالآداب التي شجّعت على التحلّل والمجون يقول واصفاً حال شهرزاد مع الملك شهريار: "إنها تختلس إليه بين وقت ووقت نظرات كأنها السهام... فيها الكثير من العطف وفيها الكثير من الإغراء الذي يثير الطمع"[4].

---

(١) ألوان، ص٥٤٢.

(٢) نفسه، ص٥٤٣.

(٣) نفسه، ص٤٦٩.

(٤) أحلام شهر زاد، طه حسين، ص١٤.

ويقول أيضاً: "قالت في صورة العاتبة وقد مالت إليه تُقبّله....." [1] ويقول: "قال وقد أدار ذراعه حول خصرها اللطيف الرخص...." [2] وقوله: "وإذا العاشقان يلتقيان فيتعانقان...." [3] "وهي تميل إليه مترفقة فتضع على جبهته قبلة حلوة حارة...." [4] وقوله: "وأحاطت عنقه بيدها ثم أَمالته في رفق حتى وضعت رأسه على كتفها وظلّت تنظر إليه وهو ينظر إليها وهما مغرقان في صمت عميق" [5].

ثم يقول: "وتنعطف إلى الملك تقبِّل جبهته مرة أخرى ثم تقيمه حتى إذا استوى في مجلسه جعلت تمر أصابعها في شعره رفيقة له باسمة مطيلة النظر إليه صامتة " [6].

ويقول عن الممثلة سارة برنار: "... إنها أحدثت في التمثيل ما لم يحدثه أحد قبلها، فكانت تلعب بجسمها كله أي أنها كانت تحقق ما تمثله، فلم تكن تخيل إلى الناس أنها تلثم أو أنها تعانق، وإنما كانت تلثم وتعانق بالفعل، وكانت تفعل ما هو أبلغ في الدهشة من اللثم والمعانقة..." [7]. وفي (رحلة الربيع والصيف) يقول عن النساء في باريس: "... أما النساء فلهن منطق معقول:

هن متجردات في النهار على الساحل، ومتجردات في الليل إذا أقبلن إلى الكازينو، ولكنهن لا يظهرن من أجسامهن في الليل ما يظهرن في النهار، إنما يظهرن في النهار نصفاً، وفي الليل نصفاً آخر: للنهار الأعجاز، والليل الصدور" [8].

---

(١) المرجع السابق، ص٥١.

(٢) نفسه، ص٥٣.

(٣) نفسه، ص٧٧.

(٤) نفسه، الصفحة نفسها.

(٥) نفسه، الصفحة نفسها.

(٦) نفسه، الصفحة نفسها.

(٧) من بعيد، ص٢٦.

(٨) القصص والروايات، ص٢٦٤.

وفي (صوت باريس) يقول في قصة (سعادة اليوم):"...وصاحبها يحبها وخلوتهما ضيقة محدودة، فلا بد من أن يتحادثا في الحب، ولا بد من أن يتبادلا هذه القُبل التي يتفنّن الخطيبان في انتهاز الفرص لها"[1].

ويقول أيضاً في (الإغواء):وانظر إليهما الآن يتحدثان في الحب حتى يغريهما الحديث بالقبل فيضمها إليه، وإذا هي قد لانت وضعفت...." [2]

ويكتب مقالاً بعنوان (في ملاهي باريس) وفي نهاية هذا المقال يلخص قصة شاهدها في ملعب (الباليه رويال) عنوانها (قبّلني)!! أقتطف منها هذا الجزء:"يعلن الفتى للمرأة حبه، فإذا هي تضطرب لهذا الحب اضطراباً عنيفاً، وإذا الحب قد أزال ما كان بينهما من مسافة مادية ومعنوية، وإذا هو يتجاوز القبلة، فإذا كان الصبح فهي آسفة نادمة تتقطع لوعةً وندماً لأنها اقترفت هذا الإثم مع رجل ليس من طبقتها، وهي تريد أن تأخذ نفسها بأشد أنواع العقوبة، تريد أن تزهد في الحياة وتذهب إلى الدير، والفتى بين يديها يعتذر ويستغفر ويعلن إليها في ضراعة ومذلة أنه سيبرح القصر حتى لا ترى وجهه البغيض، فإذا سمعت هذه الجملة غضبت غضباً لا حد له، وعنفت الفتى تعنيفاً ثقيلاً قائلة: أهكذا تريد أن تسليني عن هذه النكبة المنكرة؟ ثم فهمنا أنها تريد نوعاً آخر من التسلية وفناً آخر من فنون النسيان والعزاء"[3].

هذه هي التُرَّهات وأشباهها التي تدور حولها كتابات طه حسين، كما حشا كتابه (حديث الأربعاء) بأحاديث كثيرة عن اللهو والمجون ومجالس شرب الخمر والنساء والغزل فيهن، ومعظم قصصه ورواياته أبعد ما تكون عن الحياء والعفة، فهو تصوير دقيق للرذيلة والخيانة، وفيها من الألفاظ ما يحرك الشهوات ويثيرها عن طريق الوصف الفاضح للنساء وجمالهن ورقتهن وظرفهن، وما يصوره - وكأنه مشاهد - من العلاقات المحرمة بين الرجل والمرأة، وهي كتابات لا تسهم في إصلاح المجتمع أو النهوض به

(١) ص٦٤١.

(٢) نفسه، ص٥٦٦.

(٣) من بعيد، ص١٣٥.

بقدر ما تفسده وتجعله على هوة الهلاك، وكثير مما يترجمه من القصص بعيد كل البعد عن المجتمع المسلم العربي وعاداته وتقاليده كما أنه لا يلائم القارئ المسلم وذوقه ومبادئه وقيمه، فهو يترجم هذه القصص ترجمة حرفية بما فيها من مساوئ دون ذكر لسلبيات الكتب أو القصص أو النتائج الوخيمة التي أدت إليها تلك العلاقات الآثمة بين الجنسين.

هذا غيض من فيض مما كتبه في رواياته وقصصه المؤلفة والمترجمة، ناهيك عن سيل من الجرائم والخيانات الزوجية التي كانت تعجّ بها رواياته مع ما يتخلّلها من وصف بذيء للغاية لا يطاوعني قلمي على كتابته!!

ولا تكاد تجد قصة أو رواية تخلو من جريمة الزنا تحت مسمَّى الحب الناتج لعدم التوافق بين الزوجين، وبدلاً من أن يشجب ويستنكر هذا الفعل القبيح نجده يلتمس المعاذير للخائنين والخائنات...!!



مبحث: هل تراجع طه حسين عن آرائه؟

ذكر طه حسين كلاماً جميلاً عن القرآن الكريم حيث يقول:

"قد قلت في بعض أحاديثي عن نشأة النثر عند العرب إن القرآن ليس شعراً ولا نثراً، وإنما هو قرآن له مذاهبه وأساليبه الخاصة في التعبير والتصوير والأداء، فيه من قيود الموسيقا ما يُخيّل إلى أصحاب السذاجة أنه شعر، وفيه من قيود القافية ما يخيّل إليهم أنه سجع، وفيه من الحرية والانطلاق والترسل ما قد يخيل إلى بعض أصحاب السذاجة الآخرين أنه نثر؛ ومن أجل هذا خُدع المشركون من قريش، فقالوا إنه شعر، وكذبوا في ذلك تكذيباً شديداً؛ ومن أجل هذا خُدع كذلك بعض المتتبعين لتاريخ النثر فظنوا أنه أول النثر العربي، وتكذِّبهم الحقائق الواقعة تكذيباً شديداً، فلو قد حاول بعض الكتّاب الثائرين – وقد حاول بعضهم ذلك – أن يأتوا بمثله لما استطاعوا إلا أن يأتوا بما يضحك ويثير السخرية"[1].

وقد ذكر هذا أيضاً أحد تلامذته وهو الأستاذ حسين نصار حيث يقول: "...كلمة قالها الدكتور طه حسين...وأثارت مناقشات كثيرة، وهي مقولة عجبت لها حين اطلعت عليها في شبابي، ولا شك أن كثيراً من أمثالي شعروا نحوها بمثل ما شعرت به، بل جلبت على الدكتور طه حسين قدراً من السخرية، ثم جرت الأيام وازدادت مطالعاتي فلم أكتشف أن هذه المقولة تستند إلى أبعاد واسعة لما يفطن من عجب ومن سخر، قال الدكتور طه حسين في إحدى مقابلاته العامة: "تعلمون أن القرآن ليس نثراً كما أنه ليس شعراً، إنما هو قرآن، ولا يمكن أن يسمى بغير هذا الاسم، وليس شعراً وهذا واضح، فهو لم يتقيد بقيود الشعر، وليس نثراً لأنه مقيد بقيود خاصة به، ولا توجد في غيره، وهي هذه القيود التي يتصل بعضها بأواخر الآيات وبعضها بتلك النغمة الموسيقية الخاصة فهو ليس شعراً ولا نثراً، ولكنه كتابٌ أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم عليم، فلا نستطيع أن نقول: إنه نثر كما نص هو على أنه ليس شعراً، وكان وحيداً في ذاته لم يكن قبله

(١) الفتنة الكبري، طه حسين، ص٢٢٧.

ولم يكن بعده".

وقد أدت هذه المقولة بالدكتور زكي مبارك إلى أن عقّب عليها فيقول: "بلغني عن الدكتور طه هذه الكلمة، وأنا في باريس فحسبته يمزح والمزاح مما يباح، فلما عدت راجعته فوجدته يصرّ على أن الكلام ينقسم إلى ثلاثة أقسام شعر ونثر وقرآن، ثم قال: "والقرآن شاهد من شواهد النثر الفني ولو كره المكابرون"(١).

وذكر الدكتور زكي مبارك أن الدكتور طه حسين أخذ هذا الرأي من الأستاذ مارسل"(٢).

وطه حسين يُحمد على هذا الكلام النبيل بشأن القرآن الكريم الذي يوضح عقيدة طه حسين الصحيحه تجاه القرآن الكريم - والله أعلم -.

ولا أدري أقال طه حسين بهذا القول متابعة للمستشرق مارسيل - كعادته في النقل عن المستشرقين - أم لا .

وقد يكون هذا النص من طه أحد الأدلة التي استدل بها من قال برجوعه فقد تباينت الآراء حول رجوعه وتوبته قبل موته بين مؤيد ومعارض فمن الذين نفوا رجوعه وتوبته الأستاذ أنور الجندي حيث يقول: "ذلك خداع وباطل فإن الدكتور طه لم يغير آراءه مطلقاً؛ لأنه كما يقول الدكتور محمد نجيب البهيتي كان له حارس ديدبان يحول بينه وبين ذلك(٣)، هذا الحارس مقيم في بيته يلفت نظره دائماً إلى الخط المتفق عليه" إلى أن يقول: "أما القول بالتراجع فإن هناك من الأدلة ما يكذبه:

---

(١) طه حسين من جديد، إعداد محمد نوار، ص٦٣ وما بعدها، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٢) مستشرق فرنسي، ولد في باريس ٢٤ نوفمبر ١٧٧٦م، وتوفي في باريس ١١ مارس ١٨٥٤م، اشترك في تحرير جريدة الأنباء السياسية،. تعلم اللغات الشرقية كان ضمن الحملة الفرنسية على مصر عام ١٧٩٨، تولى إدارة مطبعة الحملة، كان عضواً في (معهد مصر) الذي أنشأه نابليون إبان حملته على مصر، جمع بعض المخطوطات والنقوش، نشر معاجم صغيرة ومختارات في اللغات الشرقية. يراجع: موسوعة المستشرقين، ص٥٢٨.

(٣) قصد به زوجته االفرنسية.

أولاً: إن أسلوب التراجع معروف، هو أن يعلن الكاتب أنه كان يقول بكذا ثم تبين له سوى ذلك، وأن يوقف على الفور ما له من مؤلفات في هذا الصدد.

ثانيا: أن يعلن أنه اتخذ هذا الأسلوب كوسيلة للعمل، ثم تبين له أنه لا ينتج وأنه تحول عنه.

ومثل الحالة الأولى الإمام الأشعري، ومثل الحالة الثانية الدكتور محمد حسين هيكل فهل تراجع طه حسين حقاً عن رأي من آرائه وهو حي، وأعلن ذلك؟ ذلك ما لم يحدث وهل يكفي أن يتراجع طه حسين عن رأي أو آخر في مُسَّارة خاصة مع صديق دون أن يوقف هذا الرأي عن الذيوع والانتشار. إن ذلك لا يكفي، بل إن هذا يؤكد إصرار الدكتور طه على الرأي وحرصه على أن يذيعه في الناس فيفسد به مزيداً من العقول والقلوب، لقد أشار الأستاذ جابر رزق في مقاله الذي نشرته مجلة الإذاعة أن طه حسين عدّل رأيه في الشعر الجاهلي بعد أن قرأ كتاب الدكتور أحمد الحوفي (الحياة العربية في الشعر الجاهلي) وقال: ما كنت أعلم هذا كله. وقال له الأستاذ إبراهيم مصطفى: لماذا لم تعلن رجوعك عن آرائك؟ فابتسم طه حسين وقال له: لا. لا. لا." (١)

وفي موضع آخر يقول الجندي: "بل إن طه حسين كان يحدِّث أصحابه في أحد مجالسه في السنوات الأخيرة عن القرآن ويقول: إنه لم يكن منقطاً فكان يُقرأ على وضع وعلى وضع آخر، وقد راجعه في هذا اللواء محمود شيت خطّاب وكشف زيفه في مجلسه وعلى رؤوس الأشهاد، وكان هذا في العمر الأخير الذي قيل زيفاً وكذباً إنه عاد فيه إلى الله وخرج عن خطيئة الصبا..

لقد كان طه حسين من بين جيله كله أشد إصراراً على آرائه إلى آخر لحظات حياته، لقد تراجع منصور فهمي (٢) وكتب، وتراجع الدكتور محمد حسين هيكل وكتب،

---

(١) طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام، ص٢٤٧ وما بعدها.

(٢) منصور فهمي: هو أحد الطلبة الذين أرسلتهم الجامعة المصرية إلى فرنسا لمواصلة الدراسات العليا وذلك سنة ١٩٠٨م وكان أعدَّ رسالة الدكتوراه التي عنونها بـ (حالة المرأة في التقاليد الإسلامية وتطوراتها)، وقد تضمنت هذه الرسالة مجاوزات عديدة لمبادئ الإسلام، حيث طعن في نبوة الرسول ﷺ في أكثر من =

وتراجع زكي مبارك وكتب، وتراجع كثيرون إلا الدكتور طه، والمسلم يرجع إلى الحق متى تبين له، وإني على استعداد أن أرجع عن رأيي هذا أمام أي دليل صحيح يكشف عن تراجع طه حسين، أما تلك الكلمات التي كان يسرّها لبعض أصحابه فإنها لا تقنع أحداً، ولا تصلح في مواجهة كتابات منشورة وفي أيدي الناس، وما تزال تطبع حتى اليوم وتقدّم للناس"(1)

ويتفق الأستاذ محمد سرور مع الأستاذ أنورالجندي في هذا الرأي حيث يقول: "هل صحيح أن طه حسين رجع عما كان قد قاله في كتابه (في الشعر الجاهلي)، وتاب إلى الله قبل موته؟!

هكذا زعم بعض الكتّاب، وقال أحدهم:عدل طه حسين عن رأيه في الشعر الجاهلي بعد أن قرأ كتاب الدكتور أحمد الحوفي (الحياة العربية في الشعر الجاهلي) ولم يقل كيف علم بذلك، ولا مدى صحة هذا الخبر، وقال آخرون: كان طه حسين قبل موته معتكفاً على سماع القرآن مرتلاً، وقال طه حسين نفسه مثل هذا القول في مقابلة أجراها معه أحد المذيعين في إذاعة القاهرة ثم يقرر محمد سرور بقوله: "إن الذي يهمنا في هذا الشأن: هل كتب طه حسين بحثاً أو مقالاً يعلن فيه رجوعه عن أقواله وآرائه التي أثارت ضجة كبيرة، وكفّره علماء المسلمين بسببها؟!

= زعم كاذب.

ولما اطّلعت إدارة الجامعة المصرية على هذا الكتاب بادرت ففصلته وتبرّأت منه ومن كتابه؛ ونتيجة لذلك حُرم من وظيفة التدريس في الجامعة، لكنه ما لبث أن عاد ورجع وتاب سنة ١٩١٥م ومما يؤكد رجوعه وتوبته قوله في مقال بعنوان (العام الهجري الجديد):

"اللهم لقد قطعنا من العمر مراحل فيها كبونا، وزلت النفس وعثرت القدم فأعنا على أن نستفيد لبقية طريقنا من كبوة كبوناها فيما مضى، وعثرة عثرناها فيما انقضى. اللهم لقد كتبنا بأعمالنا صحفاً عندك علينا بما أحسنا وبما أسأنا. فأعنّا على أن تكتب في صحيفتنا الجديدة ما يزيد فيها الحسنات على السيئات".

يراجع: فصول ممتعة، محمد سيد كيلاني، ص٥ – ٢٠.

(١) نفسه، ص١٣٢وما بعدها.

هل أعلن في الإذاعة أو في صحيفة من الصحف، أو أمام ملأ من الناس عن تراجعه عن آرائه التي وردت في كتابه (في الشعر الجاهلي)؟!..

فإن قالوا: لقد كتب كلاماً طيباً في (مرآة الإسلام)، قلنا: وفي كتابه (على هامش السيرة) كتب كلاماً طيباً وآخر يقطر خبثاً....ومثل هذه الأساليب الملتوية معروفة مبثوثة في كتب المستشرقين وتلامذتهم"[1]

ثم يأتي الأستاذ محمد سرور بدليل آخر يدلّل على عدم رجوع طه حسين عن آرائه، وهو ما ذكره الدكتور محمد الدسوقي سكرتير طه حسين الذي رافقه في العقد الأخير من عمره....

يقول الدكتور محمد الدسوقي:"لقد رافقت العميد في العقد الأخير من عمره، وقرأت له كثيراً من المؤلفات العربية القديمة والمعاصرة، وجاء ذكر الشعر الجاهلي أكثر من مرة فما سمعت منه إلا شكه في هذا الشعر وطعنه في صحته. وقد قال لي يوماً: إنه لا يعيد النظر في مؤلفاته عند إعادة طبعها، غير أنه أضاف إلى هذا قائلاً: إن هناك كتاباً واحداً أريد أن أغير فيه بعض الآراء وهو (مستقبل الثقافة في مصر) فقد انتشر التعليم وأصبح مجاناً في جميع مراحله كما قويت الصلات العلمية والأدبية بين البلاد العربية على الرغم من الخلافات بين بعض حكامها. وهذا يعنى أن كتاب (في الأدب الجاهلي) لا رجوع عما اشتمل عليه من آراء.

وبعد فإن موقف طه حسين من الشعر الجاهلي لا يمكن الجزم بأنه عدل عنه، اعتماداً على كلمة قالها في مناسبة إهداء بعض المؤلفات إليه، ثم يلزم الصمت أكثر من عشرين عاماً دون أن يكتب عن رأيه الجديد.

ولذا أكرر ما أومأت إليه آنفاً من أن العميد لم يرجع عن رأيه في الشعر الجاهلي، والله يقول الحق وهو يهدي إلى سواء السبيل"[2].

---

(١) دراسات في السيرة النبوية، محمد بن سرور بن نايف زين العابدين، ص٢١٢.

(٢) مجلة العربي الكويتية، العددان: ٢٣٩، ٣٤٣، نقلاً عن: دراسات في السيرة النبوية، محمد بن سرور بن =

هذا ما يتعلق بأدلة النافين لرجوعه، بيد أن هناك رأياً آخر يخالف هذا الرأي، وقد قال به بعض تلامذة طه حسين ومحبيه وعلى رأسهم: رجاء النقّاش إذ رأوا أن طه حسين رجع في آخر حياته، وتاب وأنه ما كتب (على هامش السيرة) إلا تكفيراً عن كتابه في الشعر الجاهلي وما كتب (الفتنة الكبرى) إلا تكفيراً عن كتابه (مستقبل الثقافة في مصر)، كما أنه في آخر حياته كثيراً ما يستمع إلى تلاوات من القرآن الكريم وغير ذلك...

وقد كتب رجاء النقّاش مقالاً في صحيفة الهلال[1] بعنوان: طه حسين في قفص الاتهام ردّ فيه على ما كتبه أنور الجندي في كتابه (طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام) وذكر أن طه حسين رجع عن آرائه (في الشعر الجاهلي) حيث يقول:"إن أنور الجندي إنما يعتمد على رأي قديم لطه حسين في القرآن، وذلك عندما يريد إدانة طه حسين واتهامه بالخروج عن الدين، وهذا الرأي هو الذي يقول فيه طه حسين من كتابه (في الشعر الجاهلي) الطبعة الأولى ١٩٢٦ص ٢٦:

"للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل وللقرآن أن يحدثنا عنهم أيضاً...".

هذا هو كلام طه حسين في الطبعة الأولى من كتاب (في الشعر الجاهلي) وهذه الكلمات هي التي دفعت أنور الجندي إلى اتهام طه حسين بأنه متآمر على القرآن وأنه يصف القرآن (بالكذب).

وهذه العبارات التي كتبها طه حسين عن القرآن لا يمكن لمسلم أن يوافقه عليها، ولا شك أنها خطأ صريح واضح في حق الإسلام والقرآن الكريم، وقد اعترف طه حسين بهذا الخطأ اعترافاً كاملاً وذلك عندما أعاد طبع كتابه وحذف منه هذه الفقرة، ألا يعني ذلك أن طه حسين قد أدرك خطأه وعدل عنه؟.... إن الله يقبل التوبة، ألا يريد أنور الجندي أن يقبل من طه حسين توبته؟ أليس من صميم الخُلق الإسلامي الصحيح (قبول

نايف، ص٢١٣.

(١) السنة الخامسة والثمانون، جمادي الأولى ١٣٩٧هـ - مايو ١٩٧٧م.

التوبة) والعدول عن الخطأ؟"[1]

ومما يؤيِّد هذا الرأي الإقرار الذي أرسله طه حسين إلى لطفي السيد عقب هجوم الصحف والمؤسسات الحزبية عليه واتهامه بالكفر حيث يقول:"حضرة صاحب العزة الأستاذ الجليل مدير الجامعة المصرية أتشرف بأن أرفع إلى عزتكم ما يأتي:

كثر اللغط حول الكتاب الذي أصدرته منذ حين باسم (في الشعر الجاهلي) وقيل: إني تعمّدت فيه إهانة الدين والخروج عليه، وإني أعلّم الإلحاد في الجامعة وأنا أؤكد لعزتكم أني لم أرد إهانة الدين ولم أخرج عليه، وما كان لي أن أفعل ذلك وأنا مسلم أؤمن بالله وملائكته ورسله وباليوم الآخر. وأنا الذي جاهد ما استطاع في تقوية التعليم الديني في وزارة المعارف حين كلّفت العمل في لجنة هذا التعليم.

يشهد بذلك معالي وزير المعارف وأعوانه الذين شاركوا في هذا العمل وأؤكد لعزتكم أن دروسي في الجامعة خلت خلواً تاماً من التعرض للديانات لأني أعرف أن الجامعة لم تنشأ لمثل هذا العمل.

وأنا أرجو أن تتفضلوا وتبلغوا هذا البيان من تشاؤون وتنشروه حيث تشاؤن وأن تقبلوا تحياتي الخالصة وإجلالي العظيم.

الختم: طه حسين في ١٢/ مايو / ١٩٢٦م." [2]

فهذا الإقرار من طه حسين - كما يبدو - فيه تراجع واضح عما سبق ونشره في كتابه (في الشعر الجاهلي)، أما مسألة أن طه حسين ما قاله إلا تقيةً حفاظاً على نفسه أو منصبه فليس أمامي ما يؤكدا هذا القول لأنه متعلق بأمر قلبي ولا يعلم مكنونات القلوب إلا خالقها سبحانه، كما يدل نصه السابق الذكر الذي ذكره في كتابه (الفتنة الكبرى) على هذا المدلول وهو مناقض تماماً ما سبق من عقيدة طه حسين في القرآن

(١) المرجع السابق، ص١٦٢.

(٢) تحولات طه حسين، د/ مصطفى عبدالغني، ص١٣٥، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

الكريم وموقفه منه. وعند النظر إلى تاريخ هذه النصوص المتناقضة يُستنتج مايلي:

- النص الوارد في كتاب (في الشعر الجاهلي) كان متقدماً على النص الآخر حيث صدر هذا الكتاب في عام ١٩٢٦م وكان طه حسين يبلغ من العمر آنذاك خمسة وثلاثين عاماً، وتراجع عنه طه حسين مع حذف بعض النصوص المخالفة فيه وإبدال مسماه من (في الشعر الجاهلي) إلى (في الأدب الجاهلي) في العام الذي يليه ١٩٢٧م نتيجة لمهاجمة الصحف والرأي العام له.

- النص الآخر صدر في كتابه (الفتنة الكبرى) الذي نشره طه حسين في عام ١٩٥٣م أي بعد صدور الكتاب السابق بسبع وعشرين عاماً.

ومن المعلوم أنه عند اختلاف النصوص يؤخذ مقتضى ما دل عليه النص الأخير؛ لأنه قد يكون تطور في فكره، وكثيراً ما نرى بعض العلماء والكتّاب والمفكرين وغيرهم... يقولون بأقوال لا يلبثون أن يتراجعوا عنها بعد ذلك بعد فترة من الزمن وهذا لا يعد من قبيل التناقض، وإنما تطور فكري، والأمثلة على ذلك كثيرة أذكر منها: موقف محمد حسين هيكل الذي رجع عن آرائه في مقدمة كتابه (محمد) وغيره... وربما يكون هذا النص من طه حسين عبارة عن رجوعه عما سبق ونشره.

وبالرغم من انتفاء وجود نص صريح من قِبل طه حسين يقطع برجوعه عما نشره سابقاً في كتابه (في الشعر الجاهلي) وغيره من النصوص والآراء الخطيرة التي كان يقول بها؛ إلا أني أرجو أنه رجع عن هذه الآراء في أخريات حياته وأن ما قاله من أقوال وآراء في مقتبل عمره كان نتيجة نزوة الشباب، لاسيما وأنه كان يحب الشهرة والتبريز حتى لو كانت هذه الشهرة بأمر سيء من منطلق (خالف تُعرف)، ويحتمل أنه ما قال ذلك إلا تقليداً للمستشرقين الذين كان معجباً بهم إلى حد الفتون - كما ذكر[1] - ومع أن هذا كله لا يسوّغ هذه المزاعم وهذه الآراء المسمومة إلا أنه قد يكون رجع في آخر حياته وتاب فيما بينه وبين ربه - وهذا ما أرجوه - والله أعلم بالنوايا. فينبغي الحذر من الحكم عليه

(١) راجع: ص٢١٥.

بالكفر، وليس لدينا مايقطع بذلك فقد قال رسول الله ﷺ لأسامة بن زيد بعد أن قتل الرجل الجهني الذي تلفظ بالشهادة قبل أن يقتله أسامة فظن أسامة أنه قالها تعوذاً فقتله، فعاتبه الرسول ﷺ بقوله: **أقتلته بعدما قال: لا إله إلا الله؟!** وكررها عليه مراراً حتى تمنى أسامة أنه لم يسلم حتى تلك اللحظة[1].

إلا أن هذا الرأي لا يمنع من نقده ونقد آرائه فإن كان طه حسين قد تاب ورجع فإن كتبه ومؤلفاته ما زالت تنطق بكثير من المخالفات العقدية والشرعية، فيجب الحذر والتحذير منها، وأما الخواتيم فعلمها إلى الله وحده ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾[2].

---

(١) ولفظه عن أسامة بن زيد: "قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة من جهينة فصبحنا القوم فهزمناهم ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم فلما غشيناه، قال: لا إله إلا الله فكف عنه الأنصاري وطعنته برمحي حتى قتلته، قال: فلما قدمنا بلغ ذلك النبي ﷺ فقال لي: يا أسامة، أقتلته بعدما قال: لا إله إلا الله؟ قال: قلت: يا رسول الله، إنما كان متعوذاً، قال: فقال: أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله؟ قال: فما زال يكررها علي حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم". أخرجه البخاري، جـ ٢٢، كتاب الديات باب قوله تعالى: (ومن أحياها)، برقم ٢٧٨٦، ص٤٣٥، وصحيح الإمام مسلم، جـ ١، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله برقم ٢٨٨، ص٣٤٢.

(٢) سورة الإسراء: ١٧.

الباب الثالث

الباب الثالث

أبرز المتأثرين بطه حسين
في العالم الإسلامي

ويحتوي على فصليـن :

۞ **الفصل الأول : أبرز المتأثرين بطه حسين داخل مصر .**

۞ **الفصل الثاني : أبرز المتأثرين بطه حسين خارج مصر .**

۞ توطئـــــة:

إن المتتبِّع لأخبار الأدباء والمفكرين داخل مصر وخارجها في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين يرى أنهم أصيبوا بداء (الانبهار) نتيجة ابتعاث عدد منهم إلى أوروبا؛ الأمر الذي جعلهم أُسارى لما أبصرته عيونهم من حضارة وتقدُّم في جميع المجالات - في حين وجود تأخر كبير وملحوظ في الجانب الخُلقي - فكان هذا الانبهار سهماً مسموماً غُرز في قلوبٍ فارغة فتمكَّن منها أيُّما تمكَّن على حد قول الشاعر:- فصادف قلباً فارغاً فتمكَّنا - وبطبيعة الحال... نشأ هذا الإعجاب لديهم "لعدم اتصال أرواحهم بروح الإسلام، وعجزهم عن الغوص والتعمق في حقائق الإسلام ببصيرة المسلم الموصول القلب بالله، وبالكون الذي خلقه الله، وبحقائق الوجود وحقائق الحياة؛ ذلك الانبهار كان يمكن أن يظلَّ (مسألة شخصية) عند هؤلاء الأدباء والمفكرين، يظلون يعانونها حتى يفتح الله عليهم بالرؤية الصحيحة، التي تتولَّد في القلب المتفتح حين يمارس الإسلام بكيانه كله، فيفتح الإسلام له كنوزه - على قدر موهبته - ويفتح بصيرته بقدر ما يصدق في عبادة الله تعالى...

ولكن الذي نشر ذلك الانبهار على نطاق الأمة كلها، كان هو تلك الأجهزة المتربصة لالتقاط أولئك الأدباء والمفكرين، وتكبيرهم، والدعاية لهم، ونشر أفكارهم على أوسع نطاق ممكن.... وقامت الصحافة بالنصيب الأوفى في ذلك المجال.... فوصَّلتهم، لا للمكانة التي كانوا يستحقونها بمواهبهم فحسب، بل زيادة عليها عدة أضعاف! وجعلت لهم دويَّاً يخترق الآذان ويستقر في الأذهان!

وفي غياب الفكر الإسلامي الحقيقي، الحيّ المتجدّد، المستمد من المنابع الصافية، الشامل لكل مجالات الحياة... صار أولئك الأدباء والمفكرون (العلمانيُّون) هم قادة الفكر، وعمداء الأدب، وأساتذة الجيل.... فجرُّوا الأمة كلها وراءهم إلى الفكر الغربي، على أنه (مهبط الوحي) وزاد الحياة! وذلك حين خرجت أجيال من المتعلمين تتلقَّف فكرهم وأدبهم في لهفة وشغف، وتتحلَّق حولهم، وتتعصَّب لهم، وتصوغ فكرها من فكرهم، واتجاهاتها من اتجاهاتهم.... وقد كانت اتجاهاتهم كلها بعيدة عن الإسلام، بل

منسلخة تماماً من الدين، إن لم تكن سافرة مستخفة مستهزئة! متجهة إلى الغرب وأفكاره وأدبائه وفلاسفته..."[1].

وهذا هو حال المنبهرين بطه حسين وفكره الذي "حمَّله جرثومة العداء للدين، منذ أن عاد من فرنسا مهاجماً نصوص الوحي صراحة بلا مواربة، تحت حماية أسياده، وبذلك يفتح طه حسين باباً لجحد نصوص الوحي والشك فيها بل والسخرية والاستخفاف بها في بعض الأحيان"[2].

لتُبتلى الأمة بعد ذلك بشرذمة ممسوخة في فكرها ومعتقدها، مستمدة من العالم الغربي – المستشرقين خاصة – تعاليم الكفر التي يواجهون بها تعاليم الدين الحنيف المحفوظ بحفظ الله تعالى له.

و للأسف هم من أبناء جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا.... وما زلنا نسمع هراءهم وخزعبلاتهم واحداً تلو الآخر دون أن يجدوا – وللأسف – من يواجههم أو يدحض فكرهم الإلحادي – إلا قليلاً – ولا زالت صحفنا ومجلاتنا العربية تعجُّ بطائفة من نصوص هؤلاء النفر لتعفّن أفكار النشء المسلم بحثالة أفكار هؤلاء المتنكسين فكرياً وعقدياً....

"وبهذا العمل وأشباهه تقدمت عجلة التغريب تقدُّماً عملياً لتدوس في طريقها القواعد والكليات، وتحطم المبادئ والقيم والثوابت والأصول، في ظل حماية الأوصياء على الثقافة والإدارة، وتحت شعارات النفاق العصري: حرية الثقافة، وحرية البحث العلمي، وعالمية المعرفة، ووجوب النقد إلى غير ذلك من شعارات أريد بها أول ما أريد هدم الإسلام واجتثاثه"[3].

---

(١) واقعنا المعاصر، ص٣٠٣.

(٢) الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها، د. سعيد ناصر الغامدي، جـ٣، ص١٠٧٧، بتصرف.

(٣) نفسه، ص١٠٨٠.

ونتيجة لهذا فقد برز على الساحة الفكرية والأدبية أدباء ومفكرون كُثر -لا كثّرهم الله- يُردِّدون ما قاله طه حسين بالأمس ولكن بطريقة أخرى، حيث تأثر به حشد كبير من هؤلاء، وبهذا يكون طه حسين قد فتح لهم باب تدنيس المقدّس، من نصوص الوحي، وجرَّأهم عليها، فما زالوا حتى يومنا هذا يشيدون بأفكاره ويؤلفون لها الكتب والدوريات إحياءً لذكرى هذا المفكِّر الحر - على حد زعمهم - وقد أترعوا هذه الكتب بالمدائح لطه حسين والثلب والسب لكل من عارضه أو خالفه، وأعظم شاهد على ذلك ما قام به مجموعة من الحداثيين حيث أصدروا كتاباً دورياً بعنوان (قضايا وشهادات)، وخصّصوا العدد الأول منه عن طه حسين، ثم قسَّموا هذا الكتاب - الخاص بطه حسين - إلى ثلاثة أقسام، الأول بعنوان (طه حسين وتحرير العقل)، والقسم الثاني بعنوان (طه حسين والحداثة)، والقسم الثالث بعنوان (طه حسين وأزمة في الشعر الجاهلي) [1].

والمطَّلع على هذه الكتب من النظرة الأولى يدرك "أيَّ منزلة احتلها طه حسين عند هؤلاء باعتباره أول من اقتحم المقدّس - بحسب تعبيرهم -، وأول من رسّخ مبادئ التفكير الديمقراطي الليبرالي، وأول من تجرأ على الاندفاع نحو الغرب، نحو المجتمع الحر!!

وأظهر من أبرز وظيفة العقل العصياني، وقوَّض مسلَّمات التاريخ واللغة والدين، وأوجد أسلوب التمرد على المسلَّمات والرفض، إلى آخر ما هنالك.... وهي أدلة على مدى ما وصلت إليه الحداثة وأربابها من عداوة لدين الإسلام وقرآنه وسنته ولغته وحضارته"[2]. وقد خصصت هذا الباب - بفصليه - لأبرز من تأثر بطه حسين داخل مصر وخارجها، سواءٌ كان هذا الأثر عبارة عن متابعته في فكره أم كان مجرّد إعجاب وانبهار بعبقريته المزعومة.

---

(١) يراجع: المرجع السابق، ص١٠٨١.

(٢) نفسه، ص١٠٨٢.

الفصل الأول

أبرز المتأثرين بطه حسين داخل مصر

وفيـــــه: -

١) أمين الخولي
٢) محمد أحمد خلف الله
٣) صلاح عبدالصبور
٤) توفيق الحكيم
٥) عبدالرحمن الشرقاوي
٦) إحسان عبدالقدوس
٧) يوسف إدريس
٨) أمينة السعيد
٩) حسين مؤنس
١٠) سهير القلماوي
١١) نجيب محفوظ
١٢) حسن حنفي
١٣) جابر عصفور
١٤) نصر حامد أبو زيد. وغيرهم...

تأثر عدد كبير من مفكري مصر وأدبائها ببعض أراء طه حسين المخالفة للعقيدة الصحيحة الصافية، ممّا عكس ذلك على كتاباتهم ومؤلفاتهم ولعلّ أبرز هؤلاء:

١) أمين الخولي (١٨٩٥-١٩٦٦) م:

كاتب مصري، تخرَّج في مدرسة القضاء الشرعي ودرس فيها، ونقل إلى كلية الآداب مدرِّساً فأستاذاً ثم شغل منصب مدير عام الثقافة في وزارة التعليم في مصر، كوّن جماعة (الأمناء)، وأصدر مجلة الأديب، سنة ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م، وهو الذي علّم محمد أحمد خلف الله الجرأة على القرآن، تزوج بتلميذته عائشة بنت الشاطئ بعد قصة حب طويلة وبه تأثرت، تزعّم الدفاع عن طه حسين، الذي كان مشرفاً على عائشة بنت الشاطئ في الدكتوراه، ابتعث إلى أوروبا وبرلين، وردّ على الذين انتقدوا طه حسين ومحمد خلف الله، وأفتى علماء الأزهر بكفرهما، ووقَّع الفتوى جميع شيوخ الكليات وأساتذتها[(١)].

- **تأثره بطه حسين:**

تأثّر أمين الخولي بطه حسين في عدة جوانب ويظهر هذا في:

- الجرأة على نصوص القرآن الكريم: ومما يؤيد هذا قوله: "إن الوحي ما هو إلا شعور داخلي من عند النبي ﷺ، وإن القرآن قسمان: قسم يمثل النواميس الكونية، والقسم الثاني: المعاملات، وهي قسم خاص بمجتمع خاص، وبالعرب، وهو قابل للتغيير"[(٢)]. وفي هذا ما لا يخفى من مظنة الزعم ببشرية القرآن الكريم. كما يؤيد هذا إشرافه وتوجيهه لخلف الله وتغريد عنبر[(٣)]. ودفاعه عن خلف الله - الذي زعم أن القصص القرآني لايلزم منه الحقيقة - يقول: "إنه لا يلزم أن تكون حوادث القصص

---

(١) يراجع: هجمة علمانية جديدة، كامل سعفان، ص٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤٨، ٥٢، ٥٣.

(٢) إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام، أنور الجندي، ص١٢٥، دار الاعتصام، بدون.

(٣) سأتحدث عن هاتين الشخصيتين لاحقاً - إن شاء الله -.

القرآني قد وقعت، بل منها ما هو تصوير وتمثيل للمعاني"[1].

و يُعدُّ هذا أثراً آخر من آثار طه حسين على أمين الخولي حيث تبع طه حسين في زعمه احتواء بعض آيات القرآن الكريم على الأساطير؛ وذلك حين زعم أن قصة بناء الكعبة ما هي إلا أسطورة، كما شكَّك في وجود كلٍ من إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام. "اعتنق أمين الخولي هذه الآراء، وراح يروّج لها، ويدعو إليها. وقد كان يدرّس مادتي التفسير، والبلاغة. وظل أمره مستوراً إلى سنة ١٩٤٧، لا يدري أحد في خارج الجامعة ما يُلقِّنه الشيخ أمين لتلاميذه"[2].

وهذه السنة هي التي تقدّم فيها خلف الله، برسالة موضوعها: (الفن القصصي في القرآن الكريم) للحصول على درجة الدكتوراه من قسم اللغة العربية، وكان أمين الخولي هو المشرف على هذه الرسالة، والموجّه للطالب فيما كتب، وقد رفضت الرسالة. فرفع الطالب الأمر إلى وزير المعارف الذي أحال الرسالة إلى فضيلة الشيخ محمود شلتوت[3]، عضو جماعة كبار العلماء، للنظر فيها وإبداء الرأي، فكتب فضيلة الشيخ شلتوت إلى وزير المعارف خطاباً مفاده "أن الطالب يعتقد في أن القصص القرآني نمط من أنماط القصة الفنية التي لا يلتزم الفنان فيها الصدق وتحرّي الواقع، وإنما يعطي نفسه من الحرية ما يُغيّر به ويبدّل، ويزيد ويخترع. ولا يقف بهذا عند قصة أو قصص بعينها ولكنه يطَّرد هذا الشأن في كل ما قصّه القرآن، سواء في ذلك ما جاء من الأنبياء والرسل والأمم، وما جاء عن غيرهم. فيذكر قصة آدم وإبليس، وقصة الخليقة والملائكة، وقصة كلام عيسى في

---

(١) المرجع السابق، ص١٢٧.

(٢) فصول ممتعة، محمد كيلاني، ص٤٩، دار العرب، بدون.

(٣) محمود شلتوت: (١٣١٠-١٣٨٣=١٨٩٣-١٩٦٣م)، فقيه ومفسِّر مصري، ولد في منية بني منصور (بالبحيرة) وتخرَّج بالأزهر، كان داعية إصلاح، نيِّر الفكرة، يقول بفتح الاجتهاد، سعى إلى إصلاح الأزهر فعارضه بعض كبار الشيوخ وطرد هو ومناصروه، ثم أعيد إلى الأزهر وترقَّى حتى أصبح شيخاً للأزهر، له ست وعشرون مؤلفاً منها: التفسير، حكم الشريعة في استبدال النقد بالهدي، القرآن والمرأة وغيرها. يراجع الأعلام: جـ٧، ص١٧٣.

المهد، ونجاته من اليهود، وقصة موسى والعبد الصالح....

"يذكر ذلك وأمثاله في مجال ما يقرره من أن القرآن ليس فيه ما يدل على أن حوادث هذه القصص تلتئم مع الواقع الفعلي، أو لا تلتئم. وأن هذه النسب والأوصاف تصدق أو لا تصدق. وإنما هو أسلوب قصد به غرس فكرة وراء ما تدل عليه الألفاظ بمعانيها اللغوية المعروفة، أو مشايعة الواقع النفسي الذي كان سائداً عند المعاصرين، استغلالاً لمعلوماتهم، وإن لم تكن صحيحة في سبيل تأييد الدعوة التي جاء بها"[١].

وإن القرآن إذا استقبلت دراسته على هذا النحو من الخلط والخبط، فقد اُقتحمت قدسيته وزالت عن النفوس روعة الحق فيه، وزلزلت قضاياه في كل ما تناوله من عقائد، وتشريع، وأخبار، وأحوال مستقبلة كالبعث والحشر، والحساب والجنة، والنار، ونحو ذلك. وانفتح لكل إنسان أن يقول في كل هذا: ليس له مدلول ولا واقع يدل عليه، ولكنه سيق لمجرد بعث الرغبة أو الرهبة، أو العظمة، أو تقويم، أو إصلاح للمجتمعات (سبحانك هذا بهتان عظيم....).

نعم، إن للرأي حرية ولكن الحرية شيء والفوضى شيء آخر..." [٢].

ولعلّ أخطر ما جاء في هذه الرسالة:

- "إن الحرية الفنية تقتضي عدم التقيد بالصدق العقلي، ولا بتصوير الحقائق تصويراً صادقاً، بل قد يتقول القرآن ما لم يحصل ولن يحصل.

- إن تاريخ الأنبياء الوارد في القرآن لا ينبغي أن يؤخذ على أنه حقائق[٣].

- إن القصص القرآني لتصوير واقع نفسي، لا لحوادث حصلت وأنه حرب أعصاب، لا أقلّ ولا أكثر.

---

(١) المرجع السابق، ص٥١.

(٢) نفسه، ص٥٧.

(٣) وهذا يذكرنا بما قاله طه حسين عن وجود إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.

– إن القرآن مشتمل على الأساطير وما فيها من حوادث ملفقة أو مكذوبة[1].

– إن مصادر القصص القرآني، هي كتب الأديان الأخرى، والحكايات الشعبية، والأفراد العاديون من الناس، والخلط والمزج بين عناصر القصص الشائعة في عدة أمم".

هذا أخطر ما احتوت عليه هذه الرسالة. وقد ردّ الشيخ شلتوت في خطابه السابق الذكر على هذه المزاعم والأباطيل رداً قوياً[2].

ويعلّق محمد سيد كيلاني على هذا بقوله: "ولو أن المؤلف أعلن أنه ملحد، أو أنه لا يؤمن بنبوة محمد ﷺ لما ناقشه أحد من المسلمين، ولكان كواحد من المبشرين أو المستشرقين الذين سبق أن وجّهوا إلى القرآن الكريم أمثال هذه الأباطيل. ولكنه أعلن أنه مسلم، مؤمن بنبوة محمد ﷺ معتقد بأن القران الكريم منزل من عند الله، ومادام المؤلف يؤمن بأن القرآن كتاب الله، والله عليم بكل شيء، وقادر على كل شيء، فكيف يكون الله القادر على كل شيء متحايلاً، يتحايل بتلفيق القصص لهداية عباده؟ وكيف يتفق أن العليم بما كان وبما سيكون، جاهل بالحقائق التاريخية، يخلط بين الصدق والكذب، وبين ما هو واقعي وغير واقعي؟

إنه لعجيب جداً أن يعترف الإنسان بقدرة الله على كل شيء، وينزِّهه من كل عيب، ثم بعد ذلك ينسب إليه التحايل وعدم التزام الصدق، وهذه من الصفات التي تلازم العاجز والضعيف". ويختم بقوله: "وإن الدكتور طه حسين هو الذي فتح الباب في هذه الكلية لتناول الكتاب العزيز بهذه الكيفية"[3].

– ومن الأمثلة التي تبرز عقيدة أمين الخولي في القران الكريم موقفه من رسالة الباحثة (تغريد عنبر) التي تعتبر "نموذجاً للدراسات الإسلامية كما أرادها طه حسين أن

(١) وهذا أيضاً يذكرنا بما ذكره طه حسين في كتابه (في الشعر الجاهلي) عن قصة بناء الكعبة وأنها ما هي إلا أسطورة.

(٢) المرجع السابق، ص٥٩.

(٣) نفسه، ص٦٠.

تكون حين اقترح في كتابه (مستقبل الثقافة في مصر) إنشاء معهد للدراسات الإسلامية بكلية الآداب. وذلك هو البحث الذي تقدمت به إحدى المتخرجات في قسم اللغة العربية بجامعة الإسكندرية للحصول على درجة الماجستير سنة ١٣٨٥- ١٩٦٥م، وموضوعه (دراسة في أصوات المد في التجويد القرآني). وهو بحث يقوم على مجازفات تجمع بين الانحراف والجهل، ويريد أن يشكّك في سلامة النص القرآني"[(١)].

وكان البحث تحت إشراف الدكتور حسن عون الأستاذ في قسم اللغة العربية بالكلية، وقد كتب الأستاذ المشرف تقريراً يؤكد فيه سلامة البحث وصلاحيته للمناقشة، وناقشته لجنة مكونة منه ومن الشيخ أمين الخولي الأستاذ في كلية الآداب بجامعة القاهرة والدكتور إبراهيم أنيس الأستاذ في دار العلوم، وكلاهما عضو في مجمع اللغة العربية، وحينما بدأ أمين بمناقشة الطالبة بدأ بردّها عن الكتابة في الموضوع أصلاً لأنها تجهل أوّلياته، وندّد بما تضمنه بحثها من أحكام تستخف بعقائد المسلمين ومقدّساتهم. ثم كانت المفاجأة فيما انتهت إليه اللجنة آخر الأمر وأعلنته على الناس حين قررت منح الطالبة درجة الماجستير بمرتبة جيد جداً. واشترطت اللجنة في قرارها هذا ألا يطبع البحث إلا بعد تعديل بعض أجزائه. واستناداً إلى هذا الشرط تقدم أحد أساتذة الكلية ممن شهد المناقشة بطلب إلى مجلس الكلية يدعوه إلى التمهل في الموافقة على قرار اللجنة حتى يراجع البحث ويعرف ما فيه من وجوه الخلل التي نصّت اللجنة على وجوب تعديلها وإصلاحها قبل نشره مطبوعاً على الناس، ونتيجة لذلك فقد تقدم الدكتور محمد محمد حسين بمذكرة إلى مدير الجامعة وإلى عميد الكلية بطلب التوقف عن منح الدرجة، بعد الاطلاع على البحث، واستجابت الجامعة للطلب فتوقفت عن توثيق قرار لجنة المناقشة. وعند ذلك ظهر المعارضون للدكتور محمد حسين يشنعون به ويهاجمونه ويغرون الدولة به في السر والعلن - كما ذكر - واختلفت تلك المعارضات ما بين مهاجمات صحفية ظاهرة، ورسائل إلى الجهات المسؤولة مجهولة الكاتب، اتهاماً له بالرجعية

(١) حصوننا مهددة من داخلها، د. محمد محمد حسين، ص٢١٩، مؤسسة الرسالة، ط: السابعة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

وعداوة الثورية والتقدمية، وتبيّن أن وراء هذه القضية أعواناً وأنصاراً لم يَدُرْ في الحسبان أن يقفوا وراء قضية خاسرة مثلها. فيهم من يرأس جماعة إسلامية كبرى، وفيهم من هو على رأس هيئة إسلامية ضخمة، وفيهم من يشغل مناصب رفيعة. وخاضت صحف كثيرة في القضية، تندب حرية البحث، وتتباكى على كرامة العلم والعلماء.

وقد بعث الدكتور محمد حسين بمذكرتين إلى الجامعة إحداهما تضمنت نصوصاً من البحث تثبت انحرافه وفساده، والأخرى فيها ردود على بعض ما جاء في آراء من استكتبتهم بعض الصحف في حملتها، ومن حاولوا التهوين من خطورة ما جاء في بحث الطالبة المرفوض.

ولعلّ أخطر ما في هذه الرسالة ما عبّر عنه الدكتور محمد حسين بقوله:"إن الطالبة قد وقعت في أخطاء فادحة نتيجة للجهل ونتيجة للتعرض لما لا تعرفه، وهي أخطاء تمسّ العقيدة، بل تهدم الأساس الأصيل الذي يقوم عليه الإسلام، وتؤذي إيمان المؤمنين في أعز ما يعتزون به وهو القرآن. وذلك بما زعمته الطالبة وأكدته في أكثر من موضع من أن القرآن، الذي يتعبَّد به المسلمون ليس منزلاً من عند الله، أو هو منزّل من عند الله بمعناه لا بلفظه، وهو ما لم يجرؤ أحد من المسلمين على القول به، بل ما لم يجرؤ الملاحدة على الجهر به في وطن إسلامي. وأكّدت هذا الزعم الفاسد في أكثر من موضع من رسالتها[1].

وما يعنيني من هذا كله هو موقف أمين الخولي الذي كان أحد لجنة المناقشة، حيث إنه أجاز هذه الرسالة وأعطى الطالبة ما لا تستحقه من الرتبة بالرغم من أنه في أول المناقشة - ردّها ورفض السماع لأقوالها في هذا الموضوع لجهلها به، وقد سُجّل ذلك على أشرطة، ولكن هذه الأشرطة قد أفسدت ومحي ما عليها من تسجيل في ظروف مريبة، يشهد بها محضر اللجنة التي تولّت فتح معمل الصوتيات للحصول على هذه الأشرطة وسماعها. وبطبيعة الحال لم يكن موقف أمين الخولي مع الطالبة كافياً، بل كان عليه أن

(١) يراجع: المرجع السابق، ص٢١٩-٢٢٤.

يصدع بالحق دون مجاملة المشرف فيما لا يحق له أن يجامل فيه. [1]

- كذلك من الأمور التي تبع فيها أمين الخولي طه حسين "دعوته إلى إقليمية الأدب، ونظرية الأدب المصري واستبعاد فكرة عروبة مصر، أو القومية العربية وهذا ما فعله طه حسين حينما دعا إلى الفرعونية وجعلها شعار الجامعة وعارضه فيها الكثير - كما أسلفت -. وقد تولى أمين الخولي تنمية هذه البذرة وبذل في هذه السبيل جهوداً كبيرة طوال مدة توليه التدريس في كلية الآداب؛ سعى إلى دعم هذه النظرية ونشرها بوجه خاص بين طلابه، وشرحها في محاضرة عامة (أوائل عام ١٩٣٤) بقاعة محاضرات الجمعية الجغرافية وفي مجلة كلية الآداب، واعترض على درس الأدب العربي على أساس التقسيم الزماني وقال: "بضرورة العدول عنه إلى التقسيم المكاني ودرس الأدب العربي إقليماً بعد إقليم. لا عصراً بعد عصر. وادعى أن ليس للأمة الإسلامية على أي حال تلك الوحدة في تاريخ الأدب العربي"[2].

على أن أمين الخولي لم يبتدع هذه الآراء، بل أخذ بعضها عن المستشرقين، وتطرّف فأضاف إليها من عنده أشياء أخرى كوجوب دراسة الفلك وعلم الحيوان والنبات والحشرات، وتربية الطيور والأسماك.

- وقد شغُف أمين الخولي بكتب المستشرقين، وأُعجب بآرائهم. وهذا أيضاً مما شابه فيه طه حسين، إضافة إلى ما ذكرته سابقاً من انتحاله آراء ونسبتها إلى نفسه، كما فعل طه حسين- كما تأثر أمين الخولي بطه حسين في أمر آخر وهو الانبهار بالحضارة الغربية، تقول ابنته: "لم يقنع بالمسلك التقليدي الذي سلكه أغلب معاصريه وأبناء طبقته بالاكتفاء بالتعليم الديني ولكنه استطاع بطموحه وسعة أفقه أن يغزو آفاقاً جديدة، آفاق حضارة الغرب، وعندما سافر بعد تخرجه في مدرسة القضاء الشرعي إلى أوروبا حيث عيِّن إماماً في المفوضية المصرية في روما، ثم في برلين كانت السنوات الخمس التي قضاها هناك في العمل والدراسة لقاءه الأول والمباشر مع الحضارة الغربية، وكان كما كتب

---

(١) يراجع: نفسه، ص٢٢٣.

(٢) إعادة النظر في كتابات العصريين، أنور الجندي، ص١٢٧.

صلاح عبدالصبور يخدم الحضارة الغربية في مظاهرها الثقافية والفكرية دون أن يستخذي أمامها، ويرى أن من واجبنا أن نفيد منها في تنقيح مفهوماتنا وتصحيح نظرتنا وإثراء أرواحنا"[١].

- ممّا تأثر به أمين الخولي وورثه عن طه حسين أيضاً حبه للموسيقا والفن، وهذا ما كشفت عنه ابنته الدكتورة سمحة الخولي بقولها: "جانب من شخصيته أدين له بوجهة حياتي وهدفها، ذلك هو صلتي بفن الموسيقا فقد بدأت تلك الصلة من الطفولة المبكرة وبتوجيه رشيد منه.... وكان يقول:

"أنا مؤمن بالتطور، أنا أحب المسرح والموسيقا والكلاسيك وفي بيتي معمل علمي وتفسيرات القرآن، وفي بيتي أركسترا[٢] صغير".

وتواصل قولها: "إن ما خرج به أمين الخولي من قراءاته وأسفاره، أنه عاد إلى مصر متفتحاً على الغرب رافضاً كل أشكال الجمود النفسي والانغلاق على التراث، داعياً إلى الاستفادة من الثقافات الأجنبية، لقد تفتحت طفولتنا على ذكريات تجاربه مع المسرح ليس كعاشق للمسرح فحسب، بل كمؤلف مسرحي مارس الكتابة المسرحية في بداية حياته رغم ما كان يحفُّ المسرح حينذاك من محظورات الدين والتقاليد، وخاصة بالنسبة لطالب يدرس الشريعة الإسلامية. وتشربنا في طفولتنا ذكريات أسفاره ومشاهداته للأوبرا في إيطاليا، وحفلات موسيقية حضرها، ومعارض فنية زارها.

وكان يردّد أمامي بإعجاب اسم عازفة بيانو مصرية سمعها تعزف في أوروبا موسيقا كلاسيكية، وكان حديثه عنها عنصراً جوهرياً في اجتياز طريق حياتي فيها بعد، فقد كان النموذج الذي اختاره والدي ليحدثني عنه كمثل وقدوة هو هذه العازفة المصرية، ونمت معها تلك الهالة التي نسجها عقلي الصغير حول (عايدة علم) وامتدت

---

(١) المرجع السابق، ص١٢٨.

(٢) اسم لآلة موسيقية.

إلى عشق أصيل للموسيقا »[١] .

هذا أبرز ما تأثر به أمين الخولي من طه حسين فيا ترى ما مدى تأثر تلميذه محمد أحمد خلف الله بطه حسين؟

٢) محمد أحمد خلف الله (-) م[٢] :

مصري شيوعي، عضو مؤسس، وأمين للحزب الشيوعي المصري المسمى حزب التجمع الوطني التقدّمي الوحدوي، حارب القرآن تحت شعار الفن القصصي، وقال بأن القصص في القرآن ليس حقيقة - كما أسلفت - بل أساطير، وشكّك في ثبوت القرآن وصحته، وفي ثبوت السنة، أفتى علماء الأزهر وغيرهم براءة الإسلام منه[٣].

- **تأثره بطه حسين:**

- من أبرز ما تأثر به خلف الله من طه حسين رسالته التي أعدها بعنوان: (الفن القصصي في القرآن) وقد سبق الحديث عن ذلك[٤] - حيث قال بصراحة: "إن القصة الأسطورية موجودة في القرآن" كما قال معلمه الأكبر من قبل عن بناء إبراهيم عليه السلام للكعبة: "للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل، وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضًا، ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي، فضلاً عن إثبات هذه القصة التي تحدثنا بهجرة إسماعيل بن إبراهيم إلى مكة ونشأة العرب المستعربة فيها. ونحن مضطرون إلى أن نرى في هذه القصة نوعاً من الحيلة في إثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة، وبين الإسلام واليهودية والقرآن والتوراة من جهة أخرى"[٥].

---

(١) إعادة النظر في كتابات العصريين، ص١٢٨.

(٢) لم أقف على تاريخ ولادته ووفاته.

(٣) يراجع: هجمات علمانية جديدة لكامل سعفان، ص١١ - ٥٠.

(٤) ص٣١١ من هذا البحث.

(٥) في الشعر الجاهلي، طه حسين، ص٢٦.

ثم يقول: "وقد كانت قريش مستعدة كل الاستعداد لقبول مثل هذه الأسطورة في القرن السابع للمسيح"[1].

- كذلك تأثّر خلف الله بطه حسين في تمجيده للغرب وتقليده لهم حتى فيما لا شأن لهم به؛ فطه حسين يقول: "علينا أن نسير سيرة الأوربيين في الحضارة خيرها وشرها، حلوها ومرها، ما يُحمد منها وما يُعاب..." [2].

وخلف الله يحاول أن يقنع القارئ بأن عليه "أن يتقبّل التشريع الغربي كبديل للتشريع الإسلامي، بحيث نأخذ منه كل قانون لا نجد ما يقوم مقامه في التشريع الإسلامي، ويحاول أن يخادع في هذا فيعتمد على نص عند الفقهاء فيقول: "كل قضية تجدُّ وليس فيها حكم إسلامي فإن لنا أن نأخذ لها من التشريع الغربي؛ لأنه إذا كان "شرع من قبلنا شرع لنا فشرع معاصرينا شرع لنا كذلك".

و يحاول أن يصور التشريع الغربي المعاصر في مستوى شرع من قبلنا، وهذه خدعة بلغاء، فليس المقصود بالنص هو هذا.

إن التشريعات السابقة يقصد بها تشريعات الديانات السماوية التي بقيت على ما أنزلت عليه من عند الله دون تحريف، أما التشريع الغربي فهو تشريع بشري وليس شرع الله، ففكرة الحلال والحرام غير واردة فيه، وإنما وارد فيه فكرة المصلحة التي هي غالباً مصلحة الطبقة الحاكمة، وقليلاً هي مصلحة الشعب، على أن البشر قاصرون في النظر البعيد عن إدراك المصلحة إدراكاً دقيقاً من تلقاء أنفسهم، أي دون أن يهتدوا بشرع منزل من الله تعالى.

إذن هناك فرق جوهري بين شرع من كان قبلنا وشرع المعاصرين لنا يجعلنا نأخذ من السابق ما لم يحرف ولم يخالف ما ورد في الكتاب والسنة، ويمنعنا من الأخذ من شرع

---

(١) نفسه، الصفحة نفسها وما بعدها.

(٢) مستقبل الثقافة في مصر، ص٥٤.

معاصرينا لقصوره وقيامه على الإلحاد"[1].

- ومن آثار طه حسين على خلف الله في الجرأة على القرآن وتدنيس المقدّس - كما يقول الحداثيون - تصويره بأن التشريعات النبوية "اجتهاد بشري يخطئ ويصيب، ولا يقتصر في خطئه على السنة بل يمتد إلى القرآن نفسه فيأخذ من السنة بيانها للقرآن، في نوع واحد فقط هو السنة المبيّنة للعقيدة والعبادات، دون السنة المبيّنة للأحكام والمنشئة لها، يقول الأستاذ حسين ناجي محيي الدين:

"هكذا نراه أهدر من القرآن والسنة ما ورد فيهما من أحكام بدعوى أنها غير ملائمة للعصر، واعتماداً على أن الأصوليين (علماء الفقه) قالوا: إن المصلحة تتغيّر بتغيّر الزمان" ويردّ عليه فيقول:

"إن الأصوليين حين قالوا ذلك لم يقصدوا الأحكام الواردة بصريح القرآن ولا الأحكام التي وردت وبيّنها الرسول ﷺ، ولا الأحكام التي أنشأها الرسول ﷺ إنشاءً، وإنما قصدوا بعبارتهم الأحكام التي لم يرد منها نص من قرآن أو سنة، وهي التي قال فيها المجتهدون بالقياس أو الاستحسان أو الإجماع، أي الأحكام التي وصل إليها هؤلاء بفكرهم البشري"[2].

- ويدخل في هذا الأثر "دعواه بتعطيل آية الفيء والغنيمة على أساس أن الزمن تغيّر، وقد سمّى بيان الرسول ﷺ للقرآن اجتهاداً بشرياً، وليس يلزم أن يكون ديناً، وله جرأة على الله -تعالى- وعلى رسوله ﷺ، وله مغالطاته وتناقضاته فيقول:

"إن تفسير رسول الله ﷺ للقرآن، قول بشر ومعنى قول بشر: أنه غير ملزم أن يؤخذ منه أو يترك، فلا يعقل أن يكون قول بشر له صفة الإلزام" ولا يعنى هذا الكلام أكثر من أن صاحبه لا يعرف معنى النبوة، ولم يحط إحاطة صحيحة بمهمة الرسول ﷺ

---

(١) إعادة النظر في كتابات العصريين، أنور الجندي، ص٣٠٢ وما بعدها.

(٢) المرجع السابق، ص٣٠٣.

ومسئوليته"[١].

- من آثار طه حسين على خلف الله أيضاً قوله: "بأن الدين وضع إلهي والدولة وضع بشري" ويعلّق الأستاذ أنور الجندي على هذا بقوله: "تلك مقولة ظاهرة البطلان تستمد مفهومها من مفاهيم اللاهوت الغربي ونظرية فصل الدين عن الدولة التي قام بها الغربيون؛ من أجل الخلاص من الدولة الثيوقراطية[٢] ومن مظالم الكنيسة، أما في الإسلام فإن الأمر يختلف ولو كان لخلف الله أقل إلمام لمفهوم الإسلام كدين ونظام مجتمع، لما عرض لهذه العبارات التي تصوره بصورة من يتحدث عمّا يعلم، أو من يعلم، ولكنه يراوغ في سبيل التشكيك وإثارة الشبهات"[٣].

٣) صلاح عبدالصبور (١٩٣١ - ١٩٨١) م :

شاعر مصري، ورائد من رواد الحداثة، مليء شعره بالمضامين الحداثية المنحرفة، كما في قصيدته (الناس في بلادي) و(مأساة الحلاج) وغيرها، تأثر بشعراء الغرب، وبذل جهداً كبيراً في نشر المضامين الحداثية والعلمانية، وكانت خاتمته الموت بالسكتة أثناء ليلة رقص وخمر في منزل أحمد عبدالمعطى حجازي[٤].

---

(١) المرجع السابق، ص٣٠٤.

(٢) ثيوقراطية: تعني حكومة الكهنة أو حكومة دينية. تتكون كلمة ثيوقراطية من كلمتين مدمجتين هما" ثيو"وتعني الدين "وقراطية" وتعني الحكم وعليه فان الثيوقراطية هي نظام حكم يستمد الحاكم فيه سلطته أو بالحري شرعيته مباشرة من الإله.حيث تكون الطبقة الحاكمة من الكهنة أو رجال الدين. وتعتبر الثيوقراطية من أنواع الحكم الفردي الذي كان يحكمها الملك عن طريق الوراثة ولا يجوز لأحد مخالفته باعتباره خليفة الله.

(٣) نفسه، الصفحة نفسها.

(٤) يراجع: الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها، جـ ٢، ص٨٨٣، نقلاً عن: تاريخ الشعر العربي الحديث، ص٦٦٥، قضايا الشعر الحديث، ص٥٥٧، ٢٦٢- ٢٦٨.

- **تأثره بطه حسين:**

- كتب صلاح عبدالصبور في الشعر الحديث وخرج عن أحضان الأصالة التي عرفها الشعر العربي المنظوم، وذلك لتأثره بموجة التغريب التي كان من أبرز دعاتها طه حسين، ولذلك يعد أعظم أثر لطه حسين على هذا الشاعر تأثره بالتغريب الذي كان متضمناً فكرة الخروج عن القيم والضوابط والمعالم التي يدور فيها الشعر العربي الأصيل[(١)].

ففي قصيدته (الظل والصليب) يقول: - واستغفر الله مما يقول -

"ملاَّحنا ينتف شعر الذقن في جنون

يدعو إله النقمة المجنون أن يلين قلبه، ولا يلين ينشد أبناءه وأهله الأدنين، والوسادة التي لوى عليها فخذ زوجه، أولدها محمداً وأحمداً وسيداً وخضرة البكر التي لم يفترع حجابها إنس ولا شيطان. يدعو إله النعمة الأمين أن يرعاه حتى يقضي الصلاة حتى يؤتي الزكاة، حتى ينحر القربان، حتى يبتني بحر ماله كنيسة ومسجداً وخان"[(٢)].

- كما يبرز أثر طه حسين على هذا الشاعر في جانب آخر وهو الإحساس الواضح بالسخرية لكل مقوِّمات الدين والأخلاق وتبنِّي نظريات الفن للفن، وقد سبق الحديث عن تبنِّي طه حسين لهذا المفهوم الغربي حينما دعا إلى الحرية المطلقة في الأدب وكتابته بلا حدود ولا قيود! [(٣)]، ففي قصيدته الموسومة بـ (القدِّيس) يظهر بوضوح سخريته بالذات الإلهية في صورة أبيات هزيلة من الشعر الحر يقول:

"وأن حقيقة الدنيا ثوت في كهف

وأن حقيقة الدنيا هي الفلسين فوق الكف

وأن الله قد خلق الأنام، ونام

---

(١) يراجع: إعادة النظر في كتابات العصريين، أنور الجندي، ص٢٧٠.

(٢) الموقع الإلكتروني: (الموسوعة الحرة) http://ar.wilkipedie.org.

(٣) إعادة النظر في كتابات العصريين، أنور الجندي، ص٢٧٠.

وأن الله في مفتاح باب البيت"[1].

وتعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

و كذلك قصيدته (أغنية من فينا) التي ملأها بكثير من الألفاظ الجنسية المكشوفة الفاضحة، مما يؤكد منهج الفن للفن الذي تبنَّاه هذا الشاعر.

- أمرٌ آخر يبدو فيه التأثُّر واضحاً على شعر صلاح عبدالصبور، وهو ما يظهر على شعره من سيطرة مفاهيم الأدب اليوناني والإغريقي التي تركِّز على الجنس والجسد واللذة والدوران في فلك مفهوم (سارتر) النفسي، و(فرويد) الفكري؛ حيث دارت معظم قصص طه حسين، إن لم تكن جميعها، حول هذه المفاهيم الهابطة. فصلاح عبدالصبور قد يكون متأثراً بطه حسين في هذا الجانب وإن كان أسوأ منه حقيقة.

٤) توفيق الحكيم (١٨٩٨ - ١٩٨٧) م:

"أديب مصري درس الحقوق ورحل إلى باريس لمتابعة دراسته القانونية، وهناك امتلأ ماعونه بالمضامين الغربية، وعاد إلى مصر ليعمل في إحدى المحاكم متنقِّلاً بين عدة مدن، ثم شرع في العمل في وزارة المعارف ثم تفرّغ للكتابة عام ١٣٦٢هـ ١٩٤٣م، وعيّن مندوباً في اليونسكو، من أكابر المتأثّرين بالغرب، والداعين إلى أنماطه وأفكاره، اصطدم بالأزهر لسخريته بالدين وأهله عام ١٣٤٦هـ - ١٩٢٨م، وفي عام ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ردَّ عليه مفكرون وعلماء لسخريته بالله تعالى، يرى أن تحكيم شرع الله عودة إلى العصر الحجري، وأن التقدم لا يحصل إلا باحتذاء طريقة الغرب وأفكارهم، يعتبره اليهود صديقاً لدولتهم الصهيونية"[2].

---

(١) الموقع الإلكتروني: (الموسوعة الحرة) http://ar.wilkipedie.org.

(٢) إعادة النظر في كتابات العصريين، هامش ص٧٢٧، نقلاً عن: المرشد لتراجم الكتاب والأدباء، ص٤٢، والصراع بين القديم والحديث ٢/ ١٢٤٤، ورأيهم في الإسلام ص١٠١، وكتاب الحكيم في حديثه مع الله ومدرسة المتمردين على الشريعة لعبدالعظيم المطعني.

- **تأثره بطه حسين:**

يظهر تأثر توفيق الحكيم بطه حسين في عدة جوانب منها:

- كلاهما يُعد من أعمدة التغريب في المشرق الإسلامي حيث تابع توفيق الحكيم طه حسين في دعوته للاقتداء بالغرب والتشبه بهم التي صرّح بها طه حسين في كتابه (مستقبل الثقافة في مصر)، حين دعا إلى "السير بسيرة الأوروبيين لنكون لهم شركاء في الحضارة، خيرها وشرها، حلوها ومرها، وما يحب منها وما يكره، وما يحمد منها وما يعاب"[1]، ومن الأمثلة على دعوته للتغريب، "مقالته الشهيرة (آن الأوان أن نلبس القبعة) وقال: "أيها الشباب أقدموا على لبس القبعة ولا تخشوا شيئاً ما دمتم مقتنعين بأن الطربوش لم يعد يصلح لحاضركم ولا لمستقبلكم".

وقد ردّ عليه كثيرون من العلماء حيث قالوا: إن هدفه من لبس القبعة إعلانه انسلاخ ذلك القطر عن الجانب الذي فيه التاريخ الإسلامي والالتحاق بالجانب الذي فيه القافلة الإفرنجية، ولا يدعو شخص إلى تعميم القبعة في قطر إسلامي إلا إذا كان الإسلام هيناً عليه، وإلا إذا كان يرتاح فيما بينه وبين نفسه إلى تقليص ظله....

قال السيد محب الدين الخطيب: "فالدعوة التي تبنّاها توفيق الحكيم لتكوين عصابة من المصريين تخرج في وقت معين بالبرانيط هي وليدة الاقتناع بضرورة انسلاخ المصريين عما كانوا فيه، وأخذهم بالتفرنج بحذافيره"[2].

- مما تأثر به توفيق أيضاً تشكيكه في الوحي، حيث قال في مقال نشرته الرسالة تحت عنوان (نجم أحمد) عام ١٩٣٧: "إذن ظهر الإسلام بظهور محمد، والمسيحية بظهور المسيح، واليهودية بظهور موسى. [وبعد أن ذكر أن كل الأديان تتحد في الجوهر وتختلف في المظهر قال]: هنا يخطر بالبال سؤال، هو هل تجوز المفاضلة بين الأثواب وهي كلها من صنع الخالق المعصوم الذي لا ينبغي أن يخطئ، ولا أن يصحح ما سبق أن صدر

---

(١) سبق ذكره في المخالفات العقدية، صخطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة..

(٢) إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام، أنور الجندي، ص١٩٢.

منه، إذ إن جوهر الحق وحده من شأن الله، أما الأسلوب الذي يعرض على الناس فهو من شأن الرسل والأنبياء، عليهم الصلاة والسلام؟

قبل الإجابة عن هذا السؤال يجب النظر في قضية أخرى، هل للطبع والمزاج والخلق الذي ركِّب عليه النبي أو الرسول أثرٌ في رسالته؟ هل شخصية الرسول تطبع بخاتمها شكل الدين الذي يدعو إليه؟ هل لظروف العيش التي نشأ عليها النبي دخل في اتخاذ القالب الذي أفرغ منه؟

إن التبِعة في أسلوب الأديان تقع بلا مراء على كاهل الأنبياء. والنبي مسئول عن الطريق الذي اتبعه للإبانة عن الحق مسئولية ملقاة على شخصيته التي صبغت الشريعة بصبغتها"[1].

إن قوله هذا مع ما فيه من مخاتلة ومواربة يشبه إلى حد كبير قول طه حسين في كتابه (في الشعر الجاهلي) وتشكيكه في الوحي حيث يقول: "إذا رجعنا إلى القرآن نجده قد صوّر العرب وحياتهم بما يجعلهم أمة سياسية، تنشد أن تكون قوة ثالثة بين الفرس والروم، كما كانت أمة وسطاً بين البحر المتوسط والمحيط الهندي، وبذلك تكون مدخلاً للتجارة العابرة، وهو أي القرآن يصف اتصالهم الاقتصادي بغيرهم من الأمم في السورة المعروضة: "لإيلاف في قريش*إيلافهم رحلة الشتاء والصيف"

ثم يقول:"أرأيت أن التماس الحياة العربية الجاهلية في القرآن أنفع وأجدى من التماسها في هذا الشعر العقيم الذي يسمونه الشعر الجاهلي، أرأيت أن هذا النحو من البحث يغيّر كل التغير ما تعودنا أن نعرف من أمر الجاهليين"[2].

يقول الأستاذ أنور الجندي معلقاً: "ومعنى هذا القول كما يريد أن يفهم المؤلف قارئه: إن القرآن انطباع للحياة القائمة في وقت صاحبه وهو النبي، وهو يمثل لذلك بيئة

---

(١) المرجع السابق، ص١٩٣.

(٢) في الشعر الجاهلي، ص٢٣.

خاصة، في عقيدتها ولغتها وعاداتها"[1].

ولذا يقول طه حسين في توضيح هذا المعنى: "وليس من اليسير، بل ليس من الممكن أن نصدق أن القرآن كان جديداً كله على العرب، فلو كان كذلك لما فهموه ولما وعوه، ولا آمن به بعضهم ولا ناهضه وجادل فيه بعضهم الآخر"[2].

ويقول: "وفي القرآن رد على الوثنيين فيما كانوا يعتقدون من وثنية، وفيه رد على اليهود وفيه رد على النصارى، إنما يرد على فرق من العرب كانت تمثلهم في البلاد العربية نفسها، ولولا ذلك لما كانت له قيمة ولا خطر"

وهذه محاولة ماكرة من طه حسين، في الطعن على القرآن طعناً غير مباشر ويكشف أسلوبه الخبيث في نسف إلهية القرآن دون أن يتلبّس بالكفر الصريح، على حد تعبير (غازي التوبة)" [3].

وهذا ماظهر من قوله - والله أعلم بالنوايا -.

و قد ذكر الدكتور محمد البهيّ أن طه حسين عرض فكرة بشرية القرآن في إحدى صورتين:

الأولى: "أنه انطباع في نفس محمد ﷺ نشأ عن تأثره ببيئته التي عاش فيها، بمكانها وزمانها ومظاهر حياتها المادية الروحية والاجتماعية.

الثانية: أنه تعبير عن الحياة التي عاش فيها محمد ﷺ بما فيها المكان والزمان وجوانب الحياة الاقتصادية والسياسية والدينية والاجتماعية"[4]

ونص طه حسين السابق موافق لما يدور حوله كلام توفيق الحكيم- والله أعلم -.

---

(١) محاكمة فكر طه حسين، أنور الجندي، ص١٧١.

(٢) في الشعر الجاهلي، ص١٦.

(٣) يراجع: محاكمة فكر طه حسين، أنور الجندي، ص١٧١.

(٤) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، د. محمد البهي، ص٢٢٨.

وقد ردَّ محمود أبو رية على توفيق الحكيم بقوله: "الكاتب يعني أنه ما دامت الأديان تختلف في المظهر فإن هذا الاختلاف لا يكون من الله؛ لأن الله سبحانه لا ينبغي أن يخطئ ولا أن يصحّح ما سبق أن صدر منه، وإنما مصدره الرسل، والأسلوب الذي يعرض به الدين على الناس هو من شأن الرسل فقط، وكل أسلوب خاضع لطبع الرسول ومزاجه وخلقه. أي أن كل دين من وضع من يدعو إليه؛ وبهذا الرأي الجبار الذي بعث به تفكير الأستاذ توفيق الحكيم يكون دين الإسلام هو من وضع محمد ﷺ، وهذا الأسلوب أثر من طبعه ومزاجه وخلقه، وأن شخصيته هي التي طبعت بخاتمها شكل الدين الإسلامي، هذا هو الإسلام في نظر الأستاذ توفيق الحكيم فهو ليس وحياً من الله، وهو ليس منزَّلاً من عند الله، وأن محمداً ﷺ هو الذي وضع شكله وصبغ قالبه، ثم خرج يدعو الناس إليه. ألا فليعلم الأستاذ توفيق الحكيم أن دين الإسلام الذي اصطفى الله له من عباده من بيَّنه للناس لم يكن محمد ﷺ يدري منه شيئاً، ولا يعرف قبل أن يبلغ الأربعين أنه سيوحى إليه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1].

وأنه كان لا يتبع إلا ما يوحى إليه، هكذا كان شأن النبي ﷺ (وكل هذا وارد في آيات القرآن الكريم). إن دين الإسلام ليس من طبع النبي ولا من مزاجه ولا من خلقه ولا من شخصيته ولا من ظروف عيشه في شيء، وإنما هو وحي نزل عليه وأوجب الله عليه اتباعه والدعوة إليه وتبيينه للناس"[2].

– ومما يؤكد شدة تأثُّر توفيق الحكيم بطه حسين مطالبته بتعميم اختلاط النساء بالرجال وقوله: "إذا كانت أخلاق الرجل والمرأة متينة فلا ينجم عن هذا الاختلاط خطر، وإذا كانت النتائج سيئة فهذه مرجعها سوء خلق هذين الشخصين"[3].

وهذا هو عينه ما ذكره طه حسين سابقاً في مقالٍ له وردّ عليه الشيخ عبدالعزيز

---

(١) سورة الزخرف: ٥٢.

(٢) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، د. محمد البهي، ص١٩٤.

(٣) نفسه، الصفحة نفسها.

جاويش[1] ~ .

– كذلك من آثار طه حسين على توفيق الحكيم دعوته للفرعونية – التي هي فرع من الشعوبية – "حيث تابعها وعرضها بكل ما فيها من أساطير ووثنيات، ناهيك عن خضوعه لشتى التيارات الهدامة التي تضرب موجاتها في جدار الفكر الإسلامي دون أن يستطيع أن يقدم شيئاً فيه أصالة عربية أو إسلامية حقيقية، – ومن ذلك متابعته للفكر الغربي (الفن للفن)، وما فيه من تحرير الشباب من قيد الأصالة، وسوء رأيه في العرب"[2].

وكل هذا سبقه إليه صديقه النجيب طه حسين!! – كما سبق ذكره – كذلك كان من ثمار علاقة طه حسين بتوفيق الحكيم ولاؤه لليهود، وترجمتهم لمؤلفاته، فكما أن طه حسين أعلى من شأن (أبو ذؤيب) اليهودي وأشرف على رسالته، وقبل أن يعمل رئيساً للتحرير في مجلة (الكاتب المصري) التي يمولّها يهود، وزعم أن اليهود أثّروا في الأدب العربي أثراً كبيراً جنى على ظهوره ما كان بين العرب واليهود، كما زعم أن اليهود قالوا كثيراً من الشعر في الدين وهجاء العرب وقد أضاعه مؤلفو العرب.

وغير ذلك وكتب مقالاً يتباكى فيه على اللاجئين من اليهود مقرراً لهم حق العودة!! بدلاً من إخواننا الفلسطينيين[3]، كذلك بدا ولاء توفيق الحكيم لليهود واضحاً حين كتب مسرحيتيه عن نبي الله سليمان عليه السلام وقصة أصحاب الكهف، فكتبهما من مفهوم التوراة معارضاً بهما مفهوم القرآن الكريم، "وقد كشف كتّاب اليقظة عن أن هاتين المسرحتين ليستا سوى نسخ ممسوخة عن أسفار اليهود، وأن المفهوم الذي قدمه توفيق الحكيم في مسرحيته سليمان قد جرَّد النبي من النبوة، وحاول أن يصوره على أنه رجل جنسي تحكمه شهوته في اقتناء النساء وهو مفهوم التوراة التي كتبها يهود، والذي دحضه القرآن حين كشف عن نبوة سليمان التي تعلو على الأهواء؛ فسليمان عليه السلام في

---

(١) راجع ص٨٨ من هذه الدراسة.

(٢) نفسه، ص١٩٥.

(٣) يراجع: طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام، أنور الجندي، ص١٢٧ – ١٣١.

مفهوم الإسلام نبي معصوم، وفي قصة (أهل الكهف) يخرج توفيق الحكيم عن المفهوم الأصيل لقصة هذه الجماعة من المؤمنين، ونجد ذلك التجاوز والمعارضة من توفيق الحكيم للنصوص القرآنية الصحيحة، والاعتماد على الكتب الأخرى من كتب النصارى واليهود والأساطير القديمة دون أن يعتمد على مفهوم القرآن، يقول السيد أبو الحسن الندوي ~ :

"إن قصة أصحاب الكهف والرقيم هي قصة الأديان والقوة والثبات والتضحية والجهاد التي تتكرر في تاريخ الإنسانية وفي تاريخ الحق والعقيدة؛ وهي برهان على أن الأسباب خاضعة للإرادة الإلهية، صديقة للإيمان والعمل الصالح، فسبيل المؤمنين أن يستميلوا هذه الإرادة بالإيمان والعمل الصالح بما يستحق نصر الله وتأييده" أما في أهل الكهف لتوفيق الحكيم فإن الصورة تختلف، فهؤلاء قوم لم يكن في قلوبهم إلا حب الدنيا والحديث عن أهوائها، فقد أجرى بينهم أحاديث تختلف تماماً عما كان يشغل أهل الكهف الفارين بدينهم من بطش الظالمين من أهل الوثنية، وكيف يمكن أن يفكر هؤلاء في تلك الشواغل الدنيوية من حب وعواطف في موقف قد نصبت فيه المذابح وجرى تخطُّف الناس ليقرُّوا بالكفر وإلا فالموت الزؤام.

ولهذا عبَّر طه حسين عن فرحته التي لم يخفها "حين أعلن أن هذه القصة فتح لم يسبق في تاريخ الأدب العربي كله، لأنه كان يعرف مدى السموم التي يمكن أن تنثرها في جو الأدب العربي والفكر الإسلامي، وخاصة إذا كانت هذه المسرحية قد وردت في التوراة وفي القرآن وهي تختلف في كل منهما عن الآخر"[(1)].

كما دعا إلى التقريب بين الأديان الثلاثة[(2)].

- بعد عودة توفيق الحكيم من الغرب - دون أن يظفر على شهادة القانون -سعى إلى إخراج الأدب اليوناني القائم على علم الأصنام والمتمثل في صراع القدر وصراع

---

(1) إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام، أنور الجندي، ص١٩٧ وما بعدها.

(2) نفسه، ص١٩٥.

الآلهة، وكلاهما غريب عن النفس العربية الإسلامية، وكان في مقدمة من نقلوا القصة العربية والمسرحية إلى إحياء الأساطير القديمة، وهذا ما سبقه إليه طه حسين حين ترجم الكثير من القصص اليوناني والمسرحيات اليونانية في كتابه، وكانت في مضمونها تحوي ما حوته قصص توفيق الحكيم من تعدُّد الآلهة وصراعها فيما بينها ومع الإنسان، والصراع الدائر بين الإنسان والقدر[1] وبين الإنسان والخطيئة.... [2].

- وأخيراً فقد سعى توفيق الحكيم إلى الحط من قدر الرموز الإسلامية "كما فعل مع سلطان العلماء العز بن عبدالسلام ~ حين جعله عاشقاً لغانية يلين لها ويتوسّل إليها وما هكذا كان العز ولن يكون"[3].

وهذا يذكرني بما فعله صنوه: طه حسين حينما حط من قدر الصحابة والخليفتين المأمون وهارون الرشيد، وما فعله مع ابن خلدون والمتنبي - رحم الله الجميع- وقد كتب توفيق الحكيم مقالاً بعنوان (الأديب المنفي...!) يتحدَّث فيه عن طه حسين وذلك عندما رحل في إحدى السنوات إلى أوروبا يقول:"لم تنفه سلطة من السلطات، ولا هيئة من الهيئات... ولكنه نفى نفسه بنفسه بعيداً عن بلده... إذ شعر أن بلده لم يعد في حاجة إليه... فقد اعتصر هذا البلد خير عمره الذي مضى، وجهده الذي انقضى، كما يعتصر الكرم الطيب العريق ويسكب روحاً صافياً، ونوراً نقياً في نفوس الناس... ذهب إلى بلاد تعرف قدره وفضله... وتدرك أنها في حاجة إلى علمه وأدبه حاجة لا تنتهي ولا تزول... لأنه في تلك البلاد لا يعرفون حداً للفضل والعلم... ولا يقيمون سدّاً في وجه العلماء والأدباء... ولقد دعته جامعة مدريد ليلقي فيها سلسلة من المحاضرات... ثم دعته جامعة السوربون ليحاضر طلابها طول العام... هذا ما وافتنا به أخيراً أنباء الصحف... فهو إذن قد استقر به المقام خارج مصر... لا ينوي العودة إليها في القريب... وربما وجد من عناية القوم به هناك، ما ينسيه طعم المرارة التي ذاقها من إهمال قومه هنا وذويه...".

---

(١) كما في قصة "القدر" لطه حسين وهي إحدى قصصه المترجمة.

(٢) يراجع: نفسه، ص١٩٧- ١٩٨.

(٣) نفسه، ص١٩٥.

إلى أن يقول متسائلاً:"من الرابح في ذلك ومن الخاسر؟... أما الدكتور طه حسين بك فما نظنه يخسر شيئاً... فهو أينما سار في بلاد النور، وجد التقدير في استقباله.... ولكن الخاسر في ذلك بلاده... فهي التي ستتعرض للوم والتقريع يوم تعرف الدنيا أن مثل هذا الأديب لا يجد في وطنه غير الإهمال والإغفال...".

- وممَّا يدل على قوَّة العلاقة بينهما والتقائهما في كثير من الأمور - كما أسلفت- كثرة الرسائل المتبادلة بينهما في تلك الحقبة الزمنية التي عاشاها معاً وقد جمع الأستاذ إبراهيم عبدالعزيز في كتابه (أيام العمر) مجموعة من الرسائل المتبادلة بين طه حسين وتوفيق الحكيم لعلِّي أذكر شيئًا منها:

أرسل طه حسين رسالة إلى توفيق في الثالث من أغسطس ١٩٥٢ يقول فيها: "كم كنت أحب أن أكون معك في مصر، أو أن تكون معي في أوروبا أثناء هذه الأيام التي تنشر فيها مصر من تاريخها كتاباً وتطوي كتاباً. خيل إليَّ أن للأدب حقه في هذه الثورة الرائعة هيأها لها قبل أن تكون وسيصورها بعد أن كانت. نفسي ليست مستقرة، جثماني في إيطاليا ونفسي في مصر".

وقد رد عليه توفيق برسالة جاء فيها: "إن كل شئ في رأسي ونفسي مضطرب ثائر... وإني لأفكر في كل شيء كما لو كنت أنا المنوط به حل الأمور... فأنا أعيش حياة بلادي الآن كما يعيشها المواطن الصالح"[1]. وغيرها من الرسائل التي تطول جدًا.

۞ ٥) إحسان عبدالقدوس (١٩٢٠- ١٩٩٠) م:

أديب مصري، وصاحب القصص المشهورة، نشأ في بيت جده لوالده الشيخ رضوان وكان من خريجي الجامع الأزهر، كان جده متديناً جداً، وفرض على جميع الأسرة الالتزام والتمسك بأوامر الدين وأداء فروضه، والمحافظة على التقاليد.

أما والدته فهي الفنانة والصحفية (روز اليوسف) سيدة متحررة تفتح بيتها لعقد

---

(١) ص١٣١ و ما بعدها.

ندوات ثقافية وسياسية يشترك فيها كبار الشعراء والأدباء والسياسيين ورجال الفن[1].

"وكان ينتقل وهو طفل من ندوة جده حيث يلتقي بزملائه من علماء الأزهر ويأخذ الدروس الدينية التي ارتضاها له جده، وقبل أن يهضمها يجد نفسه في أحضان ندوة أخرى على النقيض تماماً لما كان عليه.... إنها ندوة روز اليوسف"[2].

ويتحدث إحسان عن تأثير هذين الجانبين المتناقضين عليه فيقول: "كان الانتقال بين هذين المكانين المتناقضين يصيبني في البداية بما يشبه الدوار الذهني حتى اعتدت عليه بالتدريج واستطعت أن أعدَّ نفسي لتقبله كأمر واقع في حياتي لا مفر منه"[3].

يُعدّ إحسان عبدالقدوس أديب (الجنس) الأول في العالم العربي، فلا يكاد يجد القارئ قصة من قصصه لا تحتوي أموراً جنسية، وعلاقات غير شرعية بين أبطال قصصه[4].

يقول الأستاذ فتحي سلامة: "لقد أُطلق على إحسان عبدالقدوس (روائي الجنس)، ظل يكتب بطريقته الخاصة متحدياً التيار الأخلاقي (بل الإسلامي!) الذي طالب بتحريم كتب إحسان عبدالقدوس"[5].

ويقول الأستاذ أنور الجندي: "لقد استطاع إحسان عبدالقدوس أن يغلف أفكاره ودعاواه وإباحيته بأن يديرها في إطار قصة سياسية أو وطنية ليخدع بها الشباب"[6].

- **تأثره بطه حسين:**

إحسان عبدالقدوس أحد المتأثرين بفكر طه حسين بحكم تلمذته على يديه، إذ كان طه حسين الأستاذ المقرّب إلى هذا الأديب، يقول إحسان في رسالة بعث بها إلى طه:

---

(١) يراجع: نفسه، ص٤٨٩.

(٢) المرجع السابق، الصفحة نفسها، نقلاً عن: إحسان عبدالقدوس يتذكر، د. أميرة أبو الفتوح، ص١١.

(٣) نفسه، ص٤٩٠، نقلاً عن: المصدر السابق.

(٤) يراجع: نفسه، ص٤٩٥.

(٥) إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام، أنور الجندي، ص٢٢٠.

(٦) نفسه، ص٢٢١.

"أستاذي الكبير الدكتور طه حسين
تحية حب كبير واقتناع بك
قرأت في روز اليوسف[1] كلمة عتاب وجهتها لي لأني لا أرسل لك كتبي...
وهو عتاب شرفني وأفرحني..." [2].

ثم ذكر لطه حسين معاناته من جرّاء ما يكتب في الصحف من قصص لا يقبلها المجتمع، ولا يريد أن تشيع بين أبنائه وهو إذ يقدم شكواه لأستاذه يستمدّ منه العون والتأييد؛ لأنه قد أصابه من قبل ما يصيبه الآن من المجتمع الرجعي المتحجّر - على حد زعمه -. ثم يقول في آخر هذه الرسالة: "ولعلك يا أستاذي الكبير تذكر أني في آخر مرة زرتك فيها بصحبة أعضاء جمعية الأدباء أني ملت على أذنك، وقلت لك إني في حاجة إليك، فإني أجتاز حالة نفسية تدفعني إلى الاستجارة بك.... وتفضلت سيادتك بأن وعدتني بأن تحدّد لي موعداً عندما أتصل بك...

مع كل حبي واقتناعي، وأطيب تمنياتي
المخلص
إحسان عبدالقدوس
٤/ ٣/ ١٩٦٦

ومن خلال سطور هذه الرسالة يظهر إلى أي مدى كان إحسان عبدالقدوس يعجب بطه حسين ويقتفي أثره.

ومما يؤكد تأثر إحسان عبدالقدوس بطه حسين ما يلي:

- معظم روايات وقصص إحسان عبدالقدوس تدور حول الجنس والجريمة، وكذلك محور قصص طه حسين تدور حول الجريمة والخيانة، غير أن عبدالقدوس وصل إلى مرحلة كبيرة من الفحش لم يصل إليها طه حسين، فحيز الجريمة في قصة طه حسين

---

(١) اسم الصحيفة التي كانت تشرف عليها والدته (روز اليوسف) واسمها الحقيقي فاطمة اليوسف.

(٢) إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام، أنور الجندي، ص٢٢٣.

يصغر كثيراً عما هي عليه في قصة إحسان، وإن كان الهدف واحداً في النهاية وهو تغريب المجتمع المسلم وإبعاده عن أصالته وتراثه الإسلامي.

تقول الباحثة سهيلة زين العابدين:"من خلال دراسة قصص الأستاذ إحسان عبدالقدوس نجد ونلمس بوضوح مدى تركيز الأستاذ إحسان على الغريزة الجنسية لدرجة أنه جعل سلوك شخصيات قصصه نساءً أو رجالاً، فتياناً وفتيات، يدور في تلك الغريزة الجنسية: لا أسرة، لا زواج، ولا احترام لرباط الزوجية، ولا أمومة، ولا أبوة، ولا بنوة، ولا أخوة، ولا عمل، وسعي على طلب الرزق، ولا دين ولا عبادة، ولا صوم ولا صلاة، ولا قيم، ولا أخلاق، ولا مبادئ!، شيوعية إباحية، حرية مطلقة، تحلل وانحلال، هذا ما نجده في قصص الأستاذ إحسان عبدالقدوس، فالغريزة الجنسية هي كل ما في حياة الإنسان والمجتمعات ولا فرق بين مجتمع ومجتمع، وامرأة مسلمة محجبة تعيش في كنف الحجاب وامرأة أوروبية متحللة مومس، كل النساء سواء، وكل المجتمعات سواء، بل إن المجتمعات التي تسير على نهج الله وتوجب الحجاب وتحرم الخمر وتمنع الاختلاط هي في نظره من أكثر المجتمعات تحللاً وفساداً"(١).

- دفاع إحسان عن اليهود المتمثل في قصته (كانت صعبة ومغرورة) حيث "يتعاطف مع اليهود، متناسياً كل مكايدهم وعدائهم التاريخي للإسلام وأهله؛ وذلك بتزويجه المسلمة (ناهد) من اليهودي (شريف الهنداوي) بعد إعلان إسلامه نفاقاً ليتمكن من الزواج منها.

ومن خلال كلمات شريف عن اليهود تجد الدفاع الحار عنهم الذي يصوغه إحسان على لسانه"(٢).

كما يقول إحسان في مقدمة قصته الثانية (لا تتركوني هنا وحيدة):"ليست هذه أول قصة أكتبها وأنشرها عن المجتمع اليهودي المصري...

---

(١) نظرة شرعية في فكر منحرف، ص٥٠٥.

(٢) المرجع السابق، ص٤٩٧.

ربما كانت ثالث أو رابع قصة، فقد عشت هذا المجتمع منذ كنت أعيش صباي وشبابي في حي العباسية الملاصق لحي الظاهر الذي كان يضم أغلبية من السكان اليهود... وكان لي من بينهم أصدقاء وصديقات كثيرون"[1].

"وملخص هذه القصة (لا تتركوني هنا وحيدة) هو زواج (لوس) اليهودية من المسلم (شوكت بك)، وعندما أخبرت شوكت بأنها ستسلم، قال لها: "لماذا؟ إنا نستطيع أن نتزوج دون أن تغيري دينك.... إنها أنانية الإسلام... البنت المسلمة لا تستطيع أن تتزوج غير المسلم، ولكن الرجل المسلم يستطيع أن يتزوج من كل الأديان"!![2]

ومن هذه القصص تظهر محاباة إحسان عبدالقدوس لليهود وهو ما يظهر أيضاً من موقف طه حسين تجاه اليهود الذي تمثل في أكثر من مظهر - كما سبق ذكره -

فقد يكون هذا من آثار طه حسين على إحسان عبدالقدوس.

- وقد يكون من آثار طه حسين على إحسان أيضاً دعوته إلى تحرير المرأة؛ ففي قصته (فوق الحلال والحرام) التي تدور حول الإسلام والعلمانية، يجمع إحسان بين عبدالرحمن (شاب متدين) وهاني (شاب علماني) ويُدير بينهما حواراً من خلاله حاول إحسان أن يمرر ما يعتقد من أفكار تحريرية؛ كمهاجمته للحجاب، ودعوته للرقص والاختلاط، وتحليله للموسيقا، وغير ذلك. من ذلك قوله:

١ - "إن أي شيء مخبأ أو مغطى هو أكثر إثارة للإغراء من أي شيء مكشوف..."!! [3]

٢ - "إني لم أحس بأني أدفع إلى الحرام، وأنا استمع إلى الموسيقا الأجنبية، أو حتى وأنا أراقص هاني..." [4]

---

(١) قصته (لا تتركوني هنا وحيدة)، نقلاً عن: نظرة شرعية في فكر منحرف، ص٤٩٧.

(٢) المرجع السابق، الصفحة نفسها، نقلاً عن: القصة السابقة.

(٣) نظرة شرعية في فكر منحرف، ص٤٩٨.

(٤) نفسه، ص٥٠٣.

٣- "المايوه ليس خطيئة مادام لا يتعارض مع التصرفات الفاضلة، والنفوس الفاضلة"!![١]

٤- في قصة (خطاب إلى ابنتي) يقول إحسان:"قد كانت البنات قبل أن تولدي وأولد أنا يعشن وراء المشربيات، ولكن هذه المشربيات لم تحمهن من الخطيئة"[٢].

وهكذا من خلال هذه النصوص يوحي إحسان إلى القارئ بأن الحشمة والحجاب لا تحمي من الخطيئة، ولذا لا جدوى منها، وكأن الحجاب أمر خاضع لتجربة الأفراد، وليس أمراً إلهياً لا دخل للأهواء فيه.

- الجدال بالباطل من الصفات التي يشترك فيها كلٌ من طه حسين وإحسان عبدالقدوس؛ فطه حسين يقول في نص سابق: "لا أعلم نصاً من كتاب الله وسنة نبيه يمنع اختلاط الشباب بالشابات لطلب العلم"[٣]

وإحسان يقول: "ليس هناك نص في الإسلام يحرم الحشيش"![٤] .

٦) **يوسف إدريس (١٩٢٧ - ١٩٩١) م:**

طبيب مصري وأديب وقاص حداثي علماني متفرغ لذلك وللعمل في جريدة الجمهورية، كتب كثيراً من القصص والدراسات والمقالات المليئة بالمضامين اللادينية، وهو أول من خطَّ مسرحيات بالعامية، وأغرق في وصف آفات المجتمع كالجريمة والشذوذ الجنسي، مصادم للناس، مسهب في الإنشاء، موهوب في الشتم والهجاء، يفخر بأنه صدع بنضاله العلماني أو حال الإسلام الرجعي، يرى أن الشعب المصري مؤمن من عهد الفراعنة، وأنه يجب عدم مقاومة أي غزو ثقافي، ويرى أن الإسلام لا يصلح نظاماً

---

(١) نفسه، الصفحة نفسها.

(٢) المرجع السابق، الصفحة نفسها، نقلاً عن: القصة السابقة.

(٣) طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام، أنور الجندي، ص٦٩.

(٤) نظرة شرعية في فكر منحرف، ص٥٠٣.

للحكم، وغير ذلك من الأفكار المنحرفة، وقد رثاه الكتاب العلمانيون والحداثيون رثاءً حاراً، احتفائياً كعادتهم، ونشرت ذلك الهيئة المصرية العامة للكتاب في أكثر من ألف صفحة، مع ملحق بأسماء أعماله التأليفية والصحفية تحت عنوان (يوسف إدريس ١٩٢٧م - ١٩٩١م) (١).

• **تأثره بطه حسين:**

- "بدأ يوسف إدريس كتاباته بالقصة وهو مجال مفتوح لكل من يستطيع أن يقرأ قصة أجنبية أو يترجمها، وكان لاتصاله بطه حسين كطبيب أثر في تنويه طه حسين به، ومن هنا جاءت الشهرة. أما القيمة الحقيقية فلا توجد، إلا من حيث إن كتابة القصة فنٌ قائم على التقليد والتبعية للفن الغربي، وليس له أي جذر عربي أصيل، من هنا كان إعجاب كتاب الغرب بما يكتب بوصفها بضاعتهم ردّت إليهم(٢). وهذه ثمرة من ثمار تأثره بطه حسين حيث قلَّده في كتابة وترجمة القصص المليء بالجرائم الخُلقية من خيانة زوجية، وإباحية وغير ذلك"(٣).

- كذلك نادى يوسف إدريس بما نادى به طه حسين من إطلاق الفن من قيود الأخلاق، المذهب الضال الذي تنزّه كثيرون من كتاب الغرب عنه، وحاربه زعماء الإصلاح من أمثال: كارليل ورسكن(٤).

- يقول يوسف إدريس: "أنا لا أريد قيماً ثابتة للحياة اكتشفها الأقدمون"(٥) وهذا يذكرنا بموقف طه حسين حيال كل قديم، حتى إذا كان هذا القديم، نصوصاً ثابتة في

(١) يراجع: الصراع بين القديم والجديد في الأدب العربي الحديث، د. الكتاني، جـ٢، ص١٢٣٢، دار الثقافة - المغرب، ط: الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م.

(٢) وهذا ما أطلقه ماسينيون تماماً على مؤلفات ومقالات طه حسين، راجع: طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام، ص٣٢.

(٣) إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام، أنور الجندي، ص٢٣٤، بتصرف.

(٤) يراجع: نفسه، ٢٣٥.

(٥) نفسه، الصفحة نفسها.

كتاب الله تعالى، كما فعل مع قصة بناء الكعبة، ناهيك عن موقفه من إنكار وجود الشعر الجاهلي، - الذي لا يهمنا الحديث عنه -. وقول يوسف إدريس هذا يدل على دعوته المندفعة إلى حرب التراث، وهو يعني به كل قديم، ولا يستطيع أن يصرح بأنه إنما يعنى مهاجمة الدين نفسه.

- وهذا الكاتب "من هواة الكلمة الضخمة التي تحدث دويًّاً من أجل الوصول إلى الشهرة؛ تأكيداً لنفسية عاشت طفولة قاسية، وذاقت من المرارة ما تريد أن تعوضه بالتبريز في مجالات مفتوحة من التغريب والشعوبية، ومعارضة الأصالة التي ينطلق إليها الفكر الإسلامي، وما تزال قصصه أشبه بأحجار وصخور وأوحال وغيوم وبرق ورعد يدل على نفسية غير مستقيمة الاتجاه، انطلقت فصدَّعت الكثير وأثارت أحقاد النفوس"[(١)] وهذا الوصف ينطبق تمام الانطباق على طه حسين وخاصة عندما أثار ضجة كبيرة من خلال كتابه (في الشعر الجاهلي) ليثير الرأي العام، من منطلق (خالف تُعرف).

- أيضاً دعا يوسف إدريس إلى الإقليمية وهو ما فعله طه حسين حينما دعا إلى الشعوبية المتمثلة في الاعتزاز بالعرق الفرعوني أكثر من اعتزازه بالإسلام!! ويمضي كغيره - ممن أعلن الحرب على الإسلام - غير مأسوف عليه ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾[(٢)].

۞ ٧) أمينة السعيد (١٩١٤ – ١٩٩٥) م:

كاتبة وصحفية مصرية، ولدت بأسيوط، حيث كان والدها (أحمد السعيد) يعمل طبيباً في هذه البلدة، إلى أن عاد إلى القاهرة ليُلحق أبناءه بالمدارس الأجنبية، لأنه كان محباً للحضارة الأوربية.

وقد التحقت (أمينة) في طفولتها بـ (مدرسة الحلمية للبنات) فكانت في غاية التمرد

---

(١) المرجع السابق، ٢٣٦.

(٢) البقرة: ٧٤.

والشقاوة، حتى إنها رسبت في جميع مواد السنة الدراسية الأولى، لأن وقتها كان للهو واللعب. وبعد إتمامها للمرحلة الثانوية، كانت ضمن أول دفعة من الفتيات ينتسبن إلى (كلية الآداب) التي كان عميدها طه حسين فاختارت قسم اللغة الإنجليزية، واستمرَّت فيه حتى تخرجها. وبعد تخرجها في الجامعة أصبحت من هُواة (الأدب الإنجليزي) حتى إنها - في إحدى مراحل حياتها - ألَّفت كتاباً عن الشاعر الإنجليزي (بيرون)[1]....

- **تأثرها بطه حسين:**

تعد أمينة السعيد من أبرز داعيات تحرير المرأة في العالم العربي، فقد كانت ترأس مجلة (حواء) المصرية، ومن خلالها كانت تدعو إلى هذه الدعوة الخبيثة. يقول الشيخ محمد المقدِّم عنها: "تلميذة وفية لطه حسين، ترأس تحرير مجلة حواء، ومن خلالها تحرِّض نساءنا على النشوز، وفتياتنا على التهتّك والانحلال، وقد تواتر لدى الجميع أنها تهاجم الحجاب الإسلامي بكل جرأة وهي - وإن كانت تلقّفت الراية من (الزعيمات السابقات - إلا أنها تفوقت على كل اللاتي سبقنها في باب التجرد من الآداب والأخلاق الأساسية، إذ إنها لا تألو جهداً في الصد عن سبيل الله، والاستهزاء من شرعه ﷻ حتى وصل بها الأمر إلى أن قالت: "كيف نخضع لفقهاء أربعة ولدوا في عصر الظلام ولدينا الميثاق[2]؟"، وقالت: "إنني لا أطمئن على حقوق المرأة إلا إذا تساوت مع الرجل في الميراث"[3].

يقول الدكتور محمد فؤاد البرازي: "كانت أمينة السعيد تلميذة للمستغرب...، وعميد الأدب المزعوم: (طه حسين)، فتأثرت به أشد التأثر، وترك فيها من بصمات التغريب، ونوازع التقليد، والافتتان بحضارة الغرب، ما سترى أثره في مقالاتها التي كانت تنشرها.

---

(١) نظرة شرعية في فكر منحرف، ص٢٠٦ وما بعدها.

(٢) وتعني بالميثاق الكتاب الذي ألَّفه محمد حسنين هيكل لجمال عبدالناصر وأسماه الميثاق.

(٣) عودة الحجاب، محمد المقدِّم، جـ١، ص٦٥.

ولا شك أن نشأتها في أحضان أبٍ غير ملتزم، حريص على تعليم أبنائه في المدارس الأجنبية، وتشجيعه إياها على لعب التنس بملعب (جامعة القاهرة) مع المدرِّب، إضافة إلى تشكيل عقلها على يد أستاذها(طه حسين)، وتردّدها على (هدى شعراوي) وتأثّرها بها، ثم استعدادها الخاص لذلك، كل ذلك قد صاغها صياغة متحررة، جعلتها متمردة على أحكام الإسلام، وقيمه العليا"[1].

- ومن انحرافاتها: دعوتها للاختلاط المحرَّم، وادعاؤها "بأن حرية الاختلاط هي أقوى سياج لحماية الأخلاق"!![2]

وهذا يذكرنا بما زعمه طه حسين من أن الاختلاط لا يضر بالرجل والمرأة إذا رُبِّيا على مكارم الأخلاق!!... [3].

- ومن انحرافاتها التي ورثتها عن أستاذها الكبير طه حسين: دعوتها لنبذ الحجاب وسخريتها منه، تقول: "إن هذه الثياب المجوجة قشرة سطحية لا تكفي وحدها لفتح أبواب الجنة أو اكتساب رضا الله، فتيات يخرجن إلى الشارع والجامعات بملابس قبيحة المنظر يزعمن أنها (زيّ إسلامي) لم أجد ما يعطيني مبرراً منطقياً معقولاً لالتجاء فتيات على قدر مذكور من التعليم إلى لف أجسادهن من الرأس إلى القدمين بزيٍّ هو والكفن سواء"[4] أ.هـ.

وأخيراً فإن أمينة السعيد كانت تشابه طه حسين وتقتدي به في بغضه لعلماء الدين - المتمثِّل في الأزهر- فهي تبغض علماء الدين والملتزمين به إلى الحد الذي وصمت هؤلاء الرجال بالإرهابيين تقول: "السيدات ملأهن الرعب من الإرهابيين والمتطرفين، وصمتن عن حقوقهن التي تُسحب منهن، وارتضين آراء بعض المتخلفين الذين

---

(١) مؤامرات على الحجاب، ص١٢٥، بتصرف يسير، نقلاً عن: نظرة شرعية في فكر منحرف، ص٢٠٨.

(٢) مجلة الجديد في مقابلة معها، العدد ٣٨، نقلاً عن: نظرة شرعية في فكر منحرف، ص٢١١.

(٣) يراجع: ص٨٨ من هذه الدراسة.

(٤) عودة الحجاب، محمد المقدِّم، ص١٠٤ وما بعدها، دار طيبة، ط: الثالثة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م. نقلاً عن: مجلة (حواء) تاريخ ١٨ نوفمبر ١٩٧٢م.

يتمسحون في الدين ورجال الإرهاب، وكلاهما من أغبى الناس. وضاعت الجهود التي بذلتها (هدى الشعراوي)، ثم جهودنا نحن طوال خمسين عاماً، وعاد الحجاب ثانية"[1].

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[2].

٨) حسين مؤنس (١٩١١ - ١٩٩٦) م:

مؤرخ مصري تخصص في التاريخ الإسلامي، ولد في مدينة السويس، ونشأ في أسرة كريمة، وتعهده أبوه بالتربية والتعليم، نال الشهادة الثانوية، ثم التحق بكلية الآداب، قسم التاريخ وتخرّج سنة ١٩٣٤م، وكان متفوقاً على أقرانه وزملائه.

حصل على الماجستير، ثم ابتعث إلى فرنسا لإكمال دارسته العليا فحصل على دبلوم دراسات العصور الوسطى، ودبلوم في الدراسات التاريخية ثم غادر فرنسا إلى سويسرا بسبب نشوب الحرب العالمية الثانية، وأكمل دراسته فيها حتى حصل على الدكتوراه ١٩٤٣.عيّن مدرِّساً بقسم التاريخ بكلية الآداب في مصر وأخذ بالترقّي حتى عُيّن أستاذاً للتاريخ الإسلامي ١٩٥٤[3].

- **تأثره بطه حسين:**

- تأثر حسين مؤنس بطه حسين في متابعته التامة لكل أفكار الاستشراق والتغريب، وخاصة فيما يتعلق بالمرأة، كما يبرز تأثره بدور كايم الذي كان هو الآخر من أكثر الفلاسفة تأثيراً في طه حسين. ويظهر هذا الأثر في قول دور كايم: "إن عفة المرأة ترجع إلى شخصيتها وتربيتها ونوع الرجال الذين يحيطون بها".

---

(١) مجلة المصور العدد ٣٦٩٧ (أثناء إجراء مقابلة معها قبل موتها بأربعة أيام)، نقلاً عن: نظرة شرعية في فكر منحرف، ص٢١٢.

(٢) سورة الصف: ٨.

(٣) http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA-
.agename=Zone-Arabic-ArtCulture٪٢FACALayoutC&cid=١١٨٢٤٤٤٩٩٤١٤٥&p

يقول الأستاذ أنور الجندي معلقاً: "هذه العبارة مموَّهة فإن علماء النفس يقولون صادقين:

إن البيئة تلعب دوراً هاماً في تحديد سلوك الفرد وتنشئة شخصيته، وإن تلويث البيئة ينعكس على الجسد، ومن ثم فإن الإباحية المعاصرة أشد ألماً من مخلفات البترول، وهل يجوز لامرأة عفيفة الطابع أن تظهر جسدها للناس؟.

إن الأدب الظاهري دليل الكمال الباطني وقديماً قالوا: ما فيك يظهر على فيك"[1].

- ومراجع حسين مؤنس التي يستقي منها علومه وثقافاته هي ذاتها مراجع طه حسين، والتي تتمثل في كتاب الأغاني للأصفهاني، ومعلوم ما على هذا الكتاب ومؤلفه من ملاحظات أقلَّ ما فيها انتماؤه للشعوبية.

- ومن أقوال حسين مؤنس التي يشابه فيها أقوال طه حسين كثيراً قوله: "إن المرأة السافرة اليوم أقرب ألف مرة إلى معنى الشرف والعفة"[2].

وطه حسين يقول: "إن الحجاب وسيلة صناعية لاتقاء الشر، وإنه لا يصلح إلا للشواذّ من الأفراد"[3] ولا يخفى ما بين النصين من تشابه كبير.

۞ ٩) سهير القلماوي (١٩١١ - ١٩٩٧) م:

كاتبة وأديبة مصرية، تلقَّت تعليمها العالي في كلية البنات الأمريكية. وهي أول فتاة تحصل على الماجستير والدكتوراه في الأدب من السوربون بباريس. رئيسة قسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة القاهرة وأستاذ الأدب عام ١٩٥٨م. عضو المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية.

من مؤلفاتها: أحاديث جدتي، ألف ليلة وليلة، أدب الخوارج، في النقد العربي، ثم

---

(١) إعادة النظر في كتابات العصريين، أنور الجندي، ص٢٢٩.

(٢) المرجع السابق، ص٢٣٠.

(٣) سبق ذكر هذا النص ص٢٧٧، وأعدته لارتباط المبحث عنه.

غربت الشمس.

ترجمت العديد من الكتب والقصص منها: قصص صينية لبيرل بك، عزيزتي اللويتا، رسالة أبون لأفلاطون وغيرها....

ترجمت مسرحيات لشكسبير وأكثر من ٢٠ كتاباً في مشروع الألف كتاب مثَّلت مصر في العديد من المؤتمرات العالمية، حصلت على عدة جوائز وأوسمة عام ١٩٩٧[(١)].

- **تأثرها بطه حسين:**

تعد سهير القلماوي تلميذة مخلصة لطه حسين وابنته الروحية - كما تسميها زوجته سوزان - وهي إحدى أوائل الفتيات اللواتي قبلن في الجامعة، وكانت في البداية تريد كلية الطب فرفض رئيس القسم البريطاني قبولها وهدَّد بالاستقالة إن أُدخلت إلى القسم!

ورفض والدها ابتعاثها إلى الخارج بحكم التقاليد والعادات ممَّا جعل أحد أقاربها يذهب بها إلى طه حسين الذي أقنعها بدوره في دخول كلية الآداب؛ ولهذا نشأت هذه العلاقة القوية بينها وبين أستاذها بحكم أنه المنقذ لها حيث كان المشجِّع لها منذ البداية على إكمال دراستها أو المكث في البيت. ومما يؤكد قوة هذه العلاقة ما حكاه عنها جابر عصفور، تلميذ طه حسين وأحد المتأثرين به كثيراً، حيث يقول واصفاً إحدى زياراتها لطه حسين:

"دخلت أستاذتي سهير القلماوي ومعها تلميذها الذي هو أنا، بعد أن فتح لها الباب بواب قدم لها التحية الواجبة، فمضت في طريقها من باب الفيلا الذي فتح لها، وعبرنا ردهة صغيرة، بعد أن عرفت أن أستاذها الذي أنزلته منزلة الأب، جالس في غرفة المكتب، وكان كل من في الفيلا يعاملونها كأنها واحدة من أهل الدار، ودخلنا محراب العميد أستاذتي أولاً وأنا وراءها، أكاد أرتجف من الرهبة، كانت غرفة المكتب المستطيلة تحمل كل جدرانها صفوف الكتب التي ترتفع من الأرض إلى السقف، وكان

---

(١) راجع الموقع الإلكتروني: .http://www.muslmh.com/vb/archivelindexBhB??tl٢٠٣٤.html

العميد يجلس على كرسي قريباً من المكتب كما لو كان يتأمل، وابتسم وجهه عندما سمع تلميذته التي انحنت وقبلت وجنتيه، فربت على ظهرها في حنان أبوي، وأفسحت لي مكاناً، بعد أن قالت: معي حفيد لك من تلامذتي يريد أن يلقاك"(1).

ومما يؤكد تأثرها بأستاذها أيضاً كثرة الرسائل المتبادلة بينهما أثناء سفرها إلى أوروبا لإكمال دراستها؛ حيث كانت توافيه بتفاصيل أخبارها ودراستها هناك مما يؤكد قوة الصلة بينهما(2).

تقول في ختام بعض رسائلها: "و أخيراً أصطنع الذوق فأختم خطابي. ولكن بعد أن أبعث إليك بأحر تمنياتي وأخلص دعواتي، وأن يجدك هذا الخطاب في أتم صحة وأوفر هناء، أرفع تحياتي الصادقة إلى السيدة الكريمة، وأبعث تمنياتي بنجاح باهر لكل من أمينة وكلود، ولك مني أصفى ود وأوفى حب. تلميذتك(3) سهيرالقلماوي".

وقد سارت سهير القلماوي على نفس طريق هدى شعراوي في محاربة الحجاب، وتعدد الزوجات، والمطالبة بسفور المرأة، وتشجيع خروج المرأة من بيتها، وليس هذا بمستغربٍ عليها فهي قد تربَّت في الجامعة الأمريكية في مصر، وتخرجت من معهد الأمريكان، تنقلت بين الجامعات الأمريكية والأوروبية، ثم عادت إلى التدريس في الجامعة المصرية متشبعة بأفكار الغرب، منبهرة بحضارتهم، لا تفرق بين المعروف والمنكر كحال أستاذها تماماً.

و الدكتورة سهير القلماوي هي واحدة من أوائل الفتيات اللواتي صُنعن على عين أساطين دعوة تغريب المرأة في البلاد المصرية، وأوائل من زُجَّ بهن في معركة الاختلاط بتلك الديار؛ تلميذة نجيبة لطه حسين!، أُريد لها وللقلة اللواتي معها أن يكن نموذجاً لمن بعدهن من المسلمات. ومن هنا تأتي أهمية هذا الاعتراف الذي ذكرته في إحدى كتبها؛

---

(1) مجلة دبي الثقافية، العدد ٤١، أكتوبر ٢٠٠٨، ص٦٧.

(2) يراجع: رسائل طه حسين، إبراهيم عبدالعزيز، ص٧٢ - ٨٩، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: بدون، ٢٠٠٠.

(3) نفسه، ص٨٩.

لأنه صدر من امرأة قد مرَّت بتجربة خرجت منها بهذه النتيجة تقول في كتابها (مع الكتب) – الذي تستعرض فيه بعض المؤلفات المهمة في زمنها- متحدثة عن كتاب ألَّفه أحد الغربيين: "كنت أقرأ من كتاب طريف عن (المرأة اليوم) فاستوقفني فيه خطاب أرسلته إحدى المتحمسات للحركة النسوية الحديثة إلى لمؤلف تبدي فيه وجهة نظر النساء وقد تحرَّرن من كل القيود، تقول المراسلة: "إني مع المتحمسات لجنسي، ولكني أتحمس له بأسلوب جديد، وأدعو له دعوة جديدة، دعوة لا تريد للمرأة أن تعود أدراجها فتكبت حريتها وتحرم حقوقها، ولكنها دعوة تريد من المرأة، برغم كل الحقوق والمساواة، أن تظل امرأة، فلقد اتضح لنا نحن نساء نصف القرن العشرين، بعد جهاد نصف قرن أو يزيد، أننا لا نريد أن نسلك في الحياة سلوك الرجال؛ ذلك أننا مغتبطات بأنانيتنا، ولكن هذا في حد نفسه يبدو عجيباً بالنسبة للحياة الاجتماعية والاقتصادية في هذه الأيام؛ ذلك أننا إذا كنا حقاً نساء فإننا إلى حد ما نحب الثناء ونحلم دائماً وأبداً بالبيت الذي نربي فيه أبناءنا؛ بيت نطهي فيه ونغسل ونكوي، وهذا بالنسبة للمرأة الحديثة يبدو شبه مستحيل، لذلك نشعر أننا لسنا أقل تعاسة من جداتنا اللاتي كنَّ سجينات البيوت، محرومات من كل حق يتحرَّقن إلى أن يكنّ كالرجال وأن يتشبهن بهن".

و تعلق الدكتورة سهير على كلام هذه المتحمسة قائلة: "لقد حرص المؤلف أن يُردف هذا الخطاب بخطابات أخرى كلها ترمي إلى تصوير هذه النزعة في المرأة الغربية بعد أن نالت في أكبر البلاد حقوقها، نزعة تريد للمرأة التي أنكرت كثيراً من أنوثتها في سبيل الدفاع عن حقوقها وقد استبان لها بعد النصر أن هذا الإنكار لا يمكن أن تستمر فيه. استوقفني هذا الخطاب بالذات لأنه يصور لي ظاهرة قوية في مجتمعنا المصري، فلقد ظننا أن تشبث بعض نسائنا بأنوثتهن تأخر وضعف، وأن القوة كل القوة وأن التقدم كل التقدم هو في الثورة على الأوضاع التي تجعل المرأة تؤدي وظيفتها الأولى في الحياة وهي الأمومة".

ثم تقول: "لما وقفت المرأة المصرية تطالب بحقوق سياسية تردَّدت خطواتها؛ لأن المجموع كله لم يتحمس للفكرة. لا لأن المرأة المصرية لا تريد حقها كاملاً، ولكن لأنها في قرارة نفسها اقتنعت أن هذا الحق ليس مكملاً لكيانها ولا هو أساس في أداء مهمتها في الحياة".

ثم تقول: "إن المصرية بفطرتها السليمة أدركت أنها لا يمكن أن تكون كالرجل عالماً؛ لأن ذلك انحراف في الطبيعة، والطبيعة لا تقر الانحرافات؛ وكما أن الرجل لا يمكن أن يكون امرأة فكذلك المرأة لا يمكن أن تكون رجلاً، فلم التشبه ما دام المتشبه به ليس هو المثل الصحيح؟!

إن الله قد خلق المرأة مختلفة عن الرجل، وفي هذا الاختلاف سرّ تفوق الجنسين بل سرّ دوامهما، ولو أن الله أراد أن يخلق رجالاً أقوياء ليسوا رجالاً، ورجالاً ضعفاء ليسوا نساء، لما أوجد في جسم المرأة وكيانها وأعصابها وغددها كل هذه الفروق التي يتجلى عنها البحث كل يوم فيظهر لنا العجب الذي لم نكن نتوقعه.

لقد خلق الله المرأة لغاية وخلق الرجل لغاية، وكل منهما يعمل نحو هذه الغاية، فإذا انحرف واحد منهما ليعمل عمل الآخر انحرفت غايات الحياة الاجتماعية واضطربت موازينها، ولكن الطبيعة تظل صامدة قوية لا تعترف بهذا الانحراف، كل ما في الأمر هو اختلاف حول الحد الفاصل بين ميداني العمل، فالرجل يعمل والمرأة يجب أن تعمل في البيت وفي خارج البيت، ولكن على أن تعمل المرأة وهي امرأة لا تدعي لنفسها صفات الرجل، ولا تتقمص شخصيته فتضيع شخصيتها.

إن مهمة المرأة الأولى هي الأمومة، ومهمة الرجل الأولى هي معاونة المرأة على أداء هذه المهمة وتعهُّد الجيل الجديد لأن يهيَّأ له وطن جديد ومجتمع صالح، ولو أدركت المرأة هذه الحقيقة وفهمت كنهها ما تنازلت عن أنوثتها لأي سبب ولا في أية معركة"[1].

لقد أدركت سهير القلماوي هذه الحقيقة ولكن بعد فوات الأوان، ولعل في ذلك عبرة لغيرها من نساء اليوم.

---

(١) يراجع الموقع الإلكتروني:
.http://www.muslmh.com/vb/archivelindexBhB??t١٢٠٣٤.html

١٠) نجيب محفوظ (١٩١١ - ٢٠٠٦) م:

نجيب محفوظ عبدالعزيز إبراهيم أحمد الباشا أديب وقاص وروائي مصري، عمل سكرتيراً لوزير الأوقاف مصطفى عبدالرازق، ثم تقلَّب في أعمال وظيفية آخرها أنه عمل مستشاراً لوزير الثقافة، ثم صحفياً في جريدة (الأهرام)، منح جائزة نوبل لمواقفه الموالية لليهود وأعماله التغريبية، حصل على جائزة رابطة التضامن الفرنسية العربية، له روايات كثيرة مليئة بالمضامين المنحرفة فكراً وخُلقاً[1].

- **تأثره بطه حسين:**

يعد نجيب محفوظ من كبار المتأثرين بطه حسين وبفكره الدخيل وكان هذا التأثر في مرحلة مبكرة من حياته يقول: "لا أتذكر بداية محددة لتعرفي على طه حسين، ولكنني أذكر أنني كنت أعرفه طول عمري، ولا أدري متى وكيف وأين سمعت عنه، ولكنني عرفت طه حسين الأديب، وطه حسين الأستاذ، وطه حسين العميد.

ولا شك أنني قرأت الأيام لطه حسين بمتعة لا مزيد عليها، وأنا لا أزال أتمرن على الكتابة، ولعلني كنت في أوائل المرحلة الثانوية، فحاولت تقليدها في كراسة أو كشكول وأسميتها (الأعوام) على نفس الوزن محاولاً أن أقلد نفس الأسلوب ونفس الطريقة، وأحكي فيها عن نشأتي كما حكى طه حسين عن نشأته. وقد أعطانا طه حسين في رواياته المعروفة كل نماذج الرواية تقريباً، من رواية السيرة الذاتية في (الأيام)، إلى الرواية الموضوعية كما في (دعاء الكروان) إلى رواية الأجيال كما في (شجرة البؤس) التي هي أول رواية في اللغة العربية من روايات الأجيال التي لا يخلو منها أدب أمة في أوروبا، وقد تأثرت تأثراً كبيراً (بشجرة البؤس) وظل هذا التأثير ينمو حتى كتبت (الثلاثية).

إلى أن يقول: "وقد ارتبط طه حسين الأديب، في أذهاننا (بالحرية) والبحث العقلي

---

(١) يراجع: الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها، ص١٥١، نقلاً عن: حول الدين والديموقراطية، نجيب محفوظ، ص٢٢٣-٢٢٥، وأيضاً نجيب محفوظ وإشكالية الصراع بين الإسلام والتغريب، سيد أحمد فرج، ص٧٠.

الموضوعي كمفكر كبير........ قد كان طه حسين عميداً عندما دخلت كلية الآداب، ولم يكن بالنسبة لي أستاذاً مباشراً للأسف ولكن في بعض الأحيان بعد الظهر، تكون لنا محاضرة، في الوقت الذي كانت لطه حسين محاضرة قبلها أو بعدها، فأحضرها"[1].

ولعلّ من آثار هذا التأثر ما صدر عن نجيب محفوظ من تسخير قلمه للدفاع عن طه حسين ضد مخالفيه حيث يقول: "هناك آراء تقول: إن الدكتور طه حسين كان مقلداً ومروجاً لبعض آراء المستشرقين، وأن ثقافته الغربية ظهرت واضحة في أعماله وأنه اتبع أسلوب ديكارت، وهو الشك في كل شيء حتى تثبت صحته، فحتى لو ثبت ذلك فليس بالعيب، إن طه حسين نقل إلينا الثقافة الغربية، وانتصر للعقل، وتأثيره فينا كرجل شرقي ومن خلال إسلامياته وأعماله الوطنية بلغ مبلغاً كبيراً وكل مفكر لابد أن يتأثر بالسابقين بطريقة مباشرة.

إن طه حسين أراد أن نضع لأنفسنا صيغة فيها الماضي والحاضر معاً، ولقد تمثَّل هذا الدمج في شخصه فهو الشيخ الأزهري إذا شئت، وهو أيضاً الأوروبي، وهنا تكمن عظمته"[2].

ويقول أيضاً ممجداً دور طه حسين في نظرته الفلسفية: "الذكاء يؤدي إلى الشك، وقد كان الشك أساس البحث عند طه حسين، ذلك البحث القيّم الذي صار نموذجاً للمفكرين، الذي أحدث أثراً كبيراً في بعض الآثار الأدبية الإسلامية"[3].

وقد هبط فكر نجيب إلى درك عميق من الضلال والزيغ وجعل من أدبه – قصصه ورواياته – وسيلة للتشكيك في حقائق الإيمان الثابتة، وتميّز أدبه، دون سائر معاصريه،

---

(١) مقدمة كتاب (رسائل طه حسين)، بقلم نجيب محفوظ، إبراهيم عبدالعزيز، ص١١ وما بعدها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٠م.

(٢) حول الثقافة والتعليم، نجيب محفوظ، ص١٩٥، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

(٣) حول الأدب والفلسفة، نجيب محفوظ، ص٥٥، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

بالوقاحة والجرأة الواضحة على المقدسات والنيل منها في صورة قصص وضيع وألفاظ بذيئة، وقد دمج في قصصه ورواياته بين الألفاظ الكفرية والألفاظ الجنسية القبيحة!، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على نفس منطوية على الخبث بشتى صوره وأشكاله، ويتجسّد هذا في معظم ما كتب من روايات وقصص، وخاصة تلك التي تحدَّى بها مشاعر ملايين المسلمين دون نزعةٍ من خوف أو بقية من حياء التي عنونها بـ (أولاد حارتنا) وصدق من قال من أمن العقاب أساء لأدب!

ومن نصوصه الدالة على هذا الخُلق الوضيع قوله في رواية (الحب تحت المطر) مشككاً في وجود الله تعالى وقد أجرى هذا الحوار بين شخصين وفيه قال أحدهم:

"حدثني أحد كبار (الشيوخ) فقال: إنه كان يوجد على أيامهم بغاء رسميّ.

- زماننا أفضل فالجنس فيه كالهواء والماء.
- لا أهمية لذلك، المهم هل الله موجود؟.
- ولم تريد أن تعرف؟.
- إذا قدِّر لليهود أن يخرجوا فمن سيخرجهم غيرنا.
- من يقتل كل يوم غيرنا!.
- من قُتل عام ١٩٥٦ من قُتل في اليمن من قُتل في عام ١٩٦٧!.
- لا أحد يريد أن يجيبني أهو موجود؟.
- إذا حكمنا بالفوضى الضارية في كل مكان، فلا يجوز أن يوجد"[1]

ويعلِّق الدكتور سيد أحمد فرج على هذا النص فيقول:

"إن الكاتب - ونأسف له - يمارس في هذا الحوار مجاملة لليهود وبغضاً للعرب، وإنكاراً لوجود الله..." [2].

(١) كتاب الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها، ص١٥١ وما بعدها، نقلاً عن: الحب تحت المطر، نجيب محفوظ، ص٣٨ وما بعدها.

(٢) نفسه، ص١٥٢، نقلاً عن: أدب نجيب محفوظ وإشكالية الصراع بين الإسلام والتغريب، د. سيد أحمد فرج، ص٧٠.

ففي هذا النص يظهر تأثر نجيب بطه حسين في بغض العرب وممالأة اليهود، وكذلك في التشكيك في وجود الله تعالى، وقد سلف ذكر نص طه حسين الذي شكك فيه في وجود الله تعالى، وأن العلم لم يتوصل حتى الآن إلى إثبات ذلك. ولكن وإن اتحدت الفكرة فشتان ما بين النصين فألفاظ نجيب ألفاظ مكشوفة بذيئة، في حين تبدو ألفاظ طه حسين متلفعاً فيها - كعادته - برداء البحث العلمي وهيهات!!

مع أن ألفاظ طه حسين تستلزم إنكاره أو تشكيكه في وجود الله تعالى -والله أعلم-.

۞ ١١) حسن حنفي (١٣٥٤هـ - ...) (١٩٣٥م - ...):

أستاذ الفلسفة في جامعة القاهرة، ورئيس القسم فيها، والسكرتير العام للجمعية الفلسفية المصرية، حصل على الدكتوراه من السوربون عام ١٣٨٥ - ١٩٦٦م، له مؤلفات كثيرة مليئة بالتناقض في المواقف والآراء، إلا أنه لم يختلف موقفه في تأييد العلمانية ومعاداة الإسلام، وقد أعلن في ندوة الإسلام والحداثة بقوله: "أنا هنا أكثر ماركسية من الماركسيين"، وقال: نحن منذ فجر النهضة العربية الحديثة وحتى الآن نحاول أن نخرج من الإيمان السلفيّ"، وقال: "أنا مفكر وضعيّ، وكل ما يخرج عن نطاق الحس والمادة والتحليل أضعه بين قوسين"[١].

- **تأثره بطه حسين:**

يُعد حسن حنفي من أبرز المتأثرين بطه حسين. وقد حاول أن يقنع الجماهير بضلالاته، إذ كان يكتب عن المبادئ الهدامة التي يدعو إليها من جانب إسلامي، حتى ليظن القارئ - الذي لا علم له به - أنه رجل إسلامي يدعو إلى تطبيق الإسلام[٢] وهو ما هو بعيدٌ عنه كل البعد ومن أخطر ما تبع طه حسين فيه:

---

(١) يراجع: الانحراف العقدي في فكر أدب الحداثة وفكرها، د. سعيد ناصر الغامدي، ص١٣٢. (الحاشية).

(٢) كما فعل طه حسين في (الوعد الحق)، و(على هامش السيرة)، و(مرآة الإسلام).

- موقفه من القرآن الكريم: "أول ما يلاحظ عليه أنه يكذّب النبي ﷺ تكذيباً غير مباشر، ويظهر ذلك في قوله من العقائد الإسلامية - التي جاءت في آيات كثيرة جداً في القرآن الكريم - أنها من تأليف الطبقات المحرومة! فهو يقول عن الجنة والنار إنهما: "إفرازات للطبقات المحرومة، حيث تجد فيه تعويضاً عن حرمانها وإشباعاً لحاجاتها. ويتضح ذلك في العقائد عندما تم خلق عوالم الجنة والنار، وأهوال القبر وأهوال القيامة، ومشاهد الإسراء والمعراج، عن طريق الخيال الشعبي، وبأدق التفصيلات"[(١)].

وواضح هنا أنه يكذّب كل الآيات التي تتحدث عن الجنة والنار، ويرى أنها من إنتاج الخيال الشعبي للطبقات المحرومة، وليست تنزيلاً من السماء! أي أن محمد بن عبدالله ﷺ لم يتلق وحياً، ولم ير ملكاً، بل ألَّف تلك الآيات تعبيراً عن الخيال الشعبي للطبقات المحرومة في العصر الجاهلي!" [(٢)].

ومما يؤكد تكذيبه للقرآن الكريم، قوله عن الشخصية العربية: "وما القرآن إلا أحد مراحل صياغتها الثقافية، وما الإسلام إلا أحد أشكال تعبيرها"[(٣)] "فالقرآن الكريم عنده ليس تنزيلاً من السماء بل كتاب صاغ فيه مؤلفه العربي ثقافة أمته في عصره، وكان أحد التعبيرات عن الشخصية العربية في ذلك العصر.

- من أقواله التي تدل دلالة واضحة على تأثره بطه حسين: "إن مناهج التفسير التي خرج منها النص القرآني نشأةً وتكويناً، وصياغةً وتقنيناً، والتي يعود إليها قراءة وتأويلاً، فهماً وتفسيراً. فلا يفهم الإنجيل إلا بالرجوع إلى البيئات الثقافية اليهودية اليونانية في فلسطين. ولا يفهم نص القرآن الكريم إلا بالرجوع إلى الثقافات العربية في

---

(١) الدين والثقافة الوطنية، حسن حنفي، ص٣٧، نقلاً عن: نقد أعلام الفكر المصري المعاصر، د. أحمد عبدالرحمن، ص٩٣.

(٢) نفسه، الصفحة نفسها، بتصرف.

(٣) نفسه، الصفحة نفسها، نقلاً عن: الدين والثقافة الوطنية، ص١٤٣، نقلاً عن: المرجع السابق، الصفحة نفسها.

شبه الجزيرة"[1].

وهكذا فالقرآن الكريم في رأيه ليس تنزيلاً من عند الله تعالى، بل تعبير بشري عن البيئة الثقافية لمؤلفه. وهذا الهراء ما زعمه المستشرقون الصليبيون، وردده طه حسين في كتابه (في الشعر الجاهلي) وغيره حين زعم الفرق بين ما أنزل قبل الهجرة من القرآن وما أنزل بعدها، وأن الثاني تأثر بعلاقة الرسول ﷺ باليهود في المدينة!! وما أملاه على تلامذته في الجامعة عندما عقد مقارنة بين ما أسماه (القرآن المكي والقرآن المدني) حيث يقول:"لا شك أن الباحث الناقد، والمفكر الجريء الذي لا يفرق في نقده بين القرآن وبين أي كتاب أدبي آخر، يلاحظ أن في القرآن أسلوبين متعارضين لا تربط الأول بالثاني ولا علاقة، مما يدفعنا إلى الاعتقاد بأن هذا الكتاب قد خضع لظروف مختلفة، أو تأثّر ببيئات متباينة. فمثلاً نرى القسم المكي منه يمتاز بكل مميزات الأوساط المنحطة، كما نشاهد أن القسم المدني أو اليثربي تلوح عليه أمارة الثقافة والاستنارة » [2].

فهما في هذين النصين يتوافقان إلى حد كبير غير أن حسن حنفي كان أكثر صراحة

من طه حسين في هذا القول، أما طه حسين فكعادته ألفاظه فيها بعض التلميح، وهذا ما يجعلني لا أقطع القول باعتقاده ببشرية القرآن الكريم، وأكتفي بأن قوله يستلزم ذلك ولا يؤكده، والله أعلم بالصواب.

وقد ردّ الله جلّ وعلا على المكذبين الزاعمين أن القرآن الكريم كلام بشر بقوله: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا ﴾[3] وهذا الزعم الذي زعمه هذا العلماني ليس بجديد على أمثاله "فملة الكفر واحدة" كما قال ﷺ، وقد قالها قبله كفار قريش، قال تعالى على لسان أحدهم: ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾ ثم توعّده المولى ﷻ بقوله: ﴿سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ

---

(١) نفسه، ص٩٤، نقلا عن: الدين والثقافة الوطنية، ص٢٦.

(٢) سبق ذكره في المخالفات العقدية وأعدته لارتباط المبحث به، صخطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة..

(٣) سورة الفرقان: ٥.

﴿٢٦﴾[1].

وقد تحدّى القرآن الكريم "بإعجازه البلاغي والعقدي والتشريعي والأخلاقي والعلمي، كل من يزعم أنه قول بشر، وثبت ثبوتاً لا يرتاب فيه منصف أن القرآن الكريم يستحيل أن يؤلفه إنسان في ذلك العصر، ولا في أي عصر آخر. فكل البشر، أمماً وأفراداً، يعجزون عن الإتيان بمثله.

- وحسن حنفي بما أنه ماركسي شيوعي يعتقد ما اعتقده (ماركس): أن المادة هي التي تطورت وأفرزت العقل أو الروح، وأن الإنسان هو الذي اخترع فكرة الألوهية. وتبعاً لهذا يزعم حسن حنفي أن الفكر ينشأ من الواقع[2]، حيث يقول:

"والعقائد من ضمن الفكر الذي ينشأ من الواقع، من طين الأرض ومن المجتمع الإنساني، وأن البيئة تتطور، وتبعاً لذلك فالنبوة تتطور أيضاً، وتتطابق مراحلها مع ظروف كل عصر. ولفظ (النبوة) هنا يعني به الوحي المادي، أي الكتب التي يُقال إنها سماوية، والتي هي عنده من تأليف البشر، وليست النبوة بالمعنى الإسلامي السديد"[3].

فهو يجعل النبوة، أو الوحي، أو رسالات السماء، تابعة ومسايرة لظروف العصر؛ لأنها من تأليف بشر يعيشون في بيئة معينة في عصر معين، ويعبّرون عنه. فإذا حدث تطور في البيئة، تطورت النبوة!

وهذا القول يبدو فيه تأثر حسن حنفي بطه حسين إلى حد كبير، فهو يوافق ما ذكرته سابقاً عن طه حسين أنه يعتقد ما يعتقد دور كايم من أن الدين لم ينزل من السماء وإنما خرج من الأرض كما تخرج الجماعة نفسها....حيث يقول طه حسين: "ظهر تناقض كبير بين نصوص الكتب الدينية، وما وصل إليه العلم من النظريات والقوانين.

فالدين حين يثبت وجود الله، ونبوة الأنبياء يثبت أمرين لم يعترف بهما العلم،

---

(١) سورة المدثر: ٢٥- ٢٦.

(٢) الدين والثقافة الوطنية، ص٦٣، نقلاً عن: نقد أعلام الفكر المصري المعاصر، ص٨٨.

(٣) المقدمات، حسن حنفي، هامش ص٦٠، نقلاً عن: المرجع السابق، ص٩٥.

فالعالم الحقيقي ينظر الآن إلى الدين كما ينظر إلى اللغة، وكما ينظر إلى الفقه، وكما ينظر إلى اللغات، من حيث إن هذه الأشياء كلها ظواهر اجتماعية يحدثها وجود الجماعة... وإذن نصل إلى أن الدين في نظر العلم. لم ينزل من السماء ولم يهبط به الوحي، وإنما خرج من الأرض كما خرجت الجماعة نفسها"[1].

وحسن حنفي كأستاذه طه حسين في زعمه لعدة مزاعم واهية، دون أن يقدم أي دليل علمي أو ديني على صواب مزاعمه. فكلامه مجرد مجازفات عديمة القيمة.

كما قال الأستاذ أنور الجندي: "أنكر كثيراً ولم يثبت شيئاً"[2].

وكما رفض أن يكون القرآن كمرجعية للفكر، كذلك رفض في مجال الفقه الإسلامي أن تكون المرجعية للقرآن الكريم.

- وهو يتخذ العقل مطية لبلوغ أهدافه الشيوعية. وفي هذا يقول إنه: "بدلاً من الاعتماد على سلطة النص (يعنى نص القرآن الكريم، والسنة المشرفة) يمكن الاعتماد على سلطة العقل، والثقة بمناهجه واستدلالاته ومنطقه. وعلى هذا النحو تتحول السلطة في المجتمع من سلطة الأشخاص والكتب والنصوص، إلى سلطة العقل"[3].

وهذا أيضاً فيه تأثر بطه حسين الذي اعتمد في كتابه (في الشعر الجاهلي) على العقل ورد الكثير من النصوص لمخالفتها لعقله المضطرب.

والعقل الذي يتبرقع به ويتشدق بمصطلحاته هو في الحقيقة تحيزات ماركسية، وأهواء طبقية وفردية، وشهوات ومصالح مادية، وليس العقل العلمي الموضوعي الرصين، المحايد، الذي نفهمه من كلمة (عقل)؛ وهو يريد ذلك العقل المصلحي، الذي

(١) نقض مطاعن في القرآن الكريم، محمد أحمد عرفة، ص١١٤، مطبعة المنار، ط: الأولى، ١٣٥١هـ، وأيضاً محاكمة فكر طه حسين، أنور الجندي، ص٢٣٣.

(٢) طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام، ص١٦٣.

(٣) الدين والثقافة الوطنية، ص٣٩، نقلاً عن: المرجع السابق، ص٩٩.

ساد في المجتمعات العلمانية الشيوعية والرأسمالية، وجلب عليها الخراب"[(1)].

- ومن الأمثلة التي تدل على جرأته على نصوص الوحيين (الكتاب والسنة) ورغبته إزاحة التقديس عنهما، كما سعى طه حسين إلى ذلك من قبل حين دعا صراحة إلى نقد القرآن الكريم وكسر حاجز التقديس والجرأة عليه، وها هو حسن حنفي يقتفي أثر أستاذه ويتتبّع خطواته فها هو يستنكر قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾[(2)].

ويصف مضمون هذه الآية - بعد أن ساء فهمه أشنع إساءة!- بأنه: "تصور يقوم على احتقار الذات، وعلى يأس من الحاضر، وعلى جهل بقدرات الجماعة، وعلى العجز التام، وعلى اليأس المطلق"[(3)].

لقد قصر فهمه على الآية أنها تحكم بعجز الأمة المسلمة عن تجاوز السلف في أية ناحية من النواحي! ولكن الآية الكريمة تتحدث عن بعض ذرية آدم ونوح وإبراهيم - عليهم السلام- وتبين بأنهم أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات، والآية التي تليها تشهد بأن بعض تلك الذرية كانوا من الصالحين، يقول تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا﴾[(4)].

وفي هذا خلاف ما اعتقده من فهم خاطئ للآية السابقة.

- كما أن هذا الشيوعي ينكر آيات العقائد - كما ذكرت سابقاً- ويقول عن العقائد: "إن العقائد أهواء. والنصوص تقنين لهذه الأهواء، وتشريع لها"[(5)].

يقول الدكتور أحمد عبدالرحمن معلقاً: "وهكذا بخبطة واحدة، ودون تمييز أو

(١) نفسه، الصفحة نفسها.

(٢) سورة مريم: ٥٩.

(٣) نفسه، ص١٠، نقلاً عن: الدين والثقافة، ص٩٠.

(٤) سورة مريم: ٦٠.

(٥) المرجع السابق، ص١٠٣، نقلاً عن: الدين والثقافة الوطنية، ص٣٥.

تصنيف للعقائد والشرائع يقرر أنها أهواء؛ وهي أهواء للقائلين بها. ومعنى هذا أن القرآن الكريم، والآيات الكثيرة التي تتضمن عقائد الدين الإسلامي، هي - عنده تقنين لأهواء محمد بن عبدالله.... وهنا يتأكد أنه يكذّب النبي ﷺ"[1].

كما يقول عن العقائد أيضاً: "إن العقائد لها معنى نمطي في تاريخ الأديان، وهي أنها ضد العقل، فوق العقل، سر لا يمكن إدراكه بالعقل، بل إنها على نقيض العقل، بل وربما أيضاً على نقيض الأخلاق، وضد الطبيعة، ولهذا يؤمن بها الناس"[2].

- ومن العقائد التي ينكرها هذا المجدّد الكبير وجود الله ﷻ! يقول: "الإنسان وحده هو الموجود حقيقة، وكل ما سواه موجود بالمجاز... سواء العالَم أم الله"[3].

وهذا يذكرنا بقول طه حسين: "ظهر تناقض كبير بين نصوص الكتب الدينية وبين ما وصل إليه العلم من النظريات والقوانين، فالدين حيث يثبت وجود الله ونبوة الأنبياء يثبت أمرين لم يستطع العلم أن يثبتهما"[4] وهكذا يبدو تأثر حسن حنفي بطه حسين في هذه العقيدة الفاسدة. غير أن قول طه حسين يلزم منه إنكار وجود الله تعالى، ولا أجزم بذلك لأنه لم يقطع ويصرِّح به كما فعل حسن حنفي.

- كذلك أنكر حسن حنفي وجود الجن والشياطين، فها هو يتساءل: "هل هناك جن وشياطين؟" ثم يعرب عن استنكاره لإثبات العلماء المسلمين لوجودهما ويقول: "ولكن العجيب أنه بعد هذا الحديث كله عن العلم والفيض والمعقولات تنتهي نظرية الوجود (عند علماء التوحيد) بل والمقدمات النظرية كلها بخاتمة عن (الجن والشياطين)، وهو ما ترسب في وجداننا القومي عندما غاب العقل وحضر الجن والشياطين"[5]

---

(١) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٢) نفسه، ص١٠٤،نقلاً عن: المقدمات، حسن حنفي، ص٧١.

(٣) نفسه، ص١٠٥، نقلاً عن: المقدمات، ص٥١.

(٤) طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام، أنور الجندي، ص١٤.

(٥) نقد أعلام الفكر المصري المعاصر، ص١٠٦، نقلاً عن: المقدمات، حسن حنفي، ص٦٢٢.

إن إثبات وجود الجن والشياطين، استناداً إلى الآيات القرآنية العديدة التي أثبتت وجودهما ووصفتهما، يتنافى في وهمه مع العقل والعقلانية.

وفي هذا يبدوا تأثر حسن حنفي بطه حسين في تقديم العقل على كل شي حتى وإن كان الوحي المقدس."إن المسلم الذي يؤمن بالقرآن الكريم ككتاب منزّل (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) يؤمن إيماناً قطعياً بوجود الجن والشياطين كما وصفهما القرآن الكريم. أما هذا الذي يعلن أنه وريث النبوة، ثم ينكر كل الآيات القرآنية التي جاءت بها تلك النبوة، لأن عقله المادي لا يستسيغها!

وتفسير موقفه في ضوء الحقائق السابقة هو أنه لا يؤمن بالقرآن الكريم أصلاً ككتاب منزل، ولا يصدِّق بنبوة محمَّد ﷺ.وهو يشير إلى أن تلك تعبير عن قوى الشر وتشخيص لها في صورة فنية. وهو يرد ذلك إلى غيبة التفكير العقلي لدى العرب، الذين اخترعوا القرآن والجن والشياطين!

وهكذا تتسق مواقفه كلها مع عقيدته الماركسية المادية المعادية لكل الأديان والنافية لوجود الله تعالى، ولكل العقائد القرآنية، من بعث وحساب وجنة ونار، وجن وشياطين وملائكة ورُسل وأنبياء ورسالات سماوية ونُبُوَّات، وكل العقائد الدينيِّة. وهذا الاتساق يؤكد صحة تفسيرنا لكلامه وآرائه"(1)

- رفضه عبادة الله تعالى: ومن عقيدته القبيحة أنه يرفض عبادة الله تعالى ويستنكف عنها، ويعتبر ذلك نوعًا من الاستجداء والتسول يقول: "فالإنسان يحمد الله على نعمه، ويشكره على فضله، مما يجعل العلاقة أحادية الطرف: من واهب إلى موهوب، ومن مُعطٍ إلى معطى إليه، وتجعل الإنسان مجرَّد وعاء للنعم، ومستقبل للعطايا، ومنتظر للجود والإحسان"

إلى أن يقول:"إن حالنا لا يتطلب حمداً ولا ثناءً على أحد، بل يقتضي رفضاً واعتراضاً، مطالبة وثورة؛ نحن لا نحمد بل نتضجر، ولا نرضى بل نغضب، ولا نثني بل

(1) المرجع السابق، ص١٠٧ بتصرف، وراجع: المقدمات، ص٦٢٣.

نقد، ولا نشكر فلا شكر على واجب، بل نثور ونطالب..." [1].

ويقول أيضاً: "فإذا طلب الإنسان (المسلم) شيئاً فإنه يدعو كي يستجاب له، ويسأل كي يعطى له، فتكوينه النفسي قد تعود على السؤال والاستجداء، واعتاد على الشحاذة والتسول.

ولن يتغير الواقع عن طريق الدعاء، ولن يطعم جائع عن طريق الاستجداء، ولن ينصر مظلوم عن طريق البكاء! الدعاء تعبير عن أمانٍ ورغبات، وليس تحقيقاً لها. هو حيلة العاجز، وفعل القاعد، وأسلوب القعيد".

ويقول أيضاً: "إن الحصول على القوة لا يأتي بالدعاء للقوي، وباستجداء واهب القوة، بل يحصل عليها. بالاستعداد، والحصول على القوة بالفعل"[2].

وهكذا يرفض هذا العلماني الدعاء، والثناء على الله ﷻ وشكره، ويعتبر الدعاء تملُّقاً لسلطان الله تعالى، وهذا ما يرفضه يقول: "وجيلنا جيل تغير وثورة – الثورة الناصرية – وكتّابه لا يتملقون السلطان الإلهي أو السلطان السياسي، بل يدافعون عن مصالح الشعوب ضد جميع السلاطين"[3].

يقول الدكتور أحمد عبدالرحمن معلقاً: "...فهو يردّ الآيات العديدات التي تأمر بالدعاء لله، وحمده وشكره؛ وما أكثرها في القرآن الكريم! وهذا هو تجديده في الدين: كان العلماء المسلمون يحمدون الله تعالى، ويدعونه ويتضرعون إليه، ويشكرونه، وأما هو فيرفض كل ذلك! وهذا هو الإبداع الذي يفخر به!!

ولم يقل أحد من المسلمين: إن تغير الواقع يتحقق بالدعاء دون عمل، كما يوحي كلامه. والدعاء تعبير عن رغبات وأمان حقاً، لكنه ليس حيلة العاجز، بل منهج المؤمن الذي يعمل، ويجتهد لبلوغ أمانيه، وفي الوقت نفسه، يدعو الله تعالى أن يوفقه. وكذلك

---

(١) نفسه، ص١٠٨، نقلاً عن: المقدمات، ص١٠ وما بعدها.

(٢) المرجع السابق، ص١٠٩، نقلاً عن: المقدمات، ص١٢.

(٣) نفسه، الصفحة نفسها، نقلاً عن: المقدمات، ص٣٠.

القوة، تكتسب بالجهاد والمثابرة والصبر، ومع ذلك كله، يدعو المسلم ربه، واهب كل قوة، وخالق كل قوة، أن يحقق له القوة التي يرجوها لنفسه ولبلاده وأمته. لكن المذكور يخلط الحقائق بالأباطيل، ويبتر الحقائق ويشوهها، ليشنع على الإسلام وعقائده وتشريعاته.

وهو يحذف بعض الألفاظ من جمله ليدلِّس على القارئ، ويراوغ الناقد، ويفلت من الحساب. فإذا قال: "نحن لا نحمد.." فإنه يحذف لفظ الجلالة، وفي الوقت نفسه يدرك القارئ حقيقة مراده، لأنه وضع نفسه في تضادٍ مع علماء الإسلام الذين يحمدون الله تعالى، فيكون معنى الجملة: "نحن لا نحمد الله"!

وإذا قال إن الإنسان: "يسأل كي يعطى"، فالجملة في الحقيقة هي: "يسأل الله كي يعطيه الله"؛ وهذا عنده شحاذة وتسول. وهكذا تتسم بقية الجُمل بالحذف لألفاظ مقدرة في السياق.

وهذا هو أحد التطبيقات العلمانية لما يسمونه (البلاغة المقموعة) أي القدرة على بيان رفضهم للإسلام دون التورط في الرفض الصريح الذي يحرك الجبهة الإسلامية من العلماء والجماهير ضدهم. ولكن هذا الكاتب يندفع أحياناً إلى الصراحة ويجازف بالمواجهة؛ من ذلك قوله السابق إنه وزملاءه الناصريين "لا يتملقون السلطان الإلهي" فهذه العبارة واضحة الخطأ ولا يمكن أن يتلفظ بها مسلم، ناهيك عن الفقيه المجتهد المجدد وريث النبوة الكاذب!" (1)

وهكذا يتأثر حسن حنفي بطه حسين في ممارسته لأسلوب المراوغة والخداع للفرار من المواجهة الشجاعة مع الجبهة الإسلامية.

(1) المرجع السابق، ص109 وما بعدها.

۞ ١٢) جابر عصفور (١٩٤٠م –):

علماني حداثي مصري، أستاذ النقد الأدبي في جامعة القاهرة، ومن مؤسسي مجلة فصول، وله عدة مؤلفات منها: (المرايا المتجاورة) دراسة في فكر طه حسين النقدي، (الرهان على المستقبل)، وهو عبارة عن مقالات كتبها على امتداد أكثر من عشر سنوات، ونشرت في صحف ومجلات مصرية وعربية، وله مترجمات منها: (البنيوية، والماركسية والنقد الأدبي)، ومن آخر مؤلفاته: (هوامش على دفتر التنوير). صب فيه عصارة تطرفه العلماني وغلوه الحداثي، وهاجم دعاة الإسلام، وروّج لظلاميات الحداثة والعلمانية تحت شعاره الكاذب (التنوير) [1].

- **تأثره بطه حسين:**

يعد جابر عصفور من أبرز المتأثرين بطه حسين والمعجبين به وبفكره المنتكس! ومما يدل على ذلك دلالة واضحة قوله في مقال بعنوان (ذكرياتي مع طه حسين):"عرفت كتب طه حسين منذ أن تفتح وعيي على القراءة، وكان لكتابه (الأيام) تأثير السحر في وجداني منذ مطالع الصبا فقد شدني هذا الكتاب إلى طه حسين عميد الأدب العربي، قررت أن أكون مثله، وأخذت منذ ذلك الزمن البعيد ألتهم كتبه واحداً بعد الآخر، جامعاً بين تراثه الإبداعي ودراساته الفكرية والأدبية، وكان طه حسين ملء السمع والبصر في ذلك الوقت، فهو الذي حقق حلم مجانية التعلم التي أدخلت أمثالي من الفقراء إلى المدارس الحكومية"[2]

ونصه الذي يذكر فيه زيارته لطه حسين برفقة أستاذته وتلميذة طه حسين سهير القلماوي دليل على تأثّره الشديد به وقد جاء فيه قوله:

"وكان العميد يجلس على كرسي قريباً من المكتب كما لو كان يتأمل، وابتسم وجهه عندما سمع تلميذته التي انحنت وقبلت وجنتيه، فربت على ظهرها في حنان أبوي،

---

(١) يراجع: الإسلام والحداثة، ٤١٦، نقد أعلام الفكر المصري المعاصر، ص١١٣.

(٢) مجلة دبي الثقافية، العدد ٤١، أكتوبر ٢٠٠٨، ص٦٧.

وأفسحت لي مكاناً، بعد أن قالت: معي حفيد لك من تلامذتي يريد أن يلقاك، فهو مفتون بكتاباتك التي يحفظ بعضها عن ظهر قلب، فابتسم العميد ومد يده صوبي فسلمت عليه، وكدت أقبل هاتين اليدين كما أفعل مع أبي ولكن ارتبكت، فسكتُّ وبادرني بالسؤال عما أحب من الشعراء، فقلت من فوري أبا العلاء...." [1].

من هذين النصين ندرك إلى أي مدى كان انبهار جابر عصفور بطه حسين وتأثره به في سن مبكرة من حياته... واستمر هذا التأثر والانبهار به إلى وقتنا الحاضر!!

كما يظهر هذا التأثر في مقال له بعنوان (في الشعر الجاهلي) حيث يقول مدافعاً عن طه حسين: "وطه حسين واحد من هؤلاء الرواد المتميزين، واجه مجتمعه مواجهة شجاعة في مجالات كثيرة منها الدرس الأدبي، ولم يأبه بالهجوم أو الاضطهاد، بل واصل رسالته، وتحدى خصومه، وسخر من أعدائه، وظل نصيراً للجديد الواعد في مجالات الثقافة المختلفة، ملحاً على أن أول شرط من شروط التقدم هو الوعي بالتخلف، وإدراك أسبابه ومبرراته، ومواجهة الأصول التي تدعمها، ومجاوزتها بما ينقضها ويستبدل بها نقائض واعدة.

ولم يتوان طه حسين في بذل كل ما يستطيع من جهد في هذا السبيل مهما تعددت مجالاته، وذلك إلى الدرجة التي استطاع بها أن يسهم إسهامًا كبيرًا في تشكيل الجانب المتقدم من فكرنا الحديث". وهكذا يظهر من كلامه إعجابه الشديد بطه حسين وبمنهجه وتسويغ أخطائه بل النظر إليها على أنها قمة الإبداع والتجديد في عالم الجمود والتخلف...

ونتيجة لهذا الإعجاب فقد تأثر جابر عصفور بأستاذه طه حسين تأثرًا واضحًا يظهر في كتاباته ومن ذلك:

- هجومه الساخر على الوحي المتضمِّن للكتاب والسنَّة، وذلك من خلال قوله بنسبيةِ الحقيقة "ومن ثمة يجب أن تتاح الحرية المطلقة للباحثين دون شروط خارجية

---

(١) المرجع السابق، ص٦٧.

ودون سقف تفرضه أية سلطة مغايرة لسلطة العلم المعرفية"(١).

"ومعنى هذا أن تخضع ثوابت الإسلام وأصوله، للنقد والمراجعة والقبول والرفض، وأن يُنظر إلى نصوص الكتاب والسنة على أنها نسبية احتمالية، يمكن رفض بعضها استنادًا إلى بحوث نقدية أو نظريات جديدة أو إبداعات علمية وفنية"(٢).

وهذا عين ما فعله طه حسين في كتابه (في الشعر الجاهلي) حينما أنكر العديد من الآيات القرآنية التي تحدثت عن نبيِّ الله إبراهيم وابنه إسماعيل - عليهما السلام - وهجرتهما إلى مكة وبنائهما للكعبة المشرفة.

بيد أن هناك فرقاً ضئيلاً بينهما وهو أن جابر عصفور كان أقل جرأة من أستاذه فهو لا يُصرِّح بالمضامين الخطيرة لمقولة إن الحقيقة نسبية، ولا يكشف عن آفاق (الحرية المطلقة) التي يتحدث عنها تحاشيًا للصدام مع الإسلام، -وذلك هو ما سبق الحديث عنه- وأطلق عليه (البلاغة المقموعة) التي تقوم على التعريض والتلطف والتلميح والتورية.(٣)

ومن أمثلة أسلوب البلاغة المقموعة لديه حملته الشديدة على (النقل) ومعلوم أن (النقل) لفظ يطلق على الكتاب والسنة كما أن (العقل) لفظ يطلق على الخبرات البشرية؛ فإذا قيل له: ماذا تعني بالنقل؟ قال: إنه يعني أخذ اللاحق عن السابق، وبذلك ينجو من المواجهة. لكن كتاباته تفيد أن المقصود لديه بالنقل هو القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة. وإن لم ينص على ذلك صراحة.(٤)

- ومن أمثلة تأثره بطه حسين دفاعه عن الإبداع بحرارة دون كلل أو ملل في

---

(١) نقد أعلام الفكر المصري المعاصر، د.أحمد عبدالرحمن، ص١١٣، نقلاً عن: الرهان على المستقبل، جابر عصفور، ص١٣٨.

(٢) نفسه، الصفحة نفسها.

(٣) يراجع: نفسه، الصفحة نفسها.

(٤) نفسه، ص١١٤.

كتابه (الرهان على المستقبل) وحملته الشديدة على الذين يحرِّمون البِدعة، ويدعون إلى إتباع السلف.

ومعلوم أن المسلمين يحرِّمون البدع المضادة لمبادئ الإسلام وشرائعه، لا كل بدعة، استنادًا إلى حديث الرسول ﷺ **"من سنَّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنَّ في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شئ"**(١).

وجابر عصفور بهذا يشابه طه حسين في دفاعه عن التجديد والمجددين والإشادة بهم وبإبداعهم في غير ما موضع في مقابل حملته الشرسة على ما أطلق عليهم بأصحاب القديم، ولا شك أن القديم الذي يقصده كل ما يمتُّ إلى التراث بصلة من دين وتاريخ ولغة.

- كما تأثر جابر عصفور بطه حسين في أمر آخر وهو دعوته إلى العقلانية حيث يصف جابر عصفور العقلانيين الرافضين للتقليد بأنهم "الذين يؤمنون بأولوية العقل في المعرفة والحكم والتفسير، ويوجبون النظر في المقبولات والمشهورات والتقليديات لمعرفة ما يلزم منها وما لا يلزم. وهم مبتدعون يريدون اكتشاف عوالم تظل في حاجة إلى كشف، كما أنهم طوائف اجتماعية تسعى إلى المزيد من التحرر، ومن ثم اكتمال الحق في الوجود"(٢).

"وبعبارة أخرى أوضح، هو يرى أن العقل يجب أن يسود على الوحي، بحيث إذا اختلفا وجب الأخذ بكلمة العقل ونبذ كلمة الوحي. والعقلانيون يجب أن يبحثوا في العقائد الدينية والشرائع الإسلامية وغيرها، مستندين إلى العقل وهم الذين يقررون ما

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار، حديث رقم ١٠١٧، ص٥٠٨، وأخرجه مسلم أيضاً في كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، حديث رقم ١٠١٧، صحيح مسلم، ص١٤٣٧.

(٢) نقد أعلام الفكر المصري المعاصر، ص١١٨، نقلاً عن: الرهان على المستقبل، جابر عصفور، صبدون.

يلزمنا منها ومالا يلزمنا. والمعيار طبعًا هو مصالح الناس في هذه الحياة"[1].

– جعل جابر عصفور القرآن، نصاً أولاً تبعاً لأدونيس، وجعل تطبيقات الإسلام نصاً ثانياً، فقال: "إن علاقة إسلام النفط بالإسلام – النص الأول (لو استخدمنا مصطلح أدونيس) – هي علاقة النص الثاني بأصله الذي يعيد إنتاجه لصالحه الخاص، من حيث هو نص ثانٍ، عبر وسائط يمكن أن تسقط جوانب من النص الأول أو تضيف إليه، وأن تضخَّم أو تصغَّر أو تعيد ترتيب بعض المكونات، أو تركِّز على بعضها دون بعض....الخ، ما ظل النص الأول (حمَّال أوجه) يمكن أن يتوافق بعضها أو كلها، تأويلاً، والغاية النهائية لإعادة إنتاج النص الأول...إن إسلام النفط يُمتح من المخزون النقلي (الاتباعي)، الذي ظل معادياً للحداثة طوال عصور التراث، ويؤسس علاقة متميزة بفكر الحنابلة الذي تمثله كتابات ابن الجوزي وابن تيمية بوجه خاص، وهي كتابات لها علاقاتها الأصولية التاريخية بالمذهب الوهابي، أهم المذاهب النقلية السائدة في منطقة الجزيرة العربية... إن إسلام النفط يكرر الأصوات السابقة في التراث النقلي..."[2].

"والشاهد المراد في هذا القول أنه تبعاً لأدونيس وتشبهاً بأبي زيد[3] يجعل القرآن العظيم نصاً أولاً، وما تفرَّع عنه فهم وتطبيق نصاً ثانياً، وهذا هو عين قول نصر أبو زيد، الذي أنكر صدور الوحي عن الله تعالى، وجعله من معطيات الواقع الاجتماعي والثقافي"[4].

وفي هذا تأثر واضح بطه حسين الذي يزعم أن الرسول ﷺ تأثر باليهود في المدينة؛ ولهذا جاء القرآن المدني – كما يسميه – مغايراً للقرآن المكي، كما تأثر بطه حسين في زعمه

---

(١) المرجع السابق، ص١١٩.

(٢) الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها، د.سعيد ناصر الغامدي، جـ٢، ص١١٣٩، نقلاً عن: الإسلام والحداثة، جابر عصفور، ص١٧٩.

(٣) سيأتي الحديث عنهما لاحقاً – إن شاء الله –.

(٤) نفسه، الصفحة نفسها.

أن القرآن الكريم لم ينزل من السماء؛ وإنما خرج من الأرض كما تخرج الجماعة نفسها!!

يقول طه حسين: "وإذن نصل إلى أن الدين في نظر العلم لم ينزل من السماء ولم يهبط به الوحي؛ وإنما خرج من الأرض كما خرجت الجماعة نفسها"[(١)].

۞ ١٣) نصر حامد أبو زيد (١٩٤٣م -):

أستاذ اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة القاهرة، من أشد أعداء الإسلام المعاصرين، صدر ضده حكم بالردة، وبلزوم طلاق زوجته منه!! وقد تبرعت له الحكومة العلمانية بالحماية والرعاية، ثم سعت في إخراجه خوفًا عليه من مصير صنوه الهالك فرج فودة[(٢)]، واستقبلته أسبانيا ودعته هولندا وبريطانيا وفرنسا وأمريكا للإقامة فيها ووعدته بحق اللجوء.

يرى أن القرآن العظيم مجرَّد نص لغوي، وأن الوحي مجرَّد ظاهرة، وكل ذلك قابل للنقاش والأخذ والرد، يتبنّى العلمانية ديناً، ومناقضة الإسلام مبدأ، ومحاربة الشريعة الإسلامية غاية، اهتم بالدراسات اللغوية وعلوم القرآن وقضايا التأويل، محاولاً إيجاد أرضية فكرية لتقويض الإسلام، مجمل كتاباته تدل على أنه يتبنَّى هدم الإسلام من داخل الإسلام نفسه[(٣)].

---

(١) نقض مطاعن في القرآن الكريم، محمد أحمد عرفة، ص١١٤، وأيضاً: محاكمة فكر طه حسين، أنور الجندي، ص٣٢٣ وغيرها من المراجع، وقد سبق ذكر هذا النص وأعدته لارتباط المبحث به، ص١٧٦.

(٢) فرج فودة: فرج علي فودة، أحد طواغيت العلمانية في مصر، له كتب عديدة يهاجم منها الحكم الإسلامي، ويطعن في الإسلام وتاريخه، حتى قتل في ١٨/ ١٢/ ١٤١٢هـ ٨/ يونيو/ ١٩٩٢م. يراجع: الإنحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها، ص٤٠.

(٣) يراجع: الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها، ص١١٢٨، وأيضاً نقد أعلام الفكر المعاصر، ص١٥٤ وما بعدها.

- **تأثره بطه حسين:**

يقول الدكتور سعيد الغامدي: "بنى نصر حامد أبو زيد ردوده على الإسلام على شكوك وريب، وإنكار وجحد، في تلبيس كاذب بالأسلوب العلمي والقراءة الهادئة، مع العلم بأن هذه كلها ليست بحجج؛ إذ من المعلوم أن الملاحدة لا دليل معهم في مهاجمة الإسلام إلا الإنكار، والإنكار نفسه ليس بحجة مطلقاً، وإنما هو دعوى، وكذلك الشك والريب ليس بدليل وإنما هو تعبير عما في نفس صاحبه"[(1)]

"ولنصر أبو زيد عدة كتب ومقالات تستهدف النصوص الشرعية بالثلب والتنقص، وإلغاء القداسة عنها وجعلها نصوصاً بشرية خاضعة للتاريخ في نشأتها، ولمعطيات الواقع في فهمها وتنفيذها، وفي الحقيقة أن كل هذا مؤداه جحد الإسلام بالكلية وإنكاره جملة وتفصيلاً"[(2)].

وفي هذا تأثر واضح بطه حسين الذي دعا بصراحة إلى نقد القرآن الكريم وصرف النظر عن قداسته يقول طه حسين: "ليس القرآن إلا كتاباً ككل الكتب الخاضعة للنقد، فيجب أن يجري عليه ما يجري عليها، والعلم يحتّم عليكم أن تصرفوا النظر نهائياً عن قداسته التي تتصورونها، وأن تعتبروه كتاباً عادياً فتقولوا فيه كلمتكم، ويجب أن يختص كل واحد منكم بنقد شيء من هذا الكتاب ويبيّن ما يأخذه عليه"[(3)].

كما يقول طه حسين في نص آخر: "إذا كان من حق الناس جميعاً أن يقرؤوا الكتب الدينية ويدرسوها ويتذوقوا جمالها الفني، فلم لا يكون من حقهم أن يعلنوا نتائج هذا التذوق والدرس والفهم؛ مادام هذا الإعلان لا يمسّ مكانة هذه الكتب المقدسة من حيث هي كتب مقدسة، فلا يغضّ منها، ولا يضعها موضع الاستهزاء والسخرية

---

(١) المرجع السابق، جـ٢، ص٩٨٨.

(٢) نفسه، ص٩٩٨.

(٣) طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام، ص٢٤٢، وأيضاً: نقد مطاعن في القرآن الكريم، ص١٥.

والنقد؟"[١] وكأن نقدها ليس فيه من رفع القداسة عنها شيء!

ففي سياق هجومه على نصوص القرآن والسنة يسوق أبو زيد مثالاً يتضح منه مهاجمته لنصوص الوحيين؛ ولكن بأسلوب ماكر وطريق غير مباشر يقول: "وإذا كان الصحابي عبدالله بن عباس الذي استحق ألقاب (ترجمان القرآن)، و(حبر الأمة) قد فسّر الرعد بأنه ملك يسوق السحاب بمقلاع من فضة، وهو تفسير ينسب إلى الرسول عليه السلام في بعض كتب الحديث، فإن المسلمين لم يأخذوا هذا التفسير بوصفه معنى دينياً مقدساً مطلقاً يتحتم ألا يخالفه البحث العلمي، لقد فهم المسلمون أن النصوص الدينية لا تطرح تفسيراً للظواهر الطبيعية والإنسانية، وأن تفسيرها متروك لفعالية العقل البشري المتطور دائماً لاكتشاف الآفاق الطبيعية والإنسانية"[٢].

يقول الدكتور سعيد الغامدي معلقاً على النص السابق: "هذا الكلام مؤداه جحد ما جاءت به النصوص، ولكن في سياق غير مباشر في الهجوم والنقض، أما ما نسبه إلى ابن عباس فكذب، وأما أن الملائكة تسوق السحاب فقد صح بذلك الخبر عن الصادق المصدوق ﷺ"[٣].

والمؤمنون يؤمنون به ولو كره المنافقون والشاكون والمرتابون... إلى أن يقول: "وعلى كل حال فإن الخطاب العلماني والحداثي مليء بالافتراءات والمناقضات الصريحة لدين الله مما يؤكد أنهم على جهل بملة الإسلام، وأكثرهم على معاداتها والتشكيك فيها والبغض لها أو لبعض أحكامها...

وفي كتاب (موسوعة الفلكلور والأساطير العربية) أمور هائلة من الانحراف الاعتقادي حيث أدخل في الأساطير أموراً ثابتة في القرآن والسنة، ومن ذلك أنه خصص

---

(١) سبق ذكره في المخالفات العقدية وأعدته لارتباطه بالمبحث، ص٢٢٣.

(٢) المرجع السابق، الصفحة نفسها، نقلاً عن: قضايا وشهادات، ١٩٩٠م – ١٤١٠هـ، ص٣٨٥ بحث بعنوان النصوص الدينية بين التاريخ والواقع.

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن، باب: من سورة الرعد ٥/ ٢٩٤، وأحمد عن ابن عباس ١/ ٢٧٤.

مبحثاً عن جبريل عليه الصلاة والسلام باعتباره أسطورة من الأساطير العربية، فقال:

"جبريل في الميثولوجيا العربية هو رئيس ملائكة الرحمة وأحد الملائكة الثلاثة المصرَّح بذكرهم في القرآن "اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل" والأخير هو إسرافيل، أحد حملة العرش، يصف جبرائيل بقوله: "وهو الذي ينفخ في الصور نفخات ثلاثاً، أولاهن نفحة الفزع، والثانية نفخة الصعق، والثالثة نفخة البعث" كما صوره النبي محمد بقوله: "جبريل في صورته وله ستمائة جناح، وكل جناح منها قد سدّ الأفق، يسقط من جناحه التهاويل" وهو الذي أسرى بالنبيّ محمد إلى السماء السابعة، وقالوا: إنه من شدة قوته رفع مدائن قوم لوط وكن سبعاً بمن فيهن من الأمم.... ويظهر جبريل في أساطير الخلق الثلاثة العبرية والعربية وعند الفلاشا، كأحد رسل الله الثلاثة لإحضار الطين المقدس من المياه الفطرية حين أراد الله تشكيل العالم والإنسان"[1].

وهذا يظهر فيه تأثر أبو زيد بطه حسين الذي عدَّ بعض الأمور التي وردت في القرآن من قبيل الأساطير كما في قصة بناء الكعبة.

ويظهر في النص السابق أكاذيب ومغالطات عديدة منها:

١ - "أنه عدَّ وجود جبريل عليه السلام وأعماله من الأساطير، أي أنه لا حقيقة له، وهذا كفر بالله تعالى وتكذيب صريح للقرآن والسنة، وهو على هذا النمط العلماني الحداثي الادعائي الإنكاري، والإنكار ليس بدليل ولا حجة ولا برهان، بل هو في حاجة إلى الدليل والبرهان، ولا يوجد عند الملحد دليل صحيح يمكن أن يستدل به، إلا السفسطة والادعاء والمغالطة.

٢ـ أنه ذكر كلاماً وعدَّه من القرآن، وهذا دليل الجهل الفاضح والافتراء المكشوف فليس في القرآن "اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل" كما زعم بل فيه: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾[2] ولا شك أن

---

(١) المرجع السابق، جـ٢، ص١٠٠٠، نقلاً عن: موسوعة الفلكلور والأساطير العربية لشوقي عبدالحكيم، ص١٩٨.

(٢) سورة البقرة: ٩٨.

من يجعل وجود جبريل أسطورة يستحق هذا الوصف القرآني.

٣- قوله: إن إسرافيل أحد حملة العرش، كذب، بل هو عليه السلام هو الذي ينفخ في الصور.

٤- قوله: إن جبريل هو الذي ينفخ في الصور، جهل وافتراء بل الذي ينفخ في الصور هو إسرافيل"[(١)].

"وقد تصدى نصر أبو زيد للوحي تصدي العدو المبغض، وتناول القرآن، تناول الشانىء المحارب، وتعامل مع العقيدة والشريعة تعامل المستخف المستهين، بأساليب ملتوية من المكر والخديعة، ومن كتبه ومقالاته في هذا الصدد: كتاب (مفهوم النص) وكتاب (إشكاليات القراءة وآليات التأويل)، وكتاب (نقد الخطاب الديني) وكتاب (الإمام الشافعي وتأسيس الإيديولوجية الوسطية)، ورسالة الماجستير عنده بعنوان (الاتجاه العقلي في التفسير- دراسة في قضية المجاز في القرآن عند المعتزلة -، ورسالة الدكتوراه بعنوان (فلسفة التأويل عند محيي الدين بن عربي)، وله مقال بعنوان (النصوص الدينية بين التاريخ والواقع) نشره في قضايا وشهادات ٢/ ٣٨٤، وغيرها كثير....

وكل هذه الكتب والمقالات تصب في مستنقع العلمانية الآسن، وتفوح منها رائحة الكراهية الشديدة لكل ما يتصل بهذا الدين من أصول وفروع وعقائد وتطبيقات، وكل إناء بالذي فيه ينضح"[(٢)].

ويبدو تأثره بطه حسين في كتابه (مفهوم النص) وفي مقاله المعنون باسم (النصوص الدينية بين التاريخ والواقع) في النقاط الآتية المنقولة نصاً أو بالمعنى من كتبه، حيث يزعم أن:

- القرآن نص لغوي يعامل كما يعامل أي نص آخر، وكذلك سائر النصوص

---

(١) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٢) نفسه، ص١١٢٨ وما بعدها بتصرف.

الدينية ليست في التحليل الأخير سوى نصوص لغوية.(١)

وهذا القول مشابه إلى حدٍ كبير قول طه حسين - السالف ذكره - .

- كما زعم أن: "القرآن فعل بشري، وتبنَّى القول ببشرية النصوص الدينية؛ لأن الإصرار على كون النص القرآني إلهياً مجرد وهم"(٢) وهذا يبدو فيه تأثر بطه حسين الذي توحي بعض نصوصه وتستلزم اعتقاده ببشرية القرآن الكريم - كما سبق ذكره -(٣)

- وزعم أيضاً أن "القرآن منهج ثقافي متأثر بالظروف والمتغيرات التاريخية، والاجتماعية في كل عصر(٤) وهذا القول يظهر فيه تأثره بطه حسين في زعمه أن الرسول ﷺ تأثر بعلاقته باليهود في المدينة مما أثَّر ذلك في نصوص القرآن المدني - كما يزعم-

- الهجوم الشديد على الخطاب الديني المعاصر المتمثل في الحركات الإسلامية لكون هذا الخطاب يعتمد على السلفية والتراث، وعلى الفكر الرجعي التثبيتي(٥).

وهنا يبدو متأثراً بطه حسين أيضاً في هجومه الشرس والدائم على الأزهر ورجاله ووصفه لهم بالرجعيين والمتعنتين في غير ما موضع، وتشبيهه لسلطتهم بسلطة الكنيسة النصرانية.

- وزعمه أن: النبي ابن المجتمع ونتاجه، والوحي له أسبقية عند العرب تتمثل في الكهانة والشعر؛ من حيث إن هذه جميعاً فيها اتصال الإنسان بغير الإنسان، وإلغاء الكهانة يؤدي إلى إلغاء الأساس الوجودي والمعرفي لظاهرة النبوة، وظاهرة الوحي

---

(١) الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها، ص١١٣٠، نقلاً عن: مفهوم النص، ص٩- ١٠- ١٢- ١٨- ١٩- ٢٤- ٢٦- ٢٨-٩٧، وقضايا وشهادات، ٢/ ٣٨٩، ٣٩١، ٣٩٢.

(٢) نفسه، نقلا عن: قضايا وشهادات ٢/ ٣٩٠ - ٣٩٢، ومفهوم النص: ص٢٤.

(٣) راجع: من ص١٥٦-١٥٩ من هذه الدراسة.

(٤) يراجع: الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها، ص١١٣٠.

(٥) يراجع: مفهوم النص: ص٢٠، ٢٦، ٢٨، ١٠٤، نقلاً عن: الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها، ص١١٣١.

استندت إلى مفهوم عميق في الثقافة وهو إمكانية اتصال بين البشر وبين العوالم الأخرى من الملائكة والشياطين.[1]

وهذا القول قد يكون فيه تأثر بطه حسين في كتابه (في الشعر الجاهلي) حيث يقول: "فمن الذي زعم أن ما جاء في القرآن من الأخبار كان كله مجهولاً قبل أن يجيء به القرآن؟..."[2].

وما ذكره في كتابه (على هامش السيرة) عندما زعم أن عبدالمطلب كان يتشوّف النبوة للرسول ﷺ وقد يكون في هذا زعم بأن النبوة ليست أمراً مستحدثاً في العرب وأن هناك من زعم النبوة قبل مبعث الرسول ﷺ ووراء هذا مالا يخفى على من له بصيرة نافذة!!

يقول الأستاذ محمد سرور معلقاً: "أراد طه حسين أن يُثبت في أذهان الناس القول بأن النبوة اعتقاد كان معروفاً في مكة، وكان كل فتى في قريش يتطلّع ويسعى ليكون صاحب هذا الفضل....

وما زال طه حسين يخترع القصص، ويضخّم الروايات حتى يظن القارئ - الذي لا علم عنده - بأن كل من كان يعيش في مكة وما حولها كان يعلم بأن محمداً ﷺ سيكون نبياً رسولاً في هذه الأمة، ويخلط هذه الأساطير بقوله: هناك أكثر من قرشي ادعى النبوة، وكأن لسان حاله يقول: ولماذا لا تكون دعوة محمد كغيرها من الدعوات التي ثبت عدم صحتها؟!

ومزاعم طه حسين غير صحيحة على الإطلاق، فعبدالمطلب عندما كان يتوقّع أن يكون هذا الطفل ذا شأن، ليس ضرورياً أن يكون هذا الشأن هو النبوة، ولو كان ﷺ يتشوّف النبوة لما ارتعدت فرائصه واشتد خوفه عند نزول الوحي عليه"[3].

---

(١) يراجع: نفسه، الصفحة نفسها.

(٢) محاكمة فكر طه حسين، ص٨٥ وما بعدها.

(٣) دراسات في السيرة، ص٢٦٤ وما بعدها.

ومزاعم طه حسين هذه كلها مما كان يلقيه المستشرقون من شبه. وقد تحدث طه حسين عن النبي المنتظر في أكثر من موضع في كتابه على هامش السيرة، ومن الفصول التي تحدث فيها عن ذلك: كتب القساوسة والرهبان، اليهود في المدينة، بحيرى الرّاهب، راهب الإسكندرية... الخ.

- زعم أبو زيد أن القول بعدم تعارض الدين الإسلامي مع البحث العلمي العقلي الحر، أو عدم التعارض بين العقيدة الإسلامية والعلوم المعاصرة مجرد دعوى"(١).

وهذا الزعم أيضاً يبدو فيه الأثر واضحاً بطه حسين في قوله السابق: "ظهر تناقض كبير بين نصوص الكتب الدينية، وبين ما وصل إليه العلم من النظريات والقوانين، فالدين حيث يثبت وجود الله ونبوة الأنبياء يثبت أمرين لم يستطع العلم أن يثبتهما..."(٢).

وقوله: « رفع غطاء القداسة عن الخطاب الديني القديم والحديث على السواء(٣).

وقوله هذا فيه تأثر بقول طه حسين السابق، حينما دعا إلى كسر حاجز التقديس للنصوص الدينية.

ذكر الدكتور سعيد الغامدي هذه النقاط وغيرها كثير، ثم عقَّب على ذلك بقوله: "هذه نصوص كلامه - يقصد أبا زيد - في أكثر الفقرات، وملخص مضموني في بعض الفقرات، وهي كلها "تتلخص في ثلاثة مضامين أساسية:

١- التشكيك في ثبوت الوحي كله أو بعضه، وجحد إضافته إلى تعالى، بنفي قداسته، وجعله مخلوقاً، وجعله من نتاج الواقع والثقافة والبشر.

٢- إزاحة دلالاته الأصلية، وإسقاط طريقة النبي ﷺ وأصحابه والتابعين علماء الحق من المسلمين، في فهم دلالات النصوص، وجعل دلالات نصوص الوحي مشاعة ومفتوحة لأفهام الزنادقة والمنحرفين والجاهليين من الحداثيين والعلمانيين والمستشرقين

---

(١) يراجع: قضايا وشهادات ٢/ ٣٨٥، نقلاً عن: الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها، ص١١٣١.

(٢) طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام، ص١٤.

(٣) نفسه، ٢/ ٣٨٦، ٣٨٨، ومفهوم النص: ص١٢.

وتلامذتهم.

٣- كل ما سبق تمهيد لإزاحة نصوص الوحي من الواقع والتصرف فيها- تطبيقًا- وفق أهواء العلمانيين والحداثيين، وكل ذلك على أساس رفض الاستسلام للوحي وترك القبول له، والمجاهرة بالمعارضة الصريحة له"[(١)].

هؤلاء أبرز المتأثرين بطه حسين داخل مصر، بيد أن الكتابات والمقالات تتوالى في الصحف والمجلات - فضلاً عن الكتب- في داخل مصر، مشيدة بطه حسين وفكره متجاهلة تماماً ما أعلنه من حرب على الإسلام وأهله في صورة نظريات هزيلة منقولة أو منحولة عن نفر من أعداء الإسلام من المستشرقين وغيرهم...

ففي مقال بعنوان (طه حسين ملكاً) يرى عبدالمعطي حجازي[(٢)] ما أقدم عليه طه حسين في كتابه (في الشعر الجاهلي) من الشك في حقائق وثوابت الدين إقداماً وشجاعة لا نظير لها، وليس لأحد سواه فعلها يقول: "كيف كان باستطاعتنا أن نجرؤ على الشك فيما شك فيه، أو على الإيمان بما آمن به، دون أن يأخذ طه حسين بأيدينا، يعبر بنا القرون المظلمة والمضيئة، والبلاد القريبة والبعيدة، حتى يبلغ بنا شاطئ اليقين؟!

كيف كان باستطاعة الملايين أن تقرأ وتكتب، وترى وتسمع، وتفكر وتختار دون هذه الصيحة التي أطلقها طه حسين في أربعينات القرن الماضي، فَرُدِّدت أصداؤها في البلاد تضيء مدنها وقراها كما يفعل الصباح الجديد وهو يتقافز على الربا والكثبان: "العلم كالماء والهواء"؟!

إلى أن يقول: "أتخيله دائماً في سيرته الواقعية بطلاً أسطورياً من هؤلاء الأبطال

---

(١) الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها، د. سعيد ناصر الغامدي، ص١١٣٦ وما بعدها.

(٢) شاعر وأديب مصري، ولد عام ١٩٣٥ بمدينة تلا محافظة المنوفية بمصر. حفظ القرآن الكريم، وتدرَّج في مراحل التعليم حتى حصل على دبلوم دار المعلمين ١٩٥٥، ثم حصل على ليسانس الاجتماع من جامعة السوربون الجديدة، ودبلوم الدراسات المعمقة في الأدب العربي ١٩٧٩. عمل مدير تحرير مجلة صباح الخير ثم سافر إلى فرنسا حيث عمل أستاذاً للشعر العربي بجامعتها. يراجع: موقع الموسوعة الحرة، (ويكيبيديا).

الـذين يـصارعون الظلـمات، ويواجهـون الغـيلان، ويقهـرون التنـين، ويفتحـون المـدن، ويعودون منتصرين"[1].

ويُعدّ الكاتب (سامح كُريِّم)[2] من الكتّاب المعجبين بطه حسين إلى حد كبير حيث ألّف فيه عدة مؤلفات منها: (طه حسين فكرٌ متجدّد) و(طـه حـسين في معاركـه الأدبيـة) و(ماذا يبقي من طه حسين) و(طه حسين يتكلم) وغيرها...

يقول في ختام كتابه (طه حسين فكرٌ متجدّد): "والآن... بعد هـذه الرحلـة الممتعـة التي عشت فيها، أياماً وليالي، ومن قبلها سنوات طوال قـد تـصل إلى الخمسين عامـاً مـع فكر الدكتور طه حسين، إما مستمعاً عنه أو قارئاً له، أو متحـدثاً معـه، أو دارسـاً أو ناقـداً أو كاتبـاً معـبراً عـن هـذا الفكـر المتجـدد... أقـول إن هـذه الـصفحات التـي انتهيـت مـن كتابتها.... ليست سوى نتيجة لكل هذه جميعها مضافاً إليها مجلدات وكتـب وقـصاصات مـن الـصحف، في مقـدمتها الأهـرام، ومجـلات الإذاعـة والتلفزيـون، والعـربي الكويتيـة، والمنتدى الإماراتية، والمحيط الثقافي القاهرية، وغيرها....".

ثم يقول: "الآن....بعد أن فرغت من رصد فكر طه حسين المتجدّد، الـذي أسـهم في تكوين العقل المصري الحديث، وهو في سبيل يقظته وأضـاء للأجيـال الطريـق بلوامـع هذا الفكر المتجـدّد.... لا أشـعر بـأنني ابتعـدت عـن هـذا الفكـر... وكـم كانـت صـحبته مباركة عظيمة...." [3].

ويقول في كتابه (ماذا يبقى من طه حسين): "طـه حـسين الـذي يمثـل تجـسيداً حيَّـاً لقيم النهضة الفكرية الحديثة، على نحو لم يستطع من سبقه أن يحققه من قبل. وعن طريـق كل المواقف والأعمال، استطاع طه حسين. أن ينقل الـصراع الـدائم بـين القـديم والجديـد

---

(١) دبي الثقافية، ص٤١، العدد (٤١) أكتوبر ٢٠٠٨.

(٢) كاتب مصري، معاصر، من أشهر المتأثرين بطه حسين، حيث أعجب به وبكتاباته، وألَّف فيـه عـدة كتـب منها: (طه حسين فكر متجددٌ)، و (طه حسين في معاركه الأدبية)، (طه حـسين يـتكلَّم) وغيرهـا. يراجـع: موقع الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

(٣) ص ٢٠٨، الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٣م.

من المستوى الضيق الذي كان عليه من قبل، إلى مستوى أرحب وأوسع، بل وأكثر من ذلك جعل هذا الصراع جزءاً -لا غنى عنه- من التكوين الفكري لهذه النهضة التي نعيش فيها"[1].

ومن الكتَّاب المصريين المعجبين بطه حسين جدًا الكاتب نعمان عاشور[2] فقد أعجب به إلى حد الوله والتعلُّق الذي لا يجوز إلا لله تعالى يقول هذا الكاتب:"....كنت قد بدأت أشغف بكتابات توفيق الحكيم... ولكن شخصية طه حسين وكتاباته كانت هي التي تظلِّل كل حياتي وكياني المنبعث نحو هذا العالم الشاسع الساحر عالم الأدب والفكر... كان طه حسين هو معبودي في تلك الفترة... ومن أجله سحبت أوراقي بعد شهر كامل من كلية الحقوق لألتحق بكلية الآداب الذي كان هو عميدها، مغاضباً والدي وأهلي جميعًا..." [3].

ويقول وقد لامه بعض الناس على تقبيل يد طه حسين في أحد اللقاءات بينهما: "يا سبحان الله... كيف كان يمكن أن يحدث غير ذلك وقد كنت لازلت أعتبر ما فعلت أقل ما يستطاع من وفاء بشخصية ومكانة وأثر طه حسين على حياتي، بل وعلى حياتنا جميعاً، نحن صنَّاع الكلمة في كل مكان على أرضنا العربية..." [4].

---

(١) ص٤ مؤسسة دار الشعب، بدون.

(٢) أديب مصري، ولد عام ١٩١٨م، بالمنصورة. حصل على ليسانس الآداب، قسم اللغة الإنجليزية. عمل محرراً بدار أخبار اليوم. عضو في لجنتي القصة والمسرح بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية.

من مؤلفاته: مسرحية: سر الكون، الجيل الطالع، وابور الطحين، ثلاث ليالي وغيرها....

ومن قصصه: سباق مع الصاروخ، بطولات مصرية وغيرها... حاز على جائزة الدولة التشجيعية في الآداب من المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية عام ١٩٦٨. يراجع: الموقع الإلكتروني: http://www.sccgov.eg/gwa٢z.

(٣) مع الرواد، نعمان عاشور، ص٢٧، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م.

(٤) المرجع السابق، ص٣٢.

ويقول الدكتور عبدالقادر القط[1]: "لقد بدأت صلتي بطه حسين حين كنت طالبًا بالجامعة في قسم اللغة العربية، وسبب التحاقي أنه أستاذ لهذا القسم وكان عميدًا لهذه الكلية وكانت لي رغبة في دراسة الأدب الفرنسي أساسًا، ولكني تحولت عن هذا لسحر هذه الشخصية الجليلة التي أخذت بمجامع كثير من القلوب والعقول في ذلك الوقت، ثم توطدت العلاقة بيننا وبين طه حسين"[2].

ويقول الكاتب محمد عودة[3]: "إن طه حسين كان أسطورة عظيمة تعكس عبقرية مصر، أسطورة الفتى الفلاح الصغير الفقير المكفوف الذي جاء إلى الأزهر، ليدرس ويعود ليكون إمامًا أو معلمًا في الكتَّاب"[4].

ويقول: "... لعلَّ أثمن ماخلَّفه طه حسين حقيقةً كان تلامذته؛ لأنه أستاذ متميز، أودعه الله قبساً من نور، حيث من يسمعه مرة يظل طوال حياته متأثراً به، ولهذا كان

---

(١) أديب وناقد مصري، ولد عام ١٩١٦ بمديرية الغربية، محافظة الدقهلية، حصل على ليسانس كلية الآداب قسم اللغة العربية عام ١٩٣٨، ثم على الدكتوراه من جامعة لندن عام ١٩٥٠ ثم عُيّن مدرِّساً بكلية الآداب، جامعة عين شمس منذ إنشائها عام ١٩٥١ ثم رئيساً لقسم اللغة العربية ثم عميداً لكلية الآداب، رأس تحرير أكثر من مجلة أدبية منها: مجلة الشعر، ومجلة إبداع، شارك في الحركة الأدبية بالكتابة في الصحف والمجلات، والأحاديث في الإذاعة والتلفزيون، أشرف على عدد كبير من أبحاث الماجستير والدكتوراه في الأدب العربي والنقد. من مؤلفاته: مفهوم الشعر عند العرب، من الأدب المصري المعاصر وغيرها.... حاز على جائزة الملك فيصل في الآداب عام ١٩٨٤، توفي ١٦ يونيه، عام ٢٠٠٢. يراجع: الموقع الإلكتروني: http://www.sccgov.eg/gwa٢z.

(٢) طه حسين من جديد، محمد نوّار، ص١٣.

(٣) محمد عودة: كاتب صحفي ومؤرخ مصري، يلقب بـ (غاندي الثقافة العربي)، ونتيجة لآرائه فقد دخل محمد عودة سجون الملوك فاروق وجمال عبدالناصر وأنور السادات على التوالي، أسَّس مع صديقه حسن حنفي مجلة (اليسار الإسلامي) وانتهت محاولتها بمصادرة العدد الثاني وطرد حسن حنفي من الجامعة ودخول محمد عودة إلى السجن، توفي في عام ٢٠٠٦ بعد إصابته بمرض السرطان. يراجع الموقع الإلكتروني:

http:///www.arabs٤٨.com/display.x?=cid=٥٨sid=>٤٨id=٤٠٣>.

(٤) طه حسين من جديد، محمد نوّار ، ٣٧.

تلامذته من أشد الناس إخلاصاً وولاءً له وارتباطاً به"[1].

فهل من أودعه الله قبساً من نور يصدر عنه تشكيك في بعض نصوص القرآن الكريم؟!

ويقول الدكتور صلاح فضل[2]: "شبَّ جيلنا في ظل عدد من القامات الكبرى التي غطَّت سماء مصر والوطن العربي خلال القرن العشرين، ربما كان أبرزها وأشدّها كثافة وخصوبة قامة العميد"[3].

وفي موضع آخر يقول: "... وعندما دخلت دار العلوم شعرت برغبة عارمة في التَّتلمذ المباشر على يد طه حسين في كلية الآداب، بعد أن كنت ألاحقه في المحاضرات العامة بقاعة (يورث التذكارية) وغيرها. حذرني الزملاء من قوة حدسه وشعوره بالغرباء المندَّسين بين طلابه، كنت موفقاً بأن رائحتي ليست غريبة عن عالمه. فمسامعي مفعمة بعطره. تسلَّلت إلى محاضراته الأولى للدراسات العليا، كان يشرح مفهوم الأدب من المعاني المعجمية إلى الفلسفة الوجودية، لم يسعدني الحظ بالجلوس الشخصي إليه، لكنني اقتفيت أثره وتتبعت شوارده عند كل تلامذته المباشرين"[4].

ويقول عبدالفتاح صبري، وهو أحد المعجبين بطه حسين: "سيظل طه حسين

---

(١) المرجع السابق، ٣٨.

(٢) صلاح فضل: (محمد صلاح الدين) ناقد وكاتب مصري معاصر، ولد بقرية شباس الشهداء بوسط الدلتا في عام ١٩٣٨م، حصل على كلية دار العلوم، وعمل معيداً بالكلية ذاتها بعد تخرجه حتى عام ١٩٦٥م، درَّس في أكثر من عاصمة عربية وأجنبية، شارك في اللجنة التنفيذية العليا لمؤتمر المستشرقين الذي عُقد في المكسيك عام ١٩٨٥م، كما شارك في تأسيسس مجلة (فصول) للنقد الأدبي، انتخب عضواً بمجمع اللغة العربية عام ٢٠٠٣م، من مؤلفاته: منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، نظرية النائية في النقد الأدبي، ظواهر المسرح الإسباني وغيرها. يراجع الموقع الالكتروني:

http://www.culture.gov.io/index.php?option=comcontent&view=article&id=٥٢٠&Itemid=٤٨&lang=a

(٣) دبي الثقافية، ص٤٧، العدد(٤١) أكتوبر ٢٠٠٨.

(٤) نفسه، الصفحة نفسها.

علامة فارقة في تاريخ الوطن، ثقافياً واجتماعياً وفكرياً، فقد كان صاحب رؤى في قضايا الأدب والفكر، بل والسياسة، في زمن كان يحتاج إلى رجال من نوعيته للنهوض به وتحريره - أي الوطن- الذي كان يرزح تحت وطأة الجهل والمرض والاستعمار.

وبظهور طه حسين بآرائه التي فجَّرت الحراك في ساحة الفكر والبحث، انتظم حوله دربان أحدهما مؤيد وآخر عدَّه مهدداً للقيم المتوارثة حتى الدينية منها، وهذا الآخر المناقض له بهت على مر الزمن، لأنه ثبت أن الرجل كان أحد رموز التحديث والتنوير، وهذا ما بقي وسيظل نبراساً لحياتنا الآتية التي مازالت تصارع تيارات الإظلام والتجهيل"[1].

ويقول:"إن مشروع طه حسين الفكري كان ثورة تنويرية للبحث في أسس للمستقبل، وكان يرتكن في مشروعه إلى العنصر العقلاني، وهو في هذا قد حرر النظرة إلى التراث وانتقل به من حيث تقديس الماضي إلى منطقة الصيرورة الموضوعية التي يجب إخضاعها للتحليل والنقد.

إن أهم ما في مشروع طه حسين التنويري أنه واجه التشدد الديني وآمن بوحدة الثقافة الإنسانية في عموميتها دون النظر إلى عرق أو دين، ودون إغفال للبيئة السياسية أو الاجتماعية للمجتمع وأعطى للعلم فضلاً يتوازى به مع العقلانية..." [2].

ويظهر من حديث هذا الكاتب أنه من الحداثيين الذين يُقدِّسون العقل ويؤمنون بأولويته على كل شيء حتى على نصوص الدين، ويعتبرون ذلك من التنوير الذي يبدِّد دياجير الظلام ويمحو آثار الجهل والرجعية والتعصُّب الممقوت.

وتقول الكاتبة لوسي يعقوب[3]: "حظي عميد الأدب العربي... الدكتور (طه

---

(١) دبي الثقافية ، ص١٤٢.

(٢) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٣) كاتبة وأديبة مصرية معاصرة، ولدت في مصر، من مؤلفاتها: أريد طفلي، أمي، سر الجدة، اللمسة الواعية، الملامح الخفية لجبران وميٍّ وغيرها.

حسين) باهتمام النقاد... والباحثين... والدارسين... كومضة ضياء بزغت وأشرقت في سماء الفكر والأدب... بصورة تستدعي العجب والتأمل والدراسة! وكانت ظاهرة وجوده... في حد ذاتها في حياتنا الفكرية المعاصرة... معجزة تمثل كياناً إنسانياً فريداً في نوعه؛ من حيث الأصالة والنبوغ المبكر لموهبة فطرية خلقت ونمت، وتوهَّجت وتأصَّلت جذورها في عمق أعماق طفل ضرير..." [1].

وتحَّدث حشد كبير من الكتَّاب في مصر مشيدين بطه حسين وبفكره العظيم!! وكأنه معجزة ربانية... وكأنه مجدّد للأمة أعادها بعد - ضلالها- إلى منهلها الصافي ونبعها النقيِّ، وجميع هؤلاء ينظرون بعين واحدة متعامين عمَّا أحدثه من باب التشكيك في الوحي، وتدنيس المقدَّس، والجرأة على مقام الرسول ﷺ والسخرية به وبنسبه الشريف، وترديد ما يهرف به المستشرقون وأعداء الدين، وذلك هو الضلال المبين!

ومن هؤلاء: عبداللطيف عبدالحليم، رجاء النقّاش، يوسف القعيد، فاروق أبو زيد، حسين نصّار، فاروق خورشيد، أمينة رشيد، ماهر شفيق وغيرهم...

(١) الأصالة والمعاصرة، لوسي يعقوب، ص١١، مكتبة المحبة، بدون.

الفصل الثاني

أبرز المتأثرين بطه حسين خارج مصر

وفيـــــه: -

١) عبدالعزيز المقالح

٢) عزيز العظمة

٣) أدونيس

٤) عبدالرحمن منيف

٥) فيصل درَّاج

٦) سعد الله ونوس. وغيرهم...

۞ توطئـــــة:

لم يقتصر أثر طه حسين الفكري على القطر المصري فقط بل تجاوزه إلى العالم الإسلامي ويظهر ذلك من خلال تبنّي بعض الحداثيين بعضاً من أفكاره.... كما كتب عنه بعض الكتَّاب العرب بعض المقالات المليئة بعبارات الإعجاب والتأثر، وأيضاً يظهر ذلك من خلال الرسائل المتبادلة بينه وبين المعجبين به من القراء العرب...

يُعدّ **عبدالعزيز المقالح**(١) الشاعر اليمني من أحد الذين أصابتهم ريح التأثر بطه حسين، وغالباً ما يكون التأثر نتيجة الانبهار والإعجاب الشديد بالشخصية الذي ما يلبث أن ينمو شيئاً فشيئاً إلى أن يتجسَّد هذا التأثّر متمثلاً في عبارات الإعجاب، أو موافقة الفكر، وكلا الأمرين قد تحقق عند المقالح فمن أمثلة عبارات الإعجاب بطه حسين قوله متعجباً ومعجباً بعد ذكر مقطوعة لطه حسين في بعض رواياته: "أهذا شعر أم نثر؟ قصيدة أم حكاية؟ هكذا هو طه حسين في كتاباته يأسرك بجمال تعبيراته وصفاء لغته من أول جملة، ويشدك إليه فلا تستطيع وأنت تقرأ له بحثاً أو مقالاً أو رواية إلا أن تواصل السير معه إلى آخر الشوط. وقد كان ذلك شأنه في حديثه وكلامه المباشر. وفي تلك النماذج التي احتفظت بها لنا إذاعة القاهرة من أحاديثه الإذاعية ما يطرب ويعجب، انسجام في اللفظ، ونسق متماسك مع الصوت الساحر الجذاب، ونمط خاص من الكتابة بوسع النص المكتوب المسموع أن يمتلك قارئه وسامعه وأن يستولي عليه"(٢).

وفي موضع آخر يقول: "ولا نستطيع أن نتحدث عن فعل التعبير عند كاتب معاصر وامتلاكه طاقة عالية من التأثير، كما نستطيع أن نتحدث عن فعل التعبير عند طه

---

(١) حداثي يماني، من كبار دعاة العلمنة والحداثة، صاحب ديوان الكتابة بسيف الثائر علي بن الفضل، الذي سخر فيه بالله تعالى وتجرأ بالشتم على مقام الألوهية المقدسة، عُني بالشيوعية والشيوعيين، نال الدكتوراه عام ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م في موضوع الشعر العامّي في اليمن، وعمل مندوباً لليمن في جامعة الدول العربية، ودرس في جامعة صنعاء ورأس مركز الدراسات والبحوث اليمنية.

(٢) دبي الثقافية، العدد (٤١) أكتوبر ٢٠٠٨، ص٣٥، مقال بعنوان: طه حسين نورانية العقل وجمالية الأسلوب.

حسين وتأثيره. وأعجز اليوم وبعد مضي أعوام طويلة من عكوفي على قراءة طه حسين وتوقفي عند (الأيام)، و(على هامش السيرة)، و(دعاء الكروان) و(المعذبون في الأرض) وغيرها من كتاباته الأدبية التي تجمع بين الواقعي والمتخيل، أعجز عن أن أصور للقارئ ما وقع في نفسي - يومئذ - من إحساس لذيذ وشعور بالتماهي مع أسلوبه الفريد، واشراقة كتاباته التي كانت تمتلك مشاعري، أو تنقلها من ضوضاء الحياة وسخطها إلى التعمق في رؤية المتمرّد داخل فضاء الكتابة الجديدة، بما تحمله من ملامح القطيعة الأولى في قلب السكون العام الذي كان طابع الحياة العربية في النصف الأول من القرن العشرين؛ على رغم إرهاصات التنوير ومحاولات التجديد الجادة والمتلاحقة"[(١)]

هذا ما يتعلّق بجانب الإعجاب الظاهر في عباراته وكلماته، أما جانب موافقة الفكر فيظهر ذلك في جعله القرآن الكريم موضعاً للأساطير، فيتمنى أن نعيش في القرآن أسطورة جميلة، مثل سبأ وسد مأرب، وهذا تكذيب بالقرآن وترديد لقول الكافرين السالفين"[(٢)]؛ ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴾[(٣)].

يقول المقالح:

"لكم تمنيت لو أننا توقفنا عن الحياة من زمان

لو ارتضينا أن نعيش في (القرآن)

أسطورة جميلة

قصة سد حوله تقوم جنتان

عن اليمين والشمال

لكان أحنى

بالحجارة البادية الوجوم، بالرمال"[(٤)].

---

(١) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٢) الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها، ص١١٨٥، نقلاً عن: ديوان المقالح: ص١٥٤.

(٣) الفرقان: ٥.

(٤) نفسه، الصفحة نفسها.

يقول الدكتور سعيد الغامدي معلقاً:

"وهذا كلام في غاية الخبث والفظاعة حيث جعل القرآن مثوى التخلف والجحود والركود، وموئل الأساطير والخرافات والحكايات الكاذبة، ويضرب لذلك مثلاً بقصة مأرب التي ذكرها الله في القرآن في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾[1]

ويبدو في نص المقالح تأثره بطه حسين - وإن لم يصرّح بذلك - في اعتباره بعض قصص القرآن ضرباً من الأساطير والخرافات كما في قصة بناء الكعبة.

ممن تأثر أيضاً بطه حسين المدعو **عزيز العظمة**[2] الشاعر السوري فهاهو "يستشهد بكلام طه حسين ويجعله منطلقاً لرفض وصاية أهواء الماضي، واعتبره برنامج عمل للفاعلية العقلانية التاريخية، وقائد الريادة للممارسة الفكرية المستقلة عن الماضي، واعتبر أن الذين ردوا على طه حسين في تلك النصوص الكافرة يمارسون الردة ويعملون إلى إرجاع الأسطورة وإرجاع النص إلى مكانته المتعالية ورفض المساءلة، ثم ينتقد العظمة الذين أحجموا عن القيام بمثل ما قام به طه حسين". [3]

يقول الدكتور سعيد الغامدي: "وهذا ما ترسخ فعلاً في مشروعات أهل الحداثة والعلمانية، فقد وجدوا أن الالتحاق بهذه المفاهيم هو أقرب الطرق لهدم الإسلام من خلال هدم أصوله ومصادره"[4].

ومما يؤكد تأثر العظمة بطه حسن « جعله النبي ﷺ وأصحابه ﵃ خاضعين للأجواء التي أحاطت بهم، مما أدّى إلى استخدام ألفاظ أخذوها من محيطهم، أي: ألفاظ

---

(١) المرجع السابق، الصفحة نفسها. والأية من سورة سبأ: ١٥.

(٢) عزيز العظمة: كاتب سوري، خبيث المعتقد، معاد للإسلام وأهله شديد العداء مظهر لذلك، ولد في دمشق ودرس في بيروت، واكفورد، ثم درَّس في عدة جامعات عربية، وبريطانية، وله كتب بالعربية والإنجليزية. يراجع: الإنحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها، ص٩٩٦.

(٣) نفسه، ص١١٣٩، نقلاً عن: الإسلام والحداثة،، ص٢٦٩.

(٤) الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها، ص١٠٩١.

الشريعة ليست وحياً من الله بل مخترعة، من النبي ﷺ وأصحابه -مع ما في هذه الدعوى من ضلال وكذب- بل من الجو المحيط بهم، فيقول: "لم يكن محمد ولم يكن معاصروه معتزلة ولا كانوا أشاعرة، ولا فلاسفة، ولا بد أن المعاني التي تداولوها من محيطهم والتي أسندوها إلى ألفاظ الألوهية والجبروت والغفران واليد والعرش وغيرها من عبارات الذات والصفات الإلهية تتميز تميزاً كبيراً عما أسندوا إليها لاحقاً في المجتمعات المتمدنة في دمشق وبغداد ونيسابور وقرطبة" وهذا النص يبدو فيه تأثر (العظمة) بطه حسين حينما أرجع الفرق بين ما أسماه القرآن المكي والمدني إلى تأثر الرسول ﷺ بمجتمع اليهود، كما أن نص (العظمة) السابق فيه وصف للرسول ﷺ بالتخلُّف»[1].

كما يُعد **أدونيس**[2] رائد الحداثة العربية - كما يسمونه - الشاعر اللبناني من أبرز من تأثر بطه حسين بدءاً بإعجابه الكبير به متمثلاً ذلك في قوله:

"أذكر لطه حسين قوله:"أنا قلق دائماً، مقلق دائماً، ساخط دائماً، مثير للسخط من حولي......" فهو قولٌ يرسم كما أرى صورة الخلاّق المجدّد. وكثيراً ما تمنيت أن أزوره في بيته، وأراه عن كثب، وأتحدّث معه مباشرة، وهي فرصة أتيحت لي في أثناء وجودي في القاهرة في أواسط نوفمبر تشرين الثاني ١٩٦٦.....

ثم يقول: "كان حضوره أمامي في بيته مفاجئاً: لم يشخ كما كنت أظن. كان يجلس في جلال آسر، يلف ساقيه بغطاء من الصوف، وبدا جميلاً كمثل منمنمة عربية في تمثال يونانيّ. كان يتلألأ فيما يتكلم. وأخذتُ أراقب كيف ينبثق داخل كيانه كيان آخر: جسده قبل كلامه غلاف لروحه، وروحه بعد الكلام غلاف لجسده".

---

(١) يراجع: الإنحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها، جـ٢، ص١٠٩١.

(٢) أدونيس: علي أحمد سعيد أسبر النصيري الباطنيِّ الملحد، ولد سنة ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م بسوريا، تسمَّى بأدونيس نسبة إلى وثن الخصب اليوناني، سماه بذلك أنطون سعادة زعيم الحزب القومي السورِّي الذي كان أدونيس أحد أعضائه، أستاذ الحداثيين وكبيرهم، عقيدته خليط من أصله النصيريِّ، وحاله المادي الإلحادي، أشهر عتاة الإلحاد وأظهر عداة الدين والإيمان، انتحل مجموعة من الأعمال الغربية ونسبها لنفسه. يراجع: الإنحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها، ص١٠٥.

وأخيراً يختم بقوله: "كان طه حسين في حديثه تلك العشية.....كثيفاً، مليئاً كشجرة عظيمة من الكلمات والأفكار، وخُيّل إليّ، ونحن ننهض لتوديعه، أن هذه الشجرة فيما هي تغمرنا، تتطاول لكي تُسقط على الماضي ظل الحاضر، وعلى الحاضر ظل المستقبل. ولكي تعلن الحياة التي لا تشيخ، الحياة التي تظل في بداية دائمة وتجدّد دائم"(١)

من هذه الأمثلة يتجلى لنا إلى أي حدّ أُعجب أدونيس بطه حسين إعجاباً كبيراً قاده هذا الإعجاب إلى تقفّي أثره والسير على خطاه الضالة... ومن أبرز هذا الضلال موقفه من الوحي والنبوة والرسل، ففي كتابه (الثابت والمتحول) يستخرج من التاريخ القديم كل شاذ، ويتلقى أعفن ما فيه ثم يتلقفه ويجعل منه تكأة لتثبيت معتقده الفاسد، في جحد النبوة والوحي، ويعتمد على أقوال الملحد الزنديق أبي بكر محمد بن زكريا الرازي(٢)، الذي يقول عنه: "يقوم نقد الرازي للنبوة على أساسين، عقلي وتاريخي، ومقدمة الأساس الأول أن العقل مصدر المعرفة، ولذلك يجب أن يكون متبوعاً لا تابعاً"(٣)

ثم ينقل نصوصاً من كلام صنوه الرازي ويقول بعدها: "ثم ينتقل الرازي بعد نفي النبوة كمبدأ إلى انتقادها كظاهرة"(٤).

ثم يعقِّب أدونيس على كلام الرازي بقوله: "والرازي هنا يقول: إنه ليس هناك في ظاهرة النبوة ما يوجب عقلياً حدوثها في قوم دون قوم، ذلك أن مثل هذا الاختصاص تفضيل لبعض على بعض، وجعل بعض هداة لبعض، وهو ما يأباه العقل ولا يقرِّه، خصوصاً أن هذا الاختصاص يؤدي إلى الشقاق بين الناس..." (٥).

---

(١) دبي الثقافية، العدد (٤١) أكتوبر ٢٠٠٨، مقال بعنوان (منمنمة عربية في تمثال يوناني).

(٢) يراجع: الانحراف العقدي، جـ٢، ص١١٤٢.

(٣) نفسه، الصفحة نفسها، نقلاً عن: الثابت والمتحول، أدونيس، ص٨٠ وما بعدها.

(٤) نفسه، الصفحة نفسها.

(٥) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

"والمقصود أن أدونيس بتقريره وشرحه لكلام الرازي الملحد وثنائه عليه، يعطي صورة عن مذهبه الإلحادي القائم على جحد النبوات والوحي...." [1].

ومن نصوص أدونيس التي تدل على موقفه المخزي من الوحي: في نتاجه المسمى شعراً حيث "نال من الوحي وتهكَّم به في هجائية حداثية ورمزية إحداثية، تحتوي على معاني عديدة من الانحراف الذي تشبعت نفسه به"[2].

حيث يقول قاصداً الوحي، وكلمات النصوص الشرعية: "كلمات بلا قمر تعبر نحونا، غيمة عابسة تحمل ثلج البلاد

ابتعد أيها المجوسي الضيف قبل الأوان تدخل تخومنا

وجهنا أمير على الفراغ وتاريخنا زبد

ابتعد ابتعد

الوحل يطرح شباكه علينا

الوحل بلغنا بنسيجه"[3].

ويسخر ويستخف بالقرآن العظيم كثيراً ويستخدم مطالع بعض سور القرآن المجيد في شعره في تقصد للتدنيس والاستخفاف فيقول:

"حم، آلم

حيث أفرغ قلبي من أخبار الغير

أمحو الحدود....

وتكون أشيائي مرموزة

ولست أنا من ينطق بها

بل

(١) نفسه، ص١١٤٧.

(٢) نفسه، ص١١٥٠.

(٣) نفسه، الصفحة نفسها، نقلاً عن: الأعمال الشعرية لأدونيس، جـ١، ص٢٣١.

حم، آلم
ولست أنا من يكتب"[1].

وهكذا يستخدم أدونيس مطالع بعض السور استخداماً حداثياً يستهدف الحط من شأن القرآن، والتقليل من مكانته وقداسته، كما فعل طه حسين قبل ذلك، وكما يفعل الكثير من بعده قد يكون نتيجة تأثره بفكر طه حسين وإعجاباً به، وقد تكون تشابهاً والتقاءً -والله أعلم بالصواب-.

و إن لم يكن هؤلاء قد تأثروا به فعلاً فلا يبعد أن يكون قد فتح لهم باب الجرأة على الدين والتشكيك في حقائقه، حيث طفح ما في أنفسهم من الكفر البواح والضلال المبين في صورة شعر، بل في صوره كلمات متقاطعة هزيلة لا رابط بينها، ثم يسمونها زوراً وبهتاناً شعراً وقصائد!! ولا صلة تربطها بالشعر ولا بالقصيدة...

وممن سار على هذه الدرب المظلمة، الروائي الحداثي **عبدالرحمن منيف**[2] الذي يعتقد أنه لم يبق أي شيء مقدّس لديه، والعياذ بالله!، لأنه كغيره؛ من الماركسيين الماديين لا ينظرون إلى الإسلام كوحي إلهي، على البشر تقديس نصوصه والالتزام بها".

يقول منيف:"أما موقفي من المقدّس الذي تسألني عنه، فأكاد أقول دون خشية كبيرة: لم يبق شيء مقدس!".

إلى أن يقول:"نحن الذين أعطينا للمقدس قدسيته"[3].

وهذا القول كبير الشبه بقول طه حسين وموقفه من الكتب السماوية حين طالب

---

(١) المرجع السابق، ص١١٥٤، نقلاً عن: المصدر السابق الأعمال الشعرية لأدونيس، جـ٢، ص٧١٤.

(٢) عبدالرحمن منيف: كاتب سعودي، من أهل الجبيل، ومن قيادات حزب البعث في العراق، حداثيٌّ كبير، بل قدوة للحداثيين المحلِّيين، صاحب أكبر رواية عربية وهي (مدن الملح) تقلَّب في العلمانية من البعثية إلى الإشتراكية التي تلقاها في إحدى دول أوروبا الشرقية الشيوعية، وفيها اعتنق الفلسفة الماركسية، ثم استقر أخيراً في الليبرالية الديمقراطية كما في كتابه الأخير: الديمقراطية أولاً. يراجع: الإنحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها، ص١٦١.

(٣) نظرة شرعية في فكر منحرف، ص٦٥، نقلاً عن: الكاتب والمنفى، ص٣٨٢ وما بعدها.

بكسر حاجز التقديس لها، ونقدها كأي كتاب آخر.

كما يلتقي منيف مع طه حسين في شيء آخر وهو العلمانية، فهو ينتقص ويسفّه ويثبِّط من يدعو الدول العربية إلى تحكيم الشريعة والعودة إلى الإسلام يقول: "أما الخيار الثاني الذي يطرح فهو الخيار الديني أي الرابطة الدينية، بالتحديد الأخوة الإسلامية التي تتجاوز الحدود القومية.

إن الرابطة الدينية، حتى على فرض إمكانية قيامها، لا يمكن أن تتجاوز الرابطة القومية أو أن تكفيها، لأن الرابطة القومية هي الأساس في قيام المجتمعات، بخاصة في العصور الحديثة. إن الرابطة الدينية، إضافة إلى استحالة تحققها في الواقع الراهن إلا كرابطة معنوية، لا تتعدى التقارب والتعاطف. وهي تنطلق من معطيات متفاوتة ومن واقع مختلف، كما أنها غير قادرة، وغير مؤهلة للإجابة عن مشكلات العصر الحديث اعتماداً على تجارب ماضية وجزئية".

إلى أن يقول: "فالدين رابطة معنوية واعتقاد مبني على الاختيار الخاص، وهو أمر شخصي تماماً!" [(١)] وهذا القول الصادر من منيف يدل دلالة واضحة على نظرته العلمانية، التي تجعل الإسلام منزوياً في الشعائر التعبدية فقط، أما شئون الحياة فلا دخل له بها.

ومما يؤكد علمانيته قوله: "إن الدين، أي دين، يفترض أن يبقى في إطار الاعتقاد الشخصي، أما إذا تحول إلى عمل سياسي فيصبح عندئذٍ ذريعة لسلب حرية الإنسان، ولإرغامه على الامتثال، كما يصبح وسيلة لقهر الآخر"[(٢)].

ومن الشخصيات المعجبة والمتأثرة بطه حسين الحداثي الفلسطيني **فيصل درّاج**[(٣)]

---

(١) نفسه، ص٦٦ وما بعدها، نقلاً عن: الديمقراطية أولاً، ص١٣٤ وما بعدها.

(٢) المرجع السابق، ص٧٠، نقلاً عن: بين الثقافة والسياسة، ص١٤٨.

(٣) فيصل دراج: كاتب أردني معاصر، من أصل فلسطيني حداثي، ولد عام ١٩٤٢م، تخرج من فرنسا حاملاً الدكتوراه، عضو جمعية النقد الأدبي، من مؤلفاته: (في علاقات الثقافة والسياسة-دراسة)، (الماركسية والدين-دراسة)، يراجع الموقع الإلكتروني: -http://www.awa =

الذي ساهم في إخراج العمل الدوري الحداثي المعنون بـ (قضايا وشهادات) حيث كان العدد الأول منه خاصاً بطه حسين، وحمل عنوان: (طه حسين...العقلانية، الديمقراطية، الحداثة).

يقول:"طرح طه حسين في كتابه الشهير: (في الأدب الجاهلي) موضوعاً أساسياً هو: الإبداع والحرية مؤكداً جملة من المبادئ لا تقدُّم للعلم والمعرفة من دونها. فالعقل الإنساني لا يستطيع أن ينجز جديداً مثمراً إن لم يكن متحرراً من العوائق الاجتماعية وعادات الفكر المتوارثة؛ ذلك أن العقل لا يصبح عقلانياً إلا إذا اعترف بذاته كطاقة مبدعة مستقلة، وهذا العقل المبدع لا يخص شعباً من الشعوب دون غيره، ولا يرتبط بثقافة دون سواها، إنما هو كوني وموزع على البشر جميعاً بحظوظ متساوية، شريطة أن يؤمنوا به ويحسنوا استعماله.

ولعل قوله بكونية العقل الإنساني وبضرورة استعماله بشكل طليق، هو الذي حمله على الحديث عن المنهج الذي يقضي بأن يتحرر الباحث من الأهواء والمعتقدات المسبقة، قبل أن يعالج الموضوع الذي يريد معالجته"(1).

ويقول في موضع آخر:"قال طه حسين بحرية الفكر التي هي شرط نماء كل علم مستقل وازدهاره، ثم طالب بتكامل الإصلاح المدرسي والإصلاح السياسي، متوقفاً طويلاً أمام سؤال ثالث لا ينفصل عما سبقه من الأسئلة، والمقصود بذلك إعادة قراءة التاريخ العربي الإسلامي بشكل منهجي، وفقاً لأصول العقل المتحرر، وتحريره مما شابه من اختلاف واختراع، وإذا كان قد سعى في كتابه (في الأدب الجاهلي) إلى الفصل بين الزيف والحقيقة في حقل الشعر، فقد أراد في كتابه (الفتنة الكبرى)، الذي ظهر في نهاية أربعينيات القرن الماضي، إلى تحرير التاريخ السياسي والديني من مزاعم كثيرة"(2).

.dam.org/dalil/ovdaltzal/dliloog.htm

(1) دبي الثقافة، ص٧٧، مقال بعنوان: مآل طه حسين وركام ما تبقّى.

(2) المرجع السابق، ص٧٨.

ثم يقول محاولاً قلب الحقائق وإظهار الباطل في صورة الحق المهضوم: "ما الذي دفع بهذا المشروع الطموح إلى الإخفاق؟ صدر الإخفاق عن أسباب كثيرة غير متكافئة: رجال الدين الزائفون الذين اتهموا عالماً مؤمناً!!، لا دفاعاً عن الدين الذي جعل البحث عن العلم فريضة، بل للدفاع عن مصالحهم الذاتية التي تستثمر الدين. وقد ساعد على ذلك بيئة اجتماعية يكتسحها الجهل تجعل من تسييس الدين تجارة رابحة....." [1].

ويقول الحداثي **سعد الله ونوس**[2] في مقدمة كتاب (قضايا وشهادات) في عدده الأول: "قد يبدو العدد الأول من كتابنا الدوري لهاثًا وراء الاحتفال الذي تماوجت ضوضاؤه على مدار السنة المئوية لميلاد طه حسين. ولكن الأمر محض صدفة. فلو صدر هذا الكتاب مذ فكرنا فيه منذ سنتين، لكان طه حسين موضوع ذلك العدد، وكذلك الأمر لو تأخرنا في إصداره سنة أو سنتين أخريين. لأن كتاباً دورياً يتوخى الدفاع عن العقل، وحلم المجتمع المدني، والفكر التاريخي، والاستقلال والتقدم، ويحلم فوق ذلك بإحياء محاولات التنوير العربي، وربطها في نسق متلاحم وفعّال؛ لا يمكن إلا أن يبدأ بطه حسين. وهل عرف تاريخنا المعاصر مشروعاً تنويرياً جذرياً وشاملاً كذلك الذي صاغه طه حسين، وقضى حياته في بنائه والدفاع عنه.

إذن لا يرمي هذا الكتاب إلى مد الاحتفالات باحتفال جديد، بل يأمل أن يسترد طه حسين ضوءاً وعوناً في هذه الظلمة التي نتخبط فيها، ونحن إذ نقول (يسترد) فلأن انقطاعاً قد تمّ، وخطأً قد اقترف، ولعل في هذه الانقطاعات والأخطاء ما يفسر تفكك المشروع التنويري العربي، والتفافه حول نفسه في دوريات متعاقبة من تاريخنا المعاصر"[3].

---

(١) نفسه، الصفحة نفسها.

(٢) سعد الله ونوس: كاتب سوري حداثي، معاصر، ولد في قرية حصين البحر القريبة من طرطوس، (١٩٤١-١٩٩٧م)، عمل مديراً للهيئة العامة للمسرح والموسيقي في سوريا، أصدر عام ١٩٨٢م مجلة حياة المسرح، وعمل رئيساً لتحريرها، توفي بعد إصابته بمرض السرطان.

(٣) المرجع السابق، ص٧٩.

إذن طه حسين في نظر سعد الله ونوس مشعل يبدّد دياجير الظلمة التي يتخبط فيها هو وأمثاله من الحداثيين!! ولا أدري أي ظلمة يقصد هذا الحداثي الرمزي؟!

على كل حال ما هم فيه من الضلال البائن ظلمة بحق تحجب عن أعينهم نور الإسلام، فهم لا يعتبرون دعوة الإسلام هي النور المبين، بل ما جاء به هؤلاء الضالون من حرب للإسلام والنبوة والرسالة في أفقهم الضيق وبصيرتهم العمياء هو مشعل النور، ومن جاء به هم التنويريون!!

ولم يتوقف التأثر والإعجاب بطه حسين على الكتَّاب الحداثيين بل تجاوزه إلى غيرهم من بعض المثقفين ومن هؤلاء الكاتب الأردني **فخري صالح**[1] حيث يقول في مقال بعنوان (طه حسين معاصرنا): "ليس لدي شك، أن طه حسين هو الكاتب العربي الأعظم تأثيراً في الثقافة العربية الحديثة، فالأسئلة التي سألها منذ درس في الأزهر، وصولاً إلى اختياره وزيراً للمعارف المصرية، هي نفسها الأسئلة التي ما زلنا نسألها في وقتنا الحاضر؛ فقد ظلت أسئلة النهضة وحرية الفكر والتعبير وحق التعليم - الذي عدَّه طه حسين مثل الماء والهواء-، وحوار الثقافات من بين القضايا الكبرى التي تشغل الثقافة والكتابة العربيتين إلى وقتنا الراهن. من هنا يبدو طه حسين شديد المعاصرة، يستمر تأثيره الطاغي، على رغم رحيله منذ خمسة وثلاثين عاماً. وإذا كان الكتّاب والنقّاد والباحثون الأكاديميون من بعده قد جربوا المناهج الفكرية والنقدية الحديثة، وأعملوا مباضعهم في القضايا والنصوص، فهو يظل واحداً من الملهمين الكبار لأجيال تلت جيله، واعتقدت واهمة أنها تجاوزته نقداً وفكراً وإبداعاً".

---

(١) فخري صالح: كاتب أردني من أصل فلسطيني معاصر، ولد بجنين عام ١٩٥٧، حصل على بكالوريوس أدب إنجليزي وفلسفة من الجامعة الأردنية، وواصل دراسة الماجستير في نفس الجامعة، عمل مديراً للدائرة الثقافية في جريدة الدستور الأردنية، ويكتب بصورة منتظمة في صحيفة (النون) وصحيفة الخليج (الشارقة)، حصل على جائزة فلسطين للنقد الأدبي، من مؤلفاته: القصة القصيرة في الأراضي المحتلة، في الرواية الفلسطينية، أرضى الاحتمالات: من النصل المغلق إلى النص المفتوح...، المؤثرات الأجنبية في الشعر العربي المعاصر وغيرها. يراجع: http://www.awa-dam.org/dalil/ovdaltzal/dliloog.htm.

وفي موضع آخر يقول: "لكن بغض النظر عن المكانة الثقافية والنقدية التي احتلها طه حسين في مسيرة الأدب العربي في القرن العشرين؛ فقد كانت لي حكاية شخصية معه. كان طه حسين بالنسبة إليّ مثالاً حلمت في طفولتي أن أمشي على هديه، ورسمت لنفسي منذ ذلك الحين مساراً شبيهاً بمساره النقدي والإبداعي. ولعله الأديب العربي الوحيد الذي أثّر تأثيراً شديد العمق في توجهي للكتابة النقدية، إذ بدأت في قراءة كتبه في فترة مبكرة من حياتي، لا أظن أنها تجاوزت سن الثالثة عشرة، والتهمت معظم كتبه الأساسية قبل أن أبلغ التاسعة عشرة من عمري"[1].

وقوله: "...ثم قرأت كتابه (في الأدب الجاهلي)، وهو النسخة المخففة من كتابه الإشكالي (في الشعر الجاهلي) الذي سحرني منطقه الديكارتي ونظريته في الشك التي استند إليها.....".

في هذا الجزء من هذا المقال يتضح عِظم المكانة التي احتلها طه حسين في قلب هذا الكاتب ويظهر هذا بوضوح في بعض ألفاظه مثل: (حلمت، التهمت كتبه، سحرني منطقه الديكارتي.....الخ.

فهذا الكاتب وغيره يقولون كل هذا عن علم وقصد وسبق إصرار لأنهم على قناعة بأن هذا هو الحق الذي لا ريب فيه .

وبالرغم مما كتبه طه حسين في كتابه (في الشعر الجاهلي) من عبارات كفرية بعيدة كل البعد من تعظيم الله تعالى ونبيّه ودينه وكتابه؛ إلا أن بعض هؤلاء الكتّاب يتجاهلون ما كتب وكأنهم لا يبصرون -عياذاً بالله- وهذا يكشف مدى ما اتصفت به بيئة هؤلاء الكتاب المستبعدة للجانب الديني واعتباره حَجْراً على الفكر وحرية الرأي والتعبير!!

وقد كتب الأستاذ محمد بن علي المحمود السعودي في جريدة الرياض[2] مقالاً

---

(١) المرجع السابق، ص٥٩.

(٢) بتاريخ ٢١/ صفر/ ١٤٢٩هـ - ٢٨ فبراير ٢٠٠٨م، العدد ١٤٤٩٣ - السنة الخامسة والأربعون، ص٣٦.

بعنوان (طه حسين...الإبحار في بحر الظلمات) جاء فيه: "كان طه حسين ~ وهو الأعمى بصراً؛ لا بصيرة، محاصراً ببحر من الظلمات، ظلمات بعضها فوق بعض، ظلمات تراكمت عبر قرون وقرون من الانحطاط العربي الإسلامي، الذي أنتجته ثقافة التقليد الأعمى، وتقديس الموروث، ووأد محاولات الإبداع في مهدها، بدعوى أنها محاولات ابتداع، كان قدره الذي صنعه بنفسه، أن يخوض هذا البحر الحالك الظلمة، مزوداً ببصيرة مستنيرة، لم يتمتع بمثلها المبصرون، بصيرة تؤمن أيَّما إيمان، بقدرتها على تحويل هذه الظلمات - بقوة وفاعلية ثقافة الاستنارة- إلى عالم من الأنوار، تزول له الغمة عن هذه الأمة، كما يقول التقليديون..!"....الخ ما كتبه في مقاله الطويل....

ومما يدعو إلى العجب أن كاتب هذه السطور يظهر على سيماه التقوى والصلاح - نحسبه كذلك- ويصدر منه مثل هذا الكلام الذي ينمُّ عن جهل لحقيقة ما كان يدعو إليه طه حسين من العلمانية...والتشكيك في الوحي...وتدنيس المقدس...إلخ فإذا لم يكن هذا كله عماية بصيرة فما هي العماية إذن؟!

إني أرى - والله أعلم - أن سبب جهل هؤلاء المثقفين - للأسف - بحقيقة طه حسين وحقيقة فكره هو الهالة العظيمة المصطنعة حوله وحول أدبه المزعوم، التي سعى إلى تثبيت دعائمها الاستشراق الذي بليت به الأمة الإسلامية.

الآثار العامة لفكر طه حسين على العالم الإسلامي:

إضافة إلى ما سبق من آثار طه حسين على بعض الكاتبين والمفكرين فإن هناك آثارا عامة ظهرت على العالم الإسلامي نتيجة لانتشار كتبه ومروياته فيها على مدى واسع، وتظهر هذه الآثار في جوانب عديدة، منها:

- الهالة العظيمة المصطنعة له حيث ركّزت وسائل الإعلام المرئية والمسموعة منها على طه حسين وفكره دون سائر المفكرين والأدباء الذين كانوا أهلاً لأن يحتفى بهم. ويبرز هذا الأثر من خلال حياة طه حسين الطويلة وما تخللها من لقاءات ومؤتمرات للمفكرين والأدباء ومؤتمرات للمستشرقين داخل مصر وخارجها، كما يبرز من خلال احتفاء الساسة بهذه الشخصية إلى حد كبير كحكام مصر، وتونس، والمغرب، ودول الغرب أيضاً مثل: إيطاليا،و إسبانيا،... الخ.

- امتد هذا الأمر إلى ما بعد موته حيث يُقام له مهرجان سنوي في جامعة المنيا، ويستقدم له العديد من المستشرقين، وتهتم به الإذاعة والتلفزيون.

- حشد عدد كبير من الكتاب لتمجيده وتعظيمه في الصحف والكتب والمجلات، وعندما يحاول أحد المفكرين أن ينقده أو يقدِّم عليه ملاحظة واحدة تستنكب الصحف ذلك وتعجب له، ولا تنشر ما يقال حوله من تجريح، أو على الأقل ما يكشف من الحقائق المطموسة.

- واستمراراً لإحياء ذكر طه حسين أصدر محبوه من الحداثيين كتاباً دورياً بعنوان (قضايا وشهادات) - كما سبق ذكره- كان نصيب طه حسين فيه نصيب الأسد حيث أُستفتح أول أعداده حول فكره وإبداعاته وتجديده - كما يزعمون - ويشرف على هذا الكتاب الدوري كل من: البعثي السعودي عبدالرحمن منيف، والشيوعي الأردني: فيصل درّاج، والعلمانيين الليبراليين: سعد الله ونوس وجابر عصفور، وكتبت تحت هذا القسم عدة موضوعات منها: (الشيخ التقليدي والمثقف الحديث)، لفيصل درّاج. و(ديكارت وطه حسين ومشكلة المنهج)، ليوسف سلامة. و(طه حسين ومنطلق

العقلانية)، لعبدالرزاق عيد. و(صورة الغرب في آداب طه حسين) لبهاء طاهر، وغيرها...[1].

– انتشار مؤلفاته في أنحاء العالم العربي والإسلامي بل والغربي أيضاً، حيث ترجمت بعض كتبه إلى عدة لغات، ومنها: الأيام، وبعض قصصه...

– منح بعض الدول العربية والأوروبية الدكتوراه الفخرية أو دكتوراة الدولة لطه حسين أكثر من مرة.

– اعتماد تدريس بعض كتبه في المدارس الحكومية في مصر وغيرها، مثل: (الشيخان)، (على هامش السيرة)، (أحلام شهرزاد)...

– الإيمان بآرائه والإعجاب بأفكاره دون النظر بعين الإنصاف إلى حقيقة ما ترمي إليه هذه الأفكار من علمانية أو تغريب.

– تسميته زوراً وبهتاناً بـ (عميد الأدب العربي)! ولا أدري بأي حق استحق هذا اللقب، وهو الذي سعى جاهداً لنسف الأدب حينما أنكر وجود أول مقوِّم من مقوماته ألا وهو الشعر الجاهلي!.

– كما يعتبر إنشاء معهد لتعليم الموسيقا والرقص والتمثيل في مصر من أكبر آثار طه حسين السلبية على البيئة المصرية.

– ومن الأمور التي طالب بها طه حسين أثناء توليه عمادة كلية الآداب افتتاح قسم خاص بالدراسات الإسلامية يكون ضمن كلية الآداب ليوجد لنا جيلاً من الكتّاب يهرفون بما لا يعرفون، ويتصدون لنصوص الشرع بالتشكيك والقدح، حيث كان من ثمرة هذا رسالة الدكتور أحمد محمد خلف الله (الفن القصصي في القرآن) وما تخللته من تكذيب صريح لنصوص الوحي واعتبارها نوعاً من القصص الأسطوري، ورسالة الباحثة تغريد عنبر، التي زعمت أن الرسول ﷺ كان يغير ويبدل في نصوص القرآن كيفما شاء! وغير ذلك من الآثار...



(١) يراجع: الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها، ص١٠٨٠.

ملحـــــق:

التعريف بالأستاذ أنور الجندي مع ذكر بعض أقوال المفكرين والعلماء حول جهوده في الدفاع عن الإسلام.

التعريف به:

اسمه أحمد أنور سيد أحمد الجندي، ولد في مدينة ديروط التابعة لمركز محافظة أسيوط بصعيد مصر سنة ١٣٣٥هـ-١٩١٧م.

كان أبوه يعمل في تجارة القطن، أمّا جده لوالدته فكان قاضياً شرعياً، حفظ القرآن في كتّاب القرية، وعمل في بنك مصر موظفاً وقد واصل دراسته في المساء وتخرَّج من الجامعة الأميركية بالقاهرة متخصصاً بالاقتصاد.

أتحف المكتبة العربية والإسلامية بأكثر من مائة كتاب فضلاً عن المقالات والدراسات التي تُعدُّ بالآلآف، من أشهر مؤلفاته: (موسوعة معالم الأدب العربي المعاصر)، و (العالم الإسلامي والاستعمار) و(من أعلام الإسلام)، و(المسلمون في فجر القرن الوليد)، و (القومية العربية والوحدة الكبرى) وغيرها.

توفي في ١٣ من ذي القعدة ١٤٢٢هـ/ ٢٨ كانون الثاني/ يناير سنة ٢٠٠٢م.

قال عنه صديقه الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي: « إن هذا الرجل الكبير المعروف بغزارة الانتاج، وبالتفرغ الكامل للكتابة والعلم، قد سخَّر قلمه طيلة أكثر من نصف قرن، لخدمة الإسلام وثقافته وحضارته ودعوته وأمته »[1].

من أقوال العلماء والمفكرين عنه:

١-**قال د.عبدالعظيم المطعني عنه:** « إني أحسبه من الرعيل الأول من رجالات الدعوة وإن تأخر زمنه عن زمنهم أربعة عشر قرناً، والعبرة بالأعمال والصفات، لا

(١) منتدى شبكة روض الرياحين، ١٧-٨-٢٠٠٦م.

بالمعاصرة في الأماكن والأوقات، فلقد كان أكثر الدعاة تصدياً للفكر الوافد المضاد لفكر الأمة يرصده ويرد عليه بموضوعية وحكمة، ومن الملاحظ أنه كان هادىء الطبع كبير الثقة بالنفس حاضر الذهن والبديهة » (مقال بجريدة آفاق عربية، عدد ٥٤٤، ص١١، بعنوان: أنور الجندي شمعة لن تنطفيء).

٢-د.شعيب الغباشي: « رحل مؤخراً عن دنيانا الفانية واحد من عمالقة العصر وحماة الأصالة ومفكري الإسلام، إنه العلامة المجاهد والكاتب الغيور أنور الجندي، وأجمع ما نَصِفُ به « الجندي » أنه كان متبتلاً وراهباً في محراب الثقافة والفكر الإسلامي حتى إنه ظل لسنوات طوال يتردد على دار الكتب المصرية ويتابع ما ينشر عن الإسلام في كتابات المبشرين والمستشرقين والتغريبيين ونذر نفسه ليقف في وجه هذه الكتابات وما تحمله من شبهات » (جريدة آفاق عربية، عدد ٥٤٤، بتاريخ ٢٤ ذي القعدة ١٤٢٢هـ-٧/ ٢/ ٢٠٠٢م، ص ٧).

٣-ويقول عنه د.يوسف القرضاوي: « مسكين «أنور الجندي» لقد ظلمته أمته ميتا كما ظلمته حيا فلم يكن الرجل ممن يسعى للظهور وتسليط الأضواء عليه بل عاش راهبا في صومعة العلم والثقافة يقرأ ويكتب ولا يبتغي من أحد جزاء ولا شكورا ولقد تتلمذت على كتبه وأنا صغير » (مقال بجريدة آفاق عربية، عدد ٥٤٥، السنة السابعة، ص ١٢).

٤-د.عبدالصبور شاهين: « إن الجندي حاول أن يكون محامياً عن الأمة -وقد كان- واستطاع الدفاع عن قضايا الإسلام في انقطاع تام للعمل الإسلامي وبرؤية إسلامية صافية، ولقد كان قلما قادراً على الجدل حاول أن يجعل للإسلام حضوراً حقيقياً في التاريخ والنقد والدعوة وإنه بموته حدثت فجوة، وإني أعتب على الذي يتهمونه بالتقليد وإن الأصل عنده هو الوصول للجماهير وإفهامهم » (مقال بآفاق عربية، عدد ٥٤٥، السنة الرابعة، ٢ من ذي الحجة ١٤٢٢هـ-١٤/ ٢/ ٢٠٠٢م، ص ١١).

٥-الأستاذ عبدالمنعم يونس: « إن الجندي ترك بصمة قبل رحيله ولقد قيضه الله للأمة الإسلامية في هذه الفترة الزمنية التي حفلت بكثير من الأفكار الوافدة التي أرادت

تشويه الإسلام، ولقد طالبت بأن تقوم الجامعات وكل وسائل المعرفة بتبني كتابات «الجندي » وتقديمها كمادة علمية » (مقال بآفاق عربية، عدد ٥٤٥، السنة السابعة، ٢ من ذي الحجة ١٤٢٢هـ/ ١٤-٢-٢٠٠٢م، ص ١١).

٦-**د. مصطفى الشكعة**[1]: لقد لاقى الجندي صنوفاً من المضايقات والإهمال ولكن له عظيم المكانة -إن شاء الله- في الآخرة وحسبه أنه وقف بمفرده مدافعاً عن العربية السلبية والشريعة الغراء والتي تربص بها الرويبضة (الرويبضة: التافه يتكلم في أمر العامة) والمنافقون، ولأن الجندي من معدن نفيس، معدن ورثة الأنبياء وحملة الهدى والحق والفضيلة إلى البشرية، وهو مثال واضح للعمل الدؤوب والتخطيط المنظم والتأصيل غير المسبوق وغزارة الإنتاج » (مجلة الداعي الصادرة عن الجامعة الإسلامية بالهند، عدد ٢، السنة السادسة والعشرون، ص ٤١).

٧-**ويقول عنه د. أحمد العسال**: « إن الجندي من الذين اجتهدوا في المرحلة الأولى من الدعوة إلى التجديد ومواجهة التغريب وإنه استفاد من تيار الحركة الإسلامية وارتبط بها وأعطى أفضل ما عنده كما استفاد من كونه صحفياً فحاول أن يجدد ويعرض الأمور ببساطة دون محاولة التعمق، ومن الممكن القول بأنه كان صحفياً مفكراً حيث كان أسلوبه يتسم بعدم التعقيد » (آفاق عربية، عدد ٥٤٥، ص ١١).

٨-**ويقول عند د. محمد يحيى**: « إنه نموذج فذ للمفكر الإسلامي المتلزم بعقيدته وقضايا أمته كما لوحظ اهتمامه بالقضايا الموسوعية والدأب والمثابرة وأنه كان يعمل وحده كما لو كان مؤسسة ضخمة، هذا وإن هذه القوة في العمل المنفرد أعطته نوعاً من الاستقلالية وعدم الخضوع لأي ضغط، ومن مميزات الجندي أنه اطلع على الفكر الغربي ولم ينبهر به بل نقده بقدم ثابتة، ولقد التزم الجندي بثوابت الأمة ولم يخرج عنها » (آفاق عربية، عدد ٥٤٥، ص ١١).

---

(١) د/ مصطفى الشكعة: أستاذ جامعة معاصر درَّس بالعديد من الجامعات العربية يرأس حالياً لجنة التعريف بالإسلام بالمجلس الأعلى بالشئون الإسلامية، من آثاره كتاب « سلام بلا مذاهب » راجع صور حضارية من عظماء الإسلام من إصدارات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ص٤.

٩-**ويقول د.شوقي ضيف عنه:** « عرفت (أنور الجندي) بعد مشاكساته لـ (طه حسين) ورده عليه وعكوفه على استخلاص نماذج أصلية من التراث العربي والإسلامي وتقديمها في العصر الحديث كمثال جيد على روعة حضارتنا، إن أنور الجندي لا يقل في كتاباته وما توصل إليه من نتائج باهرة عن العلماء والأفذاذ في تاريخنا فهو يماثل (الجاحظ) وابن تيمية، و (ابن القيم)، في موسوعية المعرفة والجهاد الطويل لنصرة الإسلام وقضاياه المصيرية » (مجلة الداعي، ص ٤١، مرجع سابق).

١٠-**ويقول عنه د.حسين مجيب المصري:** « لقد عاش الجندي مدافعاً صلباً لا يلين وتخصص في علوم كثيرة يعجز المعاصرون عن الإلمام بها، فقد كان عصامياً في مدرسة المجددين فقد علم نفسه بنفسه من خلال قراءاته الموسوعية واستنتاجاته الفذة وإصراره على دحض شبهات التبشير والاستشراق، فقد كان الجندي جامعة قائمة في رجل واحد تخرج منها آلاف المثقفين هذا وإن كان قد ظلم حيناً فعسى أن يفيق العرب والمسلمون لمكانته فيعيدوا له ما أخذ منه من جديد » (مجلة الداعي، ص ٤١، صفر ١٤٢٣هـ/ إبريل مايو ٢٠٠٢م).

١١-**ويقول عنه د.حسن حبشي:** « إن إنتاج أنور الجندي يمتاز بالتوثيق الدقيق والحس التاريخي والضلوع في فهم تاريخنا عبر حقبه الطويلة وإجادته للربط بين أكثر من فن وعلم كما أن دراسته تقع موقعاً متقدماً في المكتبة العربيةولاقت استحساناً لدى المتخصصين في الفكر والأدب والتاريخ والدين والحضارة، وأظن أن أنور الجندي صورة صادقة لنماذج أسهمت من قبل في إثراء حياتنا في تاريخنا الحديث، أمثال: مصطفى صادق الرافعي، والعقاد، ومحمود محمد شاكر أبو فهر وغيرهم » (نفس المرجع والصفحة).

١٢-**يقول عنه العلامة الندوي:** « إن أخانا أنور الجندي اليوم في طليعة الكتاب الإسلاميين المهتمين بأمر الغزو الفكر والاستعماري الاستشراقي للعالم الإسلامي وإنه يقف في وجهه بنثره القوي وقوف الشاعر القوي (إقبال) في وجه سوءات الحضارة الغربية بشعره الفريد وإنه كثيراً ما ينحت التعابير والجمل التي يراها أوفي بأغراضه

الدفاعية وبهدفه الهجومي الذي كان يسدده نحو أوكار المؤامرات الغربية ضد الإسلام » (مجلة الداعي الهندية، ص ٤٠-٤١).

١٣-**ويقول نور عالم خليل الأميني**: « رئيس تحري رمجلة الداعي الهندية وأستاذ الأدب العربي بدار العلوم بالهند »: « لقد كان أنور الجندي نابغاً من نوابغ المفكرين فلم ينل إلا شهادة متوسطة لكنه عكف على الدراسة وعبَّ من الكتب، ولقد انهالت كتاباته ومؤلفاته التي تصدى فيها للغزو الفكري وللمذاهب الهدامة وتوابعه، بالإضافة إلى تأصيله للعلوم الإسلامية التي مصدرها الكتاب والسنة والسيرة والتراث الإسلامي المجيد » (مجلة الداعي، ص ٤٢).

١٤-**ويقول عنه د.رفعت سيد أحمد**: « لقد كان الجندي أحد رموز مقاومة التغريب في بلادنا ولقد كانت العلاقة بيني وبينه علاقة كل مثقف عربي مسلم مع أحد رموز الفكر الإسلامي هذه العلاقة التي بنيت على العطاء الفكري من الراحل في كتبه وموسوعاته ولقد كنت أستعين بكتاباته في مواجهة الغزو الثقافي والاختراق الفكري وأطالب بطبع تراث الجندي ونشره من خلال مكتبة الأسرة » (آفاق عربية، عدد ٤٤٥، ص ١١).

١٥-**ويقول عنه الأستاذ فاروق باسلامة**: « إن أنور الجندي يستحق التقدير والتكريم لا مقال كتبه ومؤلفاته وإنما مقابل الإيمان والفكر والجهاد والأدب ولكن رحل ~ مأسوفاً عليه والقلوب والأفئدة شواهد على أنه لم يكرم ولو بيسير إزاء جهوده الميمون » (مجلة الأدب الإسلامي، عدد ٣٣، ص ٢٩ بتصرف).

١٦-**الكاتب الصحفي أبو إسلام أحمد عبدالله**: « تحية لهذا الرجل المفكر المخضرم الصعيدي الذي أعطى ما أعطى وبذل ما بذل في خدمة الإسلام وفي مواجهة خصومه وأعدائه والذي كان لمؤلفاته اتجاهاً فكرياً وصحفياً متميزاً سد ثغرة واسعة في المكتبة العربية والإسلامية كان صعباً أن تسد » (سقوط الخلافة إلى مولد الصحوة، ص ٦، طبع دار الحكمة).

١٧-**ويقول د.عبدالقدوس أبو صالح:** « إن أنور الجندي من الفرسان الذي نذروا أنفسهم للدفاع عن ثقافة الأمة وحضارتها وأدبها وتاريخها وانطلقوا من ثوابت هذا الدين في الدعوة إلى النهوض والبناء ودفعوا راية الأصالة والعودة إلى المنابع ووقفوا بجرأة في مواجهة رياح التغريب الوافدة من خارج أوطاننا حتى بلغت مؤلفاته أضعاف مؤلفات من سبقوه » (مجلة الأدب الإسلامي، عدد ٣، ص١، عام ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م).

١٨-**ويقول عنه الأديب عبدالسلام البسيوني:** « إن الجندي يعد من اللآلي الساكنة في المولد الإعلامي والدعوة، لقد كان عفيفاً قاراً في بيته لا يطرق الأبواب ولا يزاحم الأتراب ولا يهمه أن يقال حضر أو غاب ولقد كان من أكبر ذنوبه أنه كان مستقلا في تفكيره غير منضو تحت لافتة، فاللافتات في العالم الإسلامي تطرد دائماً من لا يصفق لها » (مجلة المنار الجديد، ص ١١٣ و ص ١١٩).

٢٠-**ويقول عنه الدكتور عبدالحليم عويس:** « إن أنور الجندي مثله مثل (سيِّد قطب) و (الغزالي) و(هيكل) و(العقاد) قد تحول تحولا فكرياً للدفاع عن الإسلام عندما أبصر حقيقة هذا الدين (فسيد قطب) بدأ أديباً ثم أصبح قائداً من قيادات الحركة الإسلامية والدكتور هيكل كان مجرد أديب وعندما أبصر الحق أمتعنا بمؤلفاته الإسلامية والعقاد كان أديباً أيضاً ثم عندما أبصر الحق أمتعنا بالإسلام عقيدة وفكرا وهكذا كان (أنور الجندي) فارساً في مدرسة إسلامية كانت مهمتها أن تواجه الحملة الشرسة التي شنها المستغربون » (د/ عبدالحليم عويس، مجلة المنار الجديد، ص ١٢٩ و ص١٣٣) [1].

(١) يراجع:موقع المفكر الإسلامي الأستاذ أنور الجندي (معلمة الإسلام).

الخاتمـــة

الخاتمـــة

وفي نهاية المطاف، وبعد هذه الدراسة الشاملة لمؤلفات الدكتور طه حسين، أخرج بخلاصة هذا البحث المتمثل في النتائج الآتية:

أولاً: ينبغي الوقوف على أعمال الأدباء والنظر إليها بعين الإنصاف، ثم وضعها في ميزان الكتاب والسنة، فما وافقهما قبلناه وما خالفهما رددناه، وهذا المنهج لا يختص بفكر طه حسين فقط بل بسائر الأدباء والمفكرين.

ثانياً: التركيز على عامل البيئة والقرناء عند الحكم على أي شخصية، فكرية كانت أو أدبية أو سياسية، لأن الإنسان ابن بيئته، والمرء على دين خليله، كما ذكر الرسول ﷺ في الحديث(1).

وقد كان لبيئة طه حسين المليئة بالمستشرقين الأجانب مع ما يحملونه من جرثومة العداء للدين والحقد على المسلمين أعظم الأثر على فكر طه حسين فيما بعد، كما كان لزوجته الفرنسية أثر عليه أيضاً في ميله الشديد إلى حب فرنسا والاعتزاز بها، وكثرة الثناء عليها في أكثر من محفل.

ثالثاً: تنوع أساليب أعداء الإسلام في محاربته والقضاء عليه؛ فطه حسين لم يبرز في جانب واحد فقط، بل في عدة جوانب فكرية وأدبية وثقافية، ولم يحارب الإسلام فحسب من خلال نظرياته وأفكاره التي يبثها في بعض كتبه ومحاضراته، وإنما من خلال قصصه ورواياته الأدبية، بل ومن خلال إسلامياته - كما يطيب لمحبيه تسميتها - حيث تظهر خطورة كتابته في ملئ عدد من كتبه بكثير من الخرافات والأساطير والشبهات.

رابعاً: يعد التاريخ الإسلامي أحد مقومات الأمة الإسلامية، وأحد مصادر عزتها وفخرها، حيث ظهر لنا جيل لن يتكرر في نقائه وصفاء عقيدته وبطولاته الفذة؛ ولذا سعى أعداء الإسلام إلى محاولة هدمه وهدم رموزه والتصغير من شأنهم، أو على الأقل

---

(1) لفظه: عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: "المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالط" وقال مؤمل من يخالل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، (جـ٢/ ص٣٠٣) مؤسسة قرطبة-القاهرة.

النظر إلى واقعهم كنوع من الخيال الذي يستحيل تحقيقه على أرض الواقع، ومحاولة غرس هذا المفهوم الخطير في نفوس الناشئة. وهذا ما حاول طه حسين فعله مع بعض الصحابة الكرام، رضوان الله عليهم، وبعض القادة البارزين وبعض حكماء المسلمين.

خامساً: إن خطورة الدور الذي قام به طه حسين في العالم الإسلامي تمخّض عنه - وللأسف - عدد غير قليل من تلامذة طه حسين الذين يرددون أفكاره ويعظمون نظرياته؛ حتى وإن طعنت في مقدسات الأمة وثوابتها. هذا الأمر أوجد لنا ما يسمون بالحداثيين الذين يعتبرون طه حسين أحد رواد الحداثة، وقد وصلوا إلى درجة من الضلال - والعياذ بالله - لم يصل إليها طه حسين نفسه، فالحداثة تعنى في أحد معانيها التمرد على كل قديم... التمرد على اللغة... التمرد على الدين... بل التمرد على الله كما صرّح بهذا أحد رؤوس الحداثة فيهم[1] - وتعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً -.

سادساً: لم أقطع بالقول الفاصل فيما انتهت إليه عقيدة طه حسين وتأرجح الحكم عندي لتساوي أدلة الرجوع من عدمه في القوة، ولأنه لا يعنيني الحكم عليه بقدر ما يعنيني التحذير من كتبه ومؤلفاته المليئة بالمضامين المخالفة، ولأن ذلك أمر قلبي لا يمكن القطع به -والله تعالى أعلم-. وإن الشك برجوع طه حسين عن آرائه في نهاية حياته لا يعنى التغاضي عما في كتبه من سموم بأي حال من الأحوال فرجوعه -إن صح- لايمنع من التحذير مما تضمنته كتبه وقصصه ورواياته من أفكار دخيلة كفيلة بتدنيس عقول الناشئة؛ فإن كان طه حسين قد تاب ورحل فإن سمومه ما زالت تنخر في جسد الأمة وتهز عقائد شبابها، وخاصة أنه من الأدباء الذين يُحتفى بفكرهم، وتسعى وسائل الإعلام المرئية والمسموعة إلى إلقاء الضوء على مؤلفاته ورواياته، بل وصل بهم الأمر بالنسبة لطه حسين إلى تمثيل أكثر من قصة ورواية، ولا يخفى ما في هذا الأمر من خطورة، حيث إن كثيراً من النشئ لم يتعرفوا على طه حسين إلا من خلال هذه الأفلام والمسلسلات التي تظهره وكأنه عملاق الأدب والفكر لهذا العصر.

إلى آخر النتائج التي يجدها المتلقي في تضاعيف الفصول وأطواء الأبواب.

---

(١) وهو الحداثي يوسف الخال.

اللهم اجعل هذا العمل حجة لنا لا علينا، وانفعنا به في الدارين،،
والحمد لله الذي بنعمه تتم الصالحات. وصلِّ اللهم وسلِّم على نبينا محمد
عدد ما ذكره الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون.

الفهــارس

الفهــارس

ويحتوي على:

- ۞ **فهرس الآيات القرآنية.**
- ۞ **فهرس الأحاديث والآثار.**
- ۞ **فهرس الأعلام.**
- ۞ **فهرس المصادر والمراجع.**
- ۞ **فهرس الموضوعات.**

فهرس الآيات القرآنية

الآيــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾	البقرة:٧٤	ـ	٣٣٨
﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾	البقرة:٩٨	ـ	٣٦٨
﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِۦمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾	البقرة:١٢٥	ـ	٢١٤
﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِۦمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾	البقرة:١٢٧	ـ	٢١٤
﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾	البقرة:٢١٣	ـ	٢٠٨
﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾	آل عمران:٣١	ـ	٢٢٥
﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾﴾	آل عمران:٨٤	ـ	٢١٧

الآيـــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ﴾	آل عمران: ١١٨- ١٢٠	٣	٢٣٩
﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ﴾	آل عمران:١٤٤	٣	١٤١
﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾	النساء:٣٦	٤	٢٠٣
﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾	النساء:١٥٧	٤	٢٤٦
﴿ ۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ﴾	النساء:١٦٣	٤	٢١٦
﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾	المائدة:٥١	٥	٢٣٦، ٢٣٩
﴿ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ﴾	المائدة:٨٢	٥	٢١٥
﴿ ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾	الانعام:١١١	٦	٦٣
﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾	الأنعام:١١٥	٦	٢١٠
﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	الأنعام:١٦٢	٦	٢٥٥
﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾	الأنفال:٥٣	٨	٢٦

الآيـــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾	الأنفال:٦٠	٨	٢٣٨
﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾	التوبة:٦	٩	٢٢٨
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾	التوبة:٢٣	٩	٢٣٦
﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾	التوبة:٦٥–٦٦	٩	٢٠٢
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾	الرعد:٢١١	١٣	٢٦
﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾	إبراهيم:٣٧	١٤	٢١٨
﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾	الحجر:٩	١٥	٢٢٨،٢٠٨
﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾	الحجر:٩٥	١٥	٢٠٢
﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾	النحل:٤٠	١٦	٢٠٣
﴿مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾	الإسراء:١٥	١٧	٢٣٣
﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾	الإسراء:١٧	١٧	٣٠٣
﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾	مريم:٤١	١٩	٢١٦
﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾	مريم:٥٤	١٩	٢١٧
﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾	مريم:٥٩	١٩	٣٥٥
﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾	مريم:٦٠	١٩	٣٥٥

الآيـــــــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾	الأنبياء:٢٢	٢١	٢٢٥، ٢٢٧
﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾	الحج:٢٦-٢٧	٢٢	٢١٤
﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾	الحج:٢٣	٢٢	٢٠٠
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾	النور:١٩	٢٤	٣٠
﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ﴾	النور:٣١	٢٤	٢٧٤
﴿وَقَالُوٓا۟ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾	الفرقان:٥	٢٥	٣٥٢، ٣٨٢
﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾	الفرقان:٧٢	٢٥	٢٤٤
﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾	الشعراء:٢٢٤	٢٦	١١٢
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾	لقمان:٦	٣١	٢٨٦
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾	الأحزاب:٥٩	٣٣	٢٧٥
﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾	سبأ:١٥	٣٤	٣٨٣
﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَـٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾	ص:٢٧	٣٨	١٥٧

الآيـــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾	الزمر:٩	٣٩	٢٥٣
﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾	الزمر:٣٠-٣١	٣٩	١٤١
﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾	فصلت: ٤١-٤٢	٤١	٢٠٩
﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾	الزخرف:٥٢	٤٢	٣٢٧
﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾	الحجرات:١٠	٤٩	٢٦٣
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾	الحجرات:١٣	٤٩	٢٦٣
﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	الذاريات:٥٦	٥١	١٥٧
﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾	النجم:١- ٤	٥٣	٢٣٠
﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾	القمر:٤٩	٥٤	٢٣١
﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾	المجادلة:١١	٥٨	٢٥٣
﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾	المجادلة:٢٢	٥٨	٢٣٦

الآيــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾	الممتحنة:٤	٦٠	٢٣٦
﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾	الصف:٨	٦١	٣٤١
﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾	الطلاق:٢-٣	٦٥	٢٢٥
﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾	القلم:٣٧	٦٨	١١٢
﴿كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾﴾	المدّثر:١٦- ٢٨	٧٤	٢٢٩
﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾	المدثر:٢٥- ٢٦	٧٤	٣٥٢
﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾	الفجر:١٣- ١٤	٨٩	٢٢٤
﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾﴾	الفجر:١٣	٨٩	٢٢٧
﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾	البلد:١٠	٩٠	٢٣١، ٢٣٣، ٢٧٩
﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾﴾	التكاثر:٥-٦	١٠٢	٢٢٤، ٢٢٧
﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾	التكوير:٢٨	٨١	٢٣٣
﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾﴾	العصر:١- ٢	١٠٣	٢٢٤، ٢٢٧
﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾﴾ إلى قوله ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾﴾	الكافرون: ١-٢، ٦	١٠٩	٢٢٤، ٢٢٧

الآيـــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ٤﴾	المسد:١- ٤	١١١	٢٢٤، ٢٢٧



فهرس الأحاديث والآثار

م	الحديـــــــث	الصفحة
١	أقتلته بعدما قال: لا إله إلا الله؟!	٣٠٣
٢	إن العبد ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالاً تهوى به في جهنم سبعين خريفاً	٢٠٢
٣	إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض، حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير	٢٥٤
٤	أن الملائكة تسوق السحاب	٣٦٧
٥	أن النبيّ ﷺ خرج إلى بدر فتبعه رجل من المشركين فلحقه عند الحرة، فقال: إني أردت أن أتبعك وأصيب معك، قال: تؤمن بالله ورسوله؟ قال: لا. قال: ارجع فلن أستعين بمشرك	٢٣٩
٦	أن النبي ﷺ طاف يوم الفتح على راحلته يستلم الأركان بمحجنه (ابن عمر)	٢٦٣
٧	تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك	٢٥٥
٨	تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً، فأيُّما قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء، وأيُّما قلب أُشربها نكتت فيه نكتة سوداء حتى تكون القلوب على قلبين قلب أبيض كالصفا لا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض، وقلب أسود كالكوز مجخِّياً مربادّاً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أُشرب من هواه	٢٨٥
٩	الحمد لله الذي أذهب عنكم عصبية الجاهلية، وتكبرها بآبائها، الناس رجلان: برٌّ تقيٌّ كريم على الله، وفاجر شقي هين على الله، والناس بنو آدم، وخلق الله آدم من تراب	٢٦٣
١٠	خير صفوف الرجال أوَّلها وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها وشرها أوَّلها	٢٧٣
١١	الغناء والذي لا إله غيره	٢٨٦
١٢	فليبلغ الشاهد الغائب	٢٦٤
١٣	لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا تصاوير	٢٨٩
١٤	لأن أحلف بالله كاذباً أحبُّ إليّ من أن أحلف بغيره صادقاً (ابن مسعود)	٢٠٧

م	الحديـــــــــث	الصفحة
١٥	لما نزلت هذه الآية ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾، أخذن أُزرهن فشققنها من قبل الحواشي فاختمرن بها	٢٧٥
١٦	ليكوننّ من أمتي قوم يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف	٢٨٧
١٧	ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه	٢٧٩
١٨	المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالط	٤٠٣
١٩	من أمسك كلباً فإنه ينقص كل يوم من عمله قيراط إلا كلب حرث أو ماشية	٢٨٩
٢٠	من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك	٢٠٧
٢١	من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهلّ الله له به طريقاً إلى الجنة	٢٥٣
٢٢	من سنَّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنَّ في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شئ	٣٦٣
٢٣	وكان رسول الله ﷺ إذا سلَّم قام النساء حين يقضي تسليمه وهو يمكث في مقامه يسيراً قبل أن يقوم، قالت: نرى والله أعلم أنَّ ذلك كان لكي ينصرف النساء قبل أن يدركهنَّ الرجال (أم سلمة)	٢٧٢
٢٤	يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، ألا إن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأعجمي على عربي، ولا لأسود على أحمر، ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، ألا هل بلغت؟	٢٦٣
٢٥	يرحم الله نساء المهاجرات الأُول لما أنزل الله ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ شققن مروطهن فاختمرن بها	٢٧٥



فهرس الأعلام

م	اسم العلـــــــم	الصفحة
١	إحسان عبدالقدوس (أديب مصري)	٣٣١
٢	أحمد العسال	٣٩٨
٣	أحمد أنور سيد أحمد الجندي	٣٩٦
٤	أحمد بن عبدالله بن سليمان محمد التنوخي	٧٩
٥	أحمد عبدالله، أبو إسلام	٤٠٠
٦	أرستوفان	١٩١
٧	أرنست رينان (مستشرق ومفكر فرنسي)	٩٧
٨	أسامة بن زيد	٣٠٣
٩	أمين الخولي (كاتب مصري)	٣١٠
١٠	أمينة السعيد (كاتبة وصحفية مصرية)	٣٣٨
١١	أندريه جيد (أديب وناقد فرنسي)	١٨١
١٢	أوتو برتسل	١٠٢
١٣	أوجست كونت	٢٠٤
١٤	برجستراسر (مستشرق ألماني)	١٠١
١٥	بودلير (شاعر فرنسي)	١٧٦
١٦	بول فاليري (أديب وناقد فرنسي)	١٧٩
١٧	بول كازانوفا (مستشرق فرنسي)	١٣٧
١٨	بول كراوس	١٢٠
١٩	توفيق الحكيم (أديب مصري)	٣٢٣
٢٠	جابر عصفور (علماني حداثي مصري)	٣٦٠
٢١	جاستون فييت (مستشرق فرنسي)	١٢٤

م	اسم العلـــــــم	الصفحة
٢٢	جان جاك روسو	١٥٨
٢٣	جب هاملتون (مستشرق إنجليزي)	١٢٦
٢٤	جويدي إجنتيسو	١٠٤
٢٥	حسن حبشي	٣٩٩
٢٦	حسن حنفي	٣٥٠
٢٧	حسين مؤنس (مؤرخ مصري)	٣٤١
٢٨	حسين مجيب المصري	٣٩٩
٢٩	خليل مطران	٣١
٣٠	دافيد سامويل مرجليوث	١١١
٣١	دور كايم (يهودي فرنسي)	١٧١
٣٢	رفعت سيد أحمد	٤٠٠
٣٣	ريجي بلاشير (مستشرق فرنسي)	١٣٣
٣٤	رينيه ديكارت (فرنسي)	١٤٦
٣٥	زكي بن عبدالسلام مبارك	٤٠
٣٦	سامح كُرِيِّم	٣٧٤
٣٧	سانت بيف (فرنسي)	١٦١
٣٨	سعد الله ونوس	٣٩٠
٣٩	سليم بن أبي فراج البشري	٦٣
٤٠	سهير القلماوي (كاتبة وأديبة مصرية)	٣٤٢
٤١	سوفوكل	١٩١
٤٢	سيد بن علي المرصفي الأزهري	٤٤
٤٣	شعيب الغباشي	٣٩٧
٤٤	شوقي ضيف	٣٩٩
٤٥	صلاح عبدالصبور (شاعر مصري)	٣٢١

م	اسم العلـــــــم	الصفحة
٤٦	صلاح فضل	٣٧٧
٤٧	طنطاوي جوهري	٣٨
٤٨	عبدالحليم عويس	٤٠١
٤٩	عبدالرحمن شكري	٣١
٥٠	عبدالرحمن منيف	٣٨٧
٥١	عبدالسلام البسيوني	٤٠١
٥٢	عبدالصبور شاهين	٣٩٧
٥٣	عبدالعزيز المقالح	٣٨١
٥٤	عبدالعزيز بن خليل جاويش	٧٤
٥٥	عبدالعزيز فهمي	٦٨
٥٦	عبدالعظيم المطعني	٣٩٦
٥٧	عبدالقادر القط	٣٧٦
٥٨	عبدالقدوس أبو صالح	٤٠١
٥٩	عبدالمعطي حجازي	٣٧٣
٦٠	عبدالمنعم يونس	٣٩٧
٦١	عزيز العظمة	٣٨٣
٦٢	علي أحمد سعيد أسبر النصيري (أدونيس)	٣٨٤
٦٣	فاروق باسلامة	٤٠٠
٦٤	فتحي زغلول	٦٥
٦٥	فخري صالح	٣٩١
٦٦	فرج فودة	٣٦٥
٦٧	فيصل درّاج	٣٨٨
٦٨	كارلو ألفونسو نالّينو (مستشرق إيطالي)	١٠٦
٦٩	لوسي يعقوب	٣٧٨

م	اسم العلـــــــم	الصفحة
٧٠	لويس ماسينيوس (مستشرق فرنسي)	١١٩
٧١	ليتمان (مستشرق ألماني)	١١٦
٧٢	مارسل (مستشرق فرنسي)	٢٩٦
٧٣	ماريه أروبه (فولتير)	١٥٥
٧٤	محمد أحمد خلف الله (مصري شيوعي)	٣١٨
٧٥	محمد المهدي بن عبدالله آغا	٣٨
٧٦	محمود شلتوت	٣١١
٧٧	محمد عودة	٣٧٦
٧٨	محمد محمد حسين	٢١١
٧٩	محمد يحيى	٣٩٨
٨٠	محمود أبو العيون	٢٤٠
٨١	مصطفى الشكعة	٣٩٨
٨٢	مصطفى صادق الرافعي	٥٣
٨٣	منصور فهمي	٢٩٧
٨٤	ميّ زيادة	٢٦٨
٨٥	نجيب محفوظ عبدالعزيز إبراهيم أحمد الباشا	٣٤٧
٨٦	نصر حامد أبو زيد	٣٦٥
٨٧	نعمان عاشور	٣٧٥
٨٨	نور عالم خليل الأميني	٤٠٠
٨٩	هوميروس	١٩١
٩٠	هيبوليت أدولف تين (فرنسي)	١٦٥
٩١	يوسف إدريس (طبيب مصري)	٣٣٦
٩٢	يوسف القرضاوي	٣٩٧

فهرس المصادر والمراجع

•**القــرآن الكريــم** (جل منزله وعلا).

◈ **أولاً: الكتب المطبوعة:**

(١) **الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر**، د/ محمد محمد حسين، دار النهضة العربية للطباعة والنشر-بيروت، ط: الثالثة، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م.

(٢) **الأحرف السبعة والقراءات وما أثير حولها من شبهات**، د/ شعبان محمد إسماعيل، مطبوعات نادي مكة الثقافي الأدبي، مطابع الصفا، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

(٣) **أحلام شهرزاد**، طه حسين، دار الكتاب اللبناني، بيروت، بدون.

(٤) **الأدب العربي الحديث**، نماذج ونصوص، سالم المعوش، دار المواسم، للطباعة والنشر والتوزيع، ط: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

(٥) **أدبنا الحديث ما له وما عليه**، طه حسين، دار الكتاب اللبناني، بيروت، بدون.

(٦) **أديب**، طه حسين، دار الكتاب اللبناني، بيروت، بدون.

(٧) **آراء نجيب محفوظ في ضوء العقيدة الإسلامية**، عرض ونقد، رسالة ماجستير من كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى، للباحثة / إيمان محمد عسيري، طباعة أبو حسام علي فطاني، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

(٨) **الاستشراق الإسرائيلي في الدراسات العبرية المعاصرة**، أ/ د/ محمد جلاء إدريس، مكتبة الآداب، القاهرة، ط: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

(٩) **الاستشراق في التاريخ الإسلامي**، د/ علي حسني الخربوطلي، جمعية الدراسات الإسلامية، بدون.

(١٠) **الاستشراق**، المفاهيم الغربية للشرق، ادوارد سعيد، ترجمة: د/ محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، بدون، ٢٠٠٨.

(١١) **الإسلام في تصورات الغرب**، د/ محمود حمدي زقزوق، مكتبة وهبة، ط: الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

(١٢) **الإسلاميات والنقد الأدبي**، دراسة: إبراهيم عبد العزيز، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

(١٣) **أسلوب طه حسين في ضوء الدرس اللغوي الحديث**، د/ البدراوي زهران، دار المعارف، بدون.

(١٤) **الأصالة والمعاصرة في فكر طه حسين**، لوسي يعقوب، القاهرة الحديثة للطباعة، بدون.

(١٥) **إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام**، أنور الجندي، دار الاعتصام، بدون.

(١٦) **الأعلام خير الدين الزركلي**، دار العلم للملايين، بدون.

(١٧) **افتراءات المستشرقين على الإسلام عرض ونقد**، د/ عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، مكتبة وهبة، القاهرة، ط: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

(١٨) **أفكار ضد الرصاص**، محمود عوض، دار المعارف، ط: الثالثة، بدون.

(١٩) **ألوان**، طه حسين، دار الكتاب اللبناني، بيروت، بدون.

(٢٠) **الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها**، دراسة نقدية شرعية، رسالة دكتوراه، د/ سعيد ناصر الغامدي، دار الأندلس الخضراء، ط: الثانية، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

(٢١) **أوديب**، طه حسين، دار الكتاب اللبناني، بيروت، بدون.

(٢٢) **أيام العمر**، إبراهيم عبد العزيز، مكتبة الأسرة، بدون، ٢٠٠٣.

(٢٣) **الأيام**، طه حسين، دار الكتاب اللبناني، بيروت، بدون.

(٢٤) **الإيمان، أركانه، حقيقية، نواقضه**، د/ محمد ياسين. مكتبة الفلاح، الكويت، ط: الخامسة، ١٤٠٧هـ - ١٩٧٨م.

(٢٥) **بلاغة القرآن**، محمد الخضر حسين، الدار الحسينية للكتاب، بدون، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

(٢٦) **بين بين**، طه حسين، دار الكتاب اللبناني، بيروت، بدون.

(٢٧) **تاريخ الأدب العربي**، أحمد حسن الزيات، بدون-ط: الخامسة والعشرون، بدون.

(٢٨) **تاريخ الصحافة الإسلامية**، أنور الجندي، دار عطوة للطباعة، بدون.

(٢٩) **تجديد ذكرى أبي العلاء**، طه حسين، دار الكتاب اللبناني، بيروت، بدون.

(٣٠) **التجديد والتقليد**، طه حسين، دار الكتاب اللبناني، بيروت، بدون.

(٣١) **تحت راية القرآن**، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: الثامنة، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

(٣٢) **تحولات طه حسين**، د/ مصطفى عبد الغني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، بدون، ١٩٩٠.

(٣٣) **تراث طه حسين**، المقالات الصحفية من ١٩٠٨-١٩٦٧،

(٣٤) **تربية المرأة بين المودودي وطه حسين**، أ/ منيرة القاسم، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة.

(٣٥) **التعليم**، دراسة: د/ سعيد إسماعيل علي، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

(٣٦) **تفسير القرآن العظيم**، للإمام الحافظ ابن كثير، تقديم د/ يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة بيروت لبنان، بدون.

(٣٧) **تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد**، الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، الكتاب الإسلامي، بدون.

(٣٨) **جنة الحيوان**، طه حسين، دار الكتاب اللبناني، بيروت، بدون.

(٣٩) **جنة الشوك**، طه حسين، فلسفة ابن خلدون الاجتماعية، طه حسين، دار الكتاب اللبناني، بيروت، بدون.

(٤٠) **الجهاد لابن المبارك تأليف ابن المبارك**، دار النشر، الدار التونسية تونس.

(٤١) **حافظ وشوقي**، طه حسين، دار الكتاب اللبناني، بيروت، بدون.

(٤٢) **الحب الضائع**، طه حسين، دار الكتاب اللبناني، بيروت، بدون.

(٤٣) **الحداثة في ميزان الإسلام**، د/ عوض محمد القرني، هجر، للطبعة والنشر التوزيع، ط: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

(٤٤) **حديث الأربعاء**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، بدون.

(٤٥) **حصوننا مهددة من داخلها**، د/ محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة، ط: السابعة، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

(٤٦) **حكم الإسلام في الغناء**، الشيخ محمد الحامد، مكتبة المنار-الأردن، ط: الثالثة، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

(٤٧) **خصام ونقد**، طه حسين، فلسفة ابن خلدون الاجتماعية، طه حسين، دار الكتاب اللبناني، بيروت، بدون.

(٤٨) **دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي**، د/ عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ط: الثانية، ١٩٨٦.

(٤٩) **دراسات في السيرة النبوية**، محمد سرور نايف زين العابدين، دار الأرقم للنشر والتوزيع، ط: الثالثة، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨.

(٥٠) **دراسة تحليلية لأرآء طه حسين التربوية في كتاب مستقبل الثقافة في مصر من المنظور التربوي الإسلامي**، رسالة دكتوراه، للدكتورة فخرية محمد إسماعيل خوج، مطابع الصفا، مكة، بدون، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

(٥١) **دعاء الكروان**، طه حسين، دار الكتاب اللبناني، بيروت، بدون.

(٥٢) **ذكريات طه حسين**، ثروت أباظة، دار الكتاب اللبناني-بيروت، بدون.

(٥٣) **رجال اختلف فيهم الرأي**، أنور الجندي، دار الأنصار بالقاهرة، بدون.

(٥٤) **رحلة الربيع والصيف**، طه حسين، فلسفة ابن خلدون الاجتماعية، طه حسين، دار الكتاب اللبناني، بيروت، بدون.

(٥٥) **رحلة في فكر طه حسين**، مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط: الأولى، ٢٠٠١.

(٥٦) **رسالة في في الطريق إلى ثقافتنا**، محمود محمد شاكر، دار الهلال، ط: الثالثة، ١٩٩١م.

(٥٧) **رسائل طه حسين**، إبراهيم عبد العزيز، الهيئة المصرية العامة للكتاب، بدون، ٢٠٠٠م.

(٥٨) **رسائل في العقيدة**، الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، دار طيبة، بدون، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

(٥٩) **الرسل والرسالات**، د/ عمر سليمان الأشقر، مكتبة الفلاح، ط: الثالثة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

(٦٠) **الرؤية الحضارية والنقدية في أدب طه حسين**، د/ يوسف نور عوض، دار القلم بيروت-لبنان، بدون.

(٦١) **الزور والبهتان**، فيما كتبه طه حسين في الشيخان، د/ جمال عبد الهادي، د/ وفاء محمد رفعت، أ/ علي أحمد لبن، دار الطباعة والنشر الإسلامية، بدون.

(٦٢) **سموم الاستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية**، أنور الجندي، مكتبة التراث الإسلامي، بدون.

(٦٣) **سنن النسائي الكبرى**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ ١٩٩١م، ط: الأولى، تحقيق د/ عبد الغفار سليمان البنداري- سيد كسروى حسن.

(٦٤) **سير أعلام النبلاء للإمام للذهبي**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣، ط: التاسعة، تحقيق شعيب الأرنؤوط- محمد نعيم العرقسوسي.

(٦٥) **شجرة البؤس**، طه حسين، دار الكتاب اللبناني، بيروت، بدون.

(٦٦) **الشهاب الراصد**، محمد لطفي جمعة، مطبعة المقتطف والمقطَّم، ط: الأولى، ١٣٤٤هـ - ١٩٢٦م.

(٦٧) **الشيخان**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، بدون.

(٦٨) **الشيعة في الميزان**، د/ محمد يوسف النجرامي، دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع، ط: الأولى، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

(٦٩) **صوت باريس**، طه حسين، دار الكتاب اللبناني، بيروت، بدون.

(٧٠) **طه حسين آثاره وأفكاره**، د/ السيد تقي الدين، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

(٧١) **طه حسين الشاعر الكاتب**، محمد سيد كيلاني، دار القومية العربية للطباعة، ط: الأولى، ١٩٦٣م.

(٧٢) **طه حسين بصيراً**، د/ محمد صادق الكاشف، مكتبة الخانجي بالقاهرة، مطبعة المدني، ط: الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م. طه حسين فكر متجدد، سامح كُريم، الدار المصرية اللبنانية، ط: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

(٧٣) **طه حسين بين السياج والمرايا**، د/ عبد الرشيد الصادق محمودي، عين للدراسات و البحوث الإنسانية والاجتماعية، ط: الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.

(٧٤) **طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام**، أنور الجندي، دار الاعتصام، ط: الثانية، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.

(٧٥) **طه حسين رائد العقلانية الليبرالية العربية**، د/ عبد الرزاق عيد، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط: الأولى، ٢٠٠٨.

(٧٦) **طه حسين في معاركه الأدبية**، سامح كُريم، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتَّاب، بدون.

(٧٧) **طه حسين مطلوب حيًّا أو ميتاً**، د/ علي شلش الدار العربية للطباعة والنشر والتوزيع، ط: الأولى، ١٩٩٣.

(٧٨) **طه حسين من الأزهر إلى السوربون**، عبد الرشيد الصادق محمودي، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ط: الأولى، ٢٠٠٣.

(٧٩) **طه حسين من جديد آراء نخبة من كبار المثقفين**، محمد نوار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، بدون، ٢٠٠٦.

(٨٠) **طه حسين و زوال المجتمع التقليدي**، د/ عبد العزيز شرف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، بدون، ١٩٧٧.

(٨١) **طه حسين وأثر الثقافة الفرنسية في أدبه**، كمال قِلته، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، دار المعارف بمصر، بدون.

(٨٢) **طه حسين والبحث عن العدل الاجتماعي**، أحمد عبد الرزاق أبو العلا، الهيئة المصرية العامة للكتَّاب، بدون، ١٩٩٨م.

(٨٣) **طه حسين والسياسة المصرية**، دارسة: د/ أحمد زكريا الشلق، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

(٨٤) **طه حسين والشيخان**، محمد عمر توفيق، الكتاب العربي السعودي، ط: الثانية، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

(٨٥) **طه حسين وثائق أدبية**، نبيل فرج، دار الهلال، ٢٠٠٤.

(٨٦) **طه حسين وثورة يوليو**، صعود المثقف وسقوطه، د/ مصطفى عبد الغنى، مكتبة التراث الإسلامي، بدون.

(٨٧) **طه حسين ومعاركه الأدبية**، صلاح عطية، مؤسسة دار التحرير للطبع والنشر، (دار الجمهورية للصحافة) بدون، ٢٠٠٦.

(٨٨) **طه حسين ومعاصروه**، نبيل فرج، دار الهلال، بدون.

(٨٩) **طه حسين يتحدث عن أعلام عصره**، د/ محمد الدسوقي، دار المعارف، بدون.

(٩٠) **طه حسين يتكلم**، سامح كُريم، دار المعارف، بدون.

(٩١) **طه حسين... الجريمة والإدانة**، جابر رزق، دار الاعتصام، بدون.

(٩٢) **طه حسين**، كما يعرفه كتَّاب عصره، دار الهلال، مؤسسة دار الهلال، بدون.

(٩٣) **طه... قنديل الوطن... عن رحلة التنوير**، د/ سمير سرحان، د/ محمد عناني، الهيئة المصرية العامة للكتَّاب، بدون، ٢٠٠٤.

(٩٤) **عبد الرحمن بدوي**، نجم في سماء الفلسفة، د/ أحمد عبد الحليم، الهيئة العامة لعصور الثقافة، شركة الأمل للطباعة والنشر، بدون.

(٩٥) **عبد الرحمن بن خلدون**، حياته و آثاره ومظاهر عبقريته، د/ علي عبد الواحد وافي، الهيئة المصرية العامة للكتَّاب، بدون.

(٩٦) **عرض و نقد**، طه حسين، دار الكتاب اللبناني، بيروت، بدون.

(٩٧) **عقيدة الموحِّدين والرد على الضلاَّل والمبتدعين**، جمع الشيخ عبد الله بن سعدي الغامدي العبدلي، مكتبة الطرفين، ط: الأولى، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

(٩٨) **على رقاب العباد**، أنيس منصور، الشروق، ط: الأولى، ١٩٨٣م.

(٩٩) **على هامش السيرة**، طه حسين، دار الكتاب اللبناني، بيروت، بدون.

(١٠٠) **العواصم من القواصم**، القاضي أبي بكر العربي، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، بدون، ١٤١٩هـ.

(١٠١) **عودة الحجاب**، محمد المقدّم، دار طيبة، ط: الثالثة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

(١٠٢) **عودة الحجاب، معركة الحجاب والسفور**، محمد أحمد إسماعيل، دار طيبة، ط: الثالثة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

(١٠٣) **الغناء وما عسى أن يُقال فيه من الإباحة والحظر**، الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود، المكتب الإسلامي، ط: الثالثة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

(١٠٤) **فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء**، جمع وترتيب: الشيخ أحمد بن عبد الرزاق الدرويش، دار أولي النهى للنشر والتوزيع، ط: الأولى، ١٤١١هـ.

(١٠٥) **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة، بيروت، تحقيق محب الدين الخطيب.

(١٠٦) **فصول في الأدب والنقد**، طه حسين، دار الكتاب اللبناني، بيروت، بدون.

(١٠٧) **فصول ممتعة**، محمد سيد كيلاني، دار العرب، بدون.

(١٠٨) **الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي**، د/ محمد البهي، دار المعارف، ط: العاشرة، ١٩٩١م.

(١٠٩) **الفكر الإسلامي المعاصر**، دراسة وتقويم، غازي التوبة، دار القلم، بيروت- لبنان، ط: الثالثة، حزيران - يونية ١٩٧٧م.

(١١٠) **فلسفة ابن خلدون الاجتماعية**، طه حسين، دار الكتاب اللبناني، بيروت، بدون.

(١١١) **الفن ومذاهبه في الشعر العربي**، د/ شوقي ضيف، مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف، ط: العاشرة، بدون.

(١١٢) **في الأدب الجاهلي**، طه حسين، دار الكتاب اللبناني، بيروت، بدون.

(١١٣) **في الأدب الحديث**، عمر الدسوقي، دار الفكر العربي، مطبعة الرسالة، ط: السادسة، ١٩٦٤م.

(١١٤) **في الشعر الجاهلي**، طه حسين، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ط: الأولى، ١٣٤٤هـ - ١٩٢٦م.

(١١٥) **قاهر الظلام**، كمال الملاخ، مطابع الأهرام التجارية، ط: الثانية، بدون.

(١١٦) **القدر**، طه حسين، دار الكتاب اللبناني، بيروت، بدون.

(١١٧) **القصر المسحور**، طه حسين، فلسفة ابن خلدون الاجتماعية، طه حسين، دار الكتاب اللبناني، بيروت، بدون.

(١١٨) **قضايا الشعر الجاهلي**، د/ علي العتوم، بدون، ط: الأولى.

(١١٩) **القول المفيد على كتاب التوحيد**، للشيخ محمد بن صالح العثيمين، مؤسسة الرسالة، دار الثريا للنشر، ط: الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

(١٢٠) **كتب و مؤلفون**، طه حسين، دار الكتاب اللبناني، بيروت، بدون.

(١٢١) **كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة**، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم- دمشق، بدون.

(١٢٢) **لحظات**، طه حسين، دار الكتاب اللبناني، بيروت، بدون.

(١٢٣) **ما بعد الأيام**، د/ محمد حسن الزيات، دار الهلال، بدون.

(١٢٤) **ماذا بقي من طه حسين**، سامح كُريم، مطبوعات الشعب، بدون.

(١٢٥) **مباحث في علوم القرآن**، منَّاع القطان، مؤسسة الرسالة، ط: الخامسة والثلاثون، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨.

(١٢٦) **المتبني**، محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، بدون، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

(١٢٧) **مجمع الزوائد و منبع الفوائد**، تأليف على بن أبي بكر الهيثمي، دار الريان للتراث، دار الكتاب العربي، القاهرة، بيروت ١٤٠٧هـ.

(١٢٨) **محاكمة سلمان رشدي المصري**، علاء حامد، مسافة في عقل رجل أم طعنة في قلب أمة؟ أحمد أبو زيد، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، بدون.

(١٢٩) **محاكمة فكر طه حسين**، أنور الجندي، دار الاعتصام، بدون.

(١٣٠) **مذاهب فكرية معاصرة عرض ونقد**، أ/د/ محمود محمد مزروعة، دار الرضا للنشر والتوزيع، ط: الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

(١٣١) **مرآة الإسلام**، طه حسين، دار الكتاب اللبناني، بيروت، بدون.

(١٣٢) **المستدرك على الصحيحين**، الحاكم، دار النشر، الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، ط: الأولى، نحقيق مصطفى عبد القادر عطا.

(١٣٣) **مستقبل الثقافة في مصر**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، بدون.

(١٣٤) **مسند أبي يعلى**، طبعة دار المأمون للتراث، دمشق ١٤٠٤ - ١٩٨٤، ط: الأولى، تحقيق حسين سليم أسد.

(١٣٥) **مسند الإمام أحمد**، مؤسسة قرطبة، مصر.

(١٣٦) **مصادر الشعر الجاهلي**، وقيمتها التاريخية، د/ ناصر الدين الأسد،دار المعارف بمصر، ط: الرابعة، بدون.

(١٣٧) **مصنف ابن أبي شيبة**، دار الفكر، بيروت، ١٥\ ربيع الثاني\ ١٤٠٩، تشرين الثاني نوفمبر ١٩٨٨.

(١٣٨) **مصنف عبد الرزاق بن همام الصنعاني**، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣هـ، ط: الثانية، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي.

(١٣٩) **المطالب العالية بزاوئد المسانيد الثمانية تأليف ابن حجر العسقلاني**، دار العاصمة، دار الغيث السعودية ١٤١٩هـ، ط: الأولى، تحقيق د/ سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشثري.

(١٤٠) **مع الرواد**، نعمان عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، بدون، ١٩٨٧.

(١٤١) **مع المتبني**، طه حسين، دار الكتاب اللبناني، بيروت، بدون.

(١٤٢) **معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول**، الشيخ حافظ أحمد حكمي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: الأولى، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

(١٤٣) **المعذبون في الأرض**، طه حسين، دار الكتاب اللبناني، بيروت، بدون.

(١٤٤) **معك**، سوزان طه حسين، دار المعارف، ط: الثانية، بدون.

(١٤٥) **المفكر والأمير**، طه حسين والسلطة في مصر، ١٩١٩هـ - ١٩٧٣م، د/ مصطفى عبد الغني، الهيئة المصرية العامة للكتَّاب، بدون.

(١٤٦) **من أدبنا المعاصر**، طه حسين، دار الكتاب اللبناني، بيروت، بدون.

(١٤٧) **من الأدب التمثيلي اليوناني**، طه حسين، دار الكتاب اللبناني، بيروت، بدون.

(١٤٨) **من بعيد**، طه حسين، دار الكتاب اللبناني، بيروت، بدون.

(١٤٩) **من حديث الشعر والنثر**، طه حسين، دار الكتاب اللبناني، بيروت، بدون.

(١٥٠) **من لغو الصيف إلى جد الشتاء**، طه حسين، دارر الكتاب اللبناني، بيروت - لبنان.

(١٥١) **موسوعة الفلسفة والفلاسفة**، د/ عبد المنعم الحفني، مكتبة مدبولي،ط: الثانية، ١٩٩٩.

(١٥٢) **موسوعة المستشرقين**، د/ عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، ط: الثالثة، ١٩٩٣.

(١٥٣) **موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين**، الشيخ مصطفى صبري، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت-لبنان، ط: الثالثة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

(١٥٤) **نظرة شرعية في فكر منحرف**، سليمان بن صالح الخراشي، مكتبة التوحيد، ط: الأولى، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٧م.

(١٥٥) **نفوس للبيع**، طه حسين، دار الكتاب اللبناني، بيروت، بدون.

(١٥٦) **نقد أعلام الفكر المصري المعاصر**، د/ أحمد عبد الرحمن، مكتبة وهبة- القاهرة، ط: الأولى، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

(١٥٧) **النقد التحليلي لكتاب (في الأدب الجاهلي)**، محمد أحمد الغمراوي، دار الحكمة بدون، ١٩٧٠.

(١٥٨) **نقد كتاب الشعر الجاهلي**، محمد فريد وجدي، مكتبة الآداب، ط: الثانية، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

(١٥٩) **نقض مطاعن في القرآن الكريم**، محمد أحمد عرفة، مطبعة المنار بمصر، ط: الأولى، عام ١٣٥١م.

(١٦٠) **نهر العميد الفيَّاض**، متحف طه حسين مركز رامتان الثقافي، جمهورية مصر العربية وزارة الثقافة المركز القومي للفنون التشكيلية، مطبوعات صندوق التنمية الثقافي، بدون، ١٩٩٦.

(١٦١) **نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار**، للشوكاني، دار الجيل، بيروت ١٩٧٣.

(١٦٢) **هجمة علمانية جديدة ومحاكمة النص القرآني**، د/ كامل سعفان، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، بدون.

(١٦٣) **واقعنا المعاصر**، محمد قطب، مؤسسة المدينة للصحافة، ط: الثالثة، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

(١٦٤) **الوعد الحق**، طه حسين، دار الكتاب اللبناني، بيروت، بدون.

(١٦٥) **الولاء والبراء في الإسلام**، الشيخ صالح بن فوزان الفوزان، دار الوطن للنشر، بدون، ١٤١٢هـ.

(١٦٦) **الولاء والبراء في الإسلام**، د/ محمد بن سعيد بن سالم القحطاني، دار طيبة للنشر والتوزيع- الرياض، ط: الثانية، ١٤٠٤هـ.

◈ ثانيا: فهرس الصحف والمجلات:

(١٦٧) **رواد القصة الأوائل**، عدد خاص، الهلال، مايو ١٩٧٢، العدد الخامس- السنة الثمانون، أول مايو-١٩٧٢-١٧ ربيع الأول ١٣٩٢هـ.

(١٦٨) **مجلة أبولو** العدد الأول، أيلول سبتمبر ١٩٣٢-١٣٥٠هـ.

(١٦٩) **مجلة الاعتصام**، العدد الثاني، السنة ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م.

(١٧٠) **مجلة البيان**، العدد ٣٠ ذو الحجة، ١٤١٠هـ - تموز (يوليو) ١٩٩٠م.

(١٧١) **مجلة البيان**، العدد الثلاثون، ذو الحجة- ١٤١٠هـ تموز (يوليو- ١٩٩٠م،

(١٧٢) **مجلة الجديد**، العدد ٣٨.

(١٧٣) **مجلة الجديدة**، يناير سنة ١٩٣٠.

(١٧٤) **مجلة الدوحة**، العدد ٨٣.

(١٧٥) **مجلة السفور**، ١٤ نوفمبر عام ١٩١٥م.

(١٧٦) **مجلة العربي الكويتية**، العددان: ٢٣٩، ٣٤٣، السنة الخامسة والثمانون، جمادي الأولى ١٣٩٧هـ - مايو ١٩٧٧م.

(١٧٧) **مجلة الفكر و الفن المعاصر**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، قرار النيابة في قضية كتاب (في الشعر الجاهلي) محمد نور، العدد (١٤٩) ابريل ١٩٩٥.

(١٧٨) **مجلة الكاتب**، الذي رأس تحريرها طه حسين، يناير (كانون الثاني) ١٩٥٣م.

(١٧٩) **مجلة المصور** العدد ٣٦٩٧.

(١٨٠) **مجلة النهضة الفكرية**، ١٩٣٢.

(١٨١) **مجلة الهداية**، سنة ١٣٢٩هـ - ١٩١١م، لصاحبها: عبد العزيز جاويش.

(١٨٢) **مجلة الهلال**، سبتمبر ١٩٨٢.

(١٨٣) **مجلة الهلال،** طه حسين أمام النيابة، يولية ١٩٧٠ العدد السابع- السنة الثامنة والسبعون أول يوليو ١٩٧٠م - ٢٦ ربيع الثاني ١٣٩٠هـ.

(١٨٤) **مجلة الهلال،** طه حسين في قفص الاتهام، جمادي الأولى ١٣٩٧هـ- مايو١٩٧٧م.

(١٨٥) **مجلة الوعي الإسلامي،** العدد ٢٥٩، السنة الثانية و العشرون، رجب ١٤٠٦هـ، مارس- أبريل ١٩٨٦م.

(١٨٦) **مجلة حواء** تاريخ ١٨ نوفمبر ١٩٧٢م.

(١٨٧) **مجلة دبي الثقافية،** العدد ٤١، أكتوبر ٢٠٠٨.

(١٨٨) **مجلة منار الإسلام،** العدد العاشر، السنة الثانية عشرة، شوال ١٤٠٧هـ - يونيو ١٩٨٧م.

(١٨٩) **الهلال** - عدد خاص - طه حسبن، العدد الثاني السنة الرابعة. والسبعون، ١٠ شوال سنة ١٣٨٥هـ - أول فبراير سنة ١٩٦٦م.



فهرس الموضوعات

الموضـــــــــــــوع	الصفحة
ملخـــص الرسالـــة	٣
Thesis Abstract	٤
المقدمــة	٥
أهمية الموضوع وأسباب اختياره	٩
خطـة البحـث	١٠
منهجي في البحث	١٢
التمهيــد: عصر طه حسين	١٧
المبحث الأول: الأوضاع السياسية	٢٠
المبحث الثاني: الأوضاع الاجتماعية	٢٤
المبحث الثالث: الأوضاع الدينية	٢٦
المبحث الرابع: الأوضاع الأدبية (الفكر والأدب)	٢٩
الباب الأول: حياة طه حسين ومصادر فكره	٣٣
الفصل الأول: نشأته ومسيرته العلمية	٣٥
المبحث الأول: مولده ونشأته ومسيرته العلمية	٣٦
المبحث الثاني: أبرز أعماله	٤٩
المبحث الثالث: أشهر مؤلفاته	٥٣
الفصل الثاني: أهم المؤثرات في فكر طه حسين	٥٦
المبحث الأول: القرية التي عاش فيها	٥٨
المبحث الثاني: العاهة التي أصيب بها (فقده للبصر)	٦٠

الموضـــــــــــــوع	الصفحة
المبحث الثالث: التحاقه ودراسته بالأزهر	٦٣
المبحث الرابع: التحاقه بالجامعة المصرية	٦٥
المبحث الخامس: علاقته بـ :	٦٨
أ- أثر لطفي السيِّد على طه حسين	٦٨
ب – أثر عبد العزيز جاويش على طه حسين	٧٤
المبحث السادس: تأثره بشخصية وفكر الشاعر (أبي العلاء المعري)	٧٩
المبحث السابع: سفره إلى فرنسا للدراسة	٨٦
المبحث الثامن: زواجه من الفرنسية (سوزان)	٩١
المبحث التاسع: علاقة طه حسين بالمستشرقين	٩٧
١) أرنست رينان (١٨٢٣-١٨٩٢م)	٩٧
٢) برجستراسر (١٨٨٦-١٩٣٣م)	١٠١
٤) جويدي إجنتيسو (١٨٤٤ - ١٩٣٥م)	١٠٤
٥) كارلو ألفونسو نالّينو (١٨٧٢-١٩٣٨م)	١٠٦
٦) دافيد سامويل مرجليوث (١٨٥٨-١٩٤٠م)	١١١
٧) ليتمان (١٨٧٥-١٩٥٨م)	١١٦
٨) لويس ماسينيون (١٨٨٣-١٩٦٢م)	١١٩
٩) جاستون فييت (١٨٨٧-١٩٧١م)	١٢٤
١٠) جب هاملتون (١٨٩٥-١٩٧١م)	١٢٦
١١) ريجي بلاشير (١٩٠٠-١٩٧٣م)	١٣٣
١٢) بول كازانوفا	١٣٧
الفصل الثالث: المصادر الأجنبية لفكر طه حسين	١٤٣

الموضـــــــــــوع	الصفحة
المبحث الأول: الفكر الفرنسي	١٤٤
أولاً: المفكرون الفرنسيُّون المتقدمون :	١٤٦
١) رينيه ديكارت (١٥٩٦-١٦٥٠م)	١٤٦
٢) فولتير (١٦٩٤-١٧٧٨م)	١٥٥
٣) جان جاك روسو (١٧١٢-١٧٧٨م)	١٥٨
ثانياً: المفكرون الفرنسيّون المعاصرون له :	١٦١
١) سانت بيف (١٨٠٤-١٨٦٩م)	١٦١
٢) هيبوليت أدولف تين (١٨٢٨-١٨٩٣م)	١٦٥
٣) دور كايم (١٨٥٨-١٩١٧م)	١٧١
ثالثا: الأدباء الفرنسيون المعاصرون له :	١٧٦
١) بودلير (١٨٢١-١٨٦٧م)	١٧٦
٢) بول فاليري (١٨٧١-١٩٤٥م)	١٧٩
٣) أندريه جيد (١٨٦٩-١٩٤٩م)	١٨١
المبحث الثاني: التراث الروماني واليوناني	١٨٨
الباب الثاني : آراء طه حسين عرض ونقد	١٩٦
الفصل الأول: آراء طه حسين العقدية عرض ونقد	١٩٨
المبحث الأول: مخالفات في بعض أركان الإيمان الستة	٢٠٠
المطلب الأول: المخالفات المتعلقة بالإيمان بالله ﷻ	٢٠٠
المطلب الثاني: المخالفات المتعلقة بالكتب السماوية	٢٠٨
المطلب الثالث: المخالفات المتعلقة بالقضاء والقدر	٢٣١
المبحث الثاني: المخالفات المتعلقة بعقيدة الولاء والبراء	٢٣٦

الموضـــــــــــوع	الصفحة
أ) مدحهم والإشادة بما هم عليه من المدنية والحضارة	٢٣٧
ب) الاستعانة بهم والثقة بهم وتوليتهم المناصب التي فيها أسرار المسلمين واتخاذهم بطانة ومستشارين	٢٣٩
ج) مشاركتهم في أعيادهم أو تهنئتهم بمناسبتها أو حضور إقامتها	٢٤٤
المبحث الرابع: مخالفات طه حسين في القضايا السياسية والاقتصادية	٢٤٨
١) الديمقراطيـــة	٢٤٩
٢) العلمانيـــة	٢٥١
٣) الليبراليـــة	٢٥٦
٤) الشعوبيـــة	٢٥٩
٥) القوميـــة	٢٦٢
موقف الإسلام من العصبية القومية	٢٦٣
الفصل الثاني: آراء طه حسين الشرعية عرض ونقد	٢٦٦
المبحث الأول: المخالفات المتعلقة بالمرأة	٢٦٧
١- الاختـــلاط	٢٦٧
٢- الحجاب والسفـور	٢٧٣
المبحث الثاني: المخالفات المتعلقة بالموسيقا والغناء والرقص	٢٨١
المبحث الثالث: المخالفات المتعلقة ببعض العادات الغربية المحرمة	٢٨٨
حفلات عيد الميلاد	٢٨٨
تربية الكلاب	٢٨٨
التسمية بأسماء الكفار	٢٨٩
التدخيـــن	٢٩٠

الموضــــــــــــوع	الصفحة
المبحث الرابع: المخالفات المتعلقة بالفحش في القول والبذاءة في الوصف	٢٩١
مبحث: هل تراجع طه حسين عن آرائه؟	٢٩٥
الباب الثالث: أبرز المتأثرين بطه حسين في العالم الإسلامي	٣٠٤
توطئـــــة	٣٠٦
الفصل الأول: أبرز المتأثرين بطه حسين داخل مصر	٣٠٩
١) أمين الخولي (١٨٩٥-١٩٦٦) م	٣١٠
٢) محمد أحمد خلف الله (-) م	٣١٨
٣) صلاح عبدالصبور (١٩٣١ - ١٩٨١) م	٣٢١
٤) توفيق الحكيم (١٨٩٨ - ١٩٨٧) م	٣٢٣
٥) إحسان عبدالقدوس (١٩٢٠- ١٩٩٠) م	٣٣١
٦) يوسف إدريس (١٩٢٧ - ١٩٩١) م	٣٣٦
٧) أمينة السعيد (١٩١٤ - ١٩٩٥) م	٣٣٨
٨) حسين مؤنس (١٩١١ - ١٩٩٦) م	٣٤١
٩) سهير القلماوي (١٩١١ - ١٩٩٧) م	٣٤٢
١٠) نجيب محفوظ (١٩١١ - ٢٠٠٦) م	٣٤٧
١١) حسن حنفي (١٣٥٤هـ - ...) (١٩٣٥ م - ...)	٣٥٠
١٢) جابر عصفور (١٩٤٠م -)	٣٦٠
١٣) نصر حامد أبو زيد (١٩٤٣ م -)	٣٦٥
الفصل الثاني: أبرز المتأثرين بطه حسين خارج مصر	٣٨٠
توطئـــــة	٣٨١
الآثار العامة لفكر طه حسين على العالم الإسلامي	٣٩٤

الموضــــــــــــوع	الصفحة
ملحـــق	٣٩٦
الخاتمــة	٤٠٢
الفهــارس	٤٠٦
فهرس الآيات القرآنية	٤٠٨
فهرس الأحاديث والآثار	٤١٥
فهرس الأعلام	٤١٧
فهرس المصادر والمراجع	٤٢١
فهرس الموضوعات	٤٣٦

